الإحاطة

في أخبار غرناطة

للسان الدين

أبي عبد الله محمد بن الخطيب

القسم الخامس

مراجعة وتقديم وتعليق بوزياني الدراجي

دار الأمل للدراسات

صدر هذا الكتاب بدعم من وزارة الثقافة في إطار الصندوق الوطني
لترقية الفنون والآداب

Cet ouvrage a été publié avec le soutien du Ministère de la
Culture, dans le cadre du Fonds National pour la Promotion
et le Développement des Arts et des Lettres.

دار الأمل للدراسات والنشر والتوزيع
شارع بلخوني يوسف السحاولة (16305) الجزائر
هاتف وفاكس: 0 21 35 78 29

الإيداع القانوني: 2349 ـ 2009
ردمك: 978 ـ 9961 ـ 858 ـ 35 ـ 6

بســم الله الرحمن الرحيــم

علي بن محمد

[1]علي بن هيضم الرعيني؛ من أهل إشبيلية، يكنى أبا الحسن.

حاله

الكاتب البليغ المحدث الراوية. قال الأستاذ: كان من أهل العلم والمشاركة، وغلبت عليه الكتابة السلطانية. واعتمدها صناعة. وكتب لجلة من ملوك **الأندلس والعدوة**. وكان انفصاله من **الأندلس** قبل سنة أربعين وستماية [2].

قلت، وكتب للسلطان **المتوكل على الله أبي عبد الله ابن هود** [3]، ثم للسلطان **المتوكل الغالب بالله أبي عبد الله ابن نصر** [4]. وسكن **بغرناطة** مدة [5] مديدة. ثم رحل إلى **مراكش**. فكتب عن أمير **سَبْتَة**، وعن ملوك **الموحدين بمراكش**. ونمت حاله ونُبهت رتْبَته واستقل بالإنشاء، بعد شيخه **أبي زيد الفازازي**، وكان محدثاً عارفاً بالرواية،

---

[1] في اللمحة البدرية: ((علي بن محمد بن علي...)).

[2] الموافق لـ 1244م

[3] هو محمد بن يوسف بن هود الجذامي؛ أول الثائرين في الأندلس على الموحدين؛ وذلك في سنة 626هـ/1228م. له ترجمة في الإحاطة.

[4] هو محمد بن يوسف بن نصر؛ مؤسس الدولة النصرية وأو سلاطينها. له ترجمة في الإحاطة.

[5] أضاف عنان هذه الكلمة.

متعدد المشيخة. فاضلاً، ديناً. مشاركاً في كثير من المعارف. حسن الخط. جيد الكتابة. متوسط الشعر. قلت هذا الرجل له مشيخة في أصل **ابن الخطيب** طويلة اختصرتها [1].

شعره ونثره

من ذلك ما جمع فيه بين النظم والنثر [2]:

وافى الكتـــاب وقـــد تقلد جيـــدُه
ما أنت تحسن نظمـــه وتُجيـــده
من كل معنى ضمن لفظه في حلى
خط يزيـــل طلى الطرُّوس فريده
أبا المُطَرِّف دعوة من خالـــص
لعُـــلاك غابـــت وده وشهيـــــده
أنت الوحيـــد بلاغـــة وبراعـــة
ولك البيـــــان طريفُـــه وتليـــدُه

[1] يشير هنا إلى عادة تكررت في مختصر الإحاطة؛ حيث تُخْتصر فيها الفقرة التي تتكلم عن ((المشيخة)). بل تلغى أحياناً.
[2] البحر الكامل..

فانثــر أنـــت بديعـــه وعمـــاده
وانظـــم أنـــت[1] حبيبـــه ووليـــده

إيـهٍ أيها السيد الذي جلَّت سيادته، وحلَّت صميم الفؤاد سعادته، ودامت بها ينفع الناس عادته ألقى إلى كتاب كريم، خطَّته تلك اليمنى التي اليمن فيها تخطه. ونسقت جواهر بيانه، التي راق بها سمطه، فلا تسلوا عن ابتهاجي بأعاجيبه، وانتهاجي لأساليبه، وشدة كلفي بالتماح وسيمه، وجدة شغفي باسترواح نسيمه. فإنه قدم، وأنس النفس راحل، واستعاده وروض الفكر ماحل، فجاده، لا جرم أنه بما حوى من حدق النوى، وروى من طرق الهوى، وبكى الربيع المحيل، وشكى من صابح الرَّحيل، هيج لواعج الأشواق وأثارها، وحرك للنفس حوارها، فحنَّت، واستوهبت العين مدارها فما ضنت؛ فجاشت لوعة أسكنت، وتلاشت سَلْوة عَنَت، وكفَّ دمع كف، وثُقل عَذَلٌ خفَّ، واشتدَّ الحنين، وامتد الأنين،

[1] جعلها د. طويل: ((فأنت)).

وعلا النحيب، وعرا الوجيب، والتقى الصبُّ والحين، وهدى المحب قَدْر ما جناه البَين، وطالما أعمل في احتمال المشاق عزيمه، وشدَّ لاجتياب الآفاق حَيازيمه [1]:

وادع مثــوى المُقــام معتزما
لا يـــــرى الغــرام[2] ملتزمــا
وأزمـــع البيــن[3] عن أحبتــه
والبيــن عن داره التي ريمــا
ومـــــا درى أنـــه بعزمتـــه
أَشْعل[4] البين في الحشى ضرما
وهل جـــرى ذاك في تصوره
فربما أحـــدث الهـــوى لممــا
إلـــهي ألا نـــــوى مشيئتـــه[5]
شملاً من العيش كان منتظمــا

[1] بحر المنسرح.
[2] جعلها د. طويل: ((لا يرى للغرام...)).
[3] جعلها د. طويل: ((البين)).
[4] أضاف د. طويل كلمة: ((قـ))؛ فأضحت: ((قد أشعل...)).
[5] هذا الشطر مختل.

وعــــاذلٌ قـــال لي يعنتـــــــني
لا تبـــد فيمـــا فعلتـــــــه ندمـــا
ما حيلـــة في يـــدي فأعملهـــا
عـــدلٌ من اللـــه كل ما حكمـــا

أما أنَّ القلب لو فهم حقيقة البَيْن قبل وقوعه وعلم قدر ما يشب من الروع في روعه، لبالغ في اجتنابه، واعتقد المعفي عنه من قبيل المُعتنى به؛ ولحا الله الأطماع، فإنها تستدرج المرء وتغرُّه، وتُغْريه بما يسرُّه؛ ما زالت تقتل في الغارب والذّروة وتخيل بالترغيب والثَّروة، حتى أنأت عن الأحباب والحبايب، ورمت بالغريب أقصى المغارب. فيا لوَحْشة ألوت بإيناسة، وبالغُربة أحلَّت في غير وطنه وناسه، ويا عجباً للأيام وإساءتها، وقرب مسرتها من مساءتها، كأنها لم تُتْحف بوصال، ولم تُسْعف باتصال، ولم تمتَّع بشباب، ولم تفتح لقضاء أوطار النفس كل باب [1]:

[1] البحر الخفيف.

عجبـــاً للزمـــان عـــقَّ وعاقـــا
وعدمنـــــا مســــرَّة ووفاقـــــا
أيــــن أيامـــــه وأيـــــن ليـــال
كـــــلآل تلألـــــؤاً واتّساقـــــا
كم نعمنـــــا بظلهـــــا فكأنـــــا
مرقهـــــا للصَّبـــا علينـــا رماقا
كم بغرناطة وحمـــص وصلنـــا
باصطبـــاح من الســـرور اغتباقا
وفي[1] رُبَى نجد تلك أو نهر هدي
والأماني تجري إلينـــا استباقـــا
في رياض راقـــت وراق ولكـــن
حيـــن نـــد الحيـــا لهـــا فـــأراقا
رقَّ فيها النسيـــم فهـــو نسيـــب
قد سَبـــا رقَّـــة نفوســـاً رفاقـــــا
وثنا للغصـــون منهـــا قـــــدوداً
تتـــلاقى تصافُحـــاً واعتناقـــــا

[1] حذف د. طويل ((الـواو))؛ فغدت: ((في رُبَى...)).

كلما هــبَّ من صَبَــاه عليــــل

وتـــداوى بهــا العليــل أفاقــــا

حكــم السَّعْــد للأحبــــة فيـــه

بكـــؤوس الوصـــال أن تَتْساقـــا

ثم كرت للدهــر عـــادة ســـوء

شق فيها خطب النوى حين شاقا

شَتَّت الشمل بعد طول اجتمـــاع

وســـقى الفراق[1] كأســـاً دهاقـــا

وأعـــاد الأوطان قفـــراً ولكـــن

قد أعـــاد القطـــان فيها الرفاقـــا

ليت شعري والعيش تطـــويه بالفيـــا

في[2] أشامـــاً تبـــوؤا أم عراقـــــا

يا حُـــداة القلـــوب رفقـــاً بصبٍّ

بلغـــت نفسه السيـــاق اشتيـــاقـــا

[1] **جعلها د. طويل: ((للفراق)).**

[2] **جعلها د. طويل: ((تطويه بالفيفي))؛ لأن الفيفي والفيفاء هي: المفازة التي لا ماء فيها.**

فـــآه[1] مـــن شجـــوة وآه لبيـــن
ألـــزم النفس لوعـــة واحتراقـــا

هـذه يـا سيـدي استراحـة مـن فـؤاد، وقَدَتـه الفُرْقـة والقَطيعـة، واستباحتـه لُحْمـى الوقـار بمـا لـم تحظـره الشريعـة، فقديمـاً تُشُوكيـت الأحـزان، وتُبوكِيـت الأوطـان، وحـنّ المشتـا، وكـنَّ لـه مـن الوجـد مـا لا يطـاق، فاستوقـف الركـب يشكـو البلابـل، واستوكـف السحـب لسُقْيـا المنـازل، وفَـدى الرَّبـع وإن زاده كربـاً، ومـن لـه إن يلـم لائمـاً لـه تُرْبـا؛ حسبـه دمـوع تفيـض مجاريهـا، ونجـوم يسـامرهـا ويسايرهـا [2]:

أَلِـــف السهـــاد فشأْنُـــه إدمانُـــه
واستغرقـــت أحيانـــه أشجانـــه
وشكا جفـــا[3] الطيـــف إذ لم يأته
هل ممكن مـــن لم ينـــم إتيانـــه

---

[1] حـذف د. طويـل: الفـاء))؛ فغـدت: ((آه)).
[2] البحـر الكامـل.
[3] جعلهـا د. طويـل: ((جفـاه)).

واستعبدته صبابـــة وكذا الهوى
في حكـــم[1] أحـــراره عِبْدانــــــه
كـــم رام كتمـــان المحبـــة جهده
ودموعـــه يبـــدو بها كتمانُـــــه
وإذا المحب طوى حديث غرامه
كبى الضلـــوع وشت به أجفانـــه

وهي طويلـة.

وفاتـه

بمراكش سحر ليلة الأربعاء الرابعة والعشرين من رمضان سنة ستة [2] وستين وستماية [3]. ودفن عقب ظهره، **بجبانة الشيوخ** مقارباً باب السادة أحد أبواب قصر **مراكش**. وكان الحفل في جنازته عظيماً. لم يتخلف كبير أحد.

***

[1] جعلها د. طويل: ((في حمه)).
[2] صوبها د. طويل؛ فجعلها: ((ست)).
[3] الموافق لـ 1267م.

علي بن محمد

ابن علي بن البنا [1]، من أهل وادي آش؛ يكنى أبا الحسن.

حاله

من **الإكليل الزاهر**؛ قال فيه: فاضل يروقك وقاره، وصَقْرٌ بُعد مطاره. قدم من بلده **وادي آش** يروم اللحاق بكُتَّاب الإنشاء، وتوسل بنظم أنيق، وأدب [2] في نسب الإجادة عريق، تعرف براعته عن لسان ذليق، وطبع طليق، وذكاء بالأثرة خليق، وبينا هو يلحم في ذلك الغرض ويسدي، ويعيد ويبدي، وقد كادت وسايله أن تنجح، وليلة [3] رجايه أن تصبح، اغتاله الحمام، وخانته الأيام، والبقاء لله والدَّوام.

---

[1] لـه ترجمـة أيضـاً في نفـح الطيـب.
[2] في النفـح: ((ونسيـب)).
[3] نفسـه: ((وليـل رجائـه أن يصبـح)).

شعـره

من شعـره يخاطبـني لما تقلـدت الكتابـة العليا [1]:

هو العلا[2] جرى باليُمـــن طايـــرُه
فكان منـــك على الآمال ناصـــره
ولو جـــرى بك ممتداً إلى أمـــل[3]
لأعجز الشمس ما أمَّت[4] عساكـــره
لقـــد حبـــاه منيـــع العِـــزِّ خالقُـــه
بفاضـــل منك لا تُحصى مآثـــره
فليَزْهُ فخراً فما خَلْـــقٌ يُعارضـــه
ولا عُلاً[5] مـــدى الدنيـــا يُفاخـــره
لله أوصافـــك الحُسْنى لقد عجزت
من كل ذي لَسِنٍ عنها خواطـــره

---

[1] البحـر البسيـط.
[2] في النفـح: ((العـلاء))؛ وهـو أسلـم.
[3] نفسـه: ((أمـد)).
[4] نفسـه: ((مـا آبَـتْ)).
[5] نفسـه: ((ولا عـلاء)). وهـو أسلـم.

هيهات ليس عجيباً عجز ذي لسِن
عن وصف بحر رمى بالدُّر زاخـــره
هل أنت إلا الخطيب ابن الخطيب ومن
زانـــت حُـــلَى الدين والدنيا مفاخـــره
فإن يقصُر عن الأوصاف ذو أدب
فما بدا منك في التقصير عـــاذره
يابن الكرام الأُلى ما شَبَّ طفلهـــم
إلا وللمجـــد قد شـــدَّت مـــآزره
مهلاً عليـــك فما العليـــاء قافيـــة
ولا العـــلا[1] بسَجْـــعٍ أنت ناثـــره
ولا المكارم طرســـاً أنت راقمـــه
ولا المناقـــب طباً أنت ماهـــــره
ماذا على سابق يُسري على سنن
إن كان من نفعه[2] خـــلٌّ يسايـــره

[1] في النفـح: ((ولا العـلاء))؛ وهـو أسلـم.
[2] نفسـه: ((فر رفقـة)).

سِرْ حيــث شيــتَ من العليا سيِّداً[1]

فمــا أمامــك سابــقٌ[2] تحـــاذره

أنت الإمام لأهل الفخر إن فخروا

أنت الجــواد الذي عزَّت مفاخره[3]

ما بعد ما حُزْته من عــزَّة وعُــلاً

شأْو يطــارد فيــه المجد كابــره

نادت بك الدولة الشِّعرىَّ[4] محتدها

نــداء مُسْتَجــد[5] أزراً يــوازره

حِلِيــة لمــا بــرد البــر مرتدياً

وصبح يمنك فجر السَّعد ساجــره[6]

فالملك يَرْفُــل في أَبْــراده مرحــاً

قد عمَّــت الأرض إشراقاً بشايره

---

[1] في النفح: ((من العلياء مُتَّئِداً)).
[2] نفسه: سباق)).
[3] نفسه: ((أوافره)).
[4] نفسه: ((النصريّ)).
[5] نفسه: ((مستنجد)). وهو أسلم.
[6] ورد هذا البيت في النفح هكذا:
((حِليتها برداء البرّ مرتدياً * وصبح يمنك فجر السَّعد سافره)).

فأضاء[1] بها نعمة ما أن يقوم فيهـــا[2]
من اللسان ببعض الحـــق شاكـــره
وليُهنِنـــا أنه[3] ألقـــــت مقالدهـــــا
إلى ســـريّ[4] زكــت منه عناصره
فإنـــه بـــدر تـــم في مطالعهـــا
قد طبَّــق الأرض بالأنوار نايـــره

ومن أطبع ما هزَّ به إلى إقامة سوقه، ورعي حقوقه، قوله[5]:

يا معدن الفضل موروثاً ومكتسبـــا
فكل[6] مجـــد إلى عليائهـــا[7] انتسبـــا
انتسبـــا
ببـــاب مجدكـــم الأسمى أخو أدب
مستصـــرخ بكـــم يستنجد الأدبـــا

---

[1] في النفـح: ((فاهنـأ)). وهـو أسلـم.
[2] نفسـه: ((لهـا)). وهـو أسلـم.
[3] نفسـه: وليهنهـا أنهـا)).
[4] نفسـه: ((زكيّ)).
[5] البحـر البسيـط.
[6] في النفـح: ((وكـل)).
[7] نفسـه: ((عليائـه)).

ذلَّ الزمـــان لـــه طـــوراً فبلَّغـــه
من بعض آماله بعض[1] الذي طلبا
والآن أركبـــه مـــن كـــل نابِيـــة[2]
صعب الأعنَّة لا يألُو به نصبـــا
فحمَّلتـــه دواعي حبكـــم وكـــفى
بذاك شافع صِـــدْقٍ يُبلّغ الأَرَبـــا
فهل سرى نسمـــة من جاهكم فيها[3]
خليفـــة الله فينـــا يمطـــر الذَّهبـــا

وأهدى إليَّ قباقِب خشب برسمي ومعها من جنسها صغار للأولاد من مدينة **وادي آش** من خشب الجوز وكتب لي معها[4]:

---

[1] **في النفـح: ((فـوق)).**
[2] **نفسـه: ((نـائبـة)).**
[3] **نفسـه: ((فبهـا)).**
[4] **البحـر الخفيـف.**

هاكهـــا ضُمَّــراً مطايـــا حسانـــاً

نشأت في الريـــاض قُضُباً لدانـــا

وثَـــوَت بيـــن روضـــة وغديـــر

مُرْضعـــات مـــن النَّمـــير ليانـــا[1]

ثـــم لمـــا أراد إكـــرامهـــا اللــــه

وسَـــنَى لهـــا المـــنى والأمانـــا

قَصـــدَتْ بابـــك العـــلَّي ابتـــداراً

ورجـــت في قبولـــك الإحسانـــا[2]

قـــد قبلنـــا جيـــادك الدُّهـــم لمـــا

أن بلونـــا منها العِتَـــاق الحسانـــا

---

[1] في النفـح: ((لبانـا))؛ بالنـون الموحـدة. وبعد هـذا البيـت مباشـرة ورد بيـن آخـر في النفـح وهـو:

((لابسـات مـن الظـلال بـرودا * دونهـا القضـب رقـة وليانـا)).

[2] ورت في نفـح الطيـب ـ بعد هـذا البيـت عبـارة: ((قـال: فأجبتـه))؛ ثـم أورد ابـن الخطيـب الأبيـات التاليـة:

أقبلــت خلــف كل حجــر ببيــع[1]

خلعــت وصفهــا عليــه عيانــا

فقبلنـــــا[2] برعيهــــا وفسحنـــــا

في ديــار[3] العــلى لهــا ميدانــا

وأردنـــــا امتطاهــا فأتخذنــــا[4]

من شــراك الأديــم فيهــا عنانــا

قدمـــــت قبلهــا كتيبـــة سحــر

من كتـــابٍ سَبَــت به الأذهانــا

مثلما تجْنُبُ الجيــوش المــذاكي[5]

عُــدَّة للقــــاءِ مهمــا كانــــا

لم تــرق مقلــتي ولا رق قلــبي

كحــلاهــا براعـــــة وبيانــــا[6]

---

[1] في النفـح: ((تبيـع)).
[2] نفسـه: ((فعنينـا)).
[3] نفسـه: ((في ربـوع)).
[4] ورد هـذا الشطر في النفـح هكـذا: ((وأردنـا امتطاءهـا فاتخذنـا)).
[5] معنى هـذا الشطـر أن الجيـوش تسيـر بجانـب الجيـاد مـن الخيـل.
[6] ورد هـذا البيـت في النفـح هكـذا:
((لم يَـرُقْ مقلـتي ولا راق قلـبي * كلاهـا براعـة وبيانـــا)).

من يكن مهدياً فمثلك يهدي
لم أجد للثَّنا عليك لسانا

وفاته

توفي في الرابع لشعبان من عام [1] خمسين وسبعماية [2] مُعْتَبطاً في الطاعون لم يبلغ الثلاثين.

***

[1] في النفح: ((عام واحد وخمسين وسبعمائة)).
[2] الموافق لـ 1349م.

علي بن محمد

ابن علي العبدري؛ سكن غرناطة؛ يكنى أبا الحسن؛ ويعرف بالورّاد؛ ويشهر أبوه باليربوني.

حاله

بقية مُسِنّي أدباء **الأندلس** في فن الهزل والمُعرّب، والهزل متولي شهرته؛ وله القدح المعلَّى فيه، والطريقة المثلى، ظريف المأخذ، نبيل الأغراض، حافظ للعيون، مال بآخرة إلى النُّسْك، وصحبة الصالحين. ولم يزل بحاله الموصوفة إلى أن استولت عليه الكَبْرة، وظرفه يتألق خلال النسك. وجرى ذكره في **الإكليل الزاهر** بما نصه: أديب نار ذكايه كأنه يتوقّد، وأريبٌ لا يُعترض كلامه ولا يُنقد. أما الهزل فطريقته المثلى، التي ركض في ميدانها وجلى، وطلع في أفقها وتجلَّى، فأصبح علم أعلامها، وعابر أحلامها. إن أخذ بها في وصف الكاس، وذكر الورد والآس، وألم بالربيع وفصله، والحبيب ووَصْله، والروض وطِيبه، والغمام وتقطيبه. شق الجيوب طرباً، وعل النفوس إرباً

وضرباً. وأن أشفق لاعتلال العشية، في فرش الربيع الموشية، ثم تعداها إلى وصف الصَّبوح، وأجهز على الرق المجروح، وأشار إلى نغمات الوِرْق يرفلن في الحلل الزُّرق، وقد اشتعلت الليل نار البرق، وطلعت بنور الصباح في شرفات الشرق، سلب الحليم وقاره، وذكر الخليع كأسه وعقاره، بلسان يتزاحم على مورده الخيال، ويتدفق من حافاته الأدب السيال، وبيان يقيم أود المعاني، ويشيده صانع اللفظ محكمة المباني، ويكسو حلل الإحسان جسوم المثالث والمثاني، إلى نادرة لمثلها يشار، ومحاضرة يجنى بها الشهد ويسار. وقد أثبتُّ من شعره المُعرب. وإن كان لا يتعاطاه إلا قليلاً، ولا يجاوره إلا تعليلاً، أبياتاً لا تخلو من مسحة جمال على صفحاتها، وهبة طيبٍ ينمُّ في نفحاتها.

فمن ذلك قوله [1]:

---

[1] البحر الطويل.

يذكرني حُسن الكواعب روضـــة
لها خطـــر قيد النَّواظـــر مُونـــق
خدود من الورد النضير وأعيـــن
من النَّرجس السامي إليها تحـــدِّق
وخامـــات زرع يانـــع كـــذؤاب
وما شقها من جدول الماء مفـــرِّق

ومن شعره قوله [1]:
أسافِـــرَة النقـــاب سُحـــرتُ لمـــا
أَمْطَـــت الخـــز عن بدر التمـــام
وتيمَّـــت الفـــؤاد بغَنَـــج طَـــرْفٍ
كحيـــل مـــا يفيـــق مـــن المنـــام
لعمـــر أبيـــك مـــا بالنـــوم بعـــدٌ
عن الجفـــن المكحـــل بالظـــلام

[1] البحر الوافر.

ومن معانيه المخترعة وأغراضه المبتدعة. وكلها كذلك [1]:

مـــالي إذا غبتم تهـــمي لفرقتكـــم
عيني بمُنْهَمِـــر كالغيـــث هتَّـــان
أشبهتُ نيلوفراً والشمس بهجتكـــم
إن غبتـــم غبت في أمواه أجفان
السَّقم يشهد لي والدمع بـــرَّح بي
متى استوى عندكم سرٌّ وإعلان

وقال من المستحسن الذي رمى فأصاب واستمطر طبعه فصاب [2]:

يقولون لاح الشيب فاله عن الصبا
وعن قهـــوة تصبـــو لها وتتيـــب
فقلـــت دعوني نصطحبها سلافة
على صبح شيبي فالصبح عجيب

[1] البحر البسيط.
[2] البحر الطويل.

وقال كذلك [1]:

لا تعجبــن مــن البليــد مخــولاً
ومن اللبيــب يُعــد فــي الفقــراءِ
الماء أصل الخصب غير مُدافــع
وأَخــو البــلادة طبعــه كالمــاءِ
والنــار مؤثــرة الجُدوب وإنهــا
لشبيهــــة بطبائــــع الفُطَنــــاء

ومن قصائده الغربية [2]:

ومعذرٌ لحــظ المَشيب بعــارضي
فتصرَّمــت دوني حبال وصالــه
هــلاَّ ثَنَتــــه نسبــة لمحبــــه
إن العِــذَار لشيبــــة لجمالـــه

---

[1] **البحر الكامل.**
[2] **البحر الكامل.**

وقال أيضاً [1]:

تحــرَّ الصــدق إن حدَّثت يومــاً
وإن حــدثــت لا تنقــل حديثــاً
وكــن للســرَّ صوانــاً كتومــاً
وربمــا كــان ســرُّك أو حديثــاً

قال مما يكتب في غِمْد سيف [2]:

لئــن راق مني منظر بان حُسْنــه
لقـــد سامــني بالمهنَّــد باطــن
كأن أديمـــي رقعــة من حديقــة
تلقفهــا صِلٌّ لدى الروض كامــن

وقال مما يكتب على قوس [3]:

إن كــان من وتر الألحان منبعثــاً
سرور قوم مدى الآصال والبكــر

---

[1] **البحر الوافر.**
[2] **البحر الطويل.**
[3] **البحر البسيط.**

فإن حُــزْن العــدا ما نال منبعثــاً
منّي وحينهــم في النَّقر في وتــر

وقال في غير هذا الغرض [1]:

الخيــر كــل الخيــر فــي ستَّــة
لم تُلْــفَ إلا في كــرام الرجــال
الحــزم والحلــم وحمــل الأذى
والصبر والصَّمت وصدق المقال

ومما نختتم به محاسنه قوله [2]:

ألا إنَّ بــاب الله ليــس بمُغْلَــق
ولا دونــه مــن مانــع لموفَّــق
ولكن بلينــا في سلــوك طريقــه
بكلبٍ من الشيطان ليس بمطــرق

---

[1] **البحر السريع.**
[2] **البحر الطويل.**

فمن يـــرم بالدنيـــا إليـــه كلقمـــة

فذاك الـــذي من شـــره ليس يُتَّـــق

فخـــلَّ عن الدنيا ودَعْ عنك حبهـــا

يَدَعْـــك إلى أوج السعـــادة ترتـــق

وقوله [1]:

أيقنت أن جميع الخلـــق ليس لـــه

شيء من الأمر في شيء فيصنعه

فلا أخاف ولا أرجو مدى عمري

الأ الذي في يديه الخلق أجمعـــه

---

[1] **البحـر البسيـط.**

مولـده

بمدينـة **مالقـة** في اليـوم الثالـث والعشريـن لـذي حجـة مـن عـام أحـد وثمانيـن وستمايـة [1].

وفاتـه

في أحـواز أحـد وستيـن وسبعمايـة [2].

***

[1] الموافـق لـ 1282.

[2] الموافـق لـ 1359م.

علي بن عبد العزيز

ابن الإمام الأنصاري؛ يكنى أبا الحسن؛ سرقسطي الأصل؛
غرناطي الاستيطان والاستعمال.

حاله

كان وزيراً جليلاً، معظَّم القدر. مبجلاً أثيراً، ذا معارف جمة، أحد كتاب الزمن، وأهل البلاغة والفصاحة والكرم. وزَر للأمير **أبي الطاهر تميم بن يوسف بن تاشفين**؛ صاحب **غرناطة**؛ فحمدت وزارته وكتب للأمير **علي بن يوسف**. وروى عن شيوخ **غرناطة**.

أخباره في الجود والجلالة

قال **أبو القاسم**: شكى إليه بعض إخوانه من حادث طرقه، وأن النفاق أخرجه من بلده، وحال بينه وبين بلده، فأنزله أكرم منزل وخرج إلى المسجد الجامع، وأشهد على نفسه أنه وهبه الربع من أملاكه، وكتب بذلك عقداً

ودفعه إليه، وقال يا أخي إن ذلك سيصلح من حالك، وحالي لا يتسع لأكثر من هذا، فاعذر أخاك. وكان الذي وهبه يساوي فوق الألف دُنيرٍ **مرابطية**، فرحم الله الوزير **أبا الحسن**: فلقد كان نادرة الزمن.

شعره

من ذلك قوله [1]:

يا ليت شعــري والأمــاني كلهــا
زور يغــرك أو ســراب يلمــع
في كــل يــوم منــزل لأحبــة
كالظــل يُلبــس للقيــل ويُخلــع

ومن ذلك قوله [2]:

تسمــــوا بالمعــارف والمعــالي
فليــس المجــد بالرحــم البــوال

---

[1] البحر الكامل.
[2] البحر الوافر.

وإن فاتــا فبالبيــض المــواضي
وبالسُّمــر المثقفـــة العـــوال
وإذا المـــرء تنهضــه هــذي[1]
فليــس بناهــض أخــرى الليــال
ومــن أسمتــه أسبــاب سواهــا
فرفْعَتُهــــا تــــؤول إلى سِفــال

***

[1] تصرف د. طويل؛ فكتبها: ((وإن المرء تنهضه هذه)).

***

علي بن إبراهيم

ابن علي بن إبراهيم الجزامي [1]؛ القاضي المتفنن الحافظ؛ من أهل غرناطة؛ يكنى أبا الحسن.

حاله

من **الصّلة**: كان عَدْلاً فاضلاً جليلاً، ضابطاً لما رواه، فقيهاً حافظاً، حسن التقييد.

تواليفه

قال اختصر كتاب **الاستذكار**؛ **لأبي عمر بن عبد البر**. وغير ذلك.

مشيخته

روى عن **أبي محمد عبد الحق بن بُونه**، والقاضي **أبي عبد الله بن زَرْقون، وأبي القاسم بن حُبَيش، وأبي خالد ابن رفاعة، وأبي محمد بن عبيد الله، وأبي زيد السهيلي، وأبي عبد الله بن الفخار، وأبي الوليد بن رشد.**

---

[1] **له ترجمة أيضاً في الذيل والتكملة، والديباج المذهب.**

مولده

ضحوة يوم الأضحى من عام خمسة وخمسين وخمسماية [1].

وفاته

وتوفي قريب الظهر من يوم الأربعاء التاسع عشر لذي حجة من عام اثنين وثلاثين وستماية [2].

من روى عنه

روى عنه القاضي **أبو علي بن أبي الأحوص** [3].

***

[1] **الموافق لـ 1160م. أضاف ابن عبد الملك؛ صاحب الذيل: ((ولد بغرناطة)).**

[2] **الموافق لـ 1234م.**

[3] **قال صاحب الذيل والتكملة أن عشرين رجلاً رووا عنه؛ ولكنه لم يسمهم.**

علي[1] بن إبراهيم

ابن عبد الرحمن بن الضحاك الفزاري؛ من أهل غرناطة؛ يكنى أبا الحسن؛ ويعرف بابن النّفْزي.

حاله

قال أبو القاسم الغافقي، فقيه مشاور بغرناطة، محدث متكلم.

مشيخته

أخذ عن **أبي الحسن شُريح**، وعن الإمام **أبي الحسن علي بن أحمد بن الباذش،** وعن **أبي القاسم بن ورد**، وعن القاضي **أبي الفضل عياض بن موسى**، وعن الإمام **أبي عبد الله المازَرِي**، وعن **أبي الطاهر السّلفي**، وعن **أبي مروان بن مسرة، وأبي محمد بن سماك** القاضي، **وعلي ابن عبد الرحمن بن سمحون** القاضي، والقاضي **أبي محمد بن عطية،** والمشاور **أبي القاسم عبد الرحيم بن**

---

[1] في الإسكوريال: ((محمد)). وقد يكون هذا التحريف من الناسخ؛ لأن سياق ما ورد في الترجمة يدل على أنه علي؛ خاصة وأن لقبه هو: أبو الحسن.

محمد، والقاضي **أبي القاسم بن أبي جمرة**، وجماعة يطول ذكرهم.

توالیفه

وله تواليف في أنواع من العلم ، منها كتاب ((**نزهة الأصفياء وسلوة الأولياء في فضل الصلاة على خاتم الرسل وصفوة الأنبياء**))؛ اثنا عشر جزءاً، وكتاب ((**زواهر الأنوار وبواهر ذوي البصاير والاستبصار في شمايل النبي المختار**))؛ سِفران كبيران، وكتاب ((**منهج السداد في شرح الإرشاد**))؛ ثلاثون جزءاً، وكتاب ((**مدارك الحقائق في أصول الفقه**))؛ خمسة عشر جزءاً، وكتاب ((**تحقيق القصد السَّني في معرفة الصمد العلي**))؛ سفر، وكتاب ((**نتايج الأفكار في إيضاح ما يتعلق بمسألة الأقوال من الغوامض والأسرار**))؛ سفر، وكتاب ((**تنبيه المتعلمين على المقدمات والفصول وشرح المهمات منها والأصول**))؛ سفر، وكتاب ((**السّباعيات**))، وكتاب ((**تبيين مسالك العلماء في مدارك الأسماء**))، وكتاب ((**رسائل الأبرار وذخائر أهل الحظوة والإيثار في انتخاب**

الأدعية المستخرجة من الأخبار والآثار))؛ سفران اثنان، وكتاب ((**الإعلام في استيعاب الرواية عن الأيمة الأعلام**))؛ سفران.

وفاته

توفي في الكاينة **بغرناطة** سنة سبع وخمسين وخمسماية [1]. خرج منها يريد **وادي آش**؛ فلم يصل إليها، وفقد فلم يوقع له على خبر.

***

[1] **الموافق لـ 1161م.**

علي بن عبد الله

ابن يحيى بن زكريا الأنصاري، يكنى أبا القاسم، ويعرف بابن زكريا.

أوّليّته

قد مر في ذكر أبيه وعمه.

حاله

هذا الرجل فاضل، سكون، من أهل السذاجة والسلامة، والعفاف والصيانة، معم مخول في الخير. طاهر النشأة. جانح للعدالة. قعد للعلاج، وبرز في صناعة الطب، على فِتاً من سنه، واستيم إليه بمهم من نبيه العمل وخطته، متصف بالإجادة والبيان.

مشيخته

قرأ العربية والفقه وغيرهما من المبادىء على مشيخة وقته، والطب على الوزير **أبي يزيد خالد بن خالد** من أهل **غرناطة**، وقعد معه.

شعره

ينتحل من الشعر ما عينه في الشُّرود أو غير ذلك فراره كقوله[1]:

صَعَّـدَتْ نـارُ فُـؤادي أدْمـعي
فلـذا مـا جـف قلـبي فانْفَطَـرْ
لـو أبـاح اللـه لي وصلـك
صـدع القلـب مـني وانخبـر[2]
أصـل داني منـك لحـظٌ فاتـر
وأشـد اللَّحـظ مـا[3] مـا فتـر
كيف أرجـو منـه برأً وغـدت
قهـوة الحُسْـن[4] تسقيـه دُرر

---

[1] بحر الرمل.
[2] تصرف د. طويل؛ فجعل هذا البيت هكذا:
((لو أباح الله لي وَصْلٌ إلى * صَدَعٍ للقلب مني وانْجَبَرْ))
[3] حذف د. طويل ((ما)) الأولى، وجعلها ((منه)).
[4] جعلها د. طويل: ((اللحسن)).

فانظر قوله، الأنبل من شعره [1]:

ولي هَّمـــة مــن دونها كل همـــة
أموت بها عطشان أو يَخْلص الشَّرب
يعــز عــلى الكريــم ورود ماء
يكــدره شــوب ويطرقــه نَهْــب
وإني وأن أضــحى لوُدِّك موضع
من القلب أضحى دون موضعه الخُلْب
فتمنعــني نفــسي لايمــان أروا
حهــم[2] على شربٍ يؤنقــه قشــب

غفر الله له على قَشَب، وتجاوز عنه، فلقد دفع منه فضْحها. وهو بحاله الموصوفة.

***

[1] البحر الطويل.
[2] أضاف د. طويل كلمة: ((لا)) قبل على؛ فغدت: ((لا على شِربٍ..)).

ومن الطارئين والغرباء

***

علي بن أحمد

ابن محمد بن أحمد بن علي بن أحمد الخشني؛ من أهل مالقة؛
من قرية يَعشيش؛ من عمل مُلتماس، من شرقيها؛ يكنى أبا الحسن.
ودخل غرناطة ومدح أمراءها؛ وتردد إليها.

حاله

من **عايد الصلة**: من صدور أهل الدين والفضل، والخير والصلاح والنزاهة، والاقتصاد والانقباض، تحرف بصناعة التوثيق **بمالقة**، جارياً على شاكلة مثله من الاقتصاد، والتبلغ باليسير، ومصابرة الحاجة، مكباً على المطالعة والنظر، مجانباً للناس، بعيداً عن الرَّيب، مؤثراً للزهد في الدنيا. وُلِّي الخطابة بالمسجد الأعظم من قصبة **مالقة** في عام وفاته.

مشيخته

قرأ على الأستاذ الصالح الخطيب **أبي جعفر ابن الزيات**، والأستاذ المقري رحلة الوقت **أبي عبد الله بن الكمَّاد.**

شعره

وشعره آخذٌ بطرف من الإجادة في بعض المقاصد؛ فمن ذلك قوله [1]:

أرى لك في الهوى نظراً مُريبــاً
كــأن عليــك عــاذلاً[2] أو رقيبــاً
ولســت بخائــف في الحب شيئاً
عــلى نفــسي مخافــتي المشيبــا
يريــني كل مــا تهــواه نفــسي
قبيحــاً ماليــاً عيــني عنيبـــا
أنا منــه ابــن قــيس لا يــراح
فــذق مر التأســف مستطيبـــا

[1] البحر الوافر.
[2] جعلها د. طويل: ((عَذْلاً)).

إذا ما كنـــت تبكـــي فقـــد حـــبٍّ

فما مثـــل الشبـــاب بـــه حبيبـــا

وقال في مذهب المدح من المطولات [1]:

الآن تطلـــب وُدَّهـــا ووصالهـــــا

من بعد ما شَغَلَـــت بهجرك بالهـــا

وقد استحالـــت فيك سيما[2] الصِّبـــا

حـــــالاً يـــروع مثلهـــا أمثالهـــا

وأتيتهـــــا متلبســــاً بروايــــع

نكـــر بفـــودك أصبحـــت عُذَّالهـــا

بيـــضٌ تَخيَّـــلَ للنـــفوس نصولها

سُمراً تخـــول للنحـــور نصالهـــا

مثل الأفاعي الرُّقْط تَنْفُث في الحشا

وأرى بفـــودك جثمـــاً أطالهـــــا

نار تُضرم في الفـــؤاد حريقهـــا

لكـــن تُنيـــر بمفرِقَيـــك ذُبالهـــا

[1] **البحر الكامل.**
[2] **أضاف د. طويل الهمزة؛ فأضحت: ((سيماء)).**

جَزِعت لهذا الشَّيب نفسي وهي ما
زالــت تهــوِّن كــل صعــب نالهــا
ولكم صدعت بنافذ من عزمــتي
هما لا[1] يهــدي العليــم ضلالهــا
صادمـــت من كرب الدنا أشتاتها
ما خفــت غربتهــا ولا إقلالهــا
ولئن تقلَّص عسرتي فيىء الغنــا
عــني فلي نفــسٌ تمــد ظلالهــا
ما مزقــت ديباجتي غير امرىءٍ
عرضـــت عليه النفس قط سؤالها
ألقى الليـــالي غير هــبٍّ صَرْفها
والأُسْــد غيــر مجنــب أغيالهــا
أمــشي الهوينـــا والعُــداة تمر بي
مراً يطيــر عن الجيــاد نسالهــا

[1] جعلها د. طويل: (فلا)).

علمت لي الخلــق الجميل محققــاً
وتسيء فيَّ على عملي[1] أقوالهـــا
تبغي انتشـــاءً وهل[2] سمعت بنسمة
مـــرَّت عـــلى نجدٍ تهزُّ جبالهـــا
ولربما عرضـــت لعيـــني نظـــرة
يَـــرْضى الحكيم غرامها وخبالها
من غادةٍ سرق الصبـــاح بهاءهـــا
والبـــدر في ليل التمـــام كمالهـــا
تهوي المجـــرَّة أن تكون نجومها
من حليهـــا وهلالهـــا خلخالهـــا
عرضت كما مرت بعينك مُطْفِــل
ترعى بناظرك الكحيل غرامهـــا
ما نهنهت نفسي وإن ضَمَنَت لهـــا
عَبَراتهـــا يوم الـــوداع وصالهـــا

[1] جعلها د. طويل: ((عمٍ)).
[2] حذف د. طويل الواو؛ فغدت: ((هل)).

من كان يأمــل أن يقوم بمجلــس

حطــت به شهــب السما أثقالهــا

محا أحاديث السُّـــراة[1] أولي النُّهــا

نصاً ويضري في العُــلى أمثالهــا

ألقى هــواه جانبــاً وسَــرَى بـــه

وجنا تـــدوي في الدجى إعمالهــا

ومنها في المدح :

ألبســت ديــن اللــه حلَّــة أمــن

أضفــت على إسرايــه ذلذالهــا[2]

أنتــم بني نصر نصرتم ملَّــة الــ

ــإسلام حين شكت لكم عُذَّالهــا

كنتــم لها أهــلاً ورحَّبتــم بهـــا

في الغُرْبتيـــن ومنتــم إنزالهــا

نزلـــت على سعد ليسعــد جدُّهــا

وأوت إلى نصـــر لينصـــر آليهــا

---

[1] **جعلها د. طويل: ((السُّرَى)).**

[2] **جعلها د. طويل: ((زلزالها)).**

أحرزتـــم يـــوم السَّقيفـــة عُودَهـــا

دون الأنـــام وقودهـــا وسكالهـــا

لكن حبوتـــم مـــن أجرتـــم منَّـــة

بخلافـــة اللـــه الـــتي يُعـــنى لها

إذ تؤثـــرون سواكم قالـــت بـــذا

آي الكتـــاب فمـــن يـــرد مقالهـــا

حتى إذا عثرت ولم ينهـــض بهـــا

إلاّكُـــــمُ بادرتـــــم إنشـــالهـــــا

آويتـــم خيـــــر البريـــــة كلهـــا

ومغيثهـــــا ونجاتهـــا وثمالهـــــا

من ألبس الشرف الرفيع وضيعهـــا

وكسا معصفـــرة الحجا جهالهـــا

من أم في السبـــع العلى أملاكهـــا

جبريلهـــا في الغرب أو ميكالهـــا

من أنقذ الغرقى وقد شمل الـــرَّدى

هـــذا الأنـــام خيارهـــا وحثالهـــا

من فاضت الخيرات من تلقايـــه
كالصبح فاض على الدُّجى فأزالها
من فجَّـــر العيـــن الفرات بكفّـــه
يـــرو الورى ورد القطـــا سلسالها
من لا يقاس[1] بالريـــاح إذا ســـرت
نشراً تقــل من السحـــاب ثِقالهـــا
معنى وجـــود الكون علَّـــة كونه
نفـــس الحيـــاة مُنَفّســـاً أهوالهـــا
دامـــت صلاة الله ديمة عارض
يَهْمي عليـــه ندى الدُّنـــا هطَّالهـــا
لمـــا تحقَّقـــت النبـــوة أنهـــــا
قد زلزلت منهـــا الورى زلزالهـــا
وتقاعَسَـــت عن منعهـــا أعمامهـــا
أمت أيمَّـــة نصرهـــا أحوالهـــــا
فوثبتـــم مثـــل الليـــوث لنصرهـــا
والحرب تُجنّـــب خلفهـــا أشبالهـــا

[1] جعلهـا د. طويـل: (يقـاسي)).

وأدرتــم منها زبونـــاً أصبحـــت
ترمي رؤوس الملحديـــن ثقالهـــا
بـــدرٌ ومـــا بـــدرٌ وردّم قلبهـــا
بجنـــادل الطاغوت تمـــلأ جالهـــا
ولكم بأوطاس وقد حمي الوطيـــس
على العدا يـــوم أطـــاح بحالهـــا
فنزعتـــم أزواجهـــــا وسَبَيْتـــــم
أولادهـــا وسلبتـــم أمـــوالهـــــا
وذهبتـــم بالمصطـــفى لدياركـــم
وحيـــا سواكـــم ساقهـــا وجمالهـــا
فُزتـــم به فـــوز المُعَـــلَّى منحـــة
أحرزتـــم دون الأنـــــام منالهـــا
يا أيهـــا الملك الـــذي من مُلْكـــه
جَنَـــت الملـــوك جمالها وجلالهـــا
مازال حِزْبُـــك منهم يعلـــو عـــلى
مر الدهـــور ويَعْتَـــلي أجبـــالهـــا

حتى حللـــت من المَجَـــادة ذروة
ما حلَّ غيـــرك في المجادة حالها
تحمي الهدى تهمي الندى تولي الجدا
وتـــقي الردى وتري العدا أوجالهـــا
قعدت شريعته بيمنـــك ليـــس من
كدر يُشيـــن على العبـــاد زُلالهـــا
يا سيِّـــد الســـادات يا ملك الملـــو
ك وشمسها وصباحهـــا وهلالهـــا
يا بدرهـــا يا بحرهـــا أو غيثهـــا
أو ليثهـــا أو حُسنهـــا وجمالهـــــا
خذهـــا كما دارت بكأس سلافهـــا
حَوْراء تمـــزج باللمـــا جَرْيالهـــا
تثـــني على السحر المبين وشاحها
وتدير من خمر الفُتـــور جلالهـــا
لَمْيَاء تبـــرز للعـــيون كشـــاطـــر
والعقل يوجب حكمـــه إجلالهـــا

وقفـــت وذو إحسانهـــا من هاشم

من سبط خير العالميــن حيالهـــا

يرجو رضــــاك وطالما أرضيتــم

آل النـــبي وكنتــــــم أرسالهـــــا

كم من يـــد بيضـــا لدينـــا منكـــم

شكرنــــا[1] لـــه وأوليـــاه فعالهـــــا

آويتــــــــم واسيتـــــم واليتــــم

أحْلَلْتمونـــــا داركـــم وجَلالهـــــا

وهجرتـــم لوصالنـــــا أعداءنـــا

ووصلتــــم لصلاتنـــا أوصالهـــا

فصلوا أحياءنا[2] ما استطعتم وصله

تعطوا منَ اْجزا الجزاء جزالهـــا

---

[1] جعلها د. طويل: ((شكراً)).

[2] جعلها د. طويل: ((حياءنـا)).

وله تأْليف غريب؛ عكف عليه عمره في فضل **مكّة**؛ وكأنه يَرُوم برهاناً على وجوب كونها بالموضع الذي هي به، وفضله على سواه، وتكلم على حروف اسمها، من جهة تناسب أعداد الحروف، مما الناظر فيه مُخَير في نسبه إلى العِرفان أو الهَذَيان.

وفاته

توفي **بمالقة** في أخريات صفر من عام خمسين وسبعماية [1].

***

[1] **الموافق لـ 1349م.**

علي بن أحمد

ابن محمد بن يوسف بن مروان بن عمر الغساني؛ من أهل وادي آش؛ وروى وتردد إلى غرناطة؛ يكنى أبا الحسن.

حاله

كان فقيهاً حافظاً، يقظاً، حسن النظر، أديباً، شاعراً مجيداً، كاتباً بليغاً، فاضلاً.

مشيخته

روى عن: **أبي إسحق بن عبد الرحيم القيسي، وأبي الحسن طاهر بن يوسف، وأبي العباس الخروبي. وأبي القاسم بن حُبَيْش، وأبي محمد عبد المنعم بن الفرس الغرناطي، ومحمد بن علي بن مَسَرَّة.**

وروى عنه: **أبو بكر بن عبد النور، وأبو جعفر بن الدلال، وأبو عبد الله بن أحمد المذحجي، وأبو سعيد الطَّراز، وابن يوسف، وابن طارق، وأبو علي الحسن بن سمعان، وأبو القاسم بن الطَّيْلسان.**

تواليفه

صنَّف في **شرح الموطأ** مُصَنَّفاً سماه ((**نهج المسالك للتفقه في مذهب مالك**))؛ في عشرة مجلدات، **وشرح صحيح مسلم** وسماه ((**اقتباس السراج في شرح مسلم بن الحجاج**))، وشرح **تفريع ابن الجلاب**، وسماه ((**الترصيع في شرح مسائل التفريع**))، وصنَّف في الآداب، منظوماته ورسايله، وهي شهيرة، شاهدة بتبريزه وتقدُّمه. وله **نظم شمايل رسول الله** صلى الله عليه وسلم، رسالة بديعة، تشتمل على نظم ونثر، بعث بها إلى القبر الشريف. وله كتاب ((**الوسيلة إلى إصابة المعنى في أسماء الله الحسنى**)).

شعره

من شعره في **الوسيلة**، وقد ضمَّن كل قطعة أو قصيدة اسماً من أسماء الله تعالى؛ فمنها قوله في اسم الله سبحانه [1]:

---

[1] **البحر الطويل.**

قل الله نستفتح من أسمائه الحسنى
بأعظمهـــا لفظاً وأعظمهـــا معنى
هو الله فادع اللـــه باللـــه تقتـــرب
لأقرب قربى من وريدك أو أدنى
وآمله مضطراً وقِــف عند بابـــه
وقوف عزيز لا يُصَدُّ ولا يثـــنى
بباب إله أوســـع الخلـــق رحمـــة
فللـــه ما أولـــى أبرَّ وما أحـــنى
وقـــدِّم من الإخلاص ثـــم وسيلـــة
تَنَلْ رتبة العليا[1] والمقصد الأســـنى
أمولاي هل للخلق غيرك مفضـــل
يصرح عن ذكراه في اللفظ أو يُكنى
ببابـــك مضطـــر شكا منك فقـــره
لأَكْرَم من أغنى فقيراً ومن أَقْنَى
وللفضل والمعـــروف منك عوايد
لها الحمـــد ما أدنى قطوفاً وما أَهْنَى

[1] جعلها د. طويل: ((العليـاء)).

فمنهـــا لك الإنعـــام دأباً خوالـــداً
تفـــاني بها الأيام طراً ولا يفـــنى

وفاته

توفي شهيداً في ربيع الآخر سنة تسع وستماية. [1]

***

[1] **الموافق لـ 1212م. هذه هي الترجمة المذكورة من قبل؛ حيث نبه الناسخ في اللوحة 327 من المخطوط؛ لما رآه تشابهاً في الاسم والبلد والمشيخة والمؤلفات. غير أن ثمة بعض الفروق بين الشخصيتين؛ وذلك في الاسم، ثم المؤلفات؛ بينما خلت الترجمة السابقة من ذكر تاريخ المولد وتاريخ الوفاة. لذا لا يمكن الجزم بالتطابق بين الترجمتين.**

علي بن صالح

ابن أبي الليث الأسعد بن الفرج بن يوسف [1]، طُرْطُوشي، سكن دانية؛ يكنى أبا الحسن، ويعرف بابن عزّ الناس [2].

حاله

كان عالماً بالفقه، حافظاً لمسايله، متقدماً في علم الأُصول، ثاقب الذهن، ذكي الفؤاد، بارع الاستنباط، مُسَدَّد النظر، متوقَّد الخاطر، فصيح العبارة، [ذا خطّ مروض][3].

من روى عنه

روى عنه **أبو بكر أُسامة بن سليمن، وسليمن ابن محمد بن خلف، ويحيى بن عمر بن الفصيح.**

دخوله غرناطة

قالوا: واستخلصه الأمير **أبو زكريا يحيى بن غانية**؛ أيام إمارته **ببلنسية** لمشهور معرفته ونباهته، ثم سار معه إلى

---

[1] له ترجمة أيضاً في التكملة لكتاب الصلة، والذيل والتكملة، والديباج المذهب، ونيل الابتهاج.
[2] في الذيل والتكملة: ((غرّ الناس)).
[3] في الذيل والتكملة: ((ذا حظ من قرض الشعر)).

قرطبة[1]، ولازمه، إلى أن توفي **أبو زكريا بن غانية**، **بغرناطة** سنة ثلاث وأربعين[2]. فانتقل إلى شرق **الأندلس**، واستقر بدانية.

توالیفه

وله مصنفات منها ((كتاب العُزلة))، ومنها ((**شرح معاني التحية**)).

مولده

ولد **بطرطوشة** سنة ثمان وخمسماية [3]، وتوفي **بدانية**. قتل مظلوماً بإذن **ابن سعد** الأمير في رمضان سنة ست وستين وخمسماية [4].

***

[1] في الذيل: ((ثم صار صحبته إلى قرطبة سنة سبع وثلاثين، ولازمه إلى أن توفي أبو زكريا بن غانية)).
[2] أي سنة 543هـ الموافق لـ 1148م.
[3] الموافق لـ 1114م.
[4] الموافق لـ 1170م.

علي بن أبي جَلا

المكناسي [1]، يكنى أُبا الحسن.

حاله

كان شيخاً ذكياً، طيب النفس، مليح الحديث، حافظاً للمسايل الفقهية، عارفاً لها، قايماً على **كتاب المُدَوَّنة**، تفقَّه بالشيخ **أبي يوسف الجزولي**، وعليه اجتهد في مسايل الكتاب. وكان مضطلعاً بمشكلاته. حسن المذاكرة، مليح المجلس أنيسه، كثير الحكايات، إلاّ أنه كان يحكي غرايب شاهدها تملُّحاً وأُنْساً، فينمّقها عليه الطلبة [2]، وربما تعدوا ذلك إلى الافتعال على وجه المزاح والمداعبة، حتى لَجَمَعوا [3] من ذلك كثيراً في جزءٍ سموه ((**بالسّلك** [4] **المحلَّى في أخبار ابن أبي جلاًّ**)). فمن ذلك ما زعموا أنه حدث بأنه كانت له هرة، فدخل البيت يوماً، فوجدها قد بلت

---

[1] **له ترجمة أيضاً في نفح الطيب؛ حيث سمي بـ((علي بن أبي حَلَّي (بالحاء المهملة) المكناسي.**

[2] **في النفح: ((بعض الطلبة)).**

[3] **نفسه: ((حتى جمعوا)).**

[4] **نفسه: ((السالك والمحلى في أخبار ابن أبي حلّى)).**

أحد [1] كفيها، وجعلته في الدقيق حتى علق به، ونصبته بإزاء كوة فأر في الجدار ورفعت اليد الأُخرى لصيده، فناداها باسمها، فردّت [2] رأسها، وجعلت أصبعها في [3] فمها على هيئة المشير بالصمت. وأشباه ذلك كثير.

وفاته

في حدود ستة [4] وأربعين وسبعماية [5].

***

[1] في النفح: ((إحدى يديها، وجعلتها في الدقيق حتى علق به)).
[2] نفسه: ((فزوت)).
[3] نفسه: ((على)).
[4] نفسه: ((توفي المذكور سنة 406؛ قاله في الإحاطة)).
[5] الموافق لـ 1345م.

علي ابن أبي بكر

ابن عبد الرحمن بن علي بن سمحون الهلالي؛ يكنى أبا الحسن.

حاله

كان شيخاً جليلاً، فقيهاً، عارفاً، نبيلاً، نبيهاً، ذا مروءة كاملة، وخُلُق حسن، من بيت حَسب وعلم ودين. قال **أبو القاسم الملاحي**: حدثني صاحبنا الفقيه الخطيب **أبو جعفر بن حسان**؛ قال: كنت أجاوره في بعض أملاكي، وكان له ملك يلاصقني، أتمنى أن أكتسبه، فينتظم لي به ما هو مفترق، فوافقته ذات يوم في القرية، فسألته المعاوضة به، وخيرته في مواضع في أرضي، فضحك مني، وقال لي: أنظر في ذلك إن شاء الله. ثم إنه وجه لي بعد ذلك بأيام يسيرة، بعقد يتضمن البيع وقبض الثمن مني، فخجلت منه، وراودته في أخذ الثمن فأبى وقال لي: هذا قليل في حقك، وكان قد لقي شيوخاً أخذ عنهم، وكانت له كتب كثيرة.

وفاته

توفي **بالمُنَكَّب** صبح اليوم السادس من رمضان عام ستة وتسعين وخمسماية [1]. ولست أحقق أهو القريب أو سلفه، وعلى كلا التقديرين، فالفضل حاصل.

***

[1] **الموافق لـ 1199م.**

علي بن محمد

ابن عبد الحق الزرويلي؛ [1] يكنى أبا الحسن، ويعرف بالصُّغَيِّر؛ بضم الصاد وفتح الغين والياءِ المشددة.

حاله

من **المؤتمن**: كان هذا الرجل قيماً على **التهذيب للبرادعي**، حفظاً وتفقهاً، يشارك في شيءٍ من أصول الفقه، يطرّز بذلك مجالسه، مُغْرباً به بين أقرانه من المدرسين في ذلك الوقت، لخلُوّهم من تلك الطريقة بالجملة. حضرت [2] مجلس إقرايه، وكان ربعةً آدم اللون، خفيف العارضين، يلبس أحسن زي صنعة، وأحسن ما فيه ليس بحسن. وكان يدرس بجامع الأصدع من داخل

---

[1] في الإسكوريال: ((المزرولي)). والراجح أنه الزرويلي؛ لأن الزراولة؛ ينتمون إلى بني زروال؛ وهو من الأمازيغ.

[2] علق عنان على هذا القول؛ فكتب: ((هذا القول مما يلفت النظر؛ لأن المترجم له توفي حسبما ورد في آخر ترجمته سنة 719هـ؛ وقد ولد ابن الخطيب سنة 713هـ. ومن جهة أخرى؛ فإنه لم يزر فاس لأول مرة؛ إلاّ في سنة 755هـ؛ في عهد السلطان أبي عنان. ويحق لنا أن نتساءل: كيف اتفق مع ذلك أن يحضر مجلس قراءة هذا الفقيه في فاس؛ في هذا التاريخ المبكر)). ولكن عنان غاب عنه أن المتحدث هنا هو صاحب كتاب المؤتمن على أنباء أبناء الزمن؛ أبو البركات بن الحاج البلفيقي؛ وليس ابن الخطيب.

مدينة **فاس**، ويحضر عليه نحو مائة نفس، ويقعد على كرسي عال ليسمع البعيد والقريب، على انخفاض كان في صوته، حسن الإقراء، وقوراً فيه، سكوناً، مثبتاً، صابراً على هجوم طلبة **البربر**، وسوء طريقتهم في المناظرة والبحث، وكان أحد الأقطاب الذين تدور عليهم الفتوى أيام حياته، تَرِد عليه السؤالات من جميع بلاد **المغرب**، فيحسن التوقيع على ذلك. على طريقة من الاختصار وترك فضول القول. وُلِّي القضاء **بفاس**. قدمه **أبو الربيع** سلطان **المغرب** وأقام أوده، وعضده، فانطلقت يده على أهل الجاه، وأقام الحق على الكبير والصغير، وجرى من العدل على صراط مستقيم. ونُقم عليه اتخاذ شمَّام يستنشق على الناس الخمر، ويحق أن يُنتقد ذلك.

مشيخته

أخذ عن الفقيه **راشد بن أبي راشد الوليدي** وانتفع به، وعليه كان اعتماده. وأخذ عن صهره **أبي الحسن بن سليم**، **وأبي عمران الجَوْرماني**، وعن غيرهم [1]. وقَيَّدت

[1] **صوبها د. طويل؛ فجعلها: ((غيرهما)).**

عنه **بفاس** على **التهذيب** وعلى **رسالة أبي زيد**، قيَّدها عنه تلاميذه وأبرزوها تأَليفاً **كأبي سالم بن أبي يحيى**.

وفاته

وفاته يوم الثلاثاء السادس لرمضان عام تسعة عشر وسبعماية [1]، ودخل **غرناطة**؛ لما وصل رسولاً على عهد مستقضية رحمهما الله.

***

[1] **الموافق لـ 1319م.**

علي بن محمد

ابن علي بن محمد بن يحيى بن عبد الله بن يحيى بن عبد الله
ابن يحيى الغافقي [1]، سَبْتي ساري [2] الأَصل، انتقل منها أبوه
سنة اثنتين وستين وخمس مائة، يكنى أبا الحسن،
ويُشْهَر أهل بيته في سارة بني يحيى.

حاله

من **التكملة**: كان محدثاً راوية مُكْثِراً، عدلاً ثقة، ناقداً، ذاكراً للتواريخ وأيام الناس، وأحوالهم وطبقاتهم، قديماً وحديثاً، شديد العناية بالعلم، والرغبة فيه، جاعلاً الخوض فيه، مفيداً ومستفيداً، وظيفة عمره، جمّاعة للكتب، منافساً فيها، مغالياً في أثمانها، وربما أعمل الرحلة في التماسها، حتى اقتنى منها بالإبتياع والإنتساخ كل عِلْق نفيس. ثم انتقى منها جملة وافرة فحبسها في مدرسته، التي أحدثها بقرب باب القصير، أحد أبواب بحر **سبتة**، وعين لها من خيار أملاكه، وجيّد رباعه، وقفاً صالحاً. سالكاً في ذلك طريقة أهل **المشرق**، وقعد بها بعد إكمالها لترويـة

[1] له ترجمة أيضاً في التكملة لكتاب الصلة.
[2] في التكملة: ((ويعرف بالشاري؛ لأن أصله من الشارة شرق الأندلس)).

الحديث وإسماعه، في رجب خمس وثلاثين وستماية [1]، وكثر الأخذ بها عنه، واستمر على ذلك مدة. وكان سَرِيَّ الهمة، نزيه النفس، كريم الطبع، سَمْحاً، مؤثراً، مُعاناً على ما يصدر عنه من المآثر الجليلية، ونبل الأغراض السنية، بالجدة المتمكنة، واليسار الواسع. وكان سنياً، منافراً لأهل البدع، محباً في العلم وطلابه، سمحاً لهم بأعلاق كتبه، قوي الرجاء في ذلك. ومما يؤثر عنه من النزاهة، أنه لم يباشر قط دُنيراً ولا درهماً، إنما كان يباشر ذلك وكلاؤه اللايذون به.

مشيخته

روى عن: **أبوي الحسن أبيه والتجيبي، وأبي الحسن ابن عطية بن غازي، وأبي عبد الله محمد بن عيسى، وابن عبد الكريم، وابن علي الكتَّاني، وأبي إسحق الشُّقوري، وأبوي بكر بن الفصيح، ويحيى بن محمد بن خلف البوريني، وأبي الحسن بن خروف النحوي، وابن عُبَيْدس، وابن جابر، وابن جُبير، وابن زَرْقون، وابن**

---

[1] **الموافق لـ 1137م.**

الصايغ، وأبي بكر بن أبي رُكب، وأبي سليمان بن حوط الله، وأبي العباس القوراني، وأبي القاسم عبد الرحيم بن الملجوم، وأبي محمد الحِجْري؛ وأكثر عنه، **وابن حوط الله، وابن محمد بن عيسى التَّادلي، وعبد العزيز بن زيدان، ويَشْكر بن موسى بن الغزلقي.** هؤلاء، وأخذ عنهم بين سماع وقراءَة، وأكثرهم أجازه أو كتب إليه مُجيزاً. ولم يلقه **أبو جعفر بن مضاءٍ، وأبو الحسن بن القطان ونجبه، وأبو عبد الله بن حماد وابن عبد الحق التّلمساني، وابن الفخار، وأبو القاسم السهيلي، وابن حبيش، وأبو محمد عبد المنعم بن الفرس.** واستجاز بآخرة مكثراً من الاستفادة، **أبا العباس بن الرومية**، فأَجاز له من **إشبيلية.**

من روى عنه

روى: **أبو بكر أحمد بن حميد القرطبي، وأبو عبد الله الطَّنجالي، وابن عياش، وأبو العباس بن علي الماردي، وأبو القاسم عبد الكريم بن عمران، وأبو محمد**

عبد الحق بن حكيم. وحدث بالإجازة عنه، **أبو عبد الله ابن إبراهيم البكري العباسي**.

محنته ودخوله غرناطة

غرَّبه أمير **سبتة اليانشتي**[1]؛ الملقب **بالواثق بالله**؛ غاصاً به لجلالته وأهليته، وكونه قد عُرضت عليه فأباها؛ فدخل **الأندلس** في شعبان عام أحد وأربعين وستماية[2]؛ فنزل **ألمرية** وأقام بها إلى المحرم من سنة ثمان وأربعين[3]، وأخذ عنه بها عالم كثير. ثم انتقل إلى **مالقة** في صفر من هذه السنة؛ ودخل **غرناطة**، فأخذ عنه جميع طلبتها إلاّ النادر.

---

[1] **حرفت في الإسكوريال؛ فكتبت: ((اليناشتي)). والصحيح هو أبو العباس أحمد ابن محمد اليانشتي))؛ أمير سبتة؛ كان أهلها قد ولوه عليها سنة 630هـ/1232م؛ حيث لقب بالواثق بالله؛ وبقي في الحكم إلى سنة 635هـ/1237م؛ السنة التي خلعه فيها أهلها، وبايعوا الخليفة الموحدي الرشيد.**

[2] **الموافق لـ 1244م.**

[3] **أي 648هـ/1250م.**

قال الأستاذ **أبو جعفر الزبير**[1]: وقرأت إذ ذاك عليه، وكان يروم من **مالقة**، الرجوع إلى بلده، ويحوم عليه، فلم يُقض له ذلك، وأقام بها يؤخذ عنه العلم، إلى أن أتته منيَّته.

مولده

بسبتة؛ يوم الخميس لخمس خلون من رمضان إحدى وسبعين وخمسماية[2].

وفاته

توفي **بمالقة**؛ ضحوة يوم الخميس لليلة بقيت من رمضان تسع وأربعين وستماية[3]. نفعه الله بشهادة الموت غريقاً.

***

[1] هو أبو جعفر أحمد بن الزبير؛ صاحب كتاب صلة الصلة.
[2] الموافق لـ 1175م.
[3] الموافق لـ 1251م.

علي بن عبد الله

ابن محمد بن يوسف بن أحمد الأنصاري [1]؛ فاسي المولد؛ أصله منها قديماً؛ ومن مراكش حديثاً؛ يكنى أبا الحسن، ويعرف بابن قَطْرال.

حاله

كان ريان من الأدب، كاتباً بليغاً دمث الأخلاق، لين الجانب، فقيهاً حافظاً، عاقداً للشروط مقدماً في النظر فيها، كتب طويلاً عن قاضي الجماعة **بمراكش**، **أبي جعفر بن مضاء** ، ثم عن **أبي القاسم بن بقي،** وأسنَّ ممتعاً بحواسه.

مشيخته

روى عن: **أبوي بكر بن الجد، وابن أبي زمنين، وأبي جعفر بن يحيى** ولازمه كثيراً. **وأبي الحجاج بن الشيخ، وأبوي الحسن بن كوثر ونجبه، وأبي الحسن يحيى**

---

[1] **له ترجمة أيضاً في: التكملة لكتاب الصلة، وشذرات الذهب، والعبر في خبر من غبر.**

ابن الصائغ، وأبي خالد بن رفاعة [1]، **وأبي عبد الله بن حفص، وابن حميد، وابن زرقون، وابن سعادة الشاطبي، وابن عروس، وابن الفخار، وأبي العباس، وابن مضاء، ويحيى المجريطي، وأبي القاسم بن بقي، وابن رشد الوراق، وابن سمحون، وابن غالب، وابن جمهور، وابن حوط الله، وعبد الحق بن بونة، وعبد الصمد.** وروى عنه إبناه: **أبو عبد الله، وأبو محمد، وأبو عبد الله بن الأبار، وأبو محمد بن بَرْطَلة، وأبو محمد بن هارون الطائي، وأبو يعقوب بن عقاب.**

قال **ابن عبد الملك**: وحدثنا عنه من شيوخنا **أبو الحجاج بن حكم، وأبو الحسن الرعيني، وأبو الطيب صالح بن شريف، وأبو القاسم العَزَفي.**

[1] في التكملة: ((رقاعة)).

محنته

وامتُحن بالأسر، وهو قاض **بأُبَّدة**؛ حين تغلب العدو **الرومي** عليها؛ إثر **وقيعة العقاب** [1]؛ وذهب لأجل ذلك أصول سماعه، وافتُكَّ بمشاركة الوزير **أبي سعيد بن جامع**، ويسر الله عليه، فثاب جاهه، واستقام أمره، وقدم للقضاء بمواضع نبيهة [2].

دخوله غرناطة

قال: دخل **غرناطة**، وأقام بها، وقرأ على: **أبي محمد عبد المنعم بن الفرس، وأبي بكر بن أبي زمنين، وأبي عبد الله بن عروس.**

---

[1] تعتبر موقعة العقاب (Las Navas de Tolosa) من الوقائع المؤثرة على الدولة الموحدية. إذ انهزم فيها جيشها بقيادة الخليفة محمد الناصر ابن يعقوب المنصور؛ أمام جيوش النصارى؛ وعلى رأسها ملوك: قشتالة، ونافارا، وأراغون. حدثت هذه الموقعة في هضاب جبال الشارات (سييرا مورينا) بين جيان وقلعة رياح؛ وذلك في 15 صفر من سنة 609هـ الموافق 6 جوليت من عام 1212م. وسميت بذلك الاسم لحدوثها في التلال والربى المانعة. وبهذه المعركة أخذت الدولة الموحدية في التراجع والانكماش؛ حتى سقطت.

[2] ورد في التكملة: أنه ولي في الأندلس ـ بعد قضاء أبدة: شاطبة، وشريش، وجيان، وقرطبة، وسبتة؛ بالإضافة إلى قضاء فاس، وأغمات بالمغرب.

مولده

ولد **بفاس** سنة ثنتين وستين وخمسماية [1].

وفاته

وتوفي عفا الله عنه يوم الإثنين لإحدى عشرة خلت من جمادى الأُولى [2] عام أحد وخمسين وستماية [3] بمراكش.

***

((إنتهى اختصار السفر العاشر بحمد الله تعالى؛ يتلوه؛ ومن السفر الحادي عشر ترجمة الطاريين في ترجمة العمال والأثرا.
والحمد لله رب العالمين)).

***

[1] الموافق لـ 1166م. وورد في التكملة: ((ومولده بقرطبة عام 563)).
[2] في التكملة: ((وتوفي بمراكش في شهر ربيع الأول سنة إحدى وخمسين وستمائة)).
[3] الموافق لـ 1253م.

ومن السِّفْر الحادي عشر من ترجمة الطارئين
في ترجمة العمال والأثرا.
***

عمر بن علي

ابن غفرون الكلبي [1]، من أهل مُنْتِفرير [2].

حاله

كان شيخاً مَخْشَوْشن الظاهر بَدَويه، سريع الجواب، جلداً على العمل، صليباً وقاحاً. له ببلده نباهة، وخصل من طلب وخطٍّ وحساب. أمَّ ببلده، وانتقل إلى الحضرة عند انتزاء ثغره، وداخل السلطان في سبيل استرجاعه، فنشأت له غمامة رزق ببابه، وأقلته هضبة حظوة ، ناطت به ديوان الجيش مدة أيام السلطان، وولي بعده خططاً نبيهة. ثم التأثت حاله وأسنَّ، ومات تحت خمول.

وجرى ذكره في **الإكليل** بما نصه: شيخ خَدَم، قام له الدهر فيها على قدم، وصاحب تعريض، ودهاء عريض،

---

[1] لـه ترجمة أيضاً في نفح الطيب.
[2] تسمى بالإسبانية: **Montefrio**؛ أي جبل البرد؛ وتتواجد شمال مدينة لوشة.

وفايزٌ من الدولة [1] بأيادٍ بيض، خدم **الدولة النصرية** ببلده عند انتزاء أهله، وكان ممن استنزلهم من حزنه إلى سهله، وحكم الأمر الغالبي في يافعه وكهله، فاكتسب [2] حظوة أرضته، ووسيلة أرهفته وأمضَّته، حتى عظم ماله [3] واتسقت آماله. ثم دالت الدول، ونكرت [4] أيامه الأول، وتقلب [5] من يجانسه ، وشقي بكل [6] من كان ينافسه، فجفَّ عوده، والتأَثَتْ سعوده، وهلك والخمول يطلبه [7]، والدهر يقُوتُه، من صُبابة حرث كان يستغله.

---

[1] في النفح: ((من الدولة النصرية بأيادٍ بيض؛ أصله من حصن منتفريد؛ خدم به الدولة النصرية عند انتزاء أهله)).
[2] نفسه: ((فكسب)).
[3] نفسه: ((جاهه وماله، وبسقت آماله)).
[4] نفسه: ((وتنكرت)).
[5] نفسه: ((وتغلب)).
[6] نفسه: ((وشقي بمن كان ينافسه)).
[7] نفسه: ((يظله)).

شعـره

ولـه شعـر لـم يثقفه النظـر، ولا وضَحـت منه الغُـرر.

كتـب للسلطـان أمير المسلمين مُنْفـق سـوق خدمته ومتغمـده بنعمتـه، يطلـب منه تجديـد بعـض عنايتـه [1]:

يا ملكـــاً ســـاد ملـــوك الـــورى

في الحال أو في الأعصر الخالية

العبـــد لا يطلـــب شيئـــاً ســـوى

تجـــديـــد خـــــط يـــدك العاليـــة

ومـن شعـره يخبـر عـن وداده ، ويعلـن في جنـاب الملـوك الغالبييـن بحسـن اعتقـاده [2]:

حُـــبُّ الملوك من آل نصر ديـــني

ألـــقى بـــه ربي بحســـن يقيـــني

هو عدتي في شـــدتي وذخيـــرتي

وبـــه يتحسبـــني غـــــدا ويقيـــن[3]

---

[1] البحـر السريـع.

[2] البحـر الكامـل.

[3] أضـاف د. طويـل اليـاء؛ فأضحـت: ((يقيـني)).

حتى أبى[1] الحشــر لم أخدم سوى

أبوابهـــم بوسيلـــة تكفيـــن[2]

أرجـو نفـاد العُمْـر في أيامهم

من تحت ستر رعايـة تُرضيـن[3]

إن كان دهري في نافدي بعدهـم

فاللـه عـز وجـل لا يُبقْيـن[4]

وسَلِم في أيام خموله، وانْغَلق على المتغلب على الدولة **أبي عبد الله بن المحروق**. وقد احتقره ببابه، وأعرض عن جوابه. فكتب إليه، ولم يرهب ما لديه [5]:

يا مـن سُـول وغـدا[6] في كل يـوم مـرارا

أردد عـلي سـلامي ولا تدعـه احتقـارا

---

[1] حذف د. طويل ((أبى))؛ ووضع بدلها: ((أوانَ)).
[2] أضاف د. طويل الياء؛ فغدت: ((تكفيني)).
[3] جعلها د. طويل: ((ترضيني)).
[4] جعلها د. طويل: ((يبقيني)).
[5] بحر المجتث.
[6] تصرف د. طويل؛ فجعل صدر البيت هكذا: ((يا من سألتك وعدا)).

وفاته

قال شيخنا الكاتب، **أبو بكر بن شبرين** رحمه الله:

وفي ذي حجة من عام أربعة وأربعين وسبعمائة [1] توفي الفقيه **أبو علي بن غفرون**؛ من أهل **مُنْتفريد** من حصون **براجلة غرناطة**. قدم قديماً بالباب السلطانية؛ في تنفيذ واجب العسكر **الأندلسي** وإشراف الحضرة وحفازتها. وكان ميمون النقيبة، وجهاً في الناس فاضلاً، رحمه الله.

***

[1] **الموافق لـ 1343م.**

علي بن يحيى

الفزاري [1]، من أهل مالقة؛ بربري النسب؛ فزاريه؛ يكنى أبا الحسن؛ ويعرف بابن البربري.

حاله

كان من أماثل طريقته عدلاً، وعفافاً، وفضلاً لين العريكة، دمث الأخلاق، حسن الخط، جيد الشعر، تَغْلب عليه السلامة والغفلة، تصرف في إشراف **مالقة** وسواها عمره، محمود الطريقة، حسن السيرة. ومدح الملوك والكبراء.

شعره

مما خاطبني به قوله [2]:

لِبابِــك أم الآملــون ويممــــوا
وفي ساحَتَي رحماك حطوا وخيُّم[3]

---

[1] لـه ترجمـة أيضـاً في نفـح الطيـب.
[2] البحـر الطويـل.
[3] في النفـح: ((وخيمـوا)).

ومن راحَــتَيْ كفيــك جدواً تهمي[1]

فتـــروى عطاش من نداك وتنعـــم

وأنت لما رامُــوه كعبــة حَجِّهــم

إذا شاهــدوا مــرآك لبُّوا وأحرم[2]

يطوفون سَبْعاً حول بابك عندمـــا

يلوح لهـــم ذاك المقـــامُ المعظَّـــم

فيمنـــاك يمـــن الرعايـــا[3] ومنـــةٌ

ويسراك يســـراً[4] للعفـــاة ومغنـــم

ولقيـــاك بشـــر للنفـــوس وجنَّـــة

تـــزقُّ[5] بهـــا ورْق المُنـــا وترنّـــم

فيا واحدَ الأزمان علْماً ومَنْصبـــاً

ومن به[6] الدنيـــا تـــروق وتبســـم

---

[1] في النفـح: ((جـدواك تنهـمي)).
[2] نفســه: ((وأحرمـوا)).
[3] نفســه: ((للرعايـا)).
[4] نفســه: ((يُسْرٌ)).
[5] نفســه: ((تـرنّ)).
[6] نفســه: ((ويـا مـن بـه)).

ومَنْ وجهــه كالبدر يُشْرِق نوره
من[1] جوده كالغَيْــث بل هو أكـــرم
ومن ذكـــرُه كالمسك فُضَّ ختامه
وكالشـــمس نوراً بشره المتوسَّـــم
لقد حُزْت خَصل[2] السَّبق غير مُعاند[3]
فأنت عـــلى أهل السبـــاق مُقَـــدَّم
حويـــت من العليـــاء كل كريمـــة
بهـــا الروض يندى والربى تتبسم
وباهيـــت أقلام المقـــام[4] براعـــة
فـــلا قلـــمٌ إلا يـــراعـــك يخـــدم
وإذا[5] فاخـــر الأمجـــاد يوماً فإنمـــا
لمجـــدك في حـــال الفخـــار يُسلم

[1] في النفح: ((ومن)).
[2] نفسه: ((فضل)).
[3] نفسه: ((منـازع)).
[4] نفسه: ((الفئام))؛ ومعناه: الجماعة من النـاس.
[5] نفسه: ((إذا)).

وإن سكتـــوا كنـــت البليغَ لديهـــم

يعبِّـــر[1] عن سر العُـــلى ويُترجـــم[2]

ومنهـا :

فيا صاحِبَيْ نجْواي عُوجاً برامَـــةِ

على رَبْعـــه حيث النَّدى والتَّكـــرم

وقـــولاً لـــه[3] ببـــابـــك يرتـــجي

قضـــاءُ لُبانـــات لـــديـــك تتمـــم

وليـــس لـــه إلا عـــلاك وسيلـــة

ولا شيء أســـمى من علاك وأعظـــم

فجد بالذي يرجوه لمنَّـــك[4] فما لـــه

كعقـــدٍ ثميـــن مـــن ثنايـــك يُنظم

بقيتَ ونجم السَّعد عنـــدك طالـــع

يـــضيء له بـــدرٌ وتشرق أَنْجـــمُ

وقال مراجعاً القاضي **أبا عبد الله بن غالب** رحمه الله [5]:

الله [5]:

---

[1] في النفح: ((تعبِّر)).
[2] نفسه: ((وتترجم)).
[3] نفسه: ((وقولاً له عَبْدٌ ببابك...)).
[4] نفسه: ((منك)).
[5] البحر الطويل.

وما كنـــتُ عــن ذكرالأحبة سالياً
ولا عن هوى بيض الدما برغيب
فلمـــا أتتـــني رقعــــة بلبليــــة
شغلـــت بها عن منـــزلٍ وحبيـــب
وقبلتهـــا ألفـــاً وقلـــت لها أنعمي
صباحـــاً وممـــسى بالقبـــول وطيـــب
فيا حسن خطٍّ جاء من عند بـــارع
ويا سحر لفـــظٍ من كـــلام أديـــب
وإن قريضاً لم يحكــــه ابن غالب
لخلو مـــن الآداب غيـــر عجيـــب

وفاته

بمالقة في الطاعون عام خمسين وسبعمائة [1].

***

[1] الموافق 1349م.

***

عتيـق بـن معاذ

ابـن عتيـق بـن معاذ بـن سعيـد بـن مقـدم بـن سعيـد بـن يوسف بـن مقـدم اللخـمي مـن أهـل غرناطـة؛ يكنى أبـا بكـر؛ الشيـخ الصـوفي،

حالـه

هـذا الرجـل فـذ الطريقـة في الخصوصيـة والتخلِّي، وإيثـار الانقطـاع والعُزلـة، طرفـة في الوقـار والحشمـة. نشـأ **بغرناطـة** وطلـب بهـا، وكتـب **بألمريـة** عـن بعـض ولاة قصبتهـا، وعُـني بمطالعـة أقـوال الصوفيـة، فآثـر طريقهـم، وعـوَّل عليـه، وتجـرد وتـرك التسبُّـب، والتـزم منزلـه، بحيـث لا يريمـه إلا لصـلاة الجمعـة في أقـرب محالِّهـا وإليـه، نظيـف البـزة، حسـن السَّمـت، مليـح الترتيـب والظَّـرف، طيـب المجالسـة، طُلَعـة مُتْعـة، إخبـاري، يصـل مـاضي الزمـان بمستقبلـه، جليـس مصـلى، ومُجيـل سبحـة كثيـر الـزوار، ممـن يلتمـس الخيـر، وينقـر عـن أهلـه، محظـوظ المجلـس حفـي بالـوارد، ذاكـر، مأثـرة مـن مآثـر بلـده.

مشيخته

أخذ عن الخطيب الصالح ولي الله **أبي عبد الله الطَّنجالي،** والخطيب المحدث **أبي عبد الله بن رشيد،** والأستاذ النظار **أبي القاسم بن الشاط**، والخطيب الصالح **أبي جعفر بن الزيات**، والشيخ الأستاذ **أبي عبد الله بن الفخار الأرْكَشي** نزيل **مالقة**، والوزير الراوية **أبي عبد الله ابن ربيع الأشعري**، والعدل الرواية **أبي الحسن بن مستقور**[1]، والأستاذ المقري **أبي جعفر الجزيري الضرير**، والخطيب **أبي عبد الله بن الخشاب**، والخطيب المقري **أبي إسحاق بن أبي العاصي**، والشيخ والمحدث **أبي تمام غالب ابن حسن بن غالب الجهاري**، والقاضي المُسِن **أبي جعفر الشاطبي**، والقاضي المحدث **أبي المجد يوسف بن الحسن بن أبي الأحوص**، والأستاذ المحدث **أبي القاسم بن جابر**، وأخيه المحدث **أبي جعفر**، والقاضي **أبي جعفر بن أبي جبل**، والأستاذ الصوفي **أبي محمد بن سلمون**، والشيخ الشريف **أبي الحسن علي بن جمرة بن القاسم الجهني**،

[1] حرفت في الإسكوريال؛ فكتبت: ((مسمور))؛ فصوبها عنان.

والأستاذ المقري **أبي عبد الله بن بييش العبدري**، والشيخ المكتب **أبي عمرو عبد الرحمن بن يُشت**، والشيخ الراوية المحدث الرحال **أبي عبد الله بن جابر الوادَآشي** الملقب من الألقاب المشرقية **بشمس الدين**، والخطيبين **أبوي الحسن ابن فرحون**، **وابن شعيب**، والقاضي **أبي الحسن البلوي**، والأستاذ المقري [1]...

محنته

نالـه امتحان من بعض القضاة ببلده حَمْلاً عليه، وإنكاراً لما امتاز به من مثلى الطريقة، أداه إلى سجنه، ومنع الناس عن لقايه. وهو الآن بحاله الموصوفة، قد ناهز السبعين تمرّ [الناس] [2] تلتمس بركته ، وتغشى لطلب الدعاء خلْوته.

***

[1] انقطع فجأة هنا سياق الكلام.
[2] أضاف عنان هذه الكلمة.

علي [1] بن علي

ابن عتيق بن أحمد بن محمد بن عبد العزيز الهاشمي؛
من أهل غرناطة؛ ويعرف بالقُرَشي.

حاله

كان رحمه الله على طريقة مثلى حياءً، ووقاراً وصمتاً، وانقباضاً وتخلُّقاً وفضلاً، عاكفاً على الخير، كثير الملازمة لكسر البيت، مكباً على المطالعة، مؤثراً للخلوة، كلفاً بطريق الصوفية. كتب الشروط لأول أمره، فكان صَدْراً في الإثبات، وعلماً في العدول، إلى لين الجانب، ودماثة الخلق، وطهارة الثوب، وحسن اللقاء، ورجوح المذهب، وسلامة الصدر. قيد الكثير، ولقي في تشريقه أعلاماً أخذ عنهم. وتقدَّم خطيباً وإماماً بالمسجد الأعظم في

[1] في الإسكوريال: ((عمر)). ولاحظ عنان أن هذه الترجمة وردت ضمن العليين (أي من يسمون باسم علي)).؛ وعليه رجح أن يكون ذلك سهواً من ناسخ مخطوط الإسكوريال؛ ويؤيد هذا؛ أن مخطوط الزيتونة ورد فيه اسم علي.

غرناطة، عام أحد عشر وسبعماية [1]، واستمرت حاله إلى حين وفاته ، على سنن أولياء الله الصالحين.

مشيخته

قرأ على الأستاذ **أبي جعفر بن الزُّبير**، ولازمه وتأَدَّب به، وتلا عليه بالقراءات السبع، وسمع كثيراً من الحديث، وعلى الخطيب الولي **أبي الحسن بن فضيلة**، والشيخ الخطيب **أبي عبد الله بن صالح الكناني**. سمع عليه الكثير. قال أنشدني الخطيب **أبو محمد بن بَرْطلة** [2]:

أَسْلَمــني للبـــلاءِ[3] وحيــداً
من هــو في مُلْكــه وحيـــد
قضــا عــلَّي الفنــاءَ حتمــاً
فلــم يكــن عنــه لي مَحيــد
وكيــف يبــقى غريق نــزى
فــذاتـــه أولاً صعيـــد

---

[1] الموافق لـ 1311م.
[2] مخلع البسيط.
[3] حذف د. طويل الهمزة؛ فأضحت: ((للبلا)).

يعيـــــد أحـــــوالـــه إليـــــه

من نعتـــه المُبـــدْي[1] المعيـــد

وأخذ عن الشيخ الراوية المحدث **أبي محمد بن هرون الطايي**، والشيخ الراوية المعمر **أبي محمد الخلاسي**، والشيخ الشريف **تاج الدين أبي الحسن العرامي**، والشيخ المحدث الإمام **شرف الدين أبي محمد عبد المؤمن الدمياطي**، والشيخ **رضيّ الدين الطبري**، والمحدث الحافظ **فخر الدين التودري الميكالي**. قال: وأنشدني من لفظه بالحرم الشريف ؛ لشيخه الإمام **أبي الحسن الخزرجي** [2]:

عن أُهَيــل المنحـــنى لا أصبـــر

فاعذلـــوني فيهم أو فاعـــذروا

هم[3] أحبـــاب[4] وإن هـــم عذَّبـــوا

ومُنَـــاي وصلَـــوا أم هجـــروا

---

[1] جعلها د. طويل: ((المُبـدْئ)).
[2] بحـر الرمـل.
[3] جعلها د. طويل: ((فيـه)).
[4] أضـاف د. طويـل اليـاء؛ فأضحـت: ((أحبـابي)).

والشيخ المحدّث المُفْتي بالحرم الشريف رضي الدين **محمد بن أبي بكر بن خليل**. قال: وأنشدني لبعض شيوخه [1]:

أفي كــل وادٍ شاعر ومطيــب
وفي كــل ناد منبر وخطيــب
نعم كثــر الأقوام قلَّــة ناقــد
لهم فتساوى مخطىء ومُصيب

والشيخ المحدث الإمام **أنس الدين بن الإمام قطب الدين القَسْطلاّني**، والأديب الواعظ **نفيس الدين بن إبراهيم اللمطي**. قال وأنشدني إجازة عن الشيخ الإمام **شرف الدين أبي الفضل السلمي المرسي**؛ من قصيدة [2]:

إذا جيــت ألــقى عند باب حاجباً
مُحَّياه من فرط الجهامــة حــالك

---

[1] البحر الطويل.
[2] البحر الطويل.

ومن عجيـــب[1] مغناك جنة قاصـــد

وحاجبها من دون رضوان مالـــك

والشيخ الإمام **تقي الدين بن دقيق العيد، وأبي العباس بن الظاهري، ومحيي الدين بن عبد المنعم ومحمد ابن غالب بن سعيد الجيَّاني،** والخطيب الجليل **أبي عبد الله بن رُشيد** من **أهل المغرب**. وكتب له الشريف **أبو علي الحسن بن أبي الشرف**، والعدل **أبو فارس الهواري**، **وأبو القاسم بن الطيب، وأبو بكر بن عبيدة، وأبو إسحق الغافقي، وأبو عبد الله الدّراج، وأبو الحكم مالك بن المرحّل، وأبو إسحق التّلمساني**، وغيرهم.

[1] جعلها د. طويل: ((عجب)).

تواليفه

صنّف في التصوف كتاباً سماه ((**مطالع أنوار التحقيق والهداية**))، وكتاباً في غرض ((**الشفا**)) العياضي. ومن شعره، ثبت بظهر الكتاب المسمى ((**بالموارد المستعذبة**))؛ من تأليف شيخنا **أبي بكر بن الحكيم** ما نصه [1]:

كتابــك ذا من هوتــه المفاخــر
سنــا وسنــاً راق منــه زواهــر
لقد جــاء كالعقــد المنظم ناثــراً
فرايــد قسٍّ عنك في ذا[2] قاصــر
بلاغته في القــوم تشهد عندمــا
تشكــك فيــه أنه عنــك صــادر
فللّــه من روض أنيق غصونــه
بمــا تتمنــا[3] فَـــزِاه وزاهــر

---

[1] البحر الطويل.
[2] جعلها د. طويل: ((ذاك)).
[3] جعلها د. طويل: ((تتمنّاه)).

فمـــا شيتـــه تجـــده فيـــه فإنـــه

لناظــــره بحـــر بهـــا هو زاخـــر

فنُهنيكم يابن الأُلى شاع مجدهـــم

قيادكـــم مجـــــد بذاتـــــك آخـــر

أتيـــت بما فيه انبـــتّ[1] حياة من

حوته على مر الدهـــور المقابـــر

وأبديـــت فيه سحـــر لفظك رائقاً

تلذُّ بـــه الأجفـــان وهي سواهـــر

ومتَّعـــتُ طرفي فيه لازلت باقياً

ونحا[2] بك ربِّي يوم تبلى السرايـــر

وخصَّـــك مني بالســـلام مـــردَّداً

عليك مـــدى الدنيا وما طار طاير

مولده

ي حدود سنة سبع وستين وستمايه[3]:

---

[1] جعلها د. طويل: ((تبتُّ)).
[2] حذف د. طويل الواو؛ فغدت: ((نحا)).
[3] الموافق لـ 1268م.

وفاته

في صفر في عام أربعة وأربعين وسبعماية [1]. وكانت جنازته بالغة أقصى مبالغ الاحتفال ، وتزاحم الناس على قبره بما بعد العهد به. وممن رثاه شيخنا أبو الحسن بن الجياب فقال [2]:

قــضى الأمر يا[3] نفس اصبــري
صبــر تسليــم لحكـــم القــدر

وعـــزاءً يــا فـــؤادي إنـــه
حكــم ملــك قاهــر مقتـــدر

حكمـــة[4] أُحكمــت تدبيـــرهــا
نحــن منهــا في سبيــل السَّفــر

أجــل مقـــدر[5] ليـــس بمســـ
ـــتقـــدم[6] ولا مستأخـــــر

---

[1] الموافق لـ 1343م.
[2] بحر الرمل.
[3] جعلها د. طويل: ((فيا)).
[4] أضاف د. طويل كلمة ((قد))؛ فغدت: ((حكمة قد...)).
[5] جعلها د. طويل: ((مقتدر)).
[6] أضاف د. طويل كلمة منه؛ فأضحت: ((بمستقدم منه ولا...)).

أحســـن اللـــه عـــزاء كـــل ذي
خشيـــة لربِّـــــه[1] فـــي عمـــــر

في إمامنـــــا[2] التقي الخاشع الــ
ــطاهر الـــذات الزَّكي السِّبـــــر

قُـــــرشي سليمـــــن[3] مستـــــقى
من صميـــم الشَّـــرف المطَهَّـــــر

يشهـــــــد الليـــــــل[4] أنـــــه
دايـــم الذكـــر طويـــل السَّهـــــر

في صـــــلاة بعثـــت وفـــودهـــا[5]
زمـــر المصطـــفى[6] من مُضـــــز

نايمـــــاً وراكعـــــاً وساجـــــداً[7]
لطلـــــوع فجـــــره المُنْفجـــــر

---

[1] جعلها د. طويل: ((من ربه)).
[2] جعلها د. طويل: ((أمانيّ)).
[3] جعلها د. طويل: ((سليم)).
[4] أضاف د. طويل كلمة: ((دليلا))؛ فغدت: ((الليل دليلا أنه)).
[5] جعل د. طويل هذا الشطر هكذا: ((في صلاة بَعثتْ وفداً لها)).
[6] جعلها د. طويل: ((للمصطفى)).
[7] جعل د. طويل هذا الشطر هكذا: ((نئماً أو راكعاً أو ساجدا)).

جمـــع الرحمـــن شملنـــا[1] غـــــداً

بحبيـــب اللـــــه خيـــر البشـــــر

وتلقتـــه وفـــــود رحمـــــة الـــ

ـــلـــه تـــأتي بالرضـــا والبشـــر

***

[1] جعلهـا د. طويـل: ((شمليـنـا)).

علي بن أحمد

ابن محمد بن عثمن الأشعري؛ من أهل غرناطة؛ يكنى أبا الحسن؛
ويعرف بابن المجروق

أوليته

قد مر ذلك عند ذكر عمه وجده.

حاله

هذا الرجل شيخ الفقراء السَّفَّارة والمتسببة بالرّباط المنسوب إلى جدّه، وهو مقيم الرسم، حاجٌّ رحَّال، عارف بالبلاد، طواف على كثير من مشاهير ما عُرف الإصطلاح. وزار تُرب الصالحين وصحب السَّفارة، حسن الشكل، أصيل البيت، حافظ للترتيب، غيور على الطريقة، محظوظ العقد، مجانبٌ للإغمار، منافر لأهل البدع، مكبوحٌ عن غلو الصافنة، أنوف، مترفَّع، كلف بالتجلَّة، يرى لنفسه الحق ولا يفارق لحظ، خطيب متعاط لمواقف الإطالة، وسرد الكثير من كلام الخطباء عن غير اختيار، يطبق المفصل، ويكافي الغرض المقصود، على شرود عن قانون الإعراب، حسن الحديث، طبقة للرَّسم الدنيوي،

من هذا الفن كثرة، وحسن بزَّة، ونفاذ أمره، ونباهة بيته، وتعاطياً لنتايج الخَلْوة.

محنته

قبض عليه المتغلب على الدولة؛ وأزعجه بعد الثّقاف في المُطْبق، إلى **مرسى ألمرية**، إتهاماً بممالأة السلطان، فامتعض له من أهل **مدينة وادي آش**، وتبعهم المشيخة على المجاهرة، فاستنقذوه، وكاشفوا المتغلب إذ كانوا على أرقاع الخلاف عليه، وعاجل الأمر تصير الملك لصاحبه، فعاد الشيخ إلى حاله، فهي معدودة عنه من أثر التصريف.

مشيخته

ومن خطه نقلت؛ قال: ولدت في اليوم الحادي والعشرين لرجب عام تسعة وسبعماية [1]، ولبست الخِرفة من يد الشيخ الفقيه الخطيب البليغ الولي الشهير، **أبي علي عمر بن محمد بن علي الهاشمي القرشي** في أوايل ذي

[1] **الموافق لـ 1309م.**

قعدة من عام خمسة وثلاثين وسبعماية [1]. وحدثني بها رحمه الله عن الشيخ الزاهد **أبي محمد الخلاسي** عن شرف الأيمة **أبي عبد الله بن مَسْدي** عن الشيخ الكبير **أبي العباس بن العريف** عن **أبي بكر عبد الباقي بن برال** ، عن **أبي عمرو الطَّلمنكي**، عن **أبي عمرو بن عون الله وأبي على الحسن بن محمود الجرجاني** عن **أبي سعيد بن الأعرابي**، عن **أبي محمد سالم محمد بن عبد الله الخراساي**، عن **الفضل بن عياض**، عن **هشام بن حسان ويونس بن عبيد**، عن **أبي الحسن بن الحسن البصري**، عن **الحسن البصري**، عن **علي بن أبي طالب** كرم الله وجهه. ثم رحلتُ إلى **المغرب**، طالباً في لقاء أهل الطريقة راغباً، فلقيت به من أعلام الرجال جملة يطول ذكرهم، ولا يُجْهل قدرهم. ولما توجهت إلى **المشرق**، لقيت به أعلاماً وأشياخاً كراماً، لهم طرق سنية، وأحوال سنية، أودعت ذكرهم هذا طلباً للاختصار، وخوفاً من سآمة الإكثار، وكان اعتمادي فيمن لقيت منهم في أيام تجريدي

---

[1] **الموافق لـ 1334م.**

واجتهادي، بعد إيابي من قضاء أربي، من حج بيت الله الحرام، وزيارة قبر **النبي**، عليه الصلاة والسلام، على من بهديه أستنير، واعتمد عليه فيمن لقيت وصحبت، وإليه أشير سيدي الشيخ الكبير الجليل الشهير وحيد عصره وفريد دهره، **جمال الدين أبو الحجاج الكوراني** جنساً، **والتميمي** قبيلة، **والكلوري** مولداً، **والسهروردي** خرقةً وطريقة ونسبة، وهو الذي لقنني، وسلكت على يده، وقطعت مفاوز العُزلة عنده، مع جملة ولده . وحدثني رضي الله عنه أنه لقنه الشيخ الفقيه العارف **أبو علي الشمشري** هو والشيخ الإمام **نجم الدين الإصبهاني،** والشيخ **نجم الدين**، والشيخ **بدر الدين الطوسي**، لقنا الفقيه محسناً المذكور، والشيخ **بدر الدين**، لقنه الشيخ **نور الدين عبد الصمد النصيري**، والشيخ **عبد الصمد**، لقنه الشيخ **نجيب الدين بن مرغوش الشّيرازي**، والشيخ **نجيب الدين** لقنه الشيخ **شهاب الدين السّهروردي**، والشيخ **شهاب الدين**، لقنه عمه **ضياء الدين أبو الحسن السهروردي**، والشيخ **ضياء الدين فرج الزنجاني**. والشيخ

فرج الزّنجاني، لقنه **أبو العباس النهاوندي**، والشيخ **أبو العباس**، لقنه **أبو عبد الله بن خفيف الشيرازي**، والشيخ **أبو عبد الله لقنه أبو محمد رديم**، والشيخ **أبو محمد لقنه أبو القاسم الجنيد**، والشيخ **أبو القاسم لقنه سري السَّقطي**، والشيخ **سري** لقنه **معروف الكرخي**، والشيخ **معروف** لقنه **داود الطائي**، والشيخ **دواد** لقنه **حبيب العجمي**، والشيخ **حبيب** لقنه الإمام **الحسن البصري**، والشيخ **الحسن** لقنه **الإمام علي بن أبي طالب**. ولبست الخرقة من يد الشيخ **أبي الحجاج** المذكور بسند التلقين المذكور إلى **أبي القاسم الجنيد** رضي الله عنه إلى **جعفر الحذاء**، إلى **أبي عمر الإصطخري**، إلى **شفيق البلخلي**، إلى إبراهيم ابن أدهم . إلى موسى بن زيد الراعي ، إلى **أويس القرني**، إلى أميري المؤمنين **عمر وعلي** رضي الله عنهما ، ومنها إلى سيد الأولين والآخرين، صلى الله عليه وسلم، وذلك في أوايل عام ثلاثة وأربعين وسبعماية [1]. وقد ألفت كتاباً جمعت فيه بعض ما صدر من أورادي، أيام تجريدي

---

[1] **الموافق لـ 1341م.**

واجتهادي، محتوياً على نظم ونثر، مفرغاً عن كلام الغير، إلاّ مقطوعة واحدة لبعض المتصوفة، فإني سقتها على جهة لكونها غاية في الاحتفال وهي [1]:

قل لمـــن طاف بكاسات الرضـــا
وســـقى العشـــاق ممـــا قد نهـــل

وسميت الكتاب بـ((**نكت الناجي، وإشارات الراجي**)). ولعل ذلك يكون اسماً وافق مسماه، ولفظاً طابق معناه، وإلى ما ذكرت من النكت، أشرت بما نظمت فقلت [2]:

في كـــل واحـــدة منهـــن أسرار
لا تنقضي ولها في اللفظ أســـرار
إن رمت حصر معانيها بما سَمِعَـــت
أذناك ليس لها بالسمع إخصـــار

---

[1] **بحر الرمل.**
[2] **البحر البسيط.**

فاصحب خبيراً بما يرضى الحجـــاب

ستارهـــا وكذلـــك[1] الحـــر ستار

ولعله يكون إن شاء الله كما ذكرته، وأعرّف بما أنشدته. ولي جملة قصائد وأزجال منظومة على البديهة والارتجال، نطق بها لسان المقال، معرباً عما وجدته في الحال، قصدت بها الدخول مع ذلك الفريق، وأودتها غوامض أسرار التحقيق. فمن بعض نكت الكتاب، ما يعجب منه ذوو الألباب، نكتة سر الفقير، يشير إليه بجميع الكائنات، فلا حديث معجم، ولا موجود مبهم، فهو إذا يتكلم دون حده وبلسان وجده، والفقيه يتكلم فوق قدره وبلسان غيره، وهذا ما حضرني في الوقت، مع مزاحمة الشواغل، فتصفحوا، واصفحوا، وتلمحوا واسمحوا. ولكم الفضل في قبول هذه العجالة واليسير من هذه المقالة. انتهى.

***

[1] جعلها د. طويل: ((وكذاك)).

***

علي بن عبد الله

النميري الشّشتري[1]؛ عروس الفقراء، وأمير[2] المتجردين، [وبركة الأندلس؛ لابس العباءة الخرقة][3]؛ أبو الحسن؛ من أهل شِشْتر؛ قرية من عمل وادي آش معروفة[4]. وزقاق الششتري معروف بها. وكان مجوّداً للقرآن، قائماً عليه، عارفاً بمعانيه، من أهل العلم والعمل.

حاله

قال شيخنا **أبو عثمان بن لُيون** في صدور تهذيبه لرسالته العلمية: الإمام الصوفي المُتَجرّد. جال [البلاد][5] والآفاق، ولقي المشايخ، وسكن الرُّبُط وحج حجات، وآثر التجرَّد والعبادة. وذكره القاضي **أبو العباس الغُبْريني**، قاضي **بجاية**، [في كتابه المسمى **عنوان الدّراية فيمن عُرف**

[1] لـه ترجمـة في عنـوان الدرايـة، ونفـح الطيـب، ومقدمـة ديوانـه بتحقيـق د. علـي سـامي النشـار.
[2] في الزيتونـة: ((إمـام)).
[3] في الإسكوريـال: ((وبركـة لابسـي الخرقـة)).
[4] يعتقد عنـان أنهـا هي القريـة المسمـاة اليـوم: Charches؛ والـتي تبعد عن وادي آش بـ 15 كيلـم تقريبـاً.
[5] هـذه الإضافـة مـن الزيتونـة.

في المائة السابعة بمدينة بجاية][1] وقال: الفقيه الصوفي الصالح العابد، **أبو الحسن الشّشتري** من الطلبة المحصّلين[2]، والفقراء المنقطعين، له علم [وعمل][3] بالحكمة، ومعرفة بطريق الصوفية، وله تقدم في النظم والنثر، على طريقة التحقيق. وأشعاره في ذلك، وتواشيحه ومُقَفَّياته وأزجاله، غاية في الانطباع. وكان كثيراً ما يجود عليه القرآن. ونظمه في التحقيق كثير.

مشيخته

أخذ عن القاضي **محيي الدين أبي القاسم محمد بن إبراهيم بن الحسين بن سراقة الأنصاري الشاطبي**، وعن غيره من أصحاب **السُّهْرَوردي** صاحب **العوارف والمعارف**. واجتمع **بالنجم بن إسرايل**[4] **الدّمشقي**؛ الفقير سنة خمس وستماية[5]. قال: ألفيته على قدم التجرد، وله أشعار وأذواق في طريق القوم، وكان من الأمراء وأولاد الأُمراء،

---

[1] سقطت هذه العبارة في الإسكوريال.
[2] في الزيتونة: ((المخلصين)).
[3] هذه الإضافة من الزيتونة.
[4] في الزيتونة: ((إسراومل)).
[5] الموافق لـ 1208م.

فصار من الفقراء وأولاد الفقراء، وخدم **أبا محمد بن سبعين**، وتلمَّذ له. وكان الشيخ **أبو محمد** دونه في السّن، لكن استمر[1] باتّباعه، وعول على ما لديه، حتى صار يعبر عن نفسه في منظوماته وغيرها، **بعبد الحق بن سبعين**، وبه استدل أصحاب **أبي محمد** على فضله. ويقال إنه لما لقيه يُريد المشايخ، إن كنت تريد الجنة، فصر[2] إلى الشيخ **أبي مدين**، وإن كنت تريد رب الجنة فهلم. ولما مات الشيخ **أبو محمد**، انفرد بعده بالرياسة والإمامة على الفقراء والمتجرّدين والسَّفَّارة، وكان يتبعه في أسفاره ما ينيف على أربعماية فقير، فيقسمهم الترتيب في وظايف خدمته.

كراماته

قالوا: نادى يوماً وهو مع أصحابه في برّية، **يا أحمد**، فقال أحدهم: ومن هذا؛ فقال: تُسرُّون به غداً. فلمّا وردوا من الغد **قابس**؛ وجدوا **أحمد** قد جاء من الأسر، فقال: صافحوا أخاكم الْمُنَادى بالأمس. قالوا:

---

[1] في الزيتونة: ((استقرا)).
[2] هكذا.

ودخل عليه **ببجاية**، **أبو الحسن بن علاّل** من أمنايها، وهو يذكر في العلم، فأعجبته طريقته، فنوى [1] أن يؤثر الفقراء من ماله بعشرين دنيراً. ثم ساق شطرها، وحبس الباقي ليزودهم به، فرأى **النبي** صلى الله عليه وسلم في النَّوم، ومعه **أبو بكر وعمر**، فقال: ادعُ لي يا رسول الله، فقال **لأبي بكر** أعطه، فأعطاه نصف رغيف كان بيده، فقال له الشيخ في الغد: لو أتيت بالكل، لأخذت الرغيف كله.

تواليفه

له كتاب: ((**العروة الوثقى في بيان السنن وإحصاء العلوم**)). وما يجب على المسلم أن يعمله ويعتقده إلى وفاته. وله ((**المقاليد الوجودية**[2] **في أسرار إشارات الصوفية**))، وله ((**الرسالة القُدسية في توحيد العامة والخاصة**)). و((**المراتب الإيمانية والإسلامية والإحسانية**)). و((**الرسالة العلمية**))، وغير ذلك.

---

[1] في الزيتونة: ((فنودي)).
[2] في الإسكوريال: ((الموجودية)).

دخوله غرناطة

دخلها ونزل برابطة العقاب، وتكرَّر إليها، إذ بلده من عِمالتها.

شعره

من ذلك قوله [1]:

لقد تِهْت عُجْبــاً بالتجرُّد والفقــر
فلم أندرج تحت الزمان ولا الدهر
وجـــاءت لقلــبي نفحـــةٌ قدسيـــة
فغبت بها عن عالم الخلق والأمـــر
طويتُ بساط الكون والطيُّ نشـــره
وما القصد إلا الترك للطيِّ والنَّشْر
وغمضتُ عين القلب عن غير مُطلّــق [2]
فألفيتـــــني ذاك الملقــب بالغيــــر

---

[1] **البحر الطويل.**
[2] **في النفح: ((...القلب غير مطلق)).**

وصلتُ لمن لم تنفصل عنه لحظة
ونزَّهت من[1] أعني من الوصل والهجر
وما الوصــــف إلا دونه غير أنني
أريد به التشبيه[2] عن بعض ما أدري
وذلك مثل الصـــوت أيقظ نايمـــاً
فأبصر أمرا جل عن ضابط الحصـــر
نقلـــت[3] له الأسماء تبـــغي بيانـــه
فكانت له الألفاظ ستراً على ستـــر

ومن شعره أيضاً قوله في الغرض المذكور [4]:

من لامـــني لو أنـــه قـــد أبصـــرا
ما ذقتـــه أضـــحى بـــه متحيِّـــرا
وغدا يقـــول لصحبـــه إن أنتـــم[5]
أنكرتـــم[6] مـــا بي أتيتـــم منكـــرا

[1] في النفـح: ((عـن)).
[2] في الديـوان، والنفـح: ((التشبيـب)).
[3] نفسهمـا: ((فقلـت)).
[4] البحـر الكامـل.
[5] في الديـوان: ((أنتمـوا)).
[6] نفسـه: ((أنكرتمـوا)).

شـــذَّت[1] أمور القوم عن عاداتهـــم
فلأجـــل ذاك يقال سحر مفتـــرى

ومـن شعـره القصيـدة الشهيـرة ولـها حكايـة [2]:

أرى طالبـــاً منا الزيادة لا الحسنى
بفكر رمى سهماً فعدّى به عدنـــا
وطالِبَنَـــا مَطْلوبُنـــا من وجودنـــا
يغيب[3] به[4] لدى الصَّعق إن[5] عنَّـــا
تركنا حظوظاً من حضيض لحوطتنا[6]
إلى[7] المقصد الأقصى إلى المقصد[8] الأسْنى
ولم نلْف كون[9] الكون إلا توهُّمـــاً
وليس بشيءٍ ثابت هكذا[10] الفيْنـــا

---

[1] في الزيتونـة، والنفـح: ((شـردت)).
[2] البحـر الطويـل.
[3] في النفـح: ((نـغيـب)).
[4] في الديـوان، والنفـح: ((نغيـب بـه عنّـا)).
[5] في الديـوان: ((إذْ)).
[6] نفسـه: ((لَحوظِنـا)).
[7] نفسـه: ((مـع)).
[8] نفسـه: ((المطلـب)).
[9] نفسـه: ((كنـه)).
[10] كتبـت بهـذا الشكـل أيضـاً في الديـوان؛ بينمـا جعلهـا د. طويـل: ((هـاك))

فرفض السِّوى فرض علينا لأنَّنــا
أُناس بمحو[1] الشّرك والشرك[2] قد دنا
ولكن[3] كيــف السبيــل لرفضــه
ورافضه المرفوض نحن وما كنــا
فيا قابلا[4] بالوصــل والوقفــة التي
حُجِبت بها اسمع وارعوي مثل ما أبْنا
تبدت لــك الأوهــام لما تداخلــت[5]
عليك ونور العقل أورثك الشَّجَنــا[6]
الشَّجَنــا[6]
وسَمَــت[7] بأنوار فهمنــا أُصولهــا
ومَنْبَعُهــا من أين كان فما سُمنــا[8]
سُمنــا[8]

---

[1] في الديوان: ((بملـة محـو)).
[2] نفسـه: ((والشـك)).
[3] نفسـه: ((ولكنـه)). بينمـا تصـرف د. طويـل؛ فجعلهـا: ((ولكنمـا)).
[4] نفسـه: ((قائـلاً)).
[5] نفسـه: ((تَقيَّدْت بالأوهـام لمّـا تداخلـت)).
[6] نفسـه: ((السجنـا)).
[7] نفسـه: ((وهِمـت)).
[8] نفسـه: ((فمـا همنـا)).

وقد تحجب الأنوار للعقل[1] مثل ما
تبعد[2] من إظلام نفس حوت ظعنـــا[3]

ظعنـــا[3]

وأتى دجـــال[4] في القَضِيَّة يـــدَّعي
وأكمل من في الناس لمن[5] صدع الأمنا

فلو[6] كان سر اللـــه يلحـــق[7] هكـــذا
لقال لنا الجمهور ها نحن ما خبنا

وكـــم دونـــه مـــن فتنـــةٍ وبليـــةٍ
وكم بهمـــةٍ من قبـــل ذلك قد جُبْنا

وكـــل مُقـــام لا تقُـــمْ فيـــه إنـــه
حجاب فجِدَّ السَّير واستجد العَوْنا

---

[1] في الديـوان: ((للعبـد)).
[2] نفسـه: ((تقيـد)).
[3] نفسـه: ((ظغنـا))؛ بالغين المعجمـة.
[4] نفسـه: ((وأي وصـال في القضيـة يـدعى))؛ بينمـا جعلهـا د. طويـل: ((وأتَّى دجـال)).
[5] نفسـه: ((وأكمـل مـن في النـاس لـم يـدع الأمنـا))؛ بينمـا جعلهـا د. طويـل: ((في النـاس مـن..)).
[6] نفسـه: ((ولـو)).
[7] نفسـه: ((يـدرك)).

ولا تلتفـــت في السَّيـــر وكل مـــا[1]

سوى الله غيرٌ فاتخذ ذكره حصنا

ومهما ترى كل المراتب تُجْتَـــلى

عليـــك فحُل عنها فعن مثلها حلنا

وقل ليس لي في غير ذلك[2] مطلب

فلا صورة تجلى ولا طُرفة تجنى

وسِرْ نحـــو أعلام اليميـــن فإنهـــا

سبيلٌ بها يمنٌ فـــلا تترك اليُمْنـــا

أمامك هـــول فاستمـــع لوصيَّـــتي

عِقَـــال من العَقل الذي منه قد تبنا

أيام الورى[3] بالمشكـــلات وقبلهـــم

بأوهامـــه قـــد أهلك الخرَّ[4] والبنَّـــا

[1] ورد هذا الشطر في الديوان هكذا: ((فلا تلتفت في السير غيراً وكل ما)). وتصرف د. طويل؛ فجعل الشطر هكذا: ((ولا تلتفت في السير إذ كل ما به)).

[2] في الديوان: ((ذاتك)).

[3] نفسه: ((أباد الورى))؛ بينما جعلها د. طويل: ((إمام الورى)).

[4] نفسه: ((الجن)).

محجَّتنـــا قطع الحجا وهو حجُّنـــا

وحُجَّتُنـــا شلـــوه ها بهـــا همنـــا[1]

يثبتنـــا[2] عنــــد الصعــود لأنــه

يوَدُّ لأنـــا للصَّعيـــد قـــد أَخْلَدنـــا

تلـــوح لنـــا الأطـــواق[3] منه ثلاثة

كـــرآ هربـــن ورؤيـــة مـــا قلنـــا[4]

ويظهر باسمه للسِّر والنفس مُدبراً

وعقلاً وخيراً مُقبلاً عندمـــا يدنـــا[5]

ولوح[6] إذا لاحت سطـــور كتابنـــا[7]

له فيه وهو النُّون[8] فالقلـــم الأدنـــا

---

[1] في الديـوان: ((وحجتنـا تتلـوه بـاء بهـا تهنـا)).
[2] نفسـه: ((يبطئنـا)).
[3] نفسـه: ((الأطـوار)).
[4] ورد هـذا الشطـر في الديـوان هكـذا: ((كـرّاء ومَـرْئِيٍّ ورؤيـة مـا قلنـا))؛ بينمـا جعلـه د. طويـل: ((كـراء وهـارب ورؤيـة مـا قفلنـا)).
[5] ورد في الديـوان في موضـع هـذا البيـت مـا يـلي:
((ويبصـر عبـداً عند طور بقائه * ويرجع مولى بالفنـا وهو يفـنى)).
[6] في الديـوان: ((ولوحـاً)).
[7] نفسـه: ((كيانـنـا))
[8] نفسـه: ((اللـوح)).

وعرش وكرسي وبـــرج وكوكب

وحشىً لجسم الكل في وصفه حِرْنا[1]

تمر خطوط الذهــن[2] عند التفاتتـــا

حاطته القصوى[3] التي فيه أحضرنا[4]

أحضرنا[4]

مُقْطَــعٌ بالأزمـــان للدهـــر مثـــل[5]

يكيـــف للأجسام من نحلته[6] أينـــا[7]

أينـــا[7]

أقـــام دوين الدهـــر مدرة[8] ذاتــــه

ونحن ونفس الكل في بحره عُمنـــا[9]

وفتَّـــق للأمـــلاك[10] جوهره الـــذي

يشكّلـــه سرُّ الحـــروف فحرفنـــا[1]

---

[1] جـاء هذا البيـت في الديـوان هكـذا:
((وعرشاً وكرسياً وبرجاً وكوكباً * وحشواً لجسم الكل في بحره عمنـا)).

[2] في الديـوان: ((يكدّ خطـوط الدّهـر عنـد التفاتـه)).

[3] جعلهـا د. طويـل: ((للقصـوى)).

[4] في الديـوان: ((أظهرنـا)).

[5] نفسـه: ((يقيـد بالأزمـان للدهر مثـل مـا)).

[6] نفسـه: ((في ذاتـه))؛ وجعلهـا د. طويـل: ((نحلـة)).

[7] ورد هـذا الشطـر في الديـوان هكـذا: ((يكيـف الأجسـام مـن ذاتـه الأبنـا)).

[8] نفسـه: ((سـدرة)).

[9] نفسـه: ((ونحـن ووصـف الكـل في وصفـه حرنـا)).

[10] نفسـه: ((لأفـلاك)).

[1] نفسـه: ((بحرفينـا)).

يفرق مجمـــوع القضية ظاهــراً
ويجمع فرقـــاً من تداخلـــه فزنـــا
وعدَّد شيئاً لم يكـــن غير واحـــد
بألفاظ أسمايهـــا[1] شتّـــت المعنى
ويعرِّج والمعـــراج منـــه ذواتـــه[2]
لتطويره العُلويّ بالوسم[3] أسرينـــا
فليفـــلّ[4] سفليـــاً ويوهـــم أنـــــه[5]
لسفليِّـــه المجهول بالذات أسبطنـــا[6]
يقـــدر خصلاً[7] بعد وصل[8] لذاتـــه
وفَـــرْض مسافـــات يجد لها الذهنا[9]

---

[1] في الديـوان: ((بألفـاظ أسمـاء بهـا...)).
[2] نفسـه: ((منـه لذاتـه)).
[3] نفسـه: ((بالوهـم)).
[4] جعلهـا د. طويـل: ((ليفلـل)).
[5] في الديـوان: ((ويجعل سفليهـا ويوهـم أنـه)).
[6] نفسـه: ((لسفليِّـه المجعول بالـذات بالـذات أهبطنـا)).
[7] نفسـه: ((وصـلاً)).
[8] نفسـه: ((فصـل)).
[9] نفسـه: ((يجذلهـا الدهنـا)).

يحـــل لهـــا طـــور المغبة شكلـــه[1]

وإن لمعـــت فيه فيلحقـــه المفنـــا[2]

ويلحقـــــه بالشَّـــرط[3] من مُثْنويَّـــة

يلـــوح بها وهـــو الملوح والمَبْنَـــا[4]

فنحن كدُود القَـــزِّ يحصُرنا الـــذي

صنعنا بدفع الحصر سجنـــاً لنا منا

فكم واقفٍ أردى وكم ساير هـــذا[5]

وكم حكمة أبدى وكم مملق أغـــنى

وتيِّم أربـــاب[6] الهرامِـــس كلهـــم

وحَسْبُك من سقراط أسكنـــه الدِّنَّـــا

وجـــرد أمثـــال العوالـــم كلهـــا

وأبدى لأفلاطـــون في المثل الحسنى[7]

---

[1] في الديـوان: ((يجلـى لنـا طـور المَعِيَّـة شكـة)).
[2] نفسـه: ((وإن لمعتت منـه فلتلحـق المينـا)).
[3] نفسـه: ((ويُلْحِقُهـا بالشـرك)).
[4] نفسـه: ((والمثـنى)).
[5] نفسـه: ((هَدَّى)).
[6] نفسـه: ((البـاب)).
[7] نفسـه: ((وأبـدأ أفلاطـون في أمثـل الحسـنى)).

وهام أرسطو حتى[1] مشى من هيامـــه
وبـــثَّ الذي ألقى إليه وما ضنَّـــا
فكان[2] لذي القَرْنين عوناً على الذي
تبـــدَّا به[3] وهو الذي طَلَبْنه[4] العينا
ويفحص[5] عن أسباب ما قد سَمِعْتُم
وبالبحث غطَّى العين إذ ردّه عينا[6]
وذوّق للحــــــلاّج طعـــم اتّحـــاده
فقـــال لنا من لا يُحْبِـــط[7] به معنى
فقال[8] له ارجع عن مقالـــك قال لا
شربت مُداماً كل من ذاقهـــا غَنَّى

---

[1] هذا ورد أيضاً في الديوان؛ بينما أسقط د. طويل: كلمة ((حتى))، ووضع بدلها كلمة: ((أن))؛ فأضحت: ((وهام أرسطو أن مشى...)). دون أن يذكر مصدره في ذلك.
[2] في الديوان: ((وكان)).
[3] نفسه: ((تبدى له)).
[4] نفسه: ((طلب)). بينما جعلها د. طويل: ((طليه)).
[5] نفسه: ((ويبحث)).
[6] نفسه: ((غينا))؛ بالغين المعجمة.
[7] نفسه: ((من لا يحيط)).
[8] نفسه: ((فقيل)).

وانطق[1] للشّبــلي بالوحـــدة الـــتي

أشـــار بها لما محا عنده الكونـــا

أقام لذات الصُّغــرى لنا حولهـــا[2]

يخاطـــب بالتَّوحيـــد إذ رده خدنا[3]

وكان خطا بابين ذاتين من يكـــن[4]

فقيراً يرى البحر فيـــه قد عمنـــا[5]

فاصمت للحُسْنِيّ[6] تجريـــد خلقـــه

مع الأمر إذا[7] صحت فصاحته لُكْنا

تثنى قضيب البان من سكر[8] خمره

وكان كمثـــل العمـــر[9] لكنـــه ثنَّـــا

---

[1] في الديـوان: ((وانطلـق)).
[2] في الديـوان: ((وكـان لـذات النفـريِّ مولِّهـا)). وتصـرف د. طويـل؛ فجعلهـا: ((أقـام لـذات الصغريين لنـا حـولا)).
[3] نفسـه: ((يخاطب بالتوحيـد صَيَّره خدنـا)).
[4] نفسـه: ((وكـان خطيبـاً بيـن ذاتَيْن مـن يكُـن)).
[5] نفسـه: ((فقيـراً يـر البحـر الـذي فيـه قد غصنـا)).
[6] نفسـه: ((وأصمـت للجـنيِّ)).
[7] نفسـه: ((مـن الأمـر إذ صـارت)).
[8] نفسـه: ((شـرب)).
[9] نفسـه: ((فكـان كمثـل الغيـر)).

وقد شَــذَّ بالشُّوذيِّ عن ثوبه[1] فلم
يمل نحو أحــوازٍ ولا سكن الدنـــا[2]
وأصبـــح فيه السهروَرْديِّ حايــراً
يُصيخ لما يلــقى[3] الوجود له أذنـــا
بعُمر بن[4] الفـــارض الناظم الـــذي[5]
تجرَّد للأسفـــار إذ سهل الحَزنـــا
ولابن قَسيٍّ خلـــع نعلي[6] وجـــوبٍ
وليس أخاً طلب من المجد قد تبنا[7]
أقام على ســـاق المســـرَّة نحلـــه[8]
لمن زمن الأسرار فاستمطر المُزْنا[9]

[1] في الديـوان: ((توعـه)).
[2] نفسـه: ((يمـلْ نحـو أخـدان ولا ساكـن مُدْنـا)).
[3] نفسـه: ((يصيـخ فمـا يُلْـقي)).
[4] جعلهـا د. طويـل: ((بعـمر علـي...)).
[5] في الديـوان: ((بـه عمـر بـن الفـارض الناظـم الـذي)).
[6] نفسـه: ((خلـع نعل وجـوده)). المقصود هنا هو كتاب (خلع النعلين)؛ الذي ألفه الثائر في غرب الأندلس ضد المرابطين؛ مؤسس طائفة المريدين؛ الداعية المتصوف أحمد بن الحسين بن قسي؛ وذلك في سنة 529هـ.
[7] نفسـه: ((وليـس إحاطـات مـن الحجـر قـد تُيْبنـا)).
[8] نفسـه: ((نجلُهـا)).
[9] نفسـه: ((لما رمـز الأسـرار واستمطـر المزنـا)).

ولاح سَنَى برق من القرب للسنـــا[1]

لنجل ابن سينا الذي ظنَّ ما ظنَّـــا

وقد قلد الطوسي بما قد ذكرتـــه[2]

ولكنـــه نحو التصـــوّف قد حَنَّـــا

ولابن طُفَيْـــل وابن رشد تيقـــظٌ

رسالة يقظان[3] اقتضت فتحه الجفنا[4]

الجفنا[4]

كسا لشعيـــب توب[5] جمعٍ لذاتـــه

فجرّ[6] على حساده الذيل والودنـــا[7]

والودنـــا[7]

وعنه طوَّق الطابي بسبط كنانـــه[8]

بدسكرة الخلاع إذا ذبَّ الوهنـــا[9]

---

[1] في الديـوان: ((مـن الغـرب للنــهى)).
[2] نفسـه: ((وقـد قلـد الطـوسي مـا قـد ذكرتـه)).
[3] المراد بها هي: رسالة حي بن يقظان التي وضعها الفيلسوف الأندلسي ابن طفيل.
طفيل.
[4] في الديـوان: ((رسالـة يقظـان أقـضى فتحـه الحيْنـا)).
[5] نفسـه: ((ثـوبٍ)).
[6] نفسـه: ((يجـرُّ)).
[7] نفسـه: ((والردنـا)).
[8] نفسـه: ((وعنـه طـوى الطـائيُّ بُسـط كيانـه)).
[9] نفسـه: ((بـه سكـرة الخـلاع إذْ أذهب الوهنـا)).

تسمَّى برفع الروح صبــراً ولــم
يبل ما يهز نداً في المقام ولا قرنا[1]
وباح به نجــل الحر إلى عندمــا[2]
رأى كتمه ضعفــا وتلويحه غَيْنــا
وللأمويِّ النَّظم والنثــر في الذي
ذكرنا وإعــرابٌ كما عنه أعربنــا
وأظهر منه الغافــقي لمــا خــفى
وكشَّفَ عن أطواره الغيم والدُّجنــا
وبيــن أســرار العبوديــة الــتي
عن إعرابها لم ترفع اللَّبْس واللحنا[3]
كشفنا غطــاءً من تداخل سرهــا
فأصبــح ظهــراً ما رأيتم له بطنا

[1] جاء هذا البيت في الديوان هكذا:
((تسمى بروح الروح جهرا فلم يبل * ولم يـر نداً في المقام ولا خدنا)).
[2] في الديوان: ((وباح بها نجل الحرالي عندما)).
[3] نفسه: ((عن إعرابها لم يرفعوا اللّبس واللَّجنا)).

هوانـــا الدين الحق من قد تولَّهت[1]
لقربـــــه[2] ألبابنـــا ولـــه هُدْنـــــا
فمن كان يبغي السَّير للجانب الذي
تقـــــدس لازبـــاً خُـــــذْه عنَّـــا[3]

وهذه القصيدة غريبة المنزع، وإن لم تَخْل عن شذوذ من جهة اللَّسان، وضعفٍ في الصناعة، أشار فيها إلى مراتب الأعلام من أهل هذه الطريقة وكأنها مبنية على كلام شيخه الذي خاطبه به عند لقايه حسبما قدمنا، إذ الحسنى الجَّنة، والزيادة مقام النظر، فقوله أرى طالباً منا الزّيادة لا الحسنى، إشارة إلى ذلك والله أعلم. **والغافقي** الذي ختم به هو شيخنا **أبو محمد**، وهو مرسي الأصل غافِقيه، رحم الله جميعهم، ونفعنا بأولي الحَظْوة لديه.

[1] في الديوان: ((((هدانـا لدين الحق مـا قد تولهت)).
[2] نفسه: ((لعزته)).
[3] نفسه: ((تقدس فليأت فليأخذه عنا)).

نثره

وكلامه حسن، ومقاصده غريبة، رضي الله عنه، ونفع به. كتب إليه الشيخ الصوفي **أبو علي بن تادْررْت**؛ لما سافر ولم يودّعه، وكان قد قال له، أغيب عنكم أياماً قلائل وأعود إن شاء الله فأبطأ عنه : ((بسم الله الرحمن الرحيم، الله وحده فقط ليس إلا وصلواته على ملإه المقرب الأعلى، وعلى سيدهم الخاتم **محمد** وآله الهُداة، وسلامُه الحق يخص العليم بسرّه، في عالم الفرق، ورحمته وبركاته، من أخيه حقيقة في العوالم الأول، لا في عالم العلم الحق، من حيث هو موضوعه بحسب الإضاية، بمنزله من **مدينة بنى مدار** عمرها الله وأرشدهم، وليس إلا أنى نعتبكم عرفاً وعادةً، لسفركم دون مُوادعة، بخلاف سيرتكم الأولى من **المشرق الأقصى**، إلى **المغرب الأقصى**، وأما بكون حقيقة الأمر الموحد فلا عتب، بل نقرأ على الماهية سورة الإخلاص، التي تُوحيدها المحض أحاط وأحصى. ثم وعدتم أنكم ولابَّد لا تطول إقامتكم **ببجاية**

كلأها الله، إلاّ ليال [1] قليلة العدد، تأخذون فيها كتبكم وتنفصلون قافلين في أسرع أمد. ثم ظهر غير ذلك من الإقامة إلى هذه المهلة، التي نبا كما عندنا الزمان. وقد ورد من أناس بالتّواتر، أنكم ولابد تصومون هنالك رمضان المعظم على الأمان، فقلنا لحظ البشرية الحيوانية. وعلمنا أن الأمر ليس سراً لأجل القضايا الحكمية الطَّلَبية، والمقادير العلمية السرّية. ولا تتحرك ذرة إلا بإذنه، ولا يُسل عما يفعل، وهم يُسألون في دهره وزمنه، يمحو الله ما يشاء ويثبت، وعنده أم الكتاب. ولكنا أيضاً نقرأ، والله لا يخلف الميعاد. وقد يكون غير الوفاء بالعهد في الخلف لمصالح فيها ﴿وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ * يَعْلَمُونَ ظَاهِراً مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾[2]. والله يفعل ما يشاء. ولا تكن معترضاً. فلا تلوم إلا بحسب فرقنا الأول. وأما من حيث الكمالات الثَّواني والأول، فلا لوم ولا عتب، لرفع المثنوية، وإحالة الكثرة والإضافة،

---

[1] جعلها د. طويل: ((ليالي)).

[2] سورة الروم؛ الآية: 6 وقسم من الآية: 7. وتتمتها: (وَهُمْ عَنِ الآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ).

حتى ليس إلا الوحدة العلمية المعنوية العلية. وبالجملة الله معكم. ولن يَتركم أعمالكم فإن ما يرفع العمد والعماد. قال الله: ﴿ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾ [1] ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾[2]، واللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا تَصْنَعُونَ [3]. والرَّغبة إلى ذاتكم الكاملة الوُجُودية، ذات الكمالات العلمية القُدسية، أن تعجلوا لي، إذ وأنتم مقيمون هنالك [4]:

وأيـــن يجد في علييـــن غرفـــة

وإن شغلتـــم عـــن نسخهـــا[5]

[1] الآيـة كاملـة هكـذا: (وَمَا قدَرُوا اللّـهَ حَقّ قدْرِهِ إذْ قالُوا مَا أنْزَلَ اللّـهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ قُلْ مَنْ أنْزَلَ الكِتَابَ الذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُوراً وَهُدًى لِلنّاسِ تَجْعَلُونَـهُ قرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيراً وَعُلِّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أنْتُمْ وَلاَ آباؤُكُم قُلِ اللّـهُ ثُمّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ). سورة الأنعام؛ الآيـة: 91.
[2] الآيـة كاملـة هكـذا: (هُوَ الذِي خَلَقَ السّمَاوَاتِ وَالأرْضَ فِي سِتّةِ أيّامٍ ثُمّ اسْتَوَى عَلَى العَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الأرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللّـهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ). سورة الحديد؛ الآيـة: 4.
[3] إحالـة إلى قولـه تعـالى: (أفَمَنْ زُيّنَ لَـهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنـاً فَإنّ اللّـهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلاَ تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ إنّ اللّـهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ). سورة فاطر؛ الآيـة: 8.
[4] البحر الطويل.
[5] هذا الشطر مختل.

والحق لا يشغله شأن عن شأن، فوجهوا إلي بها بعض الفقراء والإخوان، وأنا أقسم عليك في ذلك يا أخي وسيدي بالسّر فقط الذي يشغله أبداً سرمداً الله فقط، وأن تعجل لي بذلك، وتُحيي مَوَاتي، وتجمع أشتاتي، مع كلام تعتنوا لي به من كلامكم تخصُّوني به في كرَّاس مبارك، علَّمني الله العليم الحكيم منكم سرَّ علمه العظيم، وحكمته المحيطة، وكفانا سرَّ هذه العوالم الأرضية المركبة الخطيطة، ونقلنا من البسيطة لغة إلى العوالم الرَّيسة النفيسة البسيطة، ويرقينا به عنها إلى أن نتصل الحظَّ المنفصل للتدبير بنقطته الأولى، وإن كان في الحقيقة، ما انفصل، ويدخلها حضرة عِلمنا المحيط الوُجودي، الذي ليس وراءها محيط إليه يرقى ويتصل. والسلام الحق محض مظهره ومجلاه ومرآته، ورحمة الله وبركاته)).

فراجعه الشيخ **أبو الحسن الشّشتري** المترجم به رضي الله عنه بما نصه: ((بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على **النبي محمد**، المرسل بالحق لإدحاض الشَّك، وإيضاح الغلط، الموصل على أقرب السبيل للحضرة

الآلهية، ومن شَطَط المختص بجوامع الكَلَم، المبكت لكل من موَّه وسَفْسَط، المبعوث بكلمة الإخلاص، التي حاصلها الله فقط، ورضي الله عن مظهر الوراثة المحمدية في كل زمان، المترجم عن كنز الوجود الذي طلَّسمه الإنسان، وسلام الله ورحمته على المستمع بأذن أنيته لذلك التُّرجمان، المُتَجوهر بمقام الإسلام والإيمان والإحسان، القاري على أخباره المنبعثة في أرض فرقة، كلٌّ من عليها فان، بالمعنى الفقير الباطن، للسَّيار الظاهر، المشير الحايم على سلب الإسمين، الدَّاير على دايرة قاب قوسين المشهور في العالم الأول، **بأبي علي الحسين** من خبر ماسية، الوارث الطالب لذاته بها للوصل له. وهو به عنه باحث، المنظور في ذات كمالاته، المنعوت بالوافي لا بالناكث، المعتصم بحبل التحقيق، القايل بالحق، عبده **علي الشّشتري**، ابن إفادتكم **عبد الحق ابن سبعين**، أما قبل من حيث الأصل، ومع من حيث الوَصْل، وبعد من حيث الفصل، فإني أقسم بالبدر إذا أدبر، والصبح إذا

أسفر [1]، أن النصاب واقع من حيث الصور، لا من حبَّة حقيقة المظهر. فأين هنا أنت أو أنا، أو قبل أو بعد أو **هند** أو **دَعْد**، أو خِلْف أو وعد، ولابد من المراح في ميدان الخطاب وبيان المتشابه عليكم، المودع عليكم في هذا الكتاب. فأول عايق عنكم مرض أحد الأصحاب، ولا انفكاك عند وجود هذه القضية، عند كل طايفة سِنِّيَّة، فما ظنك بالسَّبْعينية، هذا مع وجود وعد مُبين، وزمان معين. ونحن لم نُعيَّن للموضوع وقتاً، ولو عيَّنا لكبر عند الله مُقْتاً. وإنما قلنا أيام قلايل، ويدخل في ذلك الجمعة والشهر والعام القابل. بل برزخ العالم وإنايه عند النحرير العاقل. ثم لو عيَّنا يوماً أو يومين أو جمعتين، ولم يكن، فقلب المؤمن بين إصبعين. أما علمت أن الوعد المزعوم المراد منه الذي تتضمنه، صعقة العمود بالبعد أو بالتواني أو بالحواس أو بالمعاني. والمُسْكر هو الجريال لا الأواني. وأما قضية الوداع، فقد ارتفع بين الفقراء فيها النزاع، ووقع من الصوفية في ذلك الإجماع، أن الاجتماع من غير

[1] **إحالة إلى قوله تعالى: (وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ * وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ). سورة المدّثر؛ الآيتان: 33 - 34.**

ميعاد، والافتراق عن غير مشورة، وقول إنه من حيث المذهب لازم بالضرورة، فإن المودع لا يخلق أن يكون من ترية الفرس والسبع، أو في مقام الفردانية والجمع، أو في البرزخ الذي بين المقامين، المُعبَّر عنه عند الصوفية بالفناء. فإن كان في الوَتريَّة، فلا أنت ولا أنا، ولا مودع، وقلة العتب لهذا أليق وأطبع. وإن كان في برزخ الفنا، فمن المُودع هنا، وإن كان في الفرق هنا. وإن كان في الفرق، فترك المودع أقرب إلى الحق لألم التفرقة، الموجود المحسوس، المعترض عند ذلك للنُّفوس. واعلم أن الانفصال كان بالطريق عند من يرى بالانفصال والاتّصال، ولا نُقْلة عند ذوي الاتصال وأما نكرة عرفة فهي عند الشيخ **أبي عبد الله التَّوزري** لا عندي، ولو كانت ما ضننت بها بحمد الله لا بحمدي. والسلام على موضوعك ومحمولك وسُلوكك ووصُولك، وجمعك وفَرْقك، وعبوديتك وحقك، بل على جملته الصالحة، ورحمة الله وبركاته)).

وفاته

قالوا إنه لما وصل **بالشام** إلى ساحل **دمياط**، وهو مريض مرضه الذي توفي منه، نزل قرية هناك على ساحل **البحر الرومي؛** يُصاد فيها السمك، وقال ما اسم هذه القرية، فقيل **الطَّينة**، فقال: حنت الطينة إلى الطينة؛ ووصى أن يدفن **بمقبرة دمياط،** إذ **الطينة** بالمفازة بالساحل، **ودمياط** أقرب المدن إليها، فحمله الفقراء على أعناقهم، فتوفي بها يوم الثلاثاء سابع عشر صفر عام ثمانية وستماية [1]، ودفن بمقبرة دمياط.

***

[1] **أضاف د. طويل كلمة: ((وستين))؛ فغدت: ((ثمانية وستين وستمائة؛ الموافق لـ 1269م. وولد الششتري في عام 610هـ/1213م.**

وفي سائر الأسماء من حرف العين الأعيان والوزراء والأماثل والكبراء

***

عامر بن محمد

ابن علي الهنتاتي [1]، رئيس مُتَبّوإٍ قبيلةٍ، من جبل دَرَن، ومِزْوار المصامدة، والمُطْلقة يُده على جباية الوطن المراكشي، يكنى أبا ثابت.

حاله

هذا الرجل حسن الشكل، حصيف العقل، ثابت الجأش، معروف الأمانة والصدق، عفيف الفرج، مؤثر للجد، ماضي الحَذَر بأهل الحكم، نزيه اليد، مشهور بالرَّجاحة، عين من عيون الحدود الغربية، وبقيةٌ من بقايا الجلَّة العلمية، مُسَدَّد اللسان للإبانة عن الأغراض، مختصر البزَّة والحِلية، متوسط الجود، مؤثر للخُصُوصية، بعيد النظر، سديد الرأي.

[1] نسبة إلى قبيلة هنتاتة الأمازيغية.له ترجمة أيضاً في نفح الطيب.

قدِمْتُ عليه بمحله من الجيل[1]، زايراً متوفى السلطان **أبي الحسن**، مستجيراً حِماهم، فبلوت من برّه، وبر الرييس النَّدِي **عبد العزيز** أخيه، ما تَقْصُر عنه همم الملوك، وتقف دونه آمال الأشراف، تلقّياً واحتفالاً وفرشاً، وآنية، وطعاماً، وصلة وانتخاباً، واحتشاماً، وألطافاً، حسبما يتضمن بسط ذلك **كتاب الرحلة**[2] من تأليفي.

وأنشدتهم عند رحيلي، وقد رأيت إلى ما يُبْقي الذكر ويخلّد الآثار شيم السادة، ودَيْدن الروساء[3]:

يا حسنها من أَربُع[4] وديار
أضحت لباغي الأمن دار قرار
وجبال عزٍّ لا تَذِل[5] أنوفها
إلا لعزِّ الواحد القهار

[1] هكذا. ويبدو أن خطأ مطبعي. والصحيح هو: ((من الجبل)).
[2] المقصود بكتاب الرحلة هو كتاب نفاضة الجراب في علالة الاغتراب؛ حيث وصف فيه رحلته في بعض عمالات المغرب الأقصى، وجبل هنتاتة.
[3] البحر الكامل.
[4] أي من منازل.
[5] في الإسكوريال: ((تعز))؛ وصوبت من نفاضة الجراب، وأزهار الرياض.

ومقــر توحيــد وأُسٌّ خــلافــة

آثارهــا تُنـــبي عــن الأخْبــار

ما كنـــت أحسب أن أنهار النــدى

تجــري بها في جُملــة الأنهــار[1]

ما كنـــت أحسب أن أنوار الحجــا

تَلْتَــاح في قنـــن وفي أحجــار

مَجّت[2] جوانبها البرود وإن تكــن

شبَّت بهــا الأعــداءُ جذوة نــار

هــدَّت بناهــا في سبيــل وفائهــا

فكأنهــا صـــرعى بغيــر عقــار

لما توعَّدهــا على المجــد العِــدا

رَضيت بعَيْث النـــار لا بالعـــار

عَمــرَت بجِلّــة[3] عامــر وأعزَّها

عبــد العزيــز بمُرهــف بتَّــار

---

[1] سقط هذا البيت في الإسكوريال؛ بينما ورد في نفاضة الجراب، وأزهار الرياض.

[2] في النفاضــة، والنفـح: ((محَّـت))؛ بالحـاء المهملـة.

[3] في النفـح، والأزهـار: ((بجلـة))؛ بالجيـم المعجمـة.

فرسًا رهـــان أحرزا قصب الندى

والبأس في طلـــق وفي مضمـــار

ورثا عن النـــدب الكريم[1] أبيهمـــا

محـــض الوفاء ورفعـــة المقـــدار

وكذا الفـــروع تطول وهي شبيهة

بالأصـــل في ورق وفي أثمـــار

أزرت وجوه الصيـــد من هنتاتـــة

في جوهـــا بمطالـــع الأقمــــار

للـــه أي قبيلـــة تركـــت لهـــا الـــ

ـــنظـــراء دعوى الفخر يوم فخار

نصرت أمير المسلميـــن وملكـــه

قد أسلمتـــه عزايـــــم الأنصـــار

وآوت[2] عليـــاً عندمـــا ذهب الرّدى

والـــروعُ بالأسمـــاع والأبصـــار

---

[1] في النفـح، والأزهـار: ((الكبيـر)).
[2] في النفاضـة: ((آوت))، وفي الأزهـار: ((وارت)).

وتخاذل الجيش اللهام وأصبح الـ
ـأبطـال بيـن تقاعُـدٍ وفـرار
كُفُـرت صنائعُـه فيمـم دارهـا
مُسْتظهـراً منهـا بعـز جـوار
وأقـام بيـن ظهورهـا لا يتـقي
وقـع الـردى وقد ارتمى بشرار
فكأنهـا الأنصـار لمـا آنسـت[1]
فيمـا تقـدَّم غربْـة المختـار
لما غـدا لحظـاً وهُـم أجفانـه
نَابَـتْ شِفارهـم عـن الأشفـار
حـتى دعـاه اللـه بين بيوتهـم
فأجـاب مُمتثـلاً لأمـر البـار
لو كان يمنع من قضـاء اللـه ما
خلصت إليـه نوافـذ الأقـدار
قد كان يأمل أن يكافىء بعض ما
أولـوه لـولا قاطـع الأعمـار

[1] في النفـح، والأزهـار: ((أَنَّسَت)).

ما كان يقنعــه لــو امتــد المــدا

إلاَّ القيــامُ بحقّهـــا مـــن دار

فيعيــد ذاك المـــاء ذايب فضـــة

ويعيــد ذاك التـــرب ذوب نضار

حتى تفــوز على النوى أوطانهـا

مــن ملكــه بجلايــل الأوطــار[1]

حتى يلوح على وجــوه وجوههــم

أثــر الرعايــة[2] ساطــع الأنــوار

ويســوغ الأمــل القصي كرامهــا

من غير ما ثُنْيــا[3] ولا استعصـــار

ما كان يرضي الشمس أو بدر الدجا

عــن درهــم فيــه[4] ولا دينـــار

أو أن يتــوِّج أو يقلّــد هامهــا

ونحورهــا بأهلـــةٍ[5] ودراري

---

[1] أي بعظم الأغراض والمقاصد..

[2] في النفح، الأزهار: ((العناية)).

[3] أي بغير استثناء.

[4] في النفح، والأزهار: ((فيهم)).

[5] في النفاضة: ((بإهالة)).

حق على المــولى ابنـــه إيثار ما
بذلـــوه مـــن نصـــرٍ ومن إيثـــار
فلمثلهـــا ذُخِـــر الجـــزاءُ ومثلـــه
من لا يضيع صنائـــع الأحـــرار
وهـــو الذي يقـــضي الديون وبرُّه[1]
يُرضيـــه في عَلَـــن وفي إســـرار
حتى تحـــج محلَّـــة رفعـــوا بهـــا
علـــم الوفـــاء لأعيـــن النظـــار
فيصيـــر منها البيـــتُ بيتاً ثانيـــاً
للطائفيـــن إليـــــــه أي بـــــدار
تُغـــني قلـــوب القوم عن هدي به
ودموعُهم تكـــفي لـــرَمْي جمـــار
حيُيـــت من دارٍ تكفَّـــل سعيهـــا الـــ
محمود بالزلـــفى وعقبى الـــدار

[1] في النفاضـة: (ومتلـه)).

وضفــت عليك من الإلـــه عنايـــة

باكر[1] ليــل فيــــك إثــر نهــار

دخوله غرناطة

دخل **الأندلس**، وحلَّ **بغرناطة** في حدود خمسين وسبعماية[2]، وأقام بها أياماً، وقد أسند إليه السلطان **أبو الحسن** لما رحل عن **إفريقية** حِفْظ حُرَمه وأسبابه، في مراكب كان استقرارها بسواحل **الأندلس** وحضر مجلس السلطان، فراق الحاضرين ملقاه، وضمُّ لسانه لأطراف الحديث، وحسنُ تبويبه للأغراض. ولهذا الرجل في وطن **المغرب** ذكر بعيد، وقد أمسك الأمر مرات، على من استقر لديه من ولد السلطان، ورتَّب له الألقاب والترشيح يُغازله بذلك الوطن. وتنوعت الحال بهذا الرجل، من بعد وفاة السلطان **أبي سالم** ملك **المغرب**، وانحاز إليه ولده فقام بدعوته، ورتب له الألقاب بوطن **مراكش**، ونظر

---

[1] **في النفاضة، والنفح، والأزهار: ((ما كَرَّ)).**
[2] **الموافق لـ 1349م.**

لنفسه أثناء ذلك، فحصن الجبل، واتخذ به القلعة، وأكثر الطعمة والعُدَّة، فلما حاقت بأميره الدَّبْرة، لجأ إلى ما أعده، وهو الآن يزجي الوقت مهادنةً تشف عن انتزاء، والله يهيىء له الخلاص من الورطة، ويتيح له إلى حزب السلامة الفيئة.

***

***

عاشر بن محمد

ابن عاشر بن خلف بن رجا[1] بن حكم الأنصاري؛ بيّاسي[2] الأصل.

حاله

كان رحمه الله فقيها حافظاً للمسايل، مُفتياً بالرأي، معروفاً بالفهم والإتقان، بصيراً بالفتوى، شوور ببلده **وببلنسية**، واستقضاه **أبو محمد بن سمحون** على **باغَة** أيام قضاية **بغرناطة**. إذ كان يكتب عنه ويلازمه، ثم استقضي **بمرسية** أعادها الله وكان حافظ وقته، لم يعاصره مثله.

مشيخته

روى عن أبيه، وتلا بالسبع على **ابن ذروة المُرادي**، ولقي **أبا القاسم بن النحاس**، وأخذ الحديث عن **أبي بحر الأسدي، وأبي بكر بن العربي، وأبي جعفر بن جحدر، وأبي الحسن بن واجب**، وغيرهم.

---

[1] في الإسكوريال: ((مرجا))؛ فصوبها عنان.

[2] نسبة إلى مدينة بياسة التابعة لكورة جيان بالأندلس.

مولـده

ببيَّاسـة سنـة أربـع ؛ وقيـل سـت وثمانيـن وأربعمايـة [1].

وفاتـه

تـوفي **بشاطِبـة**، تسـع وستيـن وخمسمايـة [2].

تواليفـه

شـرح **المُدوَّنـة**؛ مسألـة مسألـة، بكتـاب كبيـر سمـاه ((**الجامـع البسيـط وبغيـة الطالـب النشيـط**)) ؛ حشـد فيـه أقـوال الفقهـاء، ورجـح بعضهـا، واحتـج لـه. قالـوا: وتـوفي قبـل إكمالـه.

***

---

[1] **الموافـق لـ .1091م أو 1093م.**
[2] **الموافـق لـ 1173م.**

عياض بن محمد

ابن محمد بن عياض بن موسى اليحصبي؛ من أهل سَبْتَة؛
حفيد القاضي العالم أبي الفضل؛ يكنى أبا الفضل.

حاله

من **الصّلة**: كان من جلة الطلبة، وذوي المشاركة في فنون من العلوم العقلية وغيرها، فصيحاً، شاعراً، لسِناً، مُفوَّهاً، مِقداماً، موصوفاً بجزالة وحدَّة ، امْتُحن بسببها. وكان مع ذلك كثير التَّواضع، فاضل الأخلاق، سريا، مشاركاً، معظماً عند الملوك، مشاراً إليه، جليل القدر. حضر **الأندلس** أيام قضاء أبيه **بغرناطة**، وغير ذلك الوقت، وجال فيها، وأخذ **بقرطبة وإشبيلية** وغيرهما واستقر أخيراً **بمالقة**، وتأثل بها وبجهاتها أصول أملاك إلى ما كان له.

مشيخته

روى عن أبيه **أبي عبد الله** ، وعن **أبي محمد بن عبد الله** ، **وأبي بكر بن الحداد** القاضي **بسبتة**، **وأبي القاسم بن بَشْكُوال**، **وابن حُبَيش**، **وابن حُمَيد**، **وأبي بكر بن بييش الشَّلطيشي**، وغيرهم.

من روى عنه

قال الأستاذ: روى عنه جماعة ممن أخذت عنهم، منهم ابنه **أبو عبد الله**؛ قاضي الجماعة، **وأبو العباس بن فرتون**، أخذ عنه كثيراً **بمدينة فاس.**

مولده

قال صاحب **الذيل**: سألته عن مولده؛ فقال: ولدت في اليوم التاسع عشر من محرم عام واحد وستين وخمسماية[1] بمدينة **سبتة**.

وفاته

توفي في العشر الوسط من جمادى الآخرة عام ثلاثين وستماية [2] **بمالقة**. وروضته بها في جنَّة كانت له برَبَضِها الشَّرقي. رحمه الله.

***

---

[1] **الموافق لـ 1165.**

[2] **الموافق لـ 1231م.**

عياض بن موسى

ابن عياض بن عمرون بن موسى بن عياض بن محمد بن عبد الله ابن موسى بن عياض اليحصبي[1]؛ القاضي الإمام المجتهد؛ يكنى أبا الفضل؛ سبتي الدار والميلاد؛ أندلسي الأصل، بَسْطيه.[2]

أوليته

من كتاب ولده في مآثره، وهو كنَّاش نبيه، قال: استقر أجدادنا في القدم **بالأندلس** بجهة **بسطة**، ثم انتقلوا إلى **مدينة فاس**. وكان لهم استقرار في **القيروان**، لا أدري قبل حلولهم **بالأندلس** أو بعد ذلك. وكان **عمرون** رجلاً خياراً من **أهل القرآن**، وحجَّ إحدى عشرة حجة، وغزا مع **ابن أبي عامر** غزوات كثيرة. وانتقل إلى **سبتة** بعد سكنى **فاس**. وكان موسراً، فاشترى بها من جملة ما اشتراه الأرض المعروفة بالمنارة، فبنى في بعضها مسجداً، وفي بعضها دياراً حبسها عليه، وهو الآن منسوب إليه،

---

[1] له ترجمة أيضاً في: الصلة، وقلائد العقيان، ووفيات الأعيان، وبغية الملتمس، وتاريخ قضاة الأندلس، وخريدة القصر، والديباج المذهب، وأنباء الرواة، وتذكرة الحفاظ، وعبر الذهبي، وشذرات الذهب، والنجوم الزاهرة، وجذوة الاقتباس، ومرآة الجنان، والمعجم في أصحاب القاضي الصدفي، ونفح الطيب، وأزهار الرياض.

[2] نسبة إلى مدينة بسطة القريبة من وادي آش بالأندلس.

وولد له ابنه **عياض**، ثم ولد **لعياض** ابنه **موسى** ثم ولد **لموسى** القاضي **أبو الفضل** المترجم به.

حاله

قال ولده في تأليفه النبيل: نشأ على عفَّة وصيانة، مرضي الخلال، محمود الأقوال والأفعال، موصوفاً بالنُّبل والفهم والحذق، طالباً للعلم، حريصاً عليه، إلى أن برع في زمانه، وساد جملة أقرانه، فكان من حُفاظ كتاب الله، مع القراءة الحسنة، والنَّغمة العَذْبة، والصوت الجهير. والحظ الوافر من تفسيره وجميع علومه. وكان من أيمة الحديث في وقته، أصولياً متكلماً، فقيهاً حافظاً للمسايل، عاقداً للشروط، بصيراً بالأحكام، نحوياً، ريان من الأدب، شاعراً مجيداً، كاتباً غالباً بليغاً، خطيباً، حافظاً للغة والأخبار والتواريخ، حسن المجلس، نبيل النادرة، حلو الدُّعابة، صبوراً، حليماً، جميل العشرة جواداً، سَمْحاً، كثير الصدقة دروباً[1] على العمل، صلباً في الحق.

[1] في الزيتونة: ((كروبا)).

رحلته وولايته ومنشأ أمره

رحل إلى **الأندلس** سنة سبع وخمسماية[1] فأخذ **بقرطبة ومرسية** وغيرهما، ثم عاد إلى **سبتة**، فأجلسه أهلها للمناظرة عليه في **المُدوَّنة**، وهو ابن ثلاثين سنة أو ينيف عليها. ثم جلس للشّورى ثم ولِّي القضاء، فسار في ذلك حسن السِّيرة مشكور الطريقة. وبنى الزيادة الغربية في الجامع الأعظم. وبنى بجبل الميناء الرابية الشهيرة، وعظُم صيته. ثم نُقل إلى **غرناطة** في أول صفر سنة إحدى وثلاثين وخمسماية[2]، فتلَّقد خُطَّة القضاء بها. ثم وُلي قضاء **سبتة** ثانية. ولما ظهر أمر **الموحدّين** بادر بالمسابقة إلى الدخول في طاعتهم، ورحل إلى لقاء أميرهم بمدينة **سلا**، فأجزل صلته، وأوجب بِرَّه، إلى أن اضطربت أمور **الموحدين** عام ثلاثة وأربعين وخمسماية[3]، وحدث على من كان بقصبتها منهم ما هو معلوم من التغلب عليهم واستئصالهم، ثم

---

[1] **الموافق لـ 1305.**
[2] **الموافق لـ 1136م.**
[3] **الموافق لـ 1148م.**

من رجوع أمورهم، فالتأثت حاله، ولحق **بمراكش** مُشَرَّداً به عن وطنه، فكانت بها وفاته.

مشيخته

ورتبهم ولده حسبما نقل من فهرسته على الحروف.

فمنهم **أحمد بن محمد بن بقي، وأحمد بن سعيد بن مستقر، وأحمد بن محمد بن مكحول وأحمد بن محمد السّلفي،** الشيخ **أبو الطاهر، وأحمد بن محمد بن غَلْبون ابن الحصَّار، وأحمد بن محمد بن عبد العزيز المرحي،** إلى غيرهم من جملة سبعة عشر رجلاً، **والحسن بن محمد الصّدفي بن سُكّرة**، **والحسين بن محمد الغساني، والحسين ابن عبد الأعلى السفاقسي، والحسن بن علي بن طريف، وخلف بن إبراهيم بن النحاس، وخلف بن خلف الأنصاري بن الأنقر، وخلف بن يوسف بن فُرْتون، ومحمد بن عيسى التجيبي القاضي، ومحمد بن علي بن حمدين القاصي، ومحمد بن أحمد التجيبي القرطبي** القاضي **ابن الحاج، ومحمد بن أحمد بن رشد، ومحمد بن سليمن النفزي بن أخت غانم. وأجازه محمد بن الوليد**

الطُّرطوشي، ومحمد بن علي بن عمر المازري، ومحمد بن عبد الله المعافري القاضي **ابن العربي، ومحمد بن عبد الرحمن بن شبرين** القاضي، **ومحمد بن علي الأزدي الخطيب الطليطلي، ومحمد بن علي الشاطبي بن الصقيل**، إلى غيرهم من جملة أحد وثلاثين شيخاً. **وعبد الله بن محمد الخشني، وعبد الله بن محمد بن السَّيد البطليوسي، وعبد الله بن محمد بن أيوب الفهري، وعبد الرحمن بن محمد السبتي بن العجوز، وعبد الرحمن بن محمد بن بقي، وعلي بن أحمد الأنصاري بن الباذش، وعلي بن عبد الرحمن التجيبي بن الأخضر**؛ من جملة من سبعة وعشرين. **وغالب بن عطيه المحاربي، وسِراج بن عبد الملك ابن سراج أبو الحسن، وسفيان بن العاصي الأسدي**؛ من جملة خمسة من الأشياخ في هذا الحرف. **وشريح بن محمد الرعيني الإشبيلي، وهشام بن أحمد القرطبي أبو الوليد ابن العواد، وهشام بن أحمد الهلالي الغرناطي، ويونس ابن محمد بن مغيث بن الصفار، ويوسف بن موسى**

الكلبي؛ سمع منه أرجوزته، **ويوسف بن عبد العزيز بن عتريس الطليطلي.**

شعره

قال مما كتبته من خطه [1]:

أعـــــوذ بـــربي من شـــر مـــا
يخـــاف من الإنـــس والجنـــة
وأسئلـــه[2] رحمـــة تقتـــــضي
عـــــوارف توصـــل بالجنـــة
فمـــا للخـــلان[3] مـــن نـــــاره
سوى فضـــل رحماه من جنة

---

[1] البحر المتقارب.
[2] في الإسكوريال: ((واسلك)).
[3] في أزهار الرياض: ((للخلائق)).

ومن شعره، قال أنشدنيه غير واحد من أصحابنا، فوارحمة الله عليه [1]:

أذاتِ الخلال[2] كم ذا تنتضيها

علي سيوف عينيك انتضاه[3]

بمطلك لي مواعد أقتضيها

من التوريد واللمس اقتضاه[4]

فقضي وعد مطلك وانجزيه

(خيار الناس أحسنهم قضاه[5])

قال، ومما كتبته من خطه [6]:

يا من تحمل عني غير مكترث

لكنه للضَّنى والسَّقم أوصاب

---

[1] البحر الوافر.

[2] في ألأزهار: ((الخلِّ)).

[3] نفسه: ((انتضاء))؛ بالهمزة.

[4] في الأزهار: ((واللعس اقتضاء)).

[5] في الأزهار: ((قضاء)). وهذا الشطر مأخوذ من حديث لرسول الله صلى الله عليه وسلم؛ جاء فيه: عن أبي رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ قال: استسلف رسول الله صلى الله عليه وسلم بكراً؛ فجاءته إبل من الصدقة؛ فأمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أقضي الرجل بكره؛ فقلت لا أجد في الإبل إلاّ جملاً خياراً رباعياً؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((أعطه إياه؛ فإن خيار الناس أحسنهم قضاء)). حديث حسن صحيح.

[6] البحر البسيط.

تركتني مستهـــام القلب ذا خوف[1]

أخا جـــوىً وتباريـــح وأوصــــاب

أراقب النجم في جنح[2] الدجا ولهاً[3]

كأني[4] راصـــدٌ للنجـــم أوصــــاب[5]

أوصــــاب[5]

وما وجـــدت لذيذ النـــوم بعدكـــم

إلا جنى حنظل في الطعم أوصاب

ومن ذلك قوله رحمه الله [6]:

اللـــه يعلـــم أني منـــذ لم أركـــم

كطاير خانـــه ريـــش الجناحيـــن

فلو قدرت ركبت المريخ[7] نحوكـــم

فإن[8] بعدكـــم عـــني جنـــا حيـــن[9]

---

[1] في الأزهـار: ((ذا حرق)).
[2] في الزيتونـة: ((ليـل)).
[3] في الأزهـار: ((سهـراً)).
[4] نفسـه: ((كأنـني)).
[5] نفسـه: ((أو صـابي)).
[6] البحـر البسيـط.
[7] في أزهار الرياض، ووفيات الأعيان: ((البحر))؛ وكتبها د. طويل: ((الريح)).
((الريح)).
[8] في الوفيـات: ((لأن)).
[9] في الأزهـار، والوفيـات: ((حينـي)).

قال، وكتب من خطّه [1]:

يـــا راحليـــن وبالفـــؤاد تحملـــوا
أترى لكم قبـــل الممـــات قفـــول
أمَّـــا الفـــؤاد فعنـــدكـــم أنبـــــاؤه
ولواعـــــج تنتابـــــه وغليـــل
فتـــرى[2] لكم علـــمٌ بمنتزح الكرى
عن جفن صـــبٍّ ليلـــه موصـــول
أودى بعزَّتـــه[3] صبـــــره وإبايـــه[4]
طـــرفٌ أصـــم[5] ومبســـم مصقول
ما ضرَّكـــــم وأضنكـــم بتحيـــة
يحـــيى بهـــا عنـــد الوداع قتيـــل

---

[1] البحـر الكامـل.
[2] في الأزهـار: ((أتـرى)).
[3] نفســه: ((بعزمـه)).
[4] نفســه: ((ولبابـه)).
[5] نفســه: ((أحـمُّ)).

إن الخليـــــل[1] بلحظـــه أو لفظـــه
أو عطفـــه أو وقفـــــه لبخيـــــل[2]

ومما نسبه إليه **الفتح** [3] وغيره، ومن العجب إغفال ولده إياه، قوله يصف الزرع والشقائق فيه [4]:

أنظـــر إلى الـــزرع وخـــاماتـــه
تحكي وقد[5] ماســـت أمام الريـــاح
[كتيبـــــةٌ خضـــراء][6] مهزومـــة
شقائـــق النعمـــان فيهـــا جـــراح

---

[1] في الإسيكوريال: ((النجيل)).
[2] وردد هذا البيت في الأزهار هكذا:
((إن البخيل بلحظة أو لفظة* أو عطفة أو وقفة لبخيل)).
[3] أي الفتح بن خاقان؛ صاحب قلائد العقيان.
[4] البحر السريع.
[5] في روايات المبرزين: ((إذا)).
[6] في قلائد العقيان: ((كتائبا تجفل))، وفي روايات المبرزين: ((كتائب تدبر..))، وفي وفيات الأعيان: ((كتيبة حمراء)).

نثره

وهو كثير. فمن خُطَبِه، وكان لا يخطب إلاّ بإنشايه:

((الحمد لله الذي سبق كل شيءٍ قِدَماً، ووسع كل شيءٍ رحمة وعلماً ونعماً، وهدى أولياءه، طريقاً نهجاً أُمماً، وأنزل على عبده الكتاب، ولم يجعل له عِوَجاً قيّماً، لينذر بأْساً شديداً من لدنه: ﴿وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً حَسَناً * مَاكِثِينَ فِيهِ أَبَداً﴾[1]. أحمده على مواهبه وهو أَحقُّ من حُمد، وأسأله أن يجعلنا أَجْمَع، ممن حَظِي برضاه وسَعُد، وأستعينه على طاعته، فهو أَعزُّ من أستعين واستنجد، وأستهديه توفيقاً، فإن ﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِياً مُرْشِداً﴾[2]، وأشهد أن لا إله إلاّ الله وحده، لا شريك له،

---

[1] الآية كاملة هكذا: (قيّماً لينذر بأساً شديداً مِنْ لدُنْهُ وَيُبَشّرَ المُؤْمِنِينَ الذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أنَّ لَهُمْ أجْراً حَسَناً * مَاكِثِينَ فِيهِ أبَداً). سورة الكهف؛ الآيتان: 2 - 3. وفي قوله تعالى أيضاً: (إنّ هَذَا القُرْآنَ يَهْدِي لِلّتِي هِيَ أقْوَمُ وَيُبَشّرُ المُؤْمِنِينَ الذِينَ يَعْمَلُونَ الصّالِحَاتِ أنّ لَهُمْ أجْراً كَبِيراً). سورة الإسراء؛ الآية: 9.

[2] الآية كاملة هكذا: (مَنْ يَهْدِ اللّهُ فَهُوَ المُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِياً مُرْشِداً). سورة الكهف؛ الآية: 17.

شهادة فاتحةً لأقفال قلوبنا، راجحة بأثقال ذنوبنا. منزَّهة له عن التَّشْبيه والتمثيل بنا: ﴿وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلا وَلَداً﴾[1]. وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أَنْزل عليه الفرقان وبعثه بالهُدى والإيمان، وأغزى بدعوته دعوة أولياء الشيطان، وأبعدهم مقاعد عن السمع، ﴿فَمَنْ يَسْتَمِعِ الآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَاباً رَصَداً﴾[2]. أيها السامع، قد أيقظك صرفُ القدر من سِنَة الهوى وتيَّاراته، ووعظك كتاب الله بزواجره وعظاته، فتأمل حدوده. وتدَّبر مُحْكم آياته: ﴿وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَداً﴾[3]. أين الذين عَتَوْا على الله، وتعظَّموا واستطالوا على عباده وتحكَّموا، وظنُّوا أنه لن يقدر عليهم حتى اصطلموا. ﴿وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِداً﴾[4]. غرَّهم الأمل وكواذب الظُّنون، وذَهِلوا عن

---

[1] سورة الجن؛ الآية: 3.

[2] الآية كاملة هكذا: (وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَاباً رَصَداً). سورة الجن؛ الآية: 9.

[3] سورة الكهف:؛ الآية: 27.

[4] سورة الكهف؛ الآية: 59.

طوارق القَبْر [1] و﴿رَيْبَ الْمَنُونِ﴾[2]. ﴿وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يَرْجِعُونَ﴾[3]. ﴿حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا﴾[4]. فهذّبوا رحمكم الله سراركم بتقوى الله واخلصوا، واشكروا نعمته، ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾[5] واحذروا نقمته واتقوه. ولا تعصوا، واعتبروا بوعيده. ﴿قُلْ كُلٌّ مُتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُوا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدَى﴾[6]. وانهضوا لطاعته الهمم العاجزة، واركضوا في ميدان التَّقوى، وحُوزوا قصب خَصله العابرة [7]، وادخروا ما يخلصكم يوم المحاسبة والمناجزه،

---

[1] في الإسكوريال: ((الغير))، وفي الزيتونة: ((الغين))؛ فقام عنان بالتصويب.

[2] الآية كاملة هكذا (أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ المَنُونِ). سورة الطور؛ الآية: 30.

[3] الآية كاملة هكذا: (وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودِهِ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الحَقّ وَظَنُّوا أَنّهُمْ إِلَيْنَا لاَ يَرْجِعُونَ). سورة القصص؛ الآية: 39.

[4] سورة الجن؛ الآية: 24.

[5] وردت في سورة إبراهيم، وسورة النحل؛ فجاءت في الأولى كاملة هكذا: (وَآتَاكُمْ مِنْ كُلّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدّوا نِعْمَةَ اللهِ لاَ تُحْصُوهَا إِنّ الإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفّارٌ). سورة إبراهيم؛ الآية: 34. وجاءت في الثانية كاملة هكذا: (وَإِنْ تَعُدّوا نِعْمَةَ اللهِ لاَ تُحْصُوهَا إِنّ اللّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ). سورة النحل؛ الآية: 18.

[6] سورة طه؛ الآية: 135.

[7] في الزيتونة: ((الفايدة)).

وانتظروا قوله: ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَداً﴾[1]، ذلك يوم تذهل فيه الألباب، وتَرجُف القلوب رجفاً، وتُبَدَّل الأرض وتُنْسَف الجبال نَسْفاً[2]، ولا يقبل الله فيه من الظالمين عدلاً ولا صرفاً. ﴿وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقاً﴾[3]، ﴿وَعُرِضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفّاً لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِداً﴾[4]، اللهم انفعنا بالكتاب والحكمة، وارحمنا بالهداية والعصمة، وأوزعنا شكر ما أوليت من النّعمة. ﴿رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَداً﴾[5].

---

[1] سورة الكهف؛ الآية: 47.

[2] إحالة إلى قوله تعالى: (وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفاً). سورة طه؛ الآية: 105.

[3] الآية كاملة هكذا: (يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ المُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقاً). سورة طه؛ الآية: 102.

[4] سورة الكهف؛ الآية: 48.

[5] الآية كاملة هكذا: (إِذْ آوَى الفِتْيَةُ إِلَى الكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَداً). سورة الكهف؛ الآية: 10.

تواليفه

مما أكمله وقُرىء عليه كتاب ((**الشفا بتعريف حقوق المصطفى**)) ؛ ستة أجزاء، وكتاب ((**إكمال المعلم في شرح مسلم**)) ؛ تسعة وعشرون جزءاً. وكتاب ((**المستنبطة على الكتب المدونة والمختلطة**)) ؛ عشرة أجزاء. وكتاب ((**ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك**)) ؛ خمسة أسفار؛ ولم يسمعه، وكتاب ((الإعلام بحدود قواعد الإسلام))، وكتاب ((**الإلماع في ضبط الرواية وتقْييد السماع**)) ؛ سفر، وكتاب ((**الرايد لما تضمنه حديث أم زرع من الفوايد**))، وكتاب ((**خُطَبه**)) ؛ سفر. وكتاب ((**المعجم في شيوح أبي سُكَّرة**))، وكتاب ((**الغُنْية في شيوخه**)) ؛ جزء. ومما تركه في المبيضة ؛ كتاب ((**مشارق الأنوار على صحيح الآثار**)) ؛ ستة أجزاء ضخمة، وهو كتاب جليل ؛ وفيه يقول الشاعر :

مشـــارق أنـــوار تبـــدَّت بسَبْتَـــة
ومن عجب كَوْن المشارق بالغرب

وكتاب ((**نظم البرهان على صِحَّة جَزْم الأَذان**))؛ جزء، وكتاب ((**مسئلة الأهل المشترط بينهم التزاور**))؛ جزء. ومما لم يكمله ((**المقاصد الحسان فيما يلزم الإنسان**))، وكتاب ((**الفنون الستة في أخبار سبتة**))، وكتاب ((**غُنية الكاتب وبُغية الطالب**))؛ في الصدور والتَّرسيل، وكتاب ((**الأجوبة المحبَّرة على الأسئلة المتخيرة**))؛ وجدت منها يسيراً؛ فضممته إلى ما وجدته في بطايقه وعند أصحابه. يقول: هذا ولده من معان شاذة في أنواع شتى سئل عنها رحمة الله عليه. فأجاب: جمعت ذلك في جزء، وكتاب ((**أجوبة القرطبيين**))؛ وجدتها بطابق؛ فجمعتها مع أجوبة غيرهم؛ وأجوبته مما نزل في أيام قضايه؛ من ((**نوازل الأحكام**))؛ في سفر، وكتاب ((**سر السُّراة في أدب القضاة**)).

نبذ من أخباره

وأولاً في ثناء الأعلام عليه. قال ولده ، أخبرني ابن عمي الزاهد، أن القاضي **أبا عبد الله بن حَمْدين** كان يقول له وقت رحلته إليه: وحتى يا **أبا الفضل** إن كنت تركت [1] **بالمغرب** مثلك. وقال: وأخبرني أن **أبا الحسين بن سراج** قال له: وقد أراد الرحلة إلى بعض الأشياخ، فهو أحوج إليك منك إليه، وقال: إن الفقيه **أبا محمد بن أبي جعفر** قال له: ما وصل إلينا من **المغرب** مثل **عياض**. وأمثال ذلك كثير. ومن دعابته، قال بعض أصحابنا: صنعت أبياتاً تغزلت فيها، والتف إلى أبيك رضي الله عنه ثم اجتمع بي، فاستنشدني إياها؛ فوجمت، فعزم عليّ فأنشدت:

أيا مكثراً صـــدىً ولم آت جفـــوة
وما أنا عن فعـــل الجفاء براض

[1] سقطت هذه الكلمة في الإسكوريال؛ بينما وردت في الزيتونة.

سأشكو الذي توليه من سوء عشـــرة
إلى حكم الدنيـــا وأعـــدل قـــاض
ولا حكـــم بينك أرتضي قضايـــاه
في الدنيا ســـوى ابـــن عيـــاض

قال فلما فرغت حسَّن، وقال متى عرفتني قواداً يا فلان، على طريق المداعبة. وأخباره حسنة وفضايله جمة.

مولده

بسبتة؛ حسبما نقل من خطه في النصف من شعبان عام ستة وسبعين وأربعماية [1].

وفاته

توفي **بمراكش**؛ ليلة الجمعة نصف الليلة التاسعة من جمادى الآخرة من عام أربعة وأربعين وخمسماية [2]. ودفن في **باب إيلان** من داخل السُّور.

***

[1] الموافق لـ 1083م.
[2] الموافق لـ 1149م.

عقيل بن عطية

ابن أبي أحمد جعفر بن محمد بن عطية القضاعي [1]؛
من أهل طُرْطُوشة؛ يكنى أبا المجد [2].

حاله

كان فقيهاً متطرّفاً في فنون من العلم، متقناً لما يتناوله من ذلك، حسن التهدي، من بيت طَلَب. وقد تقدم ذكر جده الأُستاذ. ولي عقيل قضاء **غرناطة وسلجلماسة.**

مشيخته

روي عن **أبي القاسم بن بَشْكُوال**. قرأ عليه وسمع، وتناول من يده، وأجاز له. وقفت على ذلك بخطه.

---

[1] له ترجمة أيضاً في التكملة لكتاب الصلة، والديباج المذهب.
[2] في التكملة: ((يكنى أبا طالب وأبا المجد)).

شعره

أنشد له في **الذيل** [1] قوله، مما نظمه لجماعة من السَّادة [2]:

ملــــوك دون بابكــم وقُــــوف
سَطَتْ بهم الحوادث والصُّــروف
أذلَّهــم الزمـــان وكـــان قدمـــاً
لهــم راع وحـــولهــم يطـــوف
غـــدوا عبـــراً لمُعْتَبِــر فَسُحْقـــاً
لدنيـــا أمرهـــا أمـــر سخيــــف
وطال وحـــقّ مجـــدك ما تبـــدوا
وحولهـــم الغواضـــب والسيـــوف
أُســـود يُقْدمـــون أُســـود حـــرب
وخلفهـــم العساكـــر والصَّفـــوف
أتى بهم الزمـــان إليـــك قصـــداً
حَيـــارى فيـــه يُعجزهـــم رغيف

[1] هو كتاب الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة؛ لأبي عبد الله محمد ابن محمد بن عبد الملك الأنصاري المراكشي.
[2] البحر الوافر.

فعَطْفـــاً أيهـــا المـــولى عليهـــم
وقـــاك الســـوء باريـــك اللطيف
فرحمـــةُ سيـــد قـــد ذُل فـــرضٌ
يقـــول بـــه النَّبي الهادي الشريف
وما يـــرى الكرام سوى كريـــم
وأنت الماجـــد النَّـــدي العَطُـــوف

تواليفه

قال الأُستاذ: وقفت على تأليف سماه ((**فصل المقال في الموازنة بين الأعمال**))؛ تكلم فيه مع **أبي عبد الله الحُمَيدي**، وشيخه **أبي محمد بن حزم**؛ فأجاد فيه وأحسن، وأتى بكل بديع. وشرح **المقامات الحريرية.**

وفاته

في صفر سنة ثمان وستماية [1].

***

[1] **الموافق لـ 1211م.**

***

عاصم بن زيد

ابن يحيى بن حنظلة بن علقمة بن عدي بن محمد التميمي، ثم العبادي الجاهلي[1]؛ يكنى أبا المخشبي[2]؛ من أهل إلبيرة.

حاله

كان شاعراً مُجيداً، شهير المكان، بعيد الصّيت، على عهده. قال **أبو القاسم**: كان من أعلام الجند ومقدميهم. وقال **الرَّازي**: دخل والده **زيد بن يحيى** من **المشرق** إلى **الأندلس**، واختط **بكورة جند دمشق**، وشهر ابنه **عاصم** هذا بالشعر، إذ كان غزير القول، حسن المعاني، كثير النادر، سبط اللفظ، فاغتدى شاعر **الأندلس**، ومادح **بني أمية**، المخلف فيهم قوافي الشعر [3]

[1] له ترجمة أيضاً في: في جذوة المقتبس، وبغية الملتمس، والذيل والتكملة، وتاريخ افتتاح الأندلس، والمغرب في حلى المغرب.

[2] سمي في: جذوة المقتبس، وبغية الملتمس، والمغرب: ((أبو المخشي)). وعليه وجب التنبيه للخطأ في رسم اسمه؛ مرات عديدة ضمن النص.

[3] حذف د. طويل الألف واللام؛ فأضحت: ((شعر)).

المديح الشاردة، وقد كان في لسانه بذاءة زايدة، يتسرع به إلى من لم يوافقه من الناس، فيقذع هجوهم، ويقذف نساءهم ويَهْتِك حُرَمهم، وكان أفّاكاً نهاباً، لا يعدم متظلّماً منه، وداعياً عليه، وذاكراً له بالسوء، وهو مستهزئٌ بذلك جارٍ على غلوائه.

محنته

قال: وكان مع ذلك منقطعاً إلى **سليمن بن الأمير عبد الرحمن بن معاوية**، كثير المدح له. على أنه ما أَخْلى الأمير **هشاماً** من مدحه، وهو مع ذلك لا يَسْلُ سخيمته وحقده عليه، لانحطاطه في شُعَب **سليمن** أخيه، وبينهما من التنافس والمشاحة ما لا شيء فوقه. ورُوي أن الذي هاج غضب **هشام** عليه، أن قال له الساعي عليه، قد عرَّض بك بقوله في مديح أخيك **سليمن** في شعر له فيه منه[1]:

[1] البحر الوافر.

وليسوا مثل من بـــان سيـــل عرفـــاً[1]
يقلِّـــــبُ مُقلَـــــةً فيهـــا أعونـــه[2]

وكان **هشام** أحول؛ فاغتاظ لذلك. وركب فيه من المثلة وركبه، وحقد عليه، إلى أن استدعاه إلى مدينة **ماردة**، **وهشام** يومئذ واليها في حياة الأمير أبيه؛ فخرج إليه **أبو المخشبي** [3] من **قرطبة**، طامعاً في نايله، غير مرتاب بباطنه، فلما دخل عليه قال له يا **أبا المخشبي** [4]، إن المرأة الصالحة التي هَجَوْت ابنها فقذفتها، فأفحشت سبَّها، قد أخلصت دعاها لله في أن ينتقم لها منك، فاستجاب لها، وسلَّطني وتأذن بالاقتصاص لها على يدي منك، ثم أمر به فقطع لسانه، وسُمِلت عيناه، وعولج من جراحه، فاستقل منها، وعاش زمناً ممثلاً به. فأما لسانه فانجبر بعيد وقت إلا قليلاً، واقتدر على الكلام إلاّ تلعثماً كان

[1] ورد هذا الشطر في المغرب هكذا: ((وَلَيْسَ كَمِثْلِ مَنْ إنْ سِيلَ عُرْفَاً))، وفي الذيل والتكملة: ((وليس كشانيء أن سيل عرفا)).
[2] في المغرب، والذيل: ((اعْورارُ)).
[3] الأصح: ((أبو المخشي)).
[4] ((أبا المخشي)).

يعترضه، واستمر العمى، فعظم عليه مصابه، فكثرت في شكواه أشعاره، قال: ويذكر أن قصة **أبي المخشبي** [1] في نبات لسانه، لما بلغت **مالك بن أنس**، أشار إليها في فتواه في التأني بديَّة اللسان طمعاً في نبتها، وقال يتأنى بالحكم عاماً، فإن نَبَت أو شيء منه، عُمل في ديتّه بحسب ذلك، فقد بلغني أن رجلاً **بالأندلس** نبت لسانه أو أكثره بعد ما قطع، فأمكنه الكلام.

شعره

قالوا: وبلغ الأمير [**عبد الرحمن**] [2] **بن معاوية** صنيع ابنه **هشام** بمادحهم **أبي المخشبي** [3]، فساءه وكتب إليه يعنفه، وأوصل **أبا المخشبي** [4] إليه عند استيلايه بعد حين، فاعتذر إليه ورقَّ له، وأنشده بعض ما أحدثه بعد،

---

[1] ((أبي المخشي)).
[2] سقط هذا الاسم في الاسكوريال؛ فأضافه عنان.
[3] ((أبي المخشي)).
[4] ((أبي المخشي)).

فكان لا يبين الإنشاد، فينشد له صبي كان قد علمه ودربه، فأنشده قصيدته التي وصف فيها عَمَاه وأولها [1]:

خَضَعَتْ أم بناتي للعدا
إذ قضى الله بأَمر فمضى[2]
ورأت أعمى ضريراً إنما
مَشْيُه في الأرض لْمسٌ بالعصا
فبكت وَجْداً وقالت قولةً[3]
وهي حدا حلَّقت مني المدى[4]
ففؤادي فرحٌ[5] من قولها
ما من الأدواء أس العمى[6]
وإذا نال العمى ذا بصرٍ
كان حياً مثل ميت قد نعا[7]

---

[1] بحر الرمل.
[2] في الذيل والتكملة، وتاريخ افتتاح الأندلس: ((أن قضى الله قضاء فمضى)).
[3] في تاريخ افتتاح الأندلس: ((فاستكانت ثم قالت قولة)).
[4] نفسه: ((وهي حرّى بلغت منّي المدى)).
[5] نفسه: ((قرح)).
[6] نفسه: ((الأدواء كالعمى)).
[7] في الذيل، والأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة: ((قد ثوى)).

وكـــان للناعـــم[1] المســـرور لـــم

يـــك مســـروراً إذا لاقى الـــرَّدا

عـــانى بالقـــرب وهنـــا طـــرب

بيـــــن لـــــج في الحمـــــا

....[2]

كيف يعتاد الصَّبـــا مـــن لا يرا

أبصرت مستبـــدلاً من طرفـــــه

فأنذا[3] يســـعى به حيـــث سعـــــا

بالعصـــا إن لـــم يقـــده فـــإنـــه

وسؤال الناس يمـــشي إن مشـــا

وإذا ركـــب دنـــوا كـــأنَّ لهـــم

هو حملاً في المهمة الخراف الصوى[4]

---

[1] في الذيل، والأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة: ((وكـأنَّ الناعـم)).
[2] بيـاض في هـذا الحيـز بقـدر شطـر؛ موجـود في الإسكوريـال.
[3] في الأدب الأندلـسي: ((قائـداً)).
[4] في الأدب الأندلـسي مـن الفتـح إلى سقـوط الخلافـة: ((هَوْجَـلاً في المهمـه الخـرق الصُّـوى)).

لم يزل في كل مُخْشِـــبي الرَّدَى[1]
يصطلي الحرب ويجتاب الدجـــا
امتطيناهــــا سمـــانـــاً بـــدنـــاً
فتركنـــاهـــا نضـــاءً بالفنـــــا
وذُرِّيَّـــتي[2] قـــد تجـــاورت بهـــا
مهمهـــا فَقِـــراً إلى أهـــل النَّـــدا
قاصـــداً خيـــر مَنَـــافٍ كلهـــــا
ومناف خيرٌ مـــن فـــوق الثَّـــرا

وهي طويلة، ومن شعره في الوقيعة **بأبي الأسود الفهري**[3]، وكانت عظيمة من أعظم فتوحات **الأمير عبد الرحمن**[4]:

---

[1] **في الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة: ((السُّرى)).**
[2] **جعلها د. طويل: ((وذريني)).**
[3] **هو ابن الأمير محمد بن يوسف بن عبد الرحمن الفهري؛ آخر من تولى بلاد الأندلس؛ إذ هزمه عبد الرحمن بن معاوية (الداخل)؛ وقتل سنة 142هـ. ففرّ ولداه: أبو القاسم، ومحمد الملقب بأبي الأسود؛ الذي قاوم عبد الرحمن مدّة؛ ولكنه انهزم أمام خصمة القوي؛ في هذه الوقيعة المذكورة سنة 169هـ؛ وبقي فاراً إلى أن توفي بعد فترة؛ في إحدى قرى طليطلة.**
[4] **البحر الكامل.**

ماذا تُسايـــل[1] عن مواقع معشـــر
أودى بهم[2] طلـــب الـــذي لم يقدر
رشد الخليفة إذا غـــووا فرماهـــم
بالموبـــذي بالحـــزم[3] والمتـــأَزّر
فغـــدا[4] سليمـــن السَّمـــاح عليهـــم
كالليـــث لا يلـــوي على مُتَعـــذّر
عاداهـــــم[5] متقنعـــاً في مـــأزق
في الموت من نجس العوارض الممطـــر[6]
أمـــا سليمـــن السمـــــاح فإنـــه
جلى الدُّجى وأقام سيل الأصْعَـــر
وهو الذي وَرَّث النَّدى أهل الندى
ومحا دُجْنَة[7] يـــوم وادي الأحمـــر

---

[1] في الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة: ((وإذا تساءل)).
[2] نفسه: ((وذويهم)).
[3] نفسه: ((الجهم))؛ أي الغليظ. والموبذي هو كبير المجوس وعالمهم.
[4] نفسه: ((وغدا)).
[5] نفسه: ((غاداهم))؛ بالغين المعجمة.
[6] نفسه: ((بالموت مُرْتَجَسُ العَوارض مُمْطر)).
[7] نفسه: ((مغبة)).

بعد القتــــلى بالمخايض أصبحـــت[1]
جِيفــاً تلـــوح عظامهـــا لم تُقْبَـــر
فالليـــل فيهـــا للذبــــاب عرايـــسٌ[2]
ونهارها وقـــفٌ لنهـــش[3] الأَنْســـر
أفناهـــم سيـــفٌ مبيـــرٌ صــــارم[4]
في قسطلونة وبل[5] بوادي الأحمـــر
هات عنك[6] ما هربـــت مخافـــةً
منه فقـــع يا ابن اللقيطة أو طـــر

[1] في الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة: ((بُعداً لقتلى بالمجانص أصبحت)).
[2] نفسه: ((للذئـاب فرائس)).
[3] نفسه: ((وقع لنبش)).
[4] في الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة: ((مبيد طرفه)).
[5] نفسه: ((بل))؛ بدون واو.
[6] نفسه: ((فلِتَرْكبَنَّ)).

وفاته

قال **ابن حيان**: قرأت بخطّ عبادة الشاعر، قال عمَّر **أبو المخشبي** [1] بعد محنته الشنعاء حتى لحق دولة الأمير **عبد الرحمن** [2]، فوالى بين مديح أربعة أمراء، ما بينه وبين جدّه **عبد الرحمن بن معاوية** الأمير الداخل. وتوفي بعد ذلك قريباً من تاريخ الثمانين والماية [3]. وبُعد عليه لحاق دولة الأمير عبد الرحمن لهذا التاريخ.

***

[1] ((أبو الخشي)).

[2] المقصود هو أمير الأندلس عبد الرحمن الثاني ابن الحكم بن هشام ابن عبد الرحمن الداخل. وحكم عبد الرحمن الثاني من سنة 206هـ إلى سنة 238هـ.

[3] الموافق لـ 796م. وعلق عنان على هذا بقوله: ((في هذه العبارة الأخيرة بعض الغموض فيما يتعلق بالتواريخ. ذلك أنه إذا كان عاصم بن زيد المترجم له؛ قد توفي في حدود سنة 180هـ؛ وذلك حسبما يقول لنا ابن حيان؛ فإنه بذلك لم يلحق سوى دولتي: عبد الرحمن بن معاوية الداخل المتوفي سنة 172 هـ، ودولة ولده هشام الذي حكم من سنة 172هـ إلى سنة 181هـ. أما دولة الحكم بن هشام؛ فقد كانت من سنة 180هـ [هكذا] إلى سنة206هـ، ودولة ولده عبد الرحمن كانت من سنة 206 إلى 238هـ)).

ومن الأصليين من ترجمة المحدثين والفقهاء والطلبة النجباء

***

عيسى بن محمد

ابن أبي عبد الله بن أبي زمنين المرّي؛ يكنى أبا الأصْبغ؛ من أهل البيرة.

حاله

نبيه القدر. وروى عن شيوخ بلده.

وفاته

توفي بعد الأربعمائة [1]. قلت قد اعتذرت، وتقدم الاعتذار في إثبات من أثبته من هذا البيت في هذا الاختصار؛ من هذا النمط. فلينظر هنالك إن شاء الله.

***

[1] أي بعد الألف من السنة الميلادية.

عيسى بن محمد

ابن عيسى بن عمر بن سعادة الأموي؛ لَوْشي الأصل؛
غرناطي الاستيطان والقراءة؛ يكنى أبا موسى؛
الشيخ الطبيب بالدار السلطانية.

حاله

من عايد الصلة: بقية أهل العلم، ونسيج وحده في لين الجانب وخفض الجناح، وحسن الخلق. وبذل التواضع، ممتع من معارف قديمة، بين طلب وتعليم، على حال تدين والتزام سنُّة، أقرأ الطِّب، وخدم به الدار السلطانية، وولي القضاء **بلوشة** بلده.

مشيخته

قرأ على الأستاذ **أبي عبد الله الرَّقوطي المُرْسي** ولازمه، وأخذ عن **أبي الحجاج بن خلصون**، وأدرك أُمَّةً من صدور العلماء.

توالیفه

له تأليف كبير متعدد الأسفار سماه كتاب ((**القفل والمفتاح في علاج الجسوم والأرواح**))؛ تضمن كثيراً من العلم الطبي، وما يتعلق به؛ رأيت أجزاءً من مسودته بيد ولده.

وفاته

توفي **بغرناطة** ليلة السبت الخامس عشر لجمادى الآخرة عام ثمانية وعشرين وسبعماية [1].

***

[1] **الموافق لـ 1327م.**

***

غالب بن أبي بكر

الحضرمي؛ من أهل غرناطة؛ يكنى أبا تمام، ويعرف بابن الأشقر.

حاله

كان قايداً جَزْلاً مهيباً، مليح التجنُّد، معروف الدّربة والثقافة، مشهور الفروسية، ظريف الشكل، رايق الرَّكبة، حسن الشَّيبة، صَليب العود، مرهوب السطوة، وُلي قيادة العسكر زماناً طويلاً، فوقع الإجماع على أهليته لذلك، تمييزاً للطبقات، وانتهاضاً بالخدمة وإنفاذاً للعزمة، ومعرفة بالعوايد، واقتداراً على السهر في تفقد المسالح، واختبار المراصد، واختيار الحرس، وتنظيم المصاف، وإمساك السّيقة ممن يرجع إلى حصيف رأيه، ويركن إلى يُمن حَنَكته، ويعترف بحقه. لقي الجند منه ضغطاً لاضطلاعه باستخدامهم، وجعل العقاب من وراء تقصيرهم. فقد كان بعض نُقَبائه يحمل معه مِقصًّا لإيقاع المُثلة بذقون مضيّعي المسلحة أو مُتهيبي المَلْحمة. ولما أوقع بالسلطان أمير

المسلمين **أبي الوليد**؛ قرابته بباب داره بما هو مشهور، نُمي عنه أنه اخترط سيفه. وكان ممن أثخن الوزير يومئذ جراحة [لا يعلم] [1]، أحيرةً وغلطاً أم تواطأ وقصداً، فقد كان من مَرَج الناس يومئذ؛ وإعمال بعضهم السلاح في بعض ما هو معلوم، فعزل عن الخطة، وسئم خطة الخمول، ففقد مكانه من العنا، واضطر إليه.

وفاته

توفي **بغرناطة** عشية يوم الخميس الثاني والعشرين لشوال عام سبعة وعشرين وسبعماية [2]، ودفن قرب باب إلبيرة.

***

---

[1] هذه الإضافة من الزيتونة.

[2] الموافق لـ 1326م.

ومـن المقربيـــن

***

غالب بـن عبـد الرحمـن

ابـن غالـب بـن عبـد الـرؤوف بـن تمـام بـن عبـد الله بـن تمـام بـن عطيـة ابـن خالـد بـن خفـاف بـن أسلـم بـن مكتـوم المحـاربي؛ أبـو بكـر

حالـه

كـان مـن أهـل العلـم والعمـل، مُقريـاً فاضـلاً، راويـة، حـج وروى، وكـفَّ بصـره في آخـر عمـره.

مشيخته

قـرأ القـرآن بالسَّبـع عـلى **أبي الحسـن بـن عبـد الله الحضـرمي**، ودرس الفقـه وناظـر فيـه، عـلى **سعيـد بـن خلـف ابـن جعفـر الكنـاني**. وروى عـن **أبي عـلي الغسـاني**، وعـن أبيـه **عبـد الرحمـن بـن غالـب**، **وأبي عمـر بـن عبـد البـر** الإمـام الحـافـظ.

من روى عنه

حدَّث عنه ذو الوزارتين أبو عبد الله بن أبي الخصال، وأبو عبد الله بن عبد الرحيم القاضي، وعبد الله بن طلحة بن أحمد ابن عطية.

شعره

قال يحذر من أبناء الزمن [1]:

كـــن بـــذي[2] صـايـــد مستأنســـاً
وإذا أبصـــرت إنسانـــاً ففـــــر
إنمـــا الإنـــسي بحـــرٌ ما لـــه
ساحـــل فاحـــذره إيـــاك الغـــرر
واجعـــل النـــاس كشخص واحد
ثم كن مـــن ذاك الشخص حذر

[1] بحر الرمل.
[2] كتبها د. طويل: ((بذياً)).

وله رحمه الله [1]:

كيف السُّلو ولي حبيب هاجر
قاسي الفؤاد يسُومني تعذيبا
لما ذرى أن الخيال مواصلي
جعل السهاد على الجفون رقيبا

مولده

ولد سنة إحدى وأربعين وأربعمائة [2].

وفاته

توفي ليلة الجمعة لستٍّ بقين من جمادى الآخرة سنة ثماني عشر [3] وخمسماية [4].

***

---

[1] البحر الكامل.
[2] الموافق لـ 1049م.
[3] صوبها د. طويل؛ فجعلها: ((عشرة)).
[4] الموافق لـ 1124م.

غالب بن حسن

ابن غالب بن حسن بن أحمد بن يحيى بن سيدبونه الخزاعي[1]؛ يكنى أبا تمام.

أوليته وحاله

أصل سلفه من **بونه**[2]؛ من بلد **إفريقية**، واستوطن جدّه **بالأندلس** قرية **زنيتة**؛ من **وادي**[3] **لستة**؛ شرقي **الأندلس** من عمل **قسنطانية**[4]، وملك فيها أموالاً عريضة. ولما ظهر سِبْطه ولي الله **أبو أحمد**[5] شيخ المريدين بذلك الصقع، وظهرت عليه البركات، وشهدت بولايته الكرامات، غمرتهم بركته، ونوَّهت[6] بهم شهرته، إلى أن أن استولى العدو على تلك الجهات، بعد وفاة الشيخ رضي الله عنه، فهاجرت ذريته إلى **غرناطة**، بعد استيطانهم **مدينة ألش**، وبنوا بالرَّبض المعروف **بربض البيأّزين**

---

[1] له ترجمة أيضاً في تاريخ قضاة الأندلس.

[2] هي الآن مدينة عنابة الجزائرية؛ وتسمى أيضاً بلد العناب.

[3] في تاريخ قضاة الأندلس: ((وادي آش؛ من عمل ذانية)).

[4] قسنطانية Cocentaina: بلدة صغيرة في شرق الأندلس؛ وتقع غربي ذانية؛ وإلى الجنوب من شاطبة.

[5] هو أبو أحمد جعفر بن عبد الله بن محمد بن سيد بونة؛ وقد سبقت ترجمته في الإحاطة.

[6] في الإسكوريال: (وتوهمت))؛ وصوبت من الزيتونة.

واقتطعوا وامتطوا، واتخذوا دار إقامة، وانتشرت به نحلتهم الإرادية [1]، وانضم إليهم مَنْ تَبِعهم من جالِية **أهل الشرق**، وتقدم هذا الشيخ بعد، شيخاً ويُعْسوباً وقاضياً وخطيباً به، بعد خاله رحمه الله، فقام بالأعباء، سالكاً سنن الصالحين من أهل الجَلَد والجِدَّة والقوة والرجولة، من الإيثار والمثابرة على الرباط، والحفُوف [2] إلى الجهاد، وكان مليح الشَّيبة؛ كثير التَّخلق، جم التواضع، مألفاً للغرباء، مبذول البشر، حسن المشاركة، رافضاً للتصنُّع، مختصر المطعم والملبس، بقية من بقايا الجلة، معتمداً في مجالس الملوك بالتَّجلَّة.

مشيخته

يحمل عن والده **أبي علي**، وعن خاله، وعن الخطيب **أبي الحسن بن فضيلة**، وغيرهم.

[1] في تاريخ قضاة الأندلس: ((ونشروا مذهبهم في الإرادة)).
[2] نفسه: ((والخفوف)).

تواليفه

له تأليف في تحريم [1] سماع اليراعة المسماة **بالشَّبابة**، وعلى ذلك درج جمهورهم.

مولده

في ذي القعدة من عام ثلاثة وخمسين وستماية [2].

وفاته

توفي في عاشر شوال من عام ثلاثة وثلاثين وسبعماية [3]. وكان الحفل في جنازته يشِذُّ عن الوصف. ودفن بمقبرتهم.

***

---

[1] في تاريخ قضاة الأندلس: ((منع)).
[2] الموافق لـ 1255م.
[3] الموافق لـ 1332م.

غالب بن علي

ابن محمد اللخمي الشقوري؛ من أهل غرناطة؛ يكنى أبا تمام.

حاله

كان من أهل الفضل والدَّماثة، حسن الخلق وسيم الخَلْق، مليح الانطباع، مستطرف الأغراض من بيت كَسْب وخيريَّة. رحل في شبيبته إلى **المشرق**، فحجَّ، وقرأ الطب **بالمارستان** من **القاهرة المُعِزّية**، وحذق العلاج على طريقة **المشارقة**، وأطرف بكثير من أخبارهم، وانتصب للمداواة **ببجاية** بعد مناظرة لها حكاية. وقدم على بلده، فنَبُه به قدره، واستدعي إلى باب السلطان فخدم به، ثم تحول إلى **العُدْوة**، فاتصل بخدمة ملكها السلطان أمير المسلمين **أبي سعيد**، مسَّوغاً ما شاء من قبول، ولطف محلّه عنده، لانطباعه ولين عريكته، وتأنيه لما يوافق غرضه من سبيل الفكاهة، ووُلّي الحِسْبة بمدينة **فاس**، وأثرى وحسُنت حاله. وكان مثالاً لأهل بلده، موصوفاً بالجود، وبذل المشاركة لمتغرّبيهم. وله تواليف طيّبة، كان لا يفتر عن الاشتغال بها؛ بحسب ما فتح له من الإدراك، فمنها

نبيل ووبيل. ولما انتقل الأمر إلى أمير المسلمين **أبي الحسن**، وصل حَبْل رَعْيه، طاوياً بِساط الهزل في شأنه، واتصلت خدمته إياه إلى حين وفاته.

وفاته

توفي في أوايل عام أحد وأربعين وسبعماية [1] **بسَبْتة**، عند حركة أميره المذكور إلى الجواز **للأندلس** برسم الجهاد، الذي مَحَصه الله فيه بالهزيمة الكبرى.

مولده

.... [2]

***

[1] الموافق لـ 1340م.
[2] ورد في هذا الحيز من الإسكوريال عبارة: ((بياض في الأصل المنتسخ منه)).

***

فـرج بـن إسمعيـل

ابـن يوسف بـن نصـر[1]؛ الرئيـس الجليـل أبـو سعيـد. وكان حقُّـه أن يفـرد لـه بـاب في الأمـراء؛ لكنـه الأبـواب المتعـددة الأسماء؛ نؤثـر فيهـا الجمـع والاختصـار كمـا شرطنـا.

أَوّلِيّته

معروفة. وكان والده [رحمه الله][2] صِنو أمير المسلمين **الغالب بالله**[3] **أبي عبد الله**، وآثره بمدينة **مالقة** وما يرجع إليها، عند تصير الملك إليه أو بعده. وكان دونه في السّن، فاستمرت أيامه بها إلى أن توفي رحمه الله: وتصيَّر أمره إلى الرييس **أبي محمد بن إِشْقَيْلولة**، وتخللت ذلك الفتن، حسبما وقع الإلماع به [وتصيَّر أمرُها][4] إلى ملوك **المغرب** ثم ما انجلت[5] الحال عن عودتها إلى الملك **النصري**، ولَّى عليها الرييس **أبا سعيد**، ومكنه من ميراث

[1] لـه ترجمـة أيضـاً في اللمحـة البدريـة.
[2] هـذه الإضافـة مـن الزيتونـة.
[3] هـو مؤسـس الدولـة النصريـة وأول سلاطينهـا. لـه ترجمـة في الإحاطـة.
[4] هـذه العبـارة واردة في االزيتونـة؛ بينمـا سقطـت في الإسكوريـال.
[5] في الإسكوريـال: ((اجتلـت)).

سلفه بها، وهو كما استجمع شبابه، وعقد له على ابنته الحرة **لُباب الملك**، فقام بأمرها خير قيام، وثبت لزلزال الفتنة حسبما هو مذكور في موضعه.

حاله

كان هذا الرييس نسيج وحده في الحزم والجزالة وفخامة الأحوال، مما يرجع إلى الفتية. ناغى السلطان ابن عمه في اقتناء العقار، وتخليد الآثار، فيما يرجع إلى الفلاحة والاعتمار والازدياد والاستكثار، وأربى عليه بإنشاء المراكب الكبار، فعظمت غلاَّته، وضاقت المسارح عن سائمته، وغُصت الأهراءُ بحبوبه، وسالم الخرج دخل ماله، فبَذَّ الملوك جِدةً ويساراً، تقتحم العين منه ظاهراً ساذجاً، غُفْلاً من الزينة والتصنُّع، في طيّه ظَرْف وذكاء وحَنَكة وحلاوة، جهورياً، مرسل عِنان النَّادرة، باذلاً النصَّفة، مهيب السَّطا، خصيب المايدة شهير الجلالة، بعيد الصيت. وُلِّي **مالقة** عام سبعة وسبعين وستماية [1]، فعانى بها الشّدة واللّيان. حتى رسخت بها قدمه، وطالت

[1] **الموافق لـ 1278م.**

لأهلها صحبته، وعظم بها قراره وعساكره، وأينعت غرسانه، ونمت متاجره، وتبنَّكت النَّعيم حاشيته، وأُضيفت إليه **الجزيرة الخضراء**، فاتسعت العِمالة، وانفسحت الخُطَّة إلى أن كان من تغلبه على **مدينة سَبْتة**، واستيلايه عليها، مما وقع الإلماع به في موضعه من هذا الكتاب، في شهر شوال عام خمسة وسبعماية [1]، فساس رعيتها، وتملك جبالها، وشنَّ الغارة على ما وراءها، وتملَّك القصر المضاف لها، ولم يزل نظره عليها، إلى أواخر ذي قعدة من عام ثمانية وسبعمائة [2]، فصرف عنها، وجُهل قدره، وأُوغر صدره، وأُوعز للولاة بالتضييق على حاشيته، فدعا **بمالقة** إلى نفسه في شهر شعبان من عام أحد عشر وسبعماية [3]، وقدَّم لطلب الملك ولده **إسماعيل**، وسماه السلطان. ورتب له الألقاب، ودون الدواوين، فنزع إليه الجند، وانضافت إلى عمالته الحصون. ثم وقعت

---

[1] **الموافق لـ 1305م.**
[2] **الموافق لـ 1308م.**
[3] **الموافق لـ 1311م.**

المهادنة، وأعقبتها المفاتنة، وكان من أمره ما وقع التنبيه على عيون منه في ذكر ولده.

نكبته

ولما استأْصلت القطيعة مُحْتجنه الراكد في مغابن [1] الخزاين من لدن عام سبعة وسبعين وستماية [2]، واستنفدت عتاده المطاولة، نظر لنفسه فوجَّه كاتبه الوزير **أبا عبد الله بن عيسى**، وعاقده على الخروج له عن **مالَقة**، مُتَعَوِّضاً عنها بمدينة **سلا** من عمل ملك **المغرب**، وتم ذلك في شهر رمضان من عام ثلاثة عشر وسبعماية [3]، وذاع خبره، وضاقت بأولياء انتزايه السبل، إذ تحققوا بإخفاق المسعى، وسقوط العَشِيّ بهم على سرحان من سلطانهم الراغبين عنه، فداخلوا ولده، المقدَّم الأمر، **أبا الوليد**، واتفق أمرهم على خلعه، ومعاجلة [4] الأمر قبل تمامه، في .... [5] من شهر رمضان، ركب الرييس

---

[1] سقطت هذه الكلمة في الزيتونة؛ بينما وردت في الإسكوريال.
[2] الموافق لـ 1278م.
[3] الموافق لـ 1313م.
[4] في الزيتونة: ((معالجة)).
[5] بياض في هذا الحيز.

رحمه الله في نفر من مماليكه المروقة إلى بعض بساتينه، فلما قضى وطره، وهمّ بالخروج عنه، اعترضه القوم عند بابه، فالتفوا [1] به، وأشعروه غرضهم [2] فيهن وجاءوا به إلى بعض القصور بظاهر البلد، فجعلوه به تحت رَقْبة، وقد بادر ولده القصبة، فاستولى عليها من غير ممانعة، لعدم استرابة ثقاته به، إلاَّ ما كان من خاين يتولى القيام ببعض أبوابها هَمَّ بسدّه، فطاح لحينه، وتمّ لولده الاستبداد بالأمر واستولى على النَّصب والذخيرة وباقي المال [3]، ونُقل الرييس إلى معقل **قرطبة**، فلما خلص الأمر لولده، انتقل إلى مِعقل **شلوبانية**، فلم يزل به لا يبرح عن باب قصره، مرفَّها عليه إلى أن قضى نحبه.

---

[1] في الزيتونة: ((فاحتفوا)).
[2] في الزيتونة: ((بعزمهم)).
[3] وردت هذه الكلمة في الزيتونة؛ بينما ترك في موضعها بياض في الإسكوريال.

وفاته

في الرابع عشر لشهر ربيع الأول من عام عشرين وسبعماية [1] ، توفي رحمه الله بشلوبانية ، وجِيءَ بجنازته محمولاً على رؤوس صدور الدولة ووجوه رجالها، متناغين في لباس شعار الحزن بما لم يتقدم به عهد، ودفن **بمقبرة السَّبيكة**، وولده أمير المسلمين واقف بإزاء لَحْده، مظهر الاكترات لفقده، وعلى قبره الآن مكتوب نَقْشاً في الرخام البديع ما نصه: ((هذا قبر عَلَم الأعلام، وعماد دين الإسلام، جواد الأجواد، أسد الآساد، حامي الثغور وممهد البلاد، المجاهد في ذات الله حق الجهاد، شمس الملك وبدره، وعين الزمان وصدره، الكريم الأخلاق، الطاهر الذات والأعراق، الذي سار ذكره في الآفاق، وخلَّد من فضايله ما تتحلى به ظهور المنابر وبطون الأوراق، كبير الإمامة **النَّصرية**، وعظيم الدولة **الغالبية**، فرع الملك وأصله، ومن وَسِع الأنام عدله وفضله، **مخلَّد** الفخر الباقي على الأعصار، والعمل الصالح الذي ينال به

---

[1] **الموافق لـ 1320م.**

الحسنى وعُقبى الدار، بسلالته الطاهرة الكريمة المآثر والآثار، الإمام الرضي ناصر دين المختار، المنتخب من **آل نصر** ونعم النسب الكريم في الأنصار. الهمام، الأكبر، الأشهر، المقدم، المرحوم، الأطهر، **أبو سعيد** ابن الإمام الأعلى، ناصر دين الإيمان، وقاهر عَبَدة الصلبان، صِنْو الإمام الغالب بالله، ومجهز الجيوش في سبيل الله، سهام العِدا، وغمام النَّدى، وضرغام الحروب، ذي البأس المرهوب، والجود المسكوب، بطل الأبطال، ومناخ الآمال، المجاهد، الظاهر، المقدس، المرحوم **أبي الوليد بن نصر**، قدَّس الله مضجعه، ورقاه إلى الرفيق الأعلى ورفعه. كان رضى الله عنه، وحيد عصره، وفريد دهره، علت في سماء المعالي رتبه، وكرُم من أمير المسلمين صهره ونسبه، فلا يُزاحم مكانه، ولا يُدانى منصبه. نفذت أحكامه في الشرق والغرب، ومضت أوامره في **العجم والعرب**، إلى أن استأْثر الله به، فكانت وفاته ليلة الخميس الرابع عشر لشهر ربيع الأول من عام عشرين

وسبعماية [1]، وكان مولده يوم الجمعة الثامن لشهر رمضان المعظم من عام ست [2] وأربعين وستماية [3]، فسبحان الله الملك الحق، الباقي بعد فناء الخلق [4]:

سلام على قبـــر المكارم والمجـــد
مُقام الرضى والفوز والبِشر والسعـــد
مثابـــة إحســـانٍ ومعهـــد رحمـــةٍ
ومُسْتَـــودع العَلْيا[5] والسِّـــر والعـــد
فيا أيها القبـــر الذي هو روضـــة
تفوح شذى أذكى من المسك والند
لك الفضل إذ حملت أرضى أمانة
تودى بإكـــرام إلى جنـــة الخلـــد
ففيك من الأنصار من آل نصرهم
همام كريم الـــذات والأب والجـــد

---

[1] الموافق لـ 1320م.
[2] صوبها د. طويل؛ فجعلها: ((ستة)).
[3] الموافق لـ 1248م.
[4] البحر الطويل.
[5] أضاف د. طويل الهمزة؛ فأضحت ((العلياء)).

قَسْـــمُ[1] أمير المسلميـــن ابن عمـــه

ونخبـــة بيت الملك واسطة العِقْد

وحامي ذمار الديـــن ناصـــره أبـــو

سعيد عماد الملك في الحل والعقد

لبَّيْك[2] أميـــر العُدْوتيـــن بواجـــب

من الحق أبناء الوغى وبنو الرِّفـــد

وتبـــكي بلاد كان مالـــك أمرهـــا

أفاض بهـــا النعماء سابغة الورد

أقام بهـــا العـــدل والفضل سنَّـــة

بإنصاف مُسْتَعد وإسعاف مستجد

وتبكي أسى مـــلء العيون لفقـــده

وبالحـــق لو فاضت نفوس من الوَجْد

فيا أيها المـــولى الذي لمصابـــه

بدا الحزن حتى في المطهمة الجُـــرْد

---

[1] **أضـاف د. طويـل الـواو؛ فغدت: ((وقسْـمُ)).**

[2] **أضـاف د. طويـل اليـاء؛ فأضحـت: ((ليبـكي)).**

لك الله ما أعـــلى مكارمـــك التي
تسير بها الركبان في الغُور والنجـــد
وحسبك أن أورثـــت خير خليفـــة
وأبديـــت منه للورى علم الرشـــد
إمام هـــدىً أعماله للـــه[1] رحمـــة
تنال بها الزُّلـــفى من الصَّمد الفرد
عليك من الرحمـــن أزكى تحيـــة
توفيك من إحسانه غاية القصـــد

***

[1] جعلها د. طويل: ((لَـهْيَ)).

فرج بن محمد

ابن محمد بن يوسف بن نصر[1]، الأمير أبو سعيد ولد أمير المسلمين، ثاني[2] الملوك النصريين، ابن الغالب بالله.

حاله

كان أميراً جليلاً جميلاً، بلغ الغاية في حسن الصورة، وفضل الفروسية على صغر سنه وكان **زناتي** الشكل والركض والآلة، عروس الميدان، وحِلْس الخيل، يؤثر من شجاعته، وثبات موقفه، على الغرارة، وعدم الحَنَكة، أنه أنشب في اتباع خنزير ضخم الكراديس، عظيم الناب، عريض الغبطة، طرح نفسه عليه في ضحضاح، لفضل شجاعته، فكبا به الطرف، واستقبله ذلك الخنزير الفحل صامداً، فاستقل، زعموا، من السَّقطة، وقد اخترط سيفاً عضْباً كان يتقلده، وسبقه بضربة تحت عينيه، أبانت فكيه، وأطارت محل سلاحه، وخالطه مع ذلك أعزل، فلم يُغْن، وتلاحق به فرسانه، وقد يئسوا من

---

[1] خبره موجود في اللمحة البدرية.

[2] المقصود هو أبو عبد الله محمد بن محمد بن يوسف بن نصر؛ ثاني ملوك بني نصر. له ترجمة في الإحاطة.

خلاصه، فرأُوا ما بهتوا له، وبُشّر بذلك أبوه، فملأ عينه قُرَّة، وكان يولع منه بفرع مُلْك، وصَقْر بيت، وسيف دولة. أسف بذلك ولِّي العهد كبيره، فاعتُبط لأيام من تصير الأمر إليه.

وفاته

توفي مغتالاً في الأول من عام اثنين وسبعماية [1].

مولده

عام ستة وثمانين وستماية [2].

***

[1] الموافق لـ 1302م.
[2] الموافق لـ 1287م.

فرج بن محمد

ابن يوسف بن محمد بن نصر [1]، الأمير أبو سعيد، ولي عهد السلطان الغالب بالله.

حاله

كان هذا الأَمير فاضلاً ذكياً، من أهل الأدب والنُّبل، قام الأدب في مدته على ساق، ولاَّه أبوه **الغالب بالله** عنده، وأَمَّله لمكانه لو أَنَّ الليالي أمهلته.

شعره

وأدبه مما يُنسب إليه بالأندلس ، وهو عندي ما يبعد قوله [2]:

أيـــا ربة الحسن التي سلبت منك

على أي حال كنت لابد لي منـــك

---

[1] **أخبـاره موجـودة في اللمحـة البدريـة.**
[2] **البحـر الطويـل.**

فإمـــا بذل وهو أليـــق بالهـــوى

وإما بَغَـــر   وهو أليـــق بالملـــك

وكان ذو الوزارتين **أبو عبد الله بن الحكيم** رحمه الله يقول؛ أخبرني كاتب هذا الأمير، وهو الوزير **أبو عبد الله بن القصيرة الإشبيلي بتونس** قال: نظم الأمير بيتاً وطلبني بإجازته، وأن يكون المنظوم مشوب النسيب بالفخر. والبيت [1]:

أرقت لبـــرق بالسَّبيكة لا الخيف

وإن كان فيه ما أحـــاذر من حَتْف

فقلت مجيزاً [2]:

تجـــورُ على قلبي لواحظ غـــادة

بأنفذ من عزمي وأقطع من سيف

ولي هزَّة نحو الوصال أو اللُّقـــا

كهزة آبايى الكرام إلى الضيـــف

---

[1] البحر الطويل.

[2] البحر الطويل.

أفيضُ وفيضٌ في الجفون وبالحشـــا
فأشكو بحالي في الشتاء وفي الصيف
لعمـــري لقد وفَّى العلا حق مفخري
لو انِّيَ في الدنيا مُراديَ أستـــوف

قال واستحسن ذلك ووقع عليه كاتبه ؛ يعني بذلك نفسه.

وفاته

عصر يوم الأربعاء لأربع بقين من ذي الحجة سنة ثلاث وخمسين وستماية[1]، ابن خمس وعشرين سنة.

***

[1] **الموافق لـ 1255م.**

***

الفتح بن علي

ابن أحمد بن عبيد الله الكاتب [المشهور][1]؛ من قرية تعرف بصخرة الواد[2]؛ من قرى قلعة يحصب؛ يكنى أبا نصر؛ ويعرف بابن خاقان.

حاله

كان آية من آيات البلاغة، لا يُشَقُّ غباره ولا يدرك شأوه، عذب الألفاظ ناصعها، أصيل المعاني وثيقها، لعوباً بأطراف الكلام، معجزاً في باب الحلى والصفات، إلاّ أنه كان مجازفاً، مقدوراً عليه، لا يملُّ من المعاقرة والقَصْف [3]، حتى هان قَدْره، وابتُذِلت نفسه، وساء ذكره، ولم يدع بلداً من بلاد **الأندلس** إلاَّ دخله، مُسْتَرْفِداً أميره، وواغلاً

---

[1] **وردت هذه الكلمة في الزيتونة؛ بينما سقطت في الإسكوريال. وترجمة ابن خاقان موجودة أيضاً في: المغرب في حلى المغرب، والذيل والتكملة، والمعجم في أصحاب القاضي الصدفي، ومعجم الأدباء، و شذرات الذهب، وخريدة القصر، ومرآة الجنان، ونفح الطيب، وأزهار الرياض.**

[2] **في النفح: ((بقلعة الواد)).**

[3] **القصف: إقامة الرجل في أكل وشرب. أما المعاقرة؛ فتعني شرب الخمر.**

على[1] عليته. قال الأُستاذ في **الصلة**[2]: وكان معاصراً للكاتب **أبي عبد الله بن أبي الخصال**، إلاّ أن بطالته أخلدت[3] به عن مرتبته. وقال **ابن عبد الملك**، دخل[4] يوماً إلى مجلس قضاء[5] **أبي الفضل عياض**[6] مخمراً، فتنسم بعض حاضري[7] المجلس رائحة الخمر؛ فأعلم القاضي بذلك، فاستثبت[8]، وحدَّه حدّاً تاماً، وبعث إليه بعد أن أقام عليه الحدّ، بثمانية دنانير وعمامة. فقال **الفتح**؛ حينئذ لبعض أصحابه: عزمت على إسقاط اسم القاضي **أبي الفضل** من كتابي الموسوم **بقلايد العقيان**؛ قال: فقلت لا تفعل وهي نصيحة[9]، فقال[10]: وكيف ذلك، فقلت[11] له، له، قصَّتُك معه من الجايز أن تنسى، وأنت تريد أن

[1] في النفح: ((واغلاً في..)).
[2] المقصود هنا هو كتاب صلة الصلة؛ للأستاذ أبي جعفر أحمد بن الزبير.
[3] أي نزلت به.
[4] في النفح: ((قصد)).
[5] في الزيتونة: ((القاضي)).
[6] سقطت هذه الكلمة في الإسكوريال؛ بينما وردت في الزيتونة.
[7] في الذيل والتكملة: ((حضور)).
[8] في الذيل: ((بذلك؛ فأمر به؛ فاستثبت في استنكاهه وحدّه)).
[9] هنا اضطراب في الصياغة.
[10] في الذيل: ((فقال لي)).
[11] نفسه: ((قال: فقلت له)).

تتركها [1] مؤرخة، إذ كل من ينظر في كتابك يجدك قد ذكرت فيه من هو مثله ودونه في العلم والصيت، فيسل عن ذلك، فيقال له: [اتفق معك كيت وكيت] [2] فيُتَوارث فيُتَوارث العلم [3] عن الأكابر الأصاغر. قال، فتبين له ذلك، وعلم صحته، وأقرَّ اسمه [4].

وحدثني بعض الشيوخ: أن سبب حقده على **ابن باجَّة أبي بكر** [5]، آخر فلاسفة **الإسلام بجزيرة الأندلس**؛ ما كان من إزرايه به، وتكذيبه إياه في مجلس إقرايه، إذ جعل يكثر ذكر ما وصله به أمراء **الأندلس**، [ويذكر **الفخر** بذلك] [6]، ووصف حلياً وكانت [7] تبدو من أنفه أنفه فضلة خضراء اللون. زعموا فقال له، فمن تلك الجواهر إذاً الزمردة التي على شاربك؛ فثلبه في كتابه، مما

---

[1] في الذيل: ((أن تخلدَّها مؤرخة؛ فقال لي: وكيف؟ قال: فقلت له: كل من من نظر في كتابك...

[2] هذه العبارة وردت في الزيتونة؛ بينما سقطت في الإسكوريال، والنفح.

[3] في الذيل: ((فيتوارث العلم بذلك الأصاغر عن الأكابر)).

[4] نفسه: ((فأقرَّ اسمه في الكتاب: قلائد العقيان)).

[5] هو محمد بن يحيى بن باجة التجيبي السرقسطي الأندلسي؛ المعروف بابن الصائغ سبقت. له ترجمة في كتاب الإحاطة.

[6] هذه الإضافة من الزيتونة.

[7] في الذيل، والنفح: ((وكان يبدو)).

هو معروف في الكتاب. وعلى ذلك؛ **فأبو نصر** نسيج وحده، غفر الله له [1].

مشيخته

روى عن: **أبوي بكر بن سليمان بن القصيرة، وابن عيسى بن اللبَّانة، وأبي جعفر بن سعدون** الكاتب، **وأبي الحسن بن سِراج**، **وأبي خالد بن مَسْتَقور** [2]**، وأبي الطيّب ابن زرقون، وأبي عبد الله بن خلصة** الكاتب، **وأبي عبد الرحمن بن طاهر**، **وأبي عامر بن سرور، وأبي محمد بن عبدون، وأبي الوليد بن حجاج ، وابن دريد** الكاتب.

تواليفه

ومصنفاته شهيرة منها: ((قلايد العقيان))، ((**ومطمح الأنفس**))، ((**والمطمح**)) أيضاً [3]. وترسيله مدَّون، وشعره وَسَط، وكتابته فايقة.

---

[1] **في النفح: ((الله تعالى)).**
[2] **نفسه: ((بشتغير)).**
[3] **أي وجزء آخر من المطمح.**

شعـره

مـن شعـره قولـه؛ وثبـت في **قلايده**؛ يخاطـب **أبا يحيى ابن الحجاج**[1]:

أكعبـــة علياء وهضبـــة ســـؤدد
وروضـــة مجد بالمفاخـــر تمطر
هنيئاً لمـــن زار [نـــورك أفقـــه][2]
وفي صفحتيه من مضايك أسطر
وإني لخفّـــاق الجناحيـــن كلمـــا
سَرَى لك ذكـــر أو نسيـــم مُعَطَّر
وقد كان واشٍ هاجنـــا لتهاجـــر[3]
فبت وأحشـــائي جـــوى تتفطَّـــر
فهل لك في وُدٍّ ذوى لك ظاهراً
وباطنه يُنْـــدى صفـــاءً ويقطـــر

---

[1] **البحـر الطويـل.**

[2] **في الإسكوريـال: ((أفقـك تـوره))؛ وصوبـت مـن قلائد العقيـان. بينمـا جـاء هـذا الشطـر في النفـح هكـذا: ((هنيـا لملـك زار أفقـك نـوره)). وفي قلائد، والمطـرب: ((هنيئـاً لملـك زان نـورك أفقـه)).**

[3] **في المطـرب: ((لتنـافر)).**

ولســـت بعلق بيـــع بخساً وإنني
لأرفع أعلاق الزمـــان وأخطـــر[1]

فروجع عنه بما ثبت أيضاً في قلايده مما أوله[2]:
ثنيت أبا نصـــر عِنـــاني وربمـــا
ثنت عزمة السَّهم المصَمَّم أسطر

نثره

ونثره شهير، وثبتٌ[3] له من غير المتعارف من السُّلطانيات؛ ظهيراً [كتبه][4] عن بعض الأمراء لصاحب الشرطة، ولا خفاء بإدلاله وبراعته: ((كتاب تأكيد اعتناء، وتقليد ذي منَّة وغناء، أمر بإنفاذه فلان، أيده الله[5]، لفلان بن فلان صانه الله[6]، ليتقدم لولاية المدينة،

[1] في المطرب: ((وأنظر)).
[2] البحر الطويل.
[3] في النفح: ((ونثبت)).
[4] وردت هذه الكلمة في الزيتونة؛ وسقطت في الإسكوريال.
[5] في النفح: ((الله تعالى)).
[6] نفسه: ((الله تعالى)).

بفلانة [1] وجهاتها، ويصرخ [2] ما تكاثف من العدوان في جنباتها ، تنويهاً أحظاه بعلائه، وكساه رايق ملائه، لما علمه من سنايه، وتوسَّمه من غِنايه، ورجاه من حسن منابه، وتحققه من طهارة ساحته وجَنَابِه، وتيقن أيده الله [3] أنه مُسْتحق لما [4] ولاه، مُسْتَقِلٌ [5] بما تولاَّه، لا يعتريه الكسل، ولا يثنيه [6] عن إمضاء الصوارم والأَسَل، والأَسَل، ولم يَكلِ الأمر منه إلى وَكِل [7]، ولا ناطه مناط [8] عجز ولا فشل، وأمره أن يُراقب الله تعالى في أوامره ونواهيه، وليعلم أنه زاجره عن الجَوْر وناهيه؛ وسايله عما حكم به وقضاه، وأنفذه وأمضاه: ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا ۖ وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ﴾ [9]. فليتقدم

[1] نفسه: ((المدينة الفلانية)).
[2] نفسه: ((يصوِّح)).
[3] في النفح: ((الله تعالى)).
[4] في الإسكوريال: ((بما))؛ وصوبت من النفح.
[5] أي حامل للعبء الذي تولاه)).
[6] في النفح: ((تثنيه عن المضاء الصوارم)).
[7] أي إلى المتكل على غيره.
[8] في النفح: ((بمناط)).
[9] سورة الانفطار؛ الآية: 19.

لذلك[1] بحزم لا يَخمدُ توقدُّه، وعزم لا ينفد تفقُّده، ونفس ونفس مع الخير ذاهبة، وعلى سنن [2] البرّ والتقوى راكبة، راكبة، ويقدم للاحتراس من عُرف اجتهاده وعُلم أرقه في البحث وسُهاده. وحُمدت أعماله، وأُمن تفريطه وإهماله، ويضم إليهم من يحذو حذوهم، ويقفو شأوهم، ممن لا يستراب بمناحيه، ولا يصاب خلل في ناحية من نواحيه ، وأن يذكي العيون على [3] الجُناة، وينفي عنها لذيذ السنات [4]، ويفحص عن مكامنهم، حتى يُغَصَّ بالروع [5] بالروع [5] نفس آمنهم، فلا يستقرُّ بهم موضع، ولا يقرُّ [6] يقرُّ [6] منهم مَخبُّ ولا موضع، فإذا ظفر منهم بمن ظفر، ظفر، بحث عن باطنه، وبثَّ السؤال في مواضع تصرفه ومواطنه، فإن لاحتْ شُبهة أبداها الكشف والاستبراء وتعداها للبغي [7] والافتراء، نكله بالعقوبة أشدَّ نكال،

---

[1] في النفح: ((إلى ذلك)).
[2] في النفح: ((مَتْن)).
[3] في الإسكوريال: ((عن)).؛ وصوبت من النفح.
[4] أي لذيذ النوم في أوائله.
[5] في النفح: ((بالرِّيق)).
[6] نفسه: ((ولا يقرُّ منهم خبّ ولا موضع)).
[7] جعلها د. طويل: ((البغي)).

وأوضح له منها ما كان ذا إشكال، بعد أن يبلغ أناه، ويقف على [طَرْف] [1] مداه، وحد له ألا يكشف بشرة إلاَّ في حدٍّ يتعين، وإن جاءه فاسق أن يتبيَّن، وأن لا يطمع في صاحب مال موفور، وأن لا يسمع من مكشوف في مستور، وأن يسلك السُّنن المحمود، وينزَّه عقوبته من الإفراط، وعفوه من تعطيل الحدود. وإذا انتهت إليه قصة مشكلة أخَّرها إلى غَدِه، فهو على العقاب أقدر منه على ردّه ، فقد يتبين في وقت ما لا يُتبين في وقت، والمعاجلة بالعقوبة من المَقْت، وأن يتغمد هفوات ذوي الهيآت، وأن يستشعر الإشفاق، ويخلع التَّكَبُّر، فإنه من ملابس أهل النفاق، وليحسن لعباد الله اعتقاده، ولا يرفض زمام العدل ولا مَقَاده، وأن يعاقب المجرم قَدْرَ زلته، ولا يعتز عند ذلَّته، وليعلم أن الشيطان أغواه، وزين له مثواه، فيشفق من عثاره، وسوء آثاره، وليشكر الله على ما وهبه من العافية، وأكسبه من ملابسها الضَّافية، ويذكره جلَّ وتعالى [2] في جميع أحواله، ويفكر في الحَشْر وأهواله،

[1] في النفح: ((في طرفه)).
[2] نفسه: ((وعلا)).

ويتذكر وعداً يُنجز فيه، ووعيداً: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَراً وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَداً بَعِيداً﴾[1]. والأمير أيده الله، وليٌّ له ما عَدَل وأقسط، وبريء منه إن جار وقَسَط. فمن قرأه فليقف عند حدّه ورَسْمه، وليعرف له حق قطع الشر وحسمه، ومن وافقه من شريف أو مَشْروف، وخالفه في شيء[2] منكر أو أمرٍ بمعروف، فقد تعرَّض من العقاب لما يذيقه وبال خَبْله: ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾[3].

وكتب في كذا.

---

[1] الآيـة كاملـة هكـذا: (يَـوْمَ تَجِدُ كُلّ نَفْسٍ مَـا عَمِلَـتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَـراً وَمَـا عَمِلَـتْ مِـنْ سُـوءٍ تَـوَدّ لَـوْ أنّ بَيْنَهَـا وَبَيْنَـهُ أَمَـداً بَعِيـداً وَيُحَذّرُكُـمُ اللّـهُ نَفْسَـهُ وَاللّـهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَـادِ). سـورة آل عمـران: الآيـة: 30.

[2] في النفـح: ((في نَـهْيٍ عن مُنْكـر)).

[3] الآيـة كاملـة هكـذا: (اسْتِكْبَـاراً فِي الأرْضِ وَمَكْرَ الـسّيّءِ وَلاَ يَحِيـقُ المَكْرُ الـسّيّءُ إلاّ بِأَهْلِـهِ فَهَلْ يَنْظُـرُونَ إلاّ سُنّـةِ الأوّلِيـنَ فَلَـنْ تَجِـدَ لِسُنّـةِ اللّـهِ تَبْدِيـلاً وَلَـنْ تَجِـدَ لِسُنّـةِ اللّـهِ تَحْوِيـلاً). سـورة فاطر؛ الآيـة: 43.

وفاته

بمرّاكُش؛ ليلة الأحد لثمان بقين من محرم من عام تسع [1] وعشرين وخمسماية [2]، أُلْفي قتيلاً ببيت من بيوت **فُنْدق لبيب**؛ أحد فنادقها، وقد ذُبح وعُبث به، وما شُعر به إلاّ بعد ثلاثة [3] ليال من مقتله.

***

[1] صوبها د. طويل؛ فجعلها: ((تسعة)).
[2] الموافق لـ 1134م. وفي معجم أصحاب القاضي الصدفي: ((توفي ذبيحاً بفندق لبيت من من حضرة مراكش سنة 528هـ))، وفي وفيات الأعيان: ((توفي قتيلاً سنة 535هـ بمدينة مراكش؛ في فندق)).
[3] صوبها د. طويل؛ فجعلها: ((ثلاث)).

***

فـرج بـن قاسـم

ابـن أحمد بـن لـب التغلبي [1]؛ مـن أهـل غرناطة؛ يكنى أبـا سعيـد.

حالـه

هـذا الرجـل مـن أهـل الخير والطهـارة، والزَّكـا [2] والديانـة، وحسـن الخُلُـق. رأس بنفسـه، وحُـلِّي بفضـل ذاتـه، وبـرَّز بمزية إدراكه وحفظـه، فأَصبـح حامـل لـواء التحصيـل عليـه [3] بـدار الشُّـورى، وإليـه مرجـع الفتـوى ببلـده، لغـزارة حفظـه، وقيامـه عـلى الفقـه، واضطِّلاعـه بالمسائـل، إلى المعرفـة **بالعربيـة** واللغـة، والمـران [4] في التوثيـق، والقيـام عـلى القـراءات، والتَّبريز في التفسير، والمشاركـة في الأصليـن والفرايـض والأدب. جيـد الحـظ، ينظـم وينثـر. قعـد ببلـده

---

[1] لـه ترجمـة في: الكتيبـة الكامنـة، وبغيـة الوعـاة، ونفـح الطيـب. وقـد لاحـظ عنـان أن ابـن الخطيـب لـم يذكـر تاريـخ وفـاة ابـن لـب؛ لأنـه تـوفي قبلـه. لـذا فقـد أشـار إلى أن الناسـخ سجـل في هامـش المخطـوط ؛ مـا أورده عـن ابـن فرحـون في كتـاب الديبـاج المذهـب؛ نقـلاً عـن الحـافـظ ابـن حجـر: أن ابـن لـب قـد تـوفي في سنـة 783هـ.

[2] في النفـح: ((والذكـاء)).

[3] نفسـه: ((وعليـه مـدار الشـورى)).

[4] نفسـه: ((ومعرفـة التوثيـق)).

للتدريس على وفور المسجد. ثم استقلَّ بعد، وولي الخطابة بالمسجد الأعظم، وأقرأ **بالمدرسة النَّصرية**، في ثامن وعشرين من رجب عام أربعة وخمسين وسبعماية [1]؛ معظماً، عند الخاصة والعامة، مقروناً اسمه بالتسويد. وهو الآن بالحالة الموصوفة.

مشيخته

قرأ على الخطيب المقري، شيخنا **أبي الحسن القِيجاطي،** والخطيب الصالح الفاضل **أبي إسحق بن أبي العاصي**، والقاضي العدل المحدث العالم **أبي عبد الله بن بكر**، ولازم الشيخ الفقيه **أبا عبد الله البيَّاني**، وأخذ العربية عن شيخ العصر **أبي عبد الله بن الفخار**، وروى عن الشيخ الرحال الراوية **أبي عبد الله محمد بن جابر بن محمد القيسي الوادي آشي**، وغيرهم.

---

[1] **الموافق لـ 1353م.**

شعـره

مـن شعـره فـي غـرض النسيـب قولـه [1] :

خذوا لِلْهوى من قلبي اليوم ما أبقى
فما زال قلبي[2] للهـــوى كلّه رقَّـــا[3]

دعوا القلب يصلى في لَظَى الوجد نـــاره
فنار الهوى الكبرى وقلبي هو الأَشْقى

سَلُوا اليوم أهل الوَجْد ما ذا به لقـــوا
فكل الذي يلقون بعض الذي ألقى

فإن كان عبدٌ يَسَلِ[4] الْعِتْـــق مالكـــاً[5]
فلا ابتغى من مالكي في الهوى عِتْقا

بدعوى الهوى يدعو أناس وكلهـــم
إذا سئلوا طُرق الهوى جهلوا الطرقـــا

---

[1] البحـر الطويـل.
[2] في النفـح: ((قلـبي كلـه للهـوى)).
[3] أي عبـدا
[4] في الكتيبـة، والنفـح: ((يسـأل)).
[5] في النفـح: ((سيـدا)).

فطُرق الهوى شتى ولكـــنَّ أهلـــه
يجوزون[1] في يوم الرِّهان بها سبقا[2]
فكم[3] جعمت طرق الهوى بين أهله[4]
وكم أظهرت عند السُّرى[5] بينهم فرقـــا
بسيما الهوى تسمو معارف أهلـــه
فحيث ترى سيما الهوى فاعرف الصدقـــا
فمن زَفْرة تُزْجي سحايب زفـــرة[6]
إذا زفرة تـــرقى فلا عَبْرة ترقـــا
إذا سكتوا عن وجْدهم أغرت بهم[7]
بواطن أحوال وما عرفت نطقـــا
ومن منظومه في وَداع شهر رمضان المعظم قوله [8]:
أأزمعت يا شهـــر الصيام رحيـــلا
وقاربـــت يا بدر التمـــام[9] أُفُـــولا

---

[1] في الكتيبـة، والنفـح: ((يحـوزون))؛ بالحـاء المهملـة.
[2] في النفـح: ((يـوم السبـاق بهـا السبقـا)).
[3] نفسـه: ((وكـم)).
[4] نفسـه: ((أهلهـا)).
[5] نفسـه: ((السـوى)).
[6] في الكتيبـة، والنفـح: ((عبـرة)).
[7] في النفـح: ((أعربـت بـه)).
[8] البحـر الطويـل.
[9] في النفـح: ((الزمـان)).

أَجِــدَّك قد جدَّت بك الآن رحلـــة
رُوَيْــدك أمســك للــوداع قليـــلا
نزلــت فأَزْمَعْــت الرحيل كلمـــا[1]
نَويت رحيـــلاً إذ نويـــت نـــزولا
وما ذاك إلاّ أن أهلك قـــد مضـــوا
تفانـــوا فأبصـــرت الديار طلـــولا
وقفتَ بها من بعدهـــم فعل نـــادى[2]
لربع خـــلا يبـــكي عليـــه خليـــلا
لقد كنت[3] في الأوقات ناشئة التَّعــني[4]
أشدً بـــه وطْســـاً[5] وأقـــوم قيـــلا
ولما انجلى وجهُ الهدى فيك مسفـــراً
سدلت على وجه الضَّلال سُـــدولا
مـــتى ارتاد مرتادٌ مَقيلاً لعثْـــرة
أتـــاك فـــألـــفى للعِثـــار مقيـــلا

[1] في النفـح: ((كأنمـا)).
[2] حـذف د. طويـل الألـف المقصـورة؛ فأضحـت: ((نـاد)))
[3] في النفـح: ((تفكـرت في)).
[4] نفسـه: ((التُّـقى)).
[5] نفسـه: ((وطـأ)).

وناديت فينا صُحْبَة الخير أقبلـــوا

بإقبالكـــــم حُزْتــم لــديَّ قبـــولا

لقد كنـــت لمـــا واصلوك ببرِّهـــم

حفيـــاً بهم بـــرّاً لهـــم ووَصُـــولا

أقاموا لديـــن اللـــه فيـــك شعايراً

هدتهـــم إلى دار الســـلام سبيـــلا

فكم أطلقـــوا فيهـــا أعنَّـــة جَدِّهـــم

وكم أرسلوا فيها الدموع همـــولا

دموعاً أثارت سَحَّهـــا ريح زفـــرة

فسالت وخدَّت في الخدود مسيـــلا

لديك أيا شهر الهُدى قصَّـــروا المدى

فكم لك في شأو الفضايـــل طـــولا

دلايـــل تشريـــف لديـــك كثيـــرة

كـــفى بكتـــاب اللـــه فيـــك دليلا

***

***

فضل بن محمد

ابن علي بن فضيلة المعافري؛ يكنى أبا الحسن؛ من أهل الشرق الأندلسي؛ أبو الحسن الولي الصالح الصوفي.

حاله

كان ولياً فاضلاً زاهداً، على سنن الفضلاءَ، وأخلاق الأولياء، غزير العلم، كثير العمل، دايم الاعتبار، مشهور الكرامة، مُسْتجاب الدعوة، صوفياً محققاً، انتهت إليه الرياسة في ذلك على عهده. يدل على ذلك كلامه على أغراض القوم، وكَشْفُه عن رموزهم وإشاراتهم، أديباً بليغاً، كاتباً مرسلاً، لا يُشَقُّ غباره في ذلك. قايماً على تجويد كتاب الله، عالي الرواية، أَسَنَّ وتناهى وازدلف إلى التّسْعين، مُمَتَّعاً بجوارحه، ووُلّي الخطابة والإمامة بالمسجد الأعظم، أقرأ به مدة كبيرة.

قال **ابن الزبير** في **صلته**: كان جليلاً في ذاته وخُلُقه ودينه، معدوم النظير في ذلك، مشاركاً في فنون من العلم، أديباً بارعاً، كاتباً بليغاً، فصيح القلم، متقدماً في ذلك، متصوفاً، سَنِيّاً، ورعاً، معدوم القرين في ذلك، متواضعاً، مقتصداً في شئونه كلها، جارياً في خلقه وأفعاله وأحواله، على سُنَن السلف، أحفظ الناس للسانه وجوارحه وأصدقايه، وأسلمهم عنياً ومشهداً، وأشدهم تمسكاً بهدي السلف الصالح، مؤثراً للخمول، سريع العبرة، شديد الخوف لله سبحانه، تالياً لكتاب الله، كثير الصوم، خفيف القَدَم في حوايج أصحابه، مشاركاً لهم بأقصى ما يمكنه. له تقاييد جوابية عما كان يسئل عنه في الفن الذي كان يؤثره، محرراً ما يلزم التقييد به من كتاب الله تعالى، وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، غير منافر لمذهب الأشعرية، مالكي المذهب له اختيارات يسيرة لا يُفْتى بها، ولا تتعدى علمه.

مشيخته

روي عن: **أبي تمام غالب بن حسن بن أحمد بن سيد بونه**، وعن **أبي العباس أحمد بن محمد بن شُهيد**، وأخذ أيضاً عن **أبي بكر بن محرم**، وأجاز له **أبو بكر بن المرابط**، وقرأ على القاضي **أبي القاسم بن يحيى بن ربيع**، والقاضي **أبي عيسى بن أبي السداد المرسي**، وغيرهم.

من أخباره

وكراماته شهيرة، فمنها أن رجلاً استفتاه، فأفتاه بجواب لم يحصل له به الإقناع، فرأى في عالم النوم، وإثر سؤاله إياه، رسول الله صلى الله عليه وسلم، يقول له، الحق ما قال لك فلان في المسألة. قال الحاكي، فبكَّر إليه الرجل من الغد، فلما أقبل عليه بموضع إقرايه، قال له، ألم ترد أن تَسْتَفتي يا أبا فلان إلاَّ من رأس العين، فبهت الرجل. وأحواله شهيرة.

مولـده

ولـد عـام سبعـة وستمايـة [1].

وفاتـه

في الثامـن عشـر مـن محـرم عـام تسعـة وتسعيـن وستمايـة [2].

ودفـن بمقبـرة **[ربـض]** [3] **البيّـازيـن** مـع قومـه مـن صلحـاء الشَّـرق، وكانـت جنازتـه مشهـودة.

***

[1] الموافـق لـ 1210م.

[2] الموافـق لـ 1299م.

[3] سقطـت هـذه الكلمـة في الإسكوريـال؛ بينمـا وردت في الزيتونـة.

ومن العمال الأثرار

***

فلوج العلج

مولى يحيى بن غانية [1].

حاله

كان فلُّوج شهماً شجاعاً، مَهيباً حازماً، نال من مولاه حظوة، واستعان به على أموره المهمة. وجرى على يده إغْرام أهل **قرطبة**، وانطلقت على أموالهم يده، وأثرى وجمع مالاً دَبْراً من الصامت والذخيرة عظيماً.

نكبته

وكان يحيى بن غانيه قد ولاه **حصن بني بشير**، فثقَّفه وحصَّنه، ونقل إليه أمواله ومتاعه، وذخيرته. ولما توفي مولاه، لحق به وملك أمره واستعان بجماعة من **النصارى**، ثم بدا له لضعف رأيه، وسوء تدبيره، أن ألقى بيده إلى ابن أخي مولاه **إسحق بن محمد بن غانيه**، فأناب ولحق به، معتذراً عن توقفه، فقبض عليه وصفَّده،

---

[1] سترد ترجمته في الإحاطة لاحقاً.

وعرض عليه العذاب، وأسكنه في تابوت، باطنه مسامير، لا يمكنه معها التصرف، وأجاعه بمرأى من الطعام بمطبخه، إلى أن مات جوعاً وألماً. وهو مع ذلك لا يطعمه في شيءٍ من المال. وتخلَّف بالحصن رجلاً من جهة **سَرَقُسطة**، يعرف **بابن مالك** ، ويكنى **أبا مروان**. فلما ذاع خبر القبض عليه، بادر **الموحدون** الذين **بلَوْشة**، فتغلبوا عليه، واستولوا على ما كان به من مال وذخيرة، ووجدوا فيه من أنواع الثياب والحُلي والذَّخيرة، كل خطير عظيم، وشدُّوا على **ابن مالك** في طلب المال؛ فلم يحدو عنده شيئاً. إلى أن فدى نفسه منهم، بمال كبير. فمضى **فلوج** على هذا السبيل.

***

***

قاسم بن عبد الله

ابن محمد الشّاط الأنصاري [1]، نزيل سبتة، وأصله من بلنسية، يكنى أبا القاسم. قال: والشّاط إسم جري؛ وكان طُوالاً؛ فجرى عليه الاسم.

حاله

نسيج وحده في إدراك النظر، ونفوذ الفكر، وجودة القريحة، وتسديد الفهم، إلى حسن الشمايل، وعلو الهمة، وفضل الخلق، والعكوف على العلم، والاقتصار على الآداب السُّنية، والتحلي بالوقار والسكينة. اقرأ عُمْرَه بمدرسة **سبتة**، الأُصول والفرايض، متقدماً، موصوفاً بالأمانة. وكان موفور الحظ من الفقه، حسن المشاركة في العربية، كاتباً، مُرسّلاً، ريّان من الأدب، ذا مماسَّة في الفنون، ونظر في العَقْليات، ضرورة لم يتزوج، ممن يتحلى بطهارة وعفاف.

---

[1] لـه ترجمـة أيضـاً في نفـح الطيـب.

وقال في **المؤتمن**[1]**:** كان مع معارفه، عالي الهمة، نزيه النفس، ذا وقار وتُؤدة في مشيه ومجلسه، يُشاب وقاره بفكاهة نظيفة، لا تنهض إلى التأْثير في وقاره، ظريف الملبس، يخضب رأسه بالحنا على كبره.

مشيخته

قرأَ **بسبتة** على: الأستاذ الكبير **أبي الحسن بن أبي الربيع** وبه تأدب، وعلى **أبي بكر بن مشليون**، وعلى الحافظ **أبي يعقوب المحاسبي**، وعلى الطبيب **أبي عبد الله محمد بن علي بن أبي خالد العبدري الأُبَّدي**، وعلى **أبي الحسن البصري**، وعلى خاليه: **أبي عبد الله محمد: وأبي الحسن إبني الطرطاني**، وأجازه **أبو القاسم بن البرَّا، وأبو محمد بن أبي الدنيا، وأبو العباس بن علي الغماز، وأبو جعفر الطباع، وأبو بكر بن فارس، وأبو محمد الأنباري**، وغيرهم. وأخذ عنه الجملة من **أهل الأندلس** من شيوخنا: كالحكيم الأستاذ **أبي زكريا بن هُذَيل**، وشيخنا **أبي الحسن ابن الجياب**، وشيخنا **أبي البركات**، والقاضي **أبي بكر بن**

[1] **هو كتاب المؤتمن في أنباء من لقيته من أبناء الزمن لمحمد بن الحاج البلفيقي.**

شِبْرين، وقاضي الجماعة **أبي القاسم الحسني الشريف**، والوزير **أبي بكر بن ذي الوزارتين أبي عبد الله بن الحكيم**، والقاضي **أبي القاسم بن سَلْمون** ، وغيرهم.

شعره

وكان يقرض أبياتاً حسنة من الشعر، فمن ذلك قوله يُذيّل أبياتاً لأبي المطرف بن عميرة وهي [1]:

فَضَلَ الجمال على الكمال بخـــدِّه[2]
والحق[3] لا يخفى على من وسَّطـــه
عجبـــاً لــه برهانـــه بشروطـــه
معه فمـــا مطلوبـــه[4] بالسَّفْسطـــه
عَلِـــم التَّبايـــن في النفوس وإنهـــا
منها [مفرطـــة وغيـــر مفرطـــة][5]

---

[1] البحر الكامل. نسب المقري في نفح الطيب؛ البيت الأول والثاني لابن عميرة؛ وبقية الأبيات الثلاثة لابن الشاط.
[2] في النفح: ((بوجهه)).
[3] نفسه: ((فالحقُّ)).
[4] نفسه: ((مقصوده)).
[5] في الزيتونة ((مفروقة وغير مروقة)). وفي النفح: ((منها مُغلَّطة وغير مُغلَّطة)).

فيه[1] رأت وجــه الدَّليــل وفرْقــه
أَصْغَت إلى الشُّبهات فهي مورطة
فأراد جمعهــا معــاً في حكمــة[2]
هــذي بمُنْتجــة وذي بمغلَّطــة

ومن شعره قوله [3]:

وإني[4] سلكتُ من انقباضي مسلكــاً
وجريتُ من صَمْتي على مِنْهــاج
وتركــت أقــوال البريــة جانبــاً
كي لا أُميِّــز مَادحــاً من هــاج

دخوله غرناطة

ورد على غرناطة عند تصَيُّر سبتة إلى الإيالة النَّصرية مع الوافد من أهلها ببيعة بلدهم، فأخذ عنه بها الجُملة، ثم انصرف إلى بلده. قال شيخنا أبو البركات، وأنشدنا لنفسه[5]:

---

[1] ربما تكون: ((فِيَة))؛ بالتاء المربوطة؛ كتبت بالأسلوب المغربي الذي يخفف الهمزة.
[2] في النفح: ((ملكه)).
[3] البحر الكامل.
[4] حذف د. طويل الواو؛ فغدت: ((إني)).
[5] البحر الخفيف.

قلْــت يومـــاً لمن تخـــذت هـــواه
ملَّـــةٌ قـــد تبعتهـــا وشريعـــــة
لم تـــأْبَ[1] الوصـــال وهو مُبـــاح
وتسُـــوم المحـــبَّ سوء القَطيعـــة
قال إني خشيـــت منـــك مـــلالاً
فتركـــت الوصـــال مـــدّ ذريعـــة

وأنشدنا [2]:

وغـــزال أنس سَـــلَّ من ألحاظـــه
سيفـــاً أراق دم الفـــؤاد بسلّـــه
وبِخَـــدِّه من ذلـــك[3] أعدل شاهـــد
يقـــضي بأن الفتـــك به[4] من فعله
مـــالي أطالبه فيدحـــض حجَّـــتي
ودمي يُطَـــلُّ وشاهـــدي من أَهله

---

[1] جعلها د. طويل: ((لِمَ تأبى)).
[2] البحر الكامل.
[3] جعلها د. طويل: ((ذاك)).
[4] جعلها د. طويل: ((بي)).

وأنشدنا الفقيه أبو القاسم الزقّاق ، قال أنشدنا الأستاذ أبو القاسم الشاط ، وقد خرجنا معه مشيعين إياه في انصرافه عن غرناطة آيباً إلى بلده [1]:

يا أهـل غرناطـة إني أُودعكـم
ودمـع عيـني من جَراكم جـار
تركتُ قلبي غريبـاً في دياركـم
عسـاه يلْقَى لديكم حُرْمة الجـار

تواليفه

منها: ((**أنوار البروق في تعقب مسايل القواعد والفروق**))، و((**غنية الرابض في علم الفرايض**))، و((**تحرير الجواب في توفير الثّواب**))، و((**فهرسة حافلة**)). وكان مجلسه مألفاً للصدور من الطلبة، والنبلاء من العامة. حدثني شيخنا القاضي الشريف **أبو القاسم**؛ قال: كان يجلس عند رجل خياط من أهل **سبتة**؛ يعرف **بالأجعد**؛ من العامة؛ فأخذ يوماً يتكلم عن مسألة؛ فقال متمثلاً:

---

[1] **البحر البسيط.**

كما تقول: **الأجعد** الخياط فعل كذا؛ ثم التفت معتذراً؛ يتبسم وقال: أتمثل بك؛ فقال **الأجعد** بديهة: إذاً يا سيدي أُعْتق عليكم؛ إشارة إلى قول الفقهاء: العبد يُعتق على سيده، [إذا مثل به][1] فاستظرف قوله.

مولده

في ذي قعدة من عام ثلاثة وأربعين وستماية[2] بمدينة سبتة.

وفاته

توفي بها في آخر عام ثلاثة وعشرين وسبعماية [3]، وقد استكمل الثمانين.

***

[1] وردت هذه العبارة في الإسكوريال هكذا: ((أن العبد إذا مثل به عتق)).
[2] الموافق لـ 1245م.
[3] الموافق لـ 1323م.

قاسم بن عبد الكريم

ابن جابر الأنصاري؛ من أهل غرناطة؛ يكنى أبا محمد، ويعرف بابن جابر.

حاله

كان رحمه الله من جلة أهل العلم والفضل، حسن الأخلاق، مليح الحديث، عذب الفكاهة، لطيف الحاشية، على دين والتزام سُنَّة. رحل إلى **المشرق** فلقي العلماء، وأخذ عنهم، وكَلِف بعلم الجَدَل، فقرأه كثيراً، وبهر فيه. وورد على **غرناطة** من رحلته، فأقرأ بها الأصول وغيرها من جدل ومنطق وفقه.

مشيخته

قرأ **بغرناطة** على الخطيب ولي الله **أبي الحسن بن فضيلة**، والأستاذ خاتمة المُقْرِيين **أبي جعفر بن الزُّبير**، وولّي القضاء **بِبَسْطة**، ثم كَلِف بالإقراه وعكف عليه، فلم ينتقل عنه.

من أخذ عنه

أخذ عنه كراسة الفخر المسماة ((**بالآيات البينات**))؛ وكان قايماً عليها، جملةٌ من شيوخنا، كالأستاذ التعاليمي **أبي زكريا بن هذيل**، والأستاذ المقري **أبي عبد الله بن البيَّاني**.

شعره

له شعر أنشدنا الشيخ **أبو القاسم بن سلمون**؛ قال أنشدنا في شيخنا **ابن جميل**؛ قوله [1]:

إن أَطْلَع الشَّرقُ شمسٌ دنيا
قد أَطْلَع الغرب شَمْس دين
وبين شمس وبين شمس
ما بين دنيا وبين دين

[1] مخلع البسيط.

مولده

ولد **بغرناطة** عام تسعة وستين وستماية [1].

وفاته

توفي بها ؛ في جمادى الآخرة أو رجب من عام أربعة عشر وسبعماية [2].

***

[1] **الموافق لـ 1270م.**
[2] **الموافق لـ 1314م.**

قاسم بن يحيى

ابن محمد الزّروالي [1]؛ يكنى أبا القاسم، ويعرف بابن دِرْهم؛ مالقي؛ أصله من جبال تاغسي؛ ودخل غرناطة، وقرأ بها.

حاله

من تذييل صاحبنا القاضي **أبي الحسن**؛ قال فيه: كان رحمه الله واحد زمانه، ينبوع الحكمة، يتفجر من لسانه، وعنوان الولاية على طَيْلسانه. ومن **عايد الصلة**: كان رحمه الله علماً من أعلام الزهد والورع والديانة، والتقلُّل من الدنيا، والعكوف على تجويد كتاب الله وإقرايه، منقطع القرين فيه، كثير المناقشة والتحقيق، يرى أن ليس في الأرض من يحكم ذلك حق إحكامه، ما لم يأخذه.

مشيخته

قرأ على جملة من حملة كتاب الله **بالمشرق والمغرب والأندلس**، وعُني بذلك. ثم لم يعتمد منهم إلاَّ على الأستاذ **أبي إسحق الغافقي بسَبْتة**، والخطيب **أبي جعفر بن الزيات ببلَّش** من **الأندلس**، واستمرت حاله على سبيلها

[1] له ترجمة أيضاً في تاريخ قضاة الأندلس.

من الزهد والانقباض والتنطُّع، والإغراق في الصلاح، والشُّذوذ في بعض السجايا إلى أن توفي.

بعضٌ من نوادره مع اخشيشانه

حدثني القاضي **أبو الحسن بن الحسن**: أن بعض الطلبة المتنَسّكين قال له: أتيتُك أقرأُ عليك؛ فأستخير الله؛ ثم أتاه فقال: قد استخرت؛ وهمّ بالقراءة؛ فقال له الشيخ: أمسك حتى أستخير أنا الله، في قراءتك عليَّ؛ فقال الطالب؛ وهذا عمل برٌّ؛ فقال له الحجة عليك. فانفصل عنه؛ ثم عاد إليه يَسَلُ منه القراءة؛ فقال: يا بني ظهر لي أن لا تقرأَ علي؛ فانصرف.

من أخباره في الكرامة

قال لي المذكور، وقد أزمعت السفر إلى ظاهر **طريف** مع جَمْع **المسلمين**، أنك إن سافرت [1] يا ولدي، تُقاسي مشقَّة عظمى إن سبق القدر بحياتك، والله يُرشدك، وقد كنت شرعت في ذلك مع رفقائي. وفي سحر ليلة اليوم، الذي انهزم فيه المسلمون، رأيته في النوم يقول لي منكراً

[1] في الزيتونـة: ((تسافر)).

عليَّ، قلت لك لا تسافر يكررها، فاستيقظت وأوقع الله بقلبي الرجوع إلى **الجزيرة**، لآراب أقضيها، فما بلغ زوال الشمس من اليوم، إلاَّ ومُقَدّمة الفَلّ على أطواق البلد في أسوإ حال.

وفاته

توفي ببلدة **مالقة**؛ خامس صفر من عام خمسين وسبعماية في وقيعة الطّاعون [1]، توفي وآخر كلامه، رزقنا الله عملاً صالحاً يقربنا إليه زُلفى، وجعلنا ممن يمر عُقْبَتي الدنيا والآخرة مرور أهل التقوى.

***

[1] هذا الوباء اجتاح الأندلس بين عامي: 749هـ/1348م، و 750هـ/1349م. وقد سبقت الإشارة إليه.

***

قرشي بن حارث

ابن أسد بن بشر بن هندي بن المهلب بن القاسم بن معاوية ابن عبد الرحمن الهمداني.

حاله

هو أعرق الناس في الشعر، لأن جدّه **المُهَلَّب** كان شاعراً، وولده **هندي** كذلك، **وأسد وحارث وقرشي**؛ فهم شعراءُ سنة على نسق، ويدل شعرهم على شَرَف نفوسهم، وبُعد هممهم.

شعره

قال **أبو القاسم الغافقي**: من شعره قوله في **هاشم بن كعب التميمي** من أنجد الفرسان؛ قتل في يوم، خمسة من أنجاد المُوَلَّدين [1]:

[1] **البحر الطويل.**

هجرتُ القوافي والظِّبا[1] الأوانســـا

ودعـــت لـــذَّاتي نعم واللواعســـا

ورعت فــؤادي بالمَشِيب عن الصَّبا

وأصبحت عن عهد الغواية يائســـا

أبا خالد ما زلتُ مذ كنت يافعـــاً

لكل سِنـــات المكـــارم[2] لابســــــا

فما حملـــت أُنـــثى كمثلـــك سيِّداً

ولا حملت خيلٌ كمثلـــك فارســـا

***

[1] أضـاف د. طويـل الهمـزة؛ فأضحـت: ((الظّبـاء)).
[2] جعلهـا د. طويـل: ((للمكـارم)).

قاسم بن محمد

ابن الجد العمري؛ يكنى أبا القاسم، ويعرف بالورسيدي؛
من أهل ألمريّة؛ وتكرر وروده على غرناطة.

حاله

قال شيخنا **أبو البركات**: كان حسن الأخلاق، سليم الصدر، بعيداً عن إذاية الناس بيده أو لسانه بالجملة، له خطٌّ لا بأس به، ومعرفة بالعَدد، وسلك الطريقة الزّمامية، وله حظ من قَرْض الشعر. وجرى ذكره في **الإكليل** بما نصه: من أيمة أهل الزمام، خليق برعي الذّمام، ذو حظ كما تفتَّح زهر الكمام، وأخلاق أعذب من ماء الغمام. كان ببلده محاسباً، في لجة الأعمال راسباً، صحيح العمل، يُلبس الطرُّوس من براعته أَسْنَى الحُلل.

شعـره

قـال يمـدح المقـام السلطـاني [1]:

أرى أوجه الأيام قد أشرقت بشرا
فقل لي رعاك الله ما هذه البُشْرا
وما بال أنفاس الخُزَامى تعطَّرت
فأَرَّجَت الأرجاء من نفحها عطرا
ونقَّبت الشمـــس المنيرة وجههـــا
قُصُوراً عن الوجه الذي أَخْجَل البدْرا
وما زالت بأغصان[2] الرجال أريحية
كما عطفت أعطافها تنثني شكرا
فما ذاك إلاَّ أن بدا وجه يوســـف
فأَرْبَت على الآيات آياتُه الكبـــرا
خليفـــة ربِّ العالمين الذي بـــه
تمهدت الأرجاءُ وامتلأت بشـــرا

[1] المقصـود هنـا هـو السلطـان أبـو الحجـاج يوسـف بـن إسماعيـل بـن فـرج ابـن إسماعيـل بـن نصـر. والقصيـدة مـن البحـر الطويـل.
[2] جعلهـا د. طويـل: ((الأغصـان)).

وجرت على أعلى المجرَّة ساحباً
ذيول العلى فاستكمل النهي والأمــرا
وقام بأمر الله يقضي ويقتضي الــ
ــفتوح التي تُبقي له في العلى ذكرا
وأربى على كل الملوك وفاتهــم
بسيرته الحُسْنى التي قد علَتْ قَــدْرا
هي طويلة، ومن شعره أيضاً قوله [1]:
مــن أيــن أَقْبَلْــتَ يــا نسيـــم
جــادت بســاحاتــك الغُيـــوم
ولا عَــدِمنــاه منــك سُــــرَى[2]
حــلَّ بــه عنــدنـــا النعيـــم
بلــــغ ســــلامى أُهَيــل وُدَّي
بلغــك اللـــــه مـــا تــــروم
قــــل لهــم صَبُّكُــــمُ مشــوقٌ
أَنْحَلـــــه وجـــــدُه القديـــم

---

[1] مخلـع البسيـط.
[2] جعلهـا د. طويـل: ((سَرْواً)).

لطالما يسهر الليالي
وطيٌّ أضلاعه جحيم
هِبوا رضاكم لذي غرام
ما زال قِدْماً بكم يهيم
إن غبتم عن سواد عيني
فحبكم في الحَشَى مُقيم
لو ثَرَّ[1] ساعد السَّعد أن أراكم
لما اشتكى قلبي السَّقيم
يا حادي العِيس نحو أرض
بنيقة قدرها عظيم
إذا أتيت اللّوى وسلفا
وبان للناظر الحطيم
ولاح بالأَبْرَقين بدرٌ
بسيره تهتدي النجوم
فقل غريبٌ ثوى بقرب
في بحر أوزاره يَعُوم

[1] حذف د. طويل كلمة: ((ثرَّ))؛ فأضحت: ((ولو ساعد)).

قــد أثقلــت ظهــره الخطايـــــا
وشجَبـــــت ذكــره الرســــوم
إن أعمــــل الحــزم لارتحـــال
أقعـــــده ذنْبُـــــه العظيـــــم
لهــفي هــــذا الشبــاب ولى
والقلـــــب في غيــــه مُقيـــم
يـــا رب عفــواً لــذي اجتــرام
لا تَهْتُــك السِّتــر يــا حليـــم
مــالي شفيـــع ســوى رجـــايي
وحســن ظــني أيـــا كريـــم
فــــلا تكلــــني إلى ذنـــــوبي
وارحمــني يا ألـــه[1] يا رحيـم

وفاته

توفي في وقيعة الطاعون عام خمسين وسبعماية [2].

***

---

[1] جعلها د. طويل: ((وارْحَمْنِيَ اللّـهً)).
[2] الموافق لـ 1349م.

من المحدثين والفقهاء والطلبة النجباء

***

قاسم بن أحمد

ابن محمد بن عمر ن الحضرمي؛ من أهل سبتة:

حاله

من خطّ صاحبنا القاضي **أبي الحسن بن الحسن**؛ قال: كان شيخنا يتقد ذكاءً. رحل عن سبتة إلى الحجاز؛ فقضى الفريضة، وتطور في البلاد المشرقية نحواً من أربعة عشر عاماً، وأخذ بها عن جلَّة من العلماء. وورد على غرناطة في حدود عام ثمانية عشر وسبعماية، فأخذ عن بعض أشياخها، وعاد إلى بلده، وكان على خِزانة الكتب به، وكان يُقرىء القرآن به، قال: وأنشدني لما لقيته بيتاً واحداً، يحتوي على حروف المعجم؛ وهو:

قد ضـــم نصـــر وشَكـــا بَثَّــــه
مذ سخطــتُ عــضَّ عــلى الإبــط

مشيخته

أخذ بالمشرق عن جماعة، منهم **شهاب الدين أبو العباس أحمد بن أبي طالب الدمشقي الحجار،** والشيخ المحدث **أبو عبد الله محمد بن محمد بن محمد الشيرازي بن جميل**، قرأ عليه **كتاب ابن الحاجب**، وحدثه به عن مؤلفه، وقرأ على الشيخين المقريين الجليلين؛ **أبي عبد الله محمد بن عبد الخالق** المعروف **بابن الضايع وأبي عبد الله ابن يعقوب الجراش المقدسي،** جملة من الكتب الحديثية وغيرها، وسمع عليهما **كتاب** ((**الشاطبية**))، وحدَّثاه بها معاً عن المُقْري **أبي الحسن علي كمال الدين بن شجاع العباسي** الضرير، عن صهره مؤلفها.

توالـيفـه

قـال: لـه في القـراءات تقييـد حسـن سمـاه ((**الشـافي في اختصـار التيسيـر الكـافي**)).

وفاتـه

تـوفي أيـام الطاعـون العـام [1] ببلـده.

***

[1] وقـع هـذا الوبـاء في الأندلـس بيـن سنـتي 749هـ/1348م، و 750هـ/1349م.

قاسم بن خضر

ابن محمد العامري؛ يكنى أبا القاسم، ويعرف بابن خضر؛ هكذا دون تعريف. يعرف سلفه ببني عمرون؛ من أهل ألمرية.

حاله

من خط شيخنا **أبي البركات**: كان هذا الشيخ من وجوه **ألمرية**، وممن تصرف سلفه في خُطَّة القضاء بها. وهو أقدم خطيب أدركته بسِنّي بجامعها الأعظم. وكان شيخاً عفيفاً من رجال الجد، ضيق العَطَن، سريع الغضب، غيوراً على تلك الخطة، لا يُحلى بعينه أحد. لما مات رفيقه في الصلاة والخُطْبة، الشيخ الشهير عند العامة، ثالث اثنين، الخراسي والنطية، **أبو عبد الله بن الضايع**، فكلٌّ من عرض عليه أن يكون معه أباه، فقال أهل البلد: فما العمل، فقال يُكتب إلى **أبي القاسم بن الحاج** إلى **سبتة،** ليأتي إلى أرض سلفه، ويكون رفيقي في الصلاة والخطبة يعني عمّي؛ فكتب إليه بذلك، فكانت المسألة عند الآخر، أهون من أن يجيب على [1] الكتاب، ولو بالإباية،

[1] جعلها د. طويل: ((عن)).

فبقي الأمر إلى أن قُدّم معه الشيخ الصالح الخطيب المِصْقَع **أبو الحسن ابن فرحون البِلْفيقي**؛ فلم يجد فيه قادحاً إلا كونه ليس من أهل البلد؛ فبقي مرافقاً له إلى حين وفاته.

غريبة

قال الشيخ: أخبرتني جدتي **عائشة بنت يحيى بن خليل**؛ قالت: كان الرجل الصالح، **أبو جعفر بن مكنون**؛ خال **قاسم بن خضر** هذا؛ فرآه يلعب مع الصبيان في أزقة **ألمرية**؛ فقال له: من يكون خطيب **ألمرية** يلعب؛ فبقيت في حفظه إلى أن ولي الخطابة.

وفاته

توفي في صفر من عام ثلاثة وسبعماية [1]؛ وكانت جنازته مشهودة.

***

[1] **الموافق لـ 1303م.**

***

سوّار بن حمدون

ابـن عبده بـن زهيـر بـن ويسم بـن قريـرة بـن هنيـرة [1]

وكـان علمـاً مـن أعـلام **العـرب**، وصاحـب لـواء **قيـس بالأندلـس**، ونـزل جدُّه [2] **بقريـة قربسانـة** [3] مـن **إقليـم البـلاط** مـن **قـرى غرناطـة**، وبهـا أنسـل ولـده، ولـم يزالـوا أعلامـاً، إلى أن ظهـر **سـوار** هـذا منهـم في الفتنـة.

حالـه وبعـض آثـاره وحروبـه

قـال **أبـو القاسـم**، كـان **سـوّار** هـذا بعيـد الصيـت، رفيـع الذكـر، شجاعـاً، محبـاً في الظهـور، حـامي **العـرب** وناصرهـم. وكـان لـه أربعـة مـن الإخـوة، مثلـه في الشجاعـة، حضـروا معـه في الحـروب في الفتنـة، وهـو الـذي بنـى **المدينـة الحمـراء**

[1] لـه ترجمـة أيضـاً في: المقتبـس، والحلـة السيـراء، وجمهـرة أنسـاب العـرب.
[2] سقطـت هـذه الكلمـة في الإسكوريـال؛ بينمـا وردت في الزيتونـة.
[3] بالإسبانيـة Caparacena؛ وهي مـن قـرى غرناطـة؛ وتتواجـد في الجهـة الغربيـة منهـا؛ علـى فـرع مـن فـروع نـهـر شنيـل.

بالليل، والشَّمعُ تُزْهر **لعرب** الفحص، وبنى **مدينة وادي آش لبني سامي، وبنى مدينة مُنْتيشة لبني عطاف، وبنى مدينة بَسْطة لبني قحطبة، وبني مَسيرة، وبنى كورة جيَّان للعرب**. ولولا أن الله منَّ على **العرب بسوَّار** ونصره، لما أبقى العجم والمولدون منهم أحداً. وأنسل **سوّار، عبد العزيز** المقتول **بمُنتِشافر، وعبد الرؤوف وعبد الملك.**

مبدأ أمره وحروبه وشعره

قال **أحمد بن عيسى** بعد اختصار: ، في صدر هذه السنة، يعني سنة خمس وسبعين ومائتين [1]، ثار [2] **سوَّار ابن حمدون** بناحية **البراجلة** من **كورة إلبيرة**، وانضوت إليه **العرب**، قام على تفئة مهلك **يحيى بن صُقالة** [3] أميرهم، قتيل المُسالِمة والمولَّدين، فطلب بثأْره، وكثرت أتباعه، واعتزت **العرب** به، وقصد بجمعه إلى **مُنْتْ**

---

[1] **الموافق لـ 888م.**
[2] **في الحلة السيراء: ((ثار في سنـ 246هـ)).**
[3] **نفسه: ((أن سواراً كان صاحباً ليحيى بن صُقالة؛ أول الخارجين بالبراجلة بالعصبية العربية ضد المولدين والعجم)).**

شافِر [1]، وبه من عدوه المذكورين نحو من ستة آلاف رجل [2] نازلهم حتى قهرهم. وطاف على حصونهم فافتتحها، وقتل وغنم، وتنادوا لقتاله في جموع عظيمة، عليها **جُعْدُ بن عبد الغافر** عامل الأمير **عبد الله**، وبرز إليهم فيمن برز، وناشبهم الحرب، فانهزموا فقتل منهم خلق حُرِزوا بسبعة آلاف، وأُسر **جعد**، ومنَّ عليه وأطلقه، وكانت وقيعته الأولى هذه تعرف بوقيعة **جَعْد**. وغَلَظ، واستند إلى **حصن غرناطة**، بالقرب من **مدينة إلبيرة**. وكانت **العرب** يتألبون على المولّدين، إلى أن عزل الأمير **جعداً** عن الكورة إرضاءً **لسّوار**، فأظهر عند ذلك الطاعة، وغزا الحصون الراجعة إلى **ابن حَفصون** فأوقع بهم، فهاجمهم، واجتمعت عليه كلمتهم، فقصدوه وحصروه **بغرناطة** في نحو عشرين ألفاً، وبرز إليهم في عدده القليل من عبيده، ورجال بيوتات **العرب** من أهل **إلبيرة**، ورجعوا من **جبل الفخّار** على تعبئة، يريدون الباب

---

[1] **في الحلة السيراء: ((منت شاقر)). وهو حصن بهذا الاسم يطل على سهل غرناطة؛ واسمه بالإسبانية Monte Sacro.**
[2] **في الحلة السيراء: ((نحو من ستة آلاف رجل من المولدين النصارى)).**

الشرقي من **غرناطة**، وكادهم لما التحمت الحرب وشب ضرامها، بما دبره من انسِلاله في لَخْمة [1] من فرسانه، حتى استَدبرهم، فحمل بشعاره فانذعروا وانفضُّوا، فتوهَّم حُماتهم أن مدداً جاءهم من ورائهم؛ فولوا منهزمين، وأعمل **سوّار** وأصحابه السيوف فيهم إلى **باب إلبيرة**، فيقال: إن قتلاهم في هذه الوقيعة الثانية؛ كانوا إثني عشر ألفاً وهي الوقيعة المعروفة بوقعة المدينة، ولاذ المولَّدون بعد هذا **بعمر بن حَفْصون** واستدعوه، فوافاهم في جيش عظيم، ودخل **إلبيرة**، وناهض **سوَّاراً**. وعنده رجالات **عرب** الكُوَر الثلاث: **إلبيرة وجيَّان وريُّه**، واشتد القتال، وجال جيش **ابن حفصون** جولة، جُرح فيها جراحات صعبة، وكاد **سوار** يأتي عليه، لولا رجال صدقوه الكرَّ واستنقذوه، وتمَّت عليه الهزيمة، فانقلب على عَقِبه، ونالت الحضرة معرته، فأغرم أهلها الذين استجلبوه ما تشَعَّث من عسكره، واستعمل عليهم قائده **حفص بن المُرَّة**، وانصرف. ونجح **سوَّار** بما تهيأ له على أعدائه،

[1] **هكذا في الإسكوريال؛ وكتبت في الزيتونة: ((خمسة)).**

فاعتَلَت همته، وأَجَلَّته **العرب**، وعلا في الناس ذكره، وقال الأشعار الجَزْلة، فيما تهيأً له على المولدين، وأكثر الافتخار بنفسه، فشُهر من قوله في ذلك [1]:

صَرَمَ الغواني يا هُنيد مودتي
إذ شاب مِفْرَق لِمَّتي وقَذالي
وصَدَدْن عني يا هُنيد وطالما
علقت حبال [وصالها بحبالي][2]

وهي طويلة، أكثر فيها الفخر، وأَلمَّ بالمعنى.

وفاته

ولما انصرف **عمر بن حفصون** وترك قائده **بإلبيرة**، جهز معه طائفة من خيله، وأقره لمُغَاورة **سوَّار**، ودَرْك النيل لديه، وأعمل **حفص** جهده، وطلب غرَّته، فأمكنه الله منه، وأنه دنا إليه يوماً، وقد أَكْمنَ أكثر خيله، وظهر له مُسْتَغيراً بجانب من حِصْنه؛ فخرج سوَّار مبادراً من

---

[1] **البحر الكامل.**
[2] **هكذا في الإسكوريال؛ وفي المقتبس، والحلة السيراء: ((وصالهن حبلي)).**

غرناطة لأول الصَّيحة في نفر قليل، لم يحترس من الحيلة، التي يحذرها أهل الحزم، فأصحر لعدوه؛ وخرجت الكماين من حوله، فقتل وجيء بجثته إلى **إلبيرة**، فذكر أن الثَّكالى من نسايهم قَطَّعن لحمه مرقاً، وأكلنه حنقاً [1] لما نالهن من الثَّكل. وكان قتل **سوَّار** في سنة سبع وسبعين ومايتين [2]، وقتلت العرب بقتل سوار وكل حدها بما نزل بها.

***

[1] في الزيتونـة: ((حقداً)).
[2] الموافق لـ 890م.

سليمن بن الحكم

ابن سليمن بن عبد الرحمن الناصر لدين الله [1]، الخليفة بقرطبة؛ المكنى بأبي أيوب؛ الملقب من الألقاب الملوكية بالمُستعين بالله.

أوليته

معروفة.

حاله

كان أديباً شاعراً، مجموع خِلال فاضلة، أصيل الرأي، راجح العقل، ثبتاً. ولي الخلافة غِلاباً، وقَعْصاً، ومنازعة، وأَوْقع بأهل **قرطبة** وقائع أبادتهم. وخُلع ثم عادت دولته، وجرت له وعليه الهزايم، على قِصَر أمد خلافته، لقيام **البربر** بدعوته، وتَدْويخ البلاد باسمه، في أخبار فيها عبرة، دخل في بعض حركاتها وهولاتها المُبيرة [2]، إلى أن طحنته رَحى الفِتنة، وشيكاً عن دنيا غير هَنِيَّة، وصبابة ليست بسَنِيَّة.

---

[1] له ترجمة أيضاً في: الذخيرة، والبيان المغرب، والمعجب، وجذوة المقتبس، وبغية الملتمس، والمختصر في أخبار البشر وفوات الوفيات، وإعمال الأعلام، وكتاب العبر.

[2] في الإسكوريال: ((إلبيرة)).؛ فصوبها عنان.

شعـره

من شعره يعارض المقطوعة الشهيرة المنسوبة **للرشيد** [1]:

عجباً يَهاب الليــثُ حدَّ سِنــاني
وأهــاب لَحْــظَ فواتــر الأجفــان
فأُقــارع[2] الأهــوال لا مُتَهيبــاً
منها سوى الإعراض والهُجْــران
وتمَّلكت نفــسي ثــلاث كالدُّمى
زُهْــر الوجــوه نواعــم الأَبــدان
ككواكب الظَّلماءِ لُحْن لناظــري
من فــوق أغصــان على كُثْبــان
هذي الهلال وتلك أُخت[3] المشتري
حُسْنــاً وهذي أُخت غُصْن البــان

---

[1] ومطلع أبيات الرشيد هكذا: ((ملك الثلاث الآنسات عناني حللن من قلبي بكل مكان)). وهذه المقطوعة من البحر الكامل.
[2] في الذخيرة، والبيان المغرب، ونفح الطيب، ومصادر أخرى كثيرة: ((وأقارع)).
[3] في المصادر السابقة نفسها: ((بنت)).

حاكمت فيهن السُّلو إلى الهــوى
فقــضى بسلطـــان على سلطـــان[1]
فأبحن من قلبي الحمى وتركنني
في عـــزِّ ملكي كالأسيـــر العـــان[2]
لا تعذلوا ملكـــاً تذلَّـــل للهـــوى[3]
ذلٌّ الهـــوى عـــزٌّ وملـــكٌ ثـــان

مقتله

قتله **علي بن حَمُّود**؛ المتقدم الذكر، متولي الأمر بعده، صبراً بديه، بدم **هشام المؤيد**، وقال لما زحف إليه: لا يقْتُل الزُّلطان إلاّ الزُّلطان؛ يعني السُّلطان؛ إذ كان **بربريّ** اللسان؛ وذلك في أُخريات المحرم من سنة سبع وأربعماية [4].

***

[1] في المصـادر نفسهـا: ((سلطـاني)).
[2] في الذخيـرة، والبيـان المغرب، ونفـح الطيـب، ومصادر أخرى: ((العـاني)).
[3] في نفـح الطيـب: ((في الهـوى)).
[4] الموافـق لـ 1016م.

سليمان بن عبد الرحمن

ابن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان [1]؛
يُكْنى أبا أيوب.

حاله

كان شهماً جريئاً، أَنُوفاً شجاعاً، ديّناً فاضلاً. ولما توفي أبوه بقصر **قرطبة**، **وهشام وأبو أيوب** هذا غائبان، وكّل ابنه **عبد الله**، المعروف **بالبَلَنْسي**، وقال من سبَق إليك من أخويك، فارْم إليه بالخاتم، فإن سبق إليك **هشام**، فله فضل دينه وعفافه واجتماع الكلمة عليه. فإن سبق إليك **سليمان**، فله فضل دينه ونجدته، وحبُّ **الشاميين** له؛ فقدم **هشام** من ماردة، وتولى الخلافة قبل **سليمن**؛ واتصل ذلك **بسليمن**؛ فأخذ لنفسه البيعة **بطُليطلة**، وما اتصل بها، ودعا إلى نفسه .... [2] وواضع أخاه الحرب غير ما مرة ، تجري عليه في كلها الهزايم، إلى أن تبرَّم بنفسه، وأجاز البحر عن عهد إلى

---

[1] **له ترجمة أيضاً في: البيان المغرب، والمغرب في حلى المغرب، والكامل في التاريخ، ونفح الطيب.**
[2] **في هذا الحيز بياض.**

ستين ألفاً بُذلت له، واستقرَّ بأهله وولده **ببلاد البربر**. ولما صار الأمر **للحَكم بن هشام**، عاد إلى **الأندلس** سنة اثنتين وثمانين ومائة [1]، وكان اللقاءُ في شوال منها، فانهزم **سليمان**، ثم عاد للّقاءُ فانهزم. وفي سنة أربع وثمانين [2] حشد، واحتلَّ **بجيَّان** ثم **بإلبيرة**، والتقى بها معه **الحَكَم**، ودام القتال أياماً، حتى هم **الحكم** بالهزيمة، ؛ ثم انهزم **سليمن**، وقتل في المعركة بشرٌ كثير، وأفلت **سليمان** إلى جهة **ماردة**. وبالتقاء **الحكم** وعمّه **سليمان بإلبيرة** وأحوزاها، إستحقا الذكر هنا على الشرط المعروف.

وفاته

وبعث **الحكم أَصْبغ بن عبد الله**؛ في طلب **سليمان**؛ فأسره وأتاه به، فأمر بقتله، وبعث برأسه إلى **قرطبة**. قتل في سنة خمس وثمانين [3] بعدها.

***

[1] **الموافق لـ 798م.**
[2] **أي 184هـ/ 800م.**
[3] **أي 185هـ/801م. في البيان المغرب: قتل سليمان سنة 184هـ.**

سعيد بن سليمان

ابن جودي [1] السعدي [2].

حاله

كان **سعيد بن سليمن** صديق **سوَّار**؛ فغصبت **العرب** الإمارة به بعده، وعلقت به؛ فقام بأمرها، وضمَّ نَشْرها؛ وكان شجاعاً بطلاً، فارساً مجرّباً، قد تصرف مع فروسيته في فنون من العلم، وتحقق بضروب من الآداب؛ فاغتدى أديباً نحريراً، وشاعراً مُحْسناً، واتصل قيامه بأَمر **العرب** إلى أن قُتل.

شعره

ومن شعره في وقيعة سوَّار بالمولدين قوله من قصيدة طويلة [3]:

قد طلبنا بثأرنا فقتلنا
منكم كل مارق وعنيد

---

[1] في الإسكوريال: ((جود))؛ فصوبها عنان.
[2] له ترجمة أيضاً في: الحلة السيراء، وجذوة المقتبس، وبغية الملتمس، وإعمال الأعلام، ونفح الطيب.
[3] البحر الخفيف.

قـــد قتلناكـــم بيحـــيى وما أن

كـــان حكـــم الله[1] بالمـــردود

هجتـــم يا بني العبيد ليوثـــــاً

لـــم يكونـــوا لجارهـــم بقعـــود

فاصطلـــوا حرَّها وحدَّ سيوف

تلــــظّى[2] عليكـــم بالوقــــود

حاكـــمٌ ماجـــدٌ يقـــود إليكـــم

فئـــةً ســـادةً كمثـــل الأُســـود

[3]مهــــذَّبٌ مــــن نــــزار

وعميـــد ما مثلـــه من عميـــد

يطلـــب الثأر بابن قوم كرام

أُخذوا بالعهـــود قبـــل المُهـــود

فاستباح الحمى لم[4] يُبْق منهـــا

غيـــر عـــانٍ فَقْـــده مَصْفـــود[5]

---

[1] جعلها د. طويل: ((الإله)).
[2] جعلها د. طويل: ((تتلظى)).
[3] تصرف د. طويل فأضاف هنا كلمة: ((ورئيس))؛ فغدت: ((ورئيس مهذب...)).
[4] جعلها د. طويل: ((فلم)).
[5] جعلها د. طويل: ((وفقده المصفود)).

قد قتلنا منكم أُلُوفــاً فما يعــ

ــعدل قَتْــل الكريم قتل العبِيد

مثَّلــوه لما أضــاف إليهــم

لم يكــن قتلــه بــرأي سديــد

قتلتــه عبيــدُ ســوءٍ لئــامٌ

وفِعــال العبيــد غيــر حميــد

لم يصيبــوا الرشاد فيما أتوه

لا ولا كــان جَدُّهــم لسعــود

قد غدرتم به بني اللؤم من بعــ

ــد يميــنٍ قد أُكّــدت وعهــود

فلئــن كان قتلــه غــدرةً مــا

كان بالنَّكــس لا ولا الرِّعديــد

كان ليثاً يحمي الحروب وحِصْناً

ومــلاذاً وعصمــة المقصــود

كان فيه التُقى مع الحلم والبــأ

س وجــودٌ ما مثلــه[1] جــود

---

[1] أضـاف د. طويل كلمة: ((من))؛ فأضحت: ((مثلـه مـن..)).

عالٍ مجَّـد الأمجـاد بعـدك
قديمـاً وفـتَّ كـل مجيـد
فجـزاك الإلـه جنـة عـدن
حيث يَجْزي الثوابُ كلَّ شهيـد

مقتله

قال **الملاّحي**: كان من الأعلام، وعُدَّ في الشعراء والفرسان والخُطَباءِ والبلغاءِ، خطب بين يدي الخليفة [1] **المنذر**، وهو حَدثٌ، أول ما أَفْضَت الخلافة إليه، وعليه قباءُ خزٍّ، وقد تنكب قوساً عربية، والكنانة بين يديه. خطب خطبة بليغة، وصلها بشعر حسن، ولم يزل اللّواء يتردد عليه في العزّ والمُقام، ويخطب في أعلى المنبر في المسجد الجامع **بإلبيرة**. وسجل له الخليفة **عبد الله** على الكورة، إلى أن همّ بالقيام على **بني أُمية** عندما اشتدت شكيمته، وظهر على **عمر بن حفصون** إلى أن قتل بسبب

---

[1] جاءت كلمة خليفة من باب المجاز؛ لأن لقب خليفة لم يعلن في الأندلس في هذه الفترة التاريخية؛ وأول من تسمى بها هو عبد الرحمن الناصر في سنة 316هـ/929م. وقد اكتفى أسلافه بلقب أمير.

امرأة، تمت عليه الحيلة لأجلها بدار **يهودية**، إذ كان منحطاً في هوى نفسه، فطاح في ذي قعدة سنة أربع وثمانين ومايتين [1]، وصار أمر **العرب** بعده إلى **محمد بن أضحى** حسبما يتقرَّر في مكانه.

***

[1] **الموافق لـ 897م.**

***

سهل بن محمد

ابن سهل بن مالك بن أحمد بن إبراهيم بن مالك الأزدي [1].

صدر هذا البيت، وياقوتة هذا العقد، يُكْنى أبا الحسن.

قال **أبو جعفر بن مسعدة**: كان رأس الفقهاءِ وخطيب الخطباء البلغاءِ، وخاتمة رجال **الأندلس**. تفَنَّن في ضروب من العلم، وبالجملة فحاله ووصفه في أقطار الدنيا، لا يُجْمله أحد، فحدّث عن البحر ولا حرج، ضنَّ الزمان أن يسمح برجل حاز الكمال مثله.

حاله

قال **ابن عبد الملك**: كان من أعيان مِصْرِه، وأفضل أهل [2] عصره، تفنُّناً في العلوم، وبراعة في المنثور والمنظوم، محدّثاً ضابطاً، عَدْلاً ثقة ثبتاً، حافظاً للقرآن العظيم، مجوّداً

---

[1] له ترجمة أيضاً في: التكملة لكتاب الصلة، والمغرب في حلى المغرب، والذيل والتكملة، واختصار القدح المعلى، والوافي بالوفيات، وبغية الوعاة، وزاد المسافر، وبرنامج شيوخ الرعيني، ونفح الطيب.

[2] في الذيل والتكملة: ((وأفاضل عصره)).

لـه، متقنـاً [1] في العربيـة، وافـر النصيـب مـن الفقـه وأصولـه، كاتبـاً مجيـداً [2] للنظـم في معـرب الكـلام وهزلـه، ظريـف الدعابـة، مليـح التَّنديـر. لـه في ذلـك أخبـار مُسْتَظرفـة متناقلـة، ذا جـدة ويسـار، متيـن الديـن، تـام الفضـل، واسـع المعـروف، عميـم الإحسـان، تصـدق عنـد القـرب مـن وفاتـه بجملـة كبيـرة مـن مالـه ورباعـه، ولـه وفـادةٌ عـلى **مراكـش**.

مشيخته

روى ببلـده عـن خالـه **أبي عبـد الله بـن عـروس**، وخـال أُمـه **أبي بكـر يحيى بـن محمـد بـن عـروس** [3]، **وأبي جعفـر بـن حَكَـم، وأبي الحسـن بـن كوثـر، وأبي خالـد بـن رفاعـة، وأبي محمـد عبـد المنعـم بـن الفَـرَس؛ وبمالقـة** عـن **أبي زيـد السُّهيـلي، وأبي عبـد اللـه بـن الفخـار. وبمرسيـة** عـن **أبي عبـد الله بـن حميـد، وأبي القاسـم بـن حُبيـش. وبإشبيليـة** عـن **أبي بكـر بـن الجَـدّ، وأبي عبـد الله بـن زرقـون، وأبـوي عبـد الله ابـن العبـاس بـن مضـاء، والجـراوي الشاعـر، وأبي الوليـد بـن**

---

[1] في الذيـل والتكملـة: ((متقدمـا)).
[2] في الذيـل: ((النظـم)).
[3] توجد لأبي بكر يحيى بن محمد (ابن عروس) ترجمة في التكملة لكتاب الصلة.

رشد. قرأ عليهم وسمع، وأجازوا له. وأجاز له من **أهل الأندلس أبو محمد عبد الله** نزيل **سبتة، وعبد الحق بن الخراط** نزيل **بجاية**. ومن **أهل المشرق** جماعة، منهم **إسمعيل بن علي بن إبراهيم الجراوي**، **وبركات بن إبراهيم الخُشُوعي أبو الطاهر، وعبد الرحمن بن سلامة ابن علي القضاعي،** وغيرهم ممن يطول ذكرهم.

من روى عنه

روى عنه: **أبو جعفر بن خَلَف والطُّوسي، وابن سعيد القزاز، وأبو الحسن العَنْسي، وأبو عبد الله بن أبي بكر البري، وابن الجنّان، وأبو محمد عبد الرحمن بن طلحية، وأبو محمد بن هرون، وأبو القاسم بن نبيل، وأبو يعقوب بن إبراهيم بن عِقاب، وأبو جعفر الطَّباع، وأبو الحجاج بن حَكَم، وأبو الحسن الرُّعيني، وأبو علي ابن النَّاظر،** وغيرهم.

ثناء الأعلام عليه

والمجال في هذا فسيح. ويكفي منه قول **أبي زيد الفزاري** [1]:

عجبـاً للنـاس تاهُـوا بثَنيَّـات المسالـك
وصَفوا بالفضل قومـاً وهم ليسـوا هُنالـك
كثـر النَّقـل ولكـن صحَّ عن سهل بن مالك

شعره

وشعره كثير مما ينخرط في سلك الجيد [فمن ذلك] قوله[2]:

نهارك في بحر السَّفاهـة يسبـح
وليلُك عن نوم الرَّفاهـة يُصبـح
وفي لفظك الدَّعوى وليس إزاءُها
من العمل الزَّاكي دليل مصحـح

[1] **مجزوء الرمل.**
[2] **البحر الطويل.**

إذا لم توافــق قولـــةً منك فعلـــةً
ففي كل جزءٍ من حديثك تَفْضَـــح
تنَحَّ عن الغايات لسْتَ من أهلهـــا
طريق الهُوَينا في سلوكك أوضح
إذا كنت في سن البنى غير صالـــح
ففي أيِّ سِـــنٍّ بعد ذلك تصلـــح
إلى كم أماشيها على الرغم غاية
يصيب المُزَكَّى عندها والمُجَرَّح
وعليها ألاَّ تَنْوِ ولا تَنِى[1] فتُحْســـن
في عيـــــن الشّيبـــان[2] وتُقْبَـــــح
عسى وطرٌ مونقٌ[3] فالتمس الرِّضا
واقرع أبـــواب الرَّشـــاد فتَفْتَـــح
فقد ساء ظـــنّي بالذي أنا أَهْلُـــه
وفضلك يا مولاي يعفو ويصفح

---

[1] جعلها د. طويل: ((عليها ألاّ تني وتنوي)).
[2] جعلها د. طويل: ((الشباب)).
[3] جعلها د. طويل: ((موقى)).

وقال في تشييع بعض الفقهاءِ من غرض الأمداح [1]:

يلقاك من كل من يلقاك ترحيـــب
ومـــن خليفتهـــا عـــزٌ وتقريـــب
وتصطفيك إلى أحوازهـــا رتـــب
لها على مفرق الجوزاء ترتيـــب
تأتي إليـــك بلا ســـعي بلا سبب
كأنَّ تَرْكَـــك للأسبـــاب تَسْبِيـــب
من كـــلّ مشغوفةٍ بالحسن دام لها
إلى غِنائـــك تَصْعيد وتصويـــب
يلقاك بالبشـــر والإقبال خَاطِبُهـــا
وحظُّهـــا منك إعراض وتَقْطيب
ما زلت ترغب عنها وهي راغبة
كأن زهـــدك فيها عنك ترغيـــب
فانهض إليها فلو تستطيع[2] كان لها
إلى لقايـــك إرجـــــاءٌ وتقريـــب

---

[1] **البحر البسيط.**
[2] **جعلها د. طويل: ((تسطيع)).**

يحيى وتحيى فلِلْباغي مواهبُهــا
عذب الزُّلال وللباغيــن تَعْذيــب
سارت على العدل والإحسان سيرتها
حتى تلاقى عليها الشَّاة والذِّيــب
لم تُصِبْها لذةُ الدنيــا وزخرُفهــا
ولا سَبَتْهــا المطايــا والجلابيب
إذا أَهــمَّ بــني الدنيــا نعيمهــم
فهمها البيضُ والجُرْد السَّلاهيب
فوق الكواكب مضروبٌ سُرادقها
على أُفــق الأفــلاك تَطْنِيــب[1]
كَرَعْتَ في ظلها الصافي بِسَلْسِلِها
كأنهــا لك في المشروب شريب
في قِبْية من بني الآمال قد قرعت
سُهَمٌ إلى طلب العليــا طبابيــب

[1] أضاف د. طويل هنا كلمة ((منها))؛ فغدت: ((منها على أفق..))

إذا حضرنا طعاماً فهي[1] مأْدُبَــة

وإن سمعنا كلاماً فهو تأديــب

ومن يَلُذْ بــأبي إسحــاق كان له

أعــلاق مالٍ وأغــلاق وتهذيب

يا ملدُّ[2] السرَّ من قلبي ويا ملكــاً

إن ناب خطب فمن جدواه تأنيب

هــبّ القــرار لآمــالٍ مسافــرة

وقد أضــرَّ بها بُعْــدٌ وتغريــب

فــفي يمينــك وهابــاً ومنتظمــاً

بَسْطٌ وقَبْضٌ وترغيبٌ وترهيــب

ومــا يُصِــر كتابــاً راق مَنْظَــره

إن ناله من تُراب الأرض تتريب

لك السيــادة لا يلــقى لسؤددهــا

مثلٌ وإن طال تنقيــرٌ وتنقيــب

---

[1] جعلها د. طويل: ((فهو)).
[2] جعلها د. طويل: ((يا مالك)).

عـــزمٌ كحدِّ سِنان الرُّمح يصحبه
عدل كما اعتدلت فيه الأنابيـــب
كمـــال نفســـك للأرواح تكملـــة
وذكـــر فضلك للأرواح تشبيـــب
وعرف ذاتـــك كافٍ في تعرُّفنـــا
بنفحة الطّيـــب يدري أنه طِيـــب
إذا ذُكِرت فللأشعار مضطَّـــرب
رحب المجـــال وللأَلحان تطريب
سِرْ حيث شيت موفًّى من مكارمهـــا
يَهابك الدهر والشُّبـــان والشّيـــب
في غُرَّة تخلـــق الأيام جدَّتهـــــا
لها على أُفـــق الأمـــلاك تَطْنيب

ومن نمط النسيب والأوصاف قوله وهو **بسبتة** بعد وصوله من **مراكش**، وهو مما طار من شعره [1]:

[1] البحر الكامل.

لما حططت[1] بسبتــة قَتَب النــوى[2]

والقلــبُ يرجو أن تحول[3] حالــه

والجو مصقــول[4] الأديــم كأنمــا

يبدي الخــفَّي من الأُمور صِقالــه

عانيت[5] من بلد الجزيرة مسكنــاً[6]

والبحر يمنــع أن يُصاد غزالــه

كالشَّكل في المــرآة تبصــره وقد

قربــت مسافتــه وعــز منالــه

ومن شعره قوله رحمه الله [7]:

تبسَّــم واستأثــرتُ منــه بقُبلــة

فشِمتُ أُقاحــاً وارتشفتُ عُقــارا

ومرَّ فأيدي الريح ترسل شَعْــره

كما ستر الليــل البَهيــم نهــارا

---

[1] في رايات المبرزين، واختصار القدح المعلى: ((لمَّا أنخت)).
[2] في الزيتونة: ((الهوى)).
[3] في النفح: ((أن يُحَوَّل)).
[4] نفسه: ((مقصود)).
[5] في الرايات، واختصار القدح، والنفح، والذيل: ((عاينت)).
[6] هكذا في الزيتونة. وفي الإسكوريال، والنفح، والذيل: ((مكنساً)).
[7] البحر الطويل.

فيا لك ليــلاً بالكثيــب قطعتــه
كما رُعت بالزَّجر الغُراب فطارا
تُغَــصُّ بنا زُهرُ الكواكب غيرةً
فتقدح في فَحْمِ الظــلام شــرارا

ومن ذلك قوله [1]:

ولما رأيت الصبــح هبَّ نسيمــه
دعاني داعيه إلى البَيْن والشَّــتِّ[2]
وقلت[3] أخاف الشمس تفضح سرَّنا
فقالت معاذ اللــه تفضحني أُخْتُ[4]

ومن الحكم وأبيات الأمثال قوله رحمة الله عليه [5]:

مُنَغَّص العيش[6] لا يأوي إلى دَعَــة
من كان ذا[7] بلــد أو كان ذا ولــد

---

[1] البحـر الطويـل.
[2] ورد في رايـات المبرزيـن في موضـع هـذا البيت بيت آخـر هـو:
((ولما بدا ضوء الصباح رأيتها * تنفض رشح الطَّلِّ عن ناعم صلت)).
[3] في روايـات المبرزيـن، واختصـار القـدح: ((فقلـت)).
[4] في اختصـار القـد المعلى: ((أخـتي)).
[5] البحـر البسيـط.
[6] في الزيتونـة: ((القلـب)).
[7] في الذيـل والتكملـة: ((في بلـد)).

والسَّاكن النفـــس من لم ترض هِمَّتـــه
سُكنى مكانٍ ولم تَسْكُن[1] إلى أحـــد

ومـن شعـره:

ولا مِثْلُ يـــوم قد نَعِمْنا بحُسْنـــه
مُذهَّـــب أثناء المـــروج صقَيـــل
إلى أن بدت شمس النهار تروعنا
بسير صحيـــح واصفرار عليـــل
ولا تـــوارت شمســـه بحجابهـــا
وأذَّن بـــاقي نـــورهـــا برَحيـــل
وغابت فكان الأُفق عند مغيبهـــا
كَقَلـــبي مُسْـــوَدٌّ[2] لفَقْـــد خَليـــل[3]
أتانا بها صِفْراً[4] يسطـــع نورهـــا
فمـــزق سِرْبـــال الدُّجـــا بِفَتيـــل

[1] في النفـح: ((لـم يسكـن)).
[2] في الذيـل: ((مسـوداً)).
[3] نفسـه: ((خليـلي)).
[4] نفسـه: ((صفـراء)).

فردَّت علينا شمسُنـــا وأصيلُنـــا
بمُشَبَّـــه شمـــسٍ في شَبيه أصيل

ومن نثره قوله يخاطب **بني أبي الوليد بن رشد**، تعزيةً في أبيهم، واستفتحه بهذه الأبيات [1]:

ألا ليت شِعري هل لطالب غاية
وصولٌ وأحداثُ الزمان تعوقـــه

مضى عَلم العِلـــم الذي ببيانـــه
تَبيَّـــن خافيـــه وبـــان طريقُـــه

أخلاَّئي[2] إني من دموعي بزاخـــرٍ
بعيدٌ عن الشَّطَّيـــن منه غريقـــه

وما كان ظـــنّي قبل[3] فقد أبيكـــم[4]
بأن مصابـــاً مثل هـــذا أطيقـــه

ولم أدر من أشقى الثلاثة بعـــده
أبنـــاؤه[5] أم دهـــرُه أم صديقُـــه

---

[1] **البحـر الطويـل.**
[2] **جعلهـا د. طويـل: ((أخـلايَ)).**
[3] **في الذيـل: ((بعـد)).**
[4] **في اختصـار القـدح: ((فقد جلالـه)).**
[5] **جعلهـا د. طويـل: ((أأبنـاؤه)).**

ومن شاهد الأحوال بعد[1] مماتـــه

تيقـــن[2] أنَّ الموت نحن نَذُوقـــه

رجوعاً إلى الصَّبر الجميل فحقُّه

علينا قضى أن لا توفَّي[3] حُقوقه

أُعزيكم في البعـــد عنه[4] فإنـــني

أُهنّيه قربـــاً من جـــوارٍ يروقه

فما كان فينـــا منـــه إلاَّ مكانـــه

وفي العالـــم العُلْوي كان رفِيقُه

إيهٍ عن المدامع هلاَّ تَلا انحدار الدّمعة انحدار الدمعة انحدارُها، والمطامع هل ثَبَت[5] على قُطْب مدارها، والفجائع أَغيَرُ دارٍ بَني رُشد دارها، فإنه حديث أتعاطاه مُسْكراً، وأستريح الله مفكَّراً، وابثه باعثاً على الأشجان مذكَّراً، ولا أقول كفا وقد ذهب الواخِذ[6] الذي كنت

[1] في اختصار القدح: ((عند)).
[2] نفسه: ((تبين)).
[3] نفسه: ((ألاّ تؤدّي)).
[4] في الذيل والتكملة: ((منه)).
[5] نفسه: ((والمطامع أثبت)).
[6] نفسه: ((الواحد أرى به ألفاً، ولا صبراً؛ وقد، أسْكِنَ العالمُ قبراً؛ بل أعْري الأجفان ما مائها...)).

تتلافى، ولا أستشعر صبراً، وقد حلَّ نور العِلْم قَبْراً، بل أُغْرِق الأجفان بمائها، وأَسْتَدعي الأحزان بالشَّهير من أسمائها، واستوهب الأشجان غمرة غمائها. ثم أتهالك تَهالُك المجنون، وأستجير من الحياة بريب المنون، وأُنَافر السَّلوة [1] منافرة وسْواس الظُّنون، ولا عتب، فإذا خامر الواله جزعه، فإلى نُصْرة المدامع مفزعه [2]، وإذا ضعف احتماله، فإلى غَمْرة الإغماء مآله، ومن قال إنَّ الصبر أولى، وليتُه من ذلك ما تولَّى. أما أنا فأستعيذ من هذا الْمُقام وأَسْتَعْفيه، وأُنَزِّه نفس الوفَا عن الحلول فيه، فإنه متى بقي للصَّبر مكان، ففي محل الحُزْن لقَبُول ما يقاومه إمكان، وقد خان الإخاء وجُهل الوفاء، من رام قلبه السلو، وألفت [3] عينه الإغفاء. هو الخطب الذي يقي [4] الهُجود وألزم أَعْيُن الثّقلين [5]، وبه أعظم الدهر المصاب، المصاب، وفيه أخطأ سهم المَنِيَّة حين أصاب. فحقُّنا أن

[1] في الذيل: ((السلوّ منافرة اليقين لوسواس الظنون)).
[2] نفسه: ((فزعه)).
[3] نفسه: ((أو أَلِفَتْ)).
[4] نفسه: ((نقى)).
[5] نفسه: ((أعين الثقلين أن تجود)).

نتجاوز الجُيوب إلى القلوب [1]، ونتغلَّب إذا غالبنا الحزن بصفة المغلوب، وإذا كان الدهر السَّالب، فلا غضاضة على [2] المسلوب، أستغفر الله، قِفَا نَتَذكَّر [3] من مفقودنا رضي الله عنه حكمه، ونشاهد [4] بعين البصيرة سِيمَه [5]، فأجدهما يكُفَّان من واكف الدمع ديمه، ويقولون عندي آسَّة المصاب [6]، ومزاحمة الأوصاب، أمرّ إن وقع، فقد ضَرَّ فوق ما نفع، فإنه لا ألم الحزن شفاه، ولا حقُّ المصيبة وفاه، ولا الذاهب الفايت استرجعه وتلافاه، فربما جنحت إلى الصبر لا رغبة فيه، بل إيثاراً لمقصده وتشيعاً لتصافيه، فأَسْتَرْوح رايحة السلوّ، وأَنحَطُّ ﴿قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾ [7] عن سِدْرة ذلك العلو، وأقف بمقام الدهش بين معنى الحزن المستحكم، ولفظ القرا [8] المتلُوّ. فأبكي بُكا

---

[1] في الذيل: ((القلوب إلى الجيوب، وننقلب إذا غالبنا الحزن بصفقة المغلوب)).
[2] نفسه: ((على المستريح؛ لأنه الملسوب)).
[3] نفسه: ((فقد أتذكر)).
[4] نفسه: ((وأشاهد)).
[5] نفسه: ((شيمه)).
[6] نفسه: ((ويقولان: الولَهُ عند مماسة المصاب)).
[7] الآية كاملة هكذا: (فكَانَ قابَ قوْسَيْن أوْ أدْنَى). سورة النجم؛ الآية: 9.
[8] في الذيل: ((العزاء)).

النساءِ، وأصبر صبر الرؤساء، وأَحْرُز [1] رَزايا الفضلاء، بفضل [2] رزايا الأَخَسَّاء، موازنة بين [3] هذا الوجود، ونِحَل تتعاقب على نحل الجُود [4]. فالدهر يسترجع ما وهَب، كان الصفراء [5] أو الذَّهب. وإذا تحقَّق عدم ثباته، وعدم [6] استرجاعه لجميع هباته، كان [7] المتعرض لكثيره، لكثيره، محلاً لتأثيره. فلا غرو أن دهمكم الرزء مورد الفلك الدَّابر [8] منه الجزأ، فطالما بتم تُرضِعكم الحكمة أخلافها، وتهبكم الخلافة آلافها، وتؤملكم [9] الأيام خلافها. وإذا صحيت[10] العقول، وضنَّ بما لديه المعقول، وصارت الأذهان إلى حيث لا تتصوَّر الألسنة[11] بحيث لا تقول، وردتم معيناً، ووجدتم معيناً، وافْتَضضْتُموها ﴿

---

[1] في الذيل: ((وأجد)).
[2] نفسه: ((تفضل)).
[3] نفسه: ((في)).
[4] نفسه: ((وبخل يتعاقب على محل الجود)).
[5] نفسه: ((الصُّفر)).
[6] نفسه: ((وعلم)).
[7] نفسه: ((صار)).
[8] نفسه: ((يؤود الفلك الدائر)).
[9] نفسه: ((وتؤمنكم)).
[10] نفسه: ((ضمئت)).
[11] نفسه: (والألسنة)).

﴿كَأَمْثَالِ [1] اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ﴾[2] صوراً [3] عيناً. أظننتم أن عين عين الله [4] تنام، أم رُمْتم أن يكون صرحاً إلى إله **موسى** ذلك السنام، لشد ما شيَّدتم [5] البناء، وألزمتم اتّباع الأب الأب الأبناء [6]، حتى غرق الأول في الآخر، وصار السلف السلف على ضخامته أقل المفاخر. ومن علت في علاها [7] علاها [7] قدم ترقّيه، ولم يُصب بكماله عيناً يحفظ من عين العلن ويقيه [8]، فكثيراً ما يأتيه محذورُه من جهة توقّيه. هذا أبوكم رضي الله عنه حين استكمل، فعرف الضَّار والشَّافي، وتعذَّرت صفات كماله على الحرف النَّافي، فيا [9] لله لفظة أُواليها، وأُتْبعها زفرة تَليها، لقد بَحَثَت الأيام عن حَتْفها بِظِلفها، وسَعت على قدمها إلى

---

[1] نظرا لكونها آية قرآنية فقد صوب النص؛ حسب ما ورد في الذيل والتكملة. وهو الصحيح.
[2] سورة الواقعة؛ الآية: 23.
[3] في الذيل: ((حوراً عيناً)). وهذا أقرب إلى الصحة. تبعاً لسياق الآية: 22؛ من سورة الواقعة.
[4] نفسه: ((الدهر)).
[5] نفسه: ((شدتم)).
[6] نفسه: ((أتباع الأبناء الكرام الآباء)).
[7] نفسه: ((علوها)).
[8] نفسه: ((ولم يُطِفْ بكماله عيباً يحفظه من عين العائن ويقيه)).
[9] نفسه: ((فإنَّا)).

رغـم أَنْفِهـا، [1] فمـن لبـث الوصـل، ولـرعي [2] الوسايـل، وإلى وإلى مـن يُلجأُ في مُشكـلات المسايـل، ومَـن المجيـب إذا لـم يكـن المسئول بأعلـم مـن السَّائـل. اللهـم صبّرنـا عـلى فقـد الأُنْس بالعلـم، وأَدِلْنـا مـن حُفـوف الوَلَـه بوقـار الحلـم، وأَخْلِفـه في بنيـه وعامـة أهليـه، بشبيـه مـا أوليتـه في جـوارك المقـدس وتوليـه. وإليكـم أيهـا الإخـوة الأوليـاء، والعليـة الذيـن عليهـم قصـرت العليـاء. أعتـذر مـن اتخـاذ [3] الـشيء مـن الكـلام الكـلام بنقصـه [4] الأشيـاء. فقـد خـان في هـذا الزمـان [5]، حـتى حتى اللسـان، وفقـد منـه حتـى الحسـان [6]، وليـس لتأبيـن **محمـد** صـلى اللـه عليـه وسلـم إلاّ حَسَّـان؛ فالعـذر مُنْفسـح المجـال. وإلى التقصيـر في حـقّ رُزْئكـم الكبيـر نصيـر [7] في الرَّويـة الرَّويـة والارتجـال. ولذلـك عدلـت إلى الإيجـاز، واعتقـدت في إرسـال القـول في هـذا الموضـع ضربـاً مـن المجـاز. ومبلـغ النفـس

[1] **وردت الجملـة المواليـة في الذيـل؛ بينمـا سقطـت في النـص الأصـلي؛ وهـي: ((حيـن أتلفـت الواحـدة يـزن مايـة ألفهـا؛ فمـن لبـث...)).**
[2] **في الذيـل: ((ورعـي)).**
[3] **نفسـه: ((إيجـاد)).**
[4] **نفسـه: ((تنقصـه)).**
[5] **نفسـه: ((الزمـن)).**
[6] **نفسـه: ((وفقـد حـتى منـه الإحسـان)).**
[7] **نفسـه: ((مصيـر ذي الرويـة...)).**

عُذْرها مع العجز كالصَّابر [1] للإعجاز. وأما حسن العزاء على تعاقُب هذه الأرزاء، فأَمَّر لا أَهبه، بل أَسْتَجديه، ولا أُذكركم به، ونَفْس صبركم متوغلة فيه، فسواكم يُلهم للإرشاد [2]. ويذكر بطرق الرشاد، جعل الله منكم لآبايكم خلفاً، وأبقى منكم لأبنائكم سلفاً، ولا لد لكم [3] الوجود الوجود بعده تلفاً [4]. والسلام.

محنته

امتُحن رحمه الله بالتَّغريب عن وطنه، لبغْي بعض حَسَدته عليه، فأُسكن **بمرسية** مدَّة طويلة، إلى أن هلك **بألمرية** الأمير **أبو عبد الله محمد بن يوسف بن هود،** آخر جمادى الأُولى سنة خمس وثلاثين وستماية [5]. فسرح **أبو أبو الحسن بن سهل** إلى بلده في رمضان من هذه السنة.

---

[1] **في الذيل: ((كالصائر)).**
[2] **نفسه: ((إلى الإرشاد)).**
[3] **نفسه: ((ولا أراكم)).**
[4] **نفسه: ((تلفاً؛ بمنِّ الله وكرمه؛ والسلام)).**
[5] **الموافق لـ 1237م.**

ومن شعره في ذلك الحال مما يدل على بعد شأوه ورفعة همته، قوله [1]:

الدمع هَمَى[2] عن جوانب هِمَّــتي
وتأبى هموم العافين عن[3] الدَّفــع
وألتمس العتبى وحيداً وغايــتي[4]
وصَرْفَ الليالي والحوادث في جَمْع
وإني من حزمي وعزمي[5] وهمــتي
وما رُزِقته النفس من كرم الطَّبع
لفي مَنْصــب تعلو السماء سماتُه
فيَثْبُت[6] نوراً في كواكبها السَّبــع
علا صرف دهري إذ علا فإذا به
ترابٌ لنَعْــلي أو غبار على سَبْع[7]

---

[1] البحر الطويل.
[2] في الذيل: ((أدافع هَمّي)).
[3] نفسه: ((على)).
[4] نفسه: ((وعاتبي)).
[5] نفسه: ((من عزمي وحزمي)).
[6] نفسه: ((فتثبت)).
[7] نفسه: ((شسعي)).

تدرَّعت بالصبر الجميل وأَجْلَبَــت

صروف الليالي كي تمــزِّقَ لي درع[1]

فما مللت قلبي ولا قبضتُ يــدي

ولا لمحــت أصلي ولا حضرت فــرع[2]

فإن عَرَضت لي لا يفوه بها فمي

وإن زَحَفت لي لا يضيق بها ذرع[3]

وفي هذه الأبيات تأْنيث السَّبعة الكواكب، وحكمها التذكير، وذلك إما لتأويل بعد أو غفلة، فلينظره. قال **أبو الحسن الرعيني**: ودخلت عليه **بمرسية**، وبين يديه شمَّامة زهر، فأنشدني لنفسه [4]:

وحامــل طيبٍ لم يُطَيَّب بطيبــه

ولكنــه عنــد الحقيقــة طَيِّــب

---

[1] في الذيل: ((درعي)).

[2] ورد هذا البيت في الذيل والتكملة هكذا:

((فما ملأت قلبي ولا قبضت يدي * ولا نحتت أصلي ولا هصرت فرعي)).

[3] في الذيل: ((ذرعي)).

[4] البحر الطويل.

تألــف مــن أغصــان زهــره[1]
فمن صِفَتيــه زاهــرٌ ورَطيــب
تعانقت الأغصان فيه كمــا التقى
حبيبٌ على طول النوىَّ وحبيــبُ
وإن الــذي أدنــاه دون[2] فراقــه
إلى كبيرٍ[3] في الوجود عجيــب
مناسبــةٌ للبَيْــن كــان انتسابها
وكــل غريــب للغريب نَسيــب
فبالأمــس في إسحاره[4] وبــداره
وباليــوم في دار الغريب غريب

تواليفه

صنَّف في العربية كتاباً مفيداً، رتب الكلام فيه على أبواب **كتاب سيبويه**. وله تعاليق جليلة على **كتاب**

---

1 **في الذيل، وبرنامج شيوخ الرعيني: ((أغصان آس وزهرة)).**
2 **نفسهما: ((بعد)).**
3 **نفسهما: ((إليَّ كبيرٌ)).**
4 **نفسهما: ((أشجاره)).**

المستصفى في أصول الفقه، **وديوان شعر** كبير. وكلامه الهزلي ظريف شهير.

مولده

عام تسعة وخمسين وخمسماية [1].

وفاته

توفي **بغرناطة** منتصف ذي قعدة سنة تسع وثلاثين وستماية [2]. وزعم **ابن الأبار** أن وفاته كانت سنة أربعين وستماية [3]، وليس بصحيح. ودفن **بمقبرة شقستر**. قال **ابن عبد الملك**: وكان كريم النفس، فاضل، الطبع، نزيه الهمة، حصيف الرأي، شريف الطباع، وجيهاً، مبروراً، معظماً عند الخاصة والعامة.

---

[1] الموافق لـ 1163م.
[2] الموافق لـ 1241م.
[3] الموافق لـ 1242م.

من رثـاه

ممـن كتـب إلى بَنيه يُعزّيهـم في مصابهـم بفقـده، ويحضهـم علـى الصبر مـن بعـده، تلميـذه الكاتـب الرييس **أبـو عبـد الله بـن الجنَّـان** [1]:

دعوني وتِستكاب الدموع السَّوابك[2]
فدعوني[3] جميلُ الصبر دعوة آفك

أصبرٌ جميـــل في قبيـــح حوادث
خَلَعْن على الأنوار ثوب الحَوالك

تنكَّرت الدنيـــا على الدِّين ضِلَّـــة
ومن شِيمة الدنيا تنكُّـــر فـــارك

فصبحنـــا حُكـــم الردى بردائـــه
فتِلْك وهَذِي[4] هالك في المهالـــك

---

1 البحـر الطويـل.
2 في الذيـل: ((السوافـك)).
3 نفسـه: ((فدعـوى)).
4 نفسـه: ((وهـذا)).

عفا طلـــلٌ منها ومنه فأصبحنـــا[1]
شريكي غمـــاز في تلاً متدارك[2]
فلا بهجـــةٌ تبـــدي مسرة ناظـــر
ولا حجة تهـــدي بحجـــة[3] سالك
وما انتظـــم الأمران إلا ليؤذنـــا
بأمرٍ دها سَير النجوم السوابـــك[4]
وإن لمنشـــور الوجود انتظـــاره
يكـــــفى فنـــاً للفنـــاء بواشـــك[5]
أما قد علمنـــا والعقول شواهـــد
بأن انقراض العلم أصل المهالك
إذا أهلك[6] اللـــه العلـــوم وأهلهـــا
فما اللـــه للدهر الجهول ببـــارك[7]

---

[1] في الذيـل: ((فأصبحنـا)).
[2] نفسـه: ((شريـكي عنـان في بـلا متـدارك)).
[3] نفسـه: ((محجـة)).
[4] نفسـه: ((بـأنْ قدْ دَنـا نَثـرُ النُّجـوم الشَّوابـك)).
[5] نفسـه: ((بكـفَّيْ فنـاء للفنـاء مُواشـك)).
[6] نفسـه: ((أذهـب)).
[7] نفسـه: ((بتـارك)).

هل العلم إلاَّ الرُّوح والخلق جثة

وما الجسم بعد الروح بالمتماسك

وما راعني في عالم الكون حادثٌ

سوى حادث في عالم ذي مدارك

لذلــك ما أبــكي كــأني مُتَيَّــمٌ[1]

أتمم ما أبــقى لإســـمي[2] بعد مالك

وسهلٌ عندي أن أرى الحزن مالكي

مصابي بالفيَّاض سهلُ بن مالــك

إمــامُ هــدىً كنـــا نقلــد رأيـــه

كتقليـــد رأي الشافـــعي ومالـــك

غمام سدىً[3] كنـــا عهدنا سماحـــه

بساحل دارات العماد الحوائــك[4]

أحقاً قضى[5] الجـــلال وقُوِّضـــت

مباني معـــالٍ في السماء سوامك

---

[1] في الذيـل: ((مُتَمِّـم)).
[2] نفسـه: ((الأسى)).
[3] نفسـه: (نـدًى)).
[4] نفسـه: ((يساجـل دَرَّات العهـاد الحواشـك)).
[5] نفسـه: ((قـضى ذاك الجـلال..)).

وأقفر في نَجْدٍ من المجد ربعــه
وعمـــر قبـــرٌ مفـــرد بالدَّكـــادك
وغبَّ[1] طودٌ في صعيـــد بمَلْحَـــد[2]
وغيـــضِ فجرٌ في يدي مُتَلاحِك[3]
ووارى شمسَ المعـــارف غَيْهبٌ
من الخَطْب يردي[4] بالشُّموس الدَّوالك
إلا أيها النَّاعي لك الثَّكل لا تفـــه
بهلْـــك الــــدواهي الدَّواهـــــك[5]
لعلـــك في نعي العـــلا متكـــذب
فكم ماحلٌ من قبل فيه وماحـــك
يُكَذّبهـــم[6] يا ليـــت أنـــك مثلهـــم
تواتـــر أخبـــارٍ وصِـــدْق مآلـــك

---
[1] في الذيـل: ((وغُيِّـبَ)).
[2] نفسـه: ((مُلَحَّـد)).
[3] نفسه: ((وغُيِّضَ بَحْرٌ في ثـرى مُتَلاحِكْ)). أي متلاحـم.
[4] نفسـه: ((يـودي)).
[5] أي الساحقـة، والطاحنـة. وجـاء هـذا الشطـر في الذيـل هكـذا:
((مـن الخطـب يُودي بالشمـوس الدوالـك)).
[6] في الذيـل: ((يُكَذِّبْهُـمُ)).

فيا حُسْن ذاك القول إذ بان كَذِبه
ويا قُبحه والصِّدق بادي المسالك
لمقدار جفوا[1] فيه وقلــبيَ راجفٌ
مخافة تصديق الظُّنون الأوافــك
كأَنَّ كمال الفضل كان يسُومُهــم[2]
فأبدوا على نغــصٍ هو مُتمالــك[3]
كأنهـــــم يَسْتَبَطـــــون أُيُومــةً[4]
كمـــا استبطـــأ.........[5] فاتـــك
كأنهـــم مُسْتمطـــرون لعـــارض
كعارض عـــاد للتجلُّــد عـــارك
بلى إنهم قد أَرْهَصـــوا لرزيَّـــة
تُضَعْضــــع رُكن الصَّابر المتمالك

---

[1] في الذيل: ((لقد أرجفوا)).
[2] نفسه: ((يسوءهم)).
[3] نفسه: ((فأبدوا على نقص هوى متهالك)).
[4] نفسه: ((كأنهم مستبطئون لبومه)).
[5] بياض في المخطوط؛ وقد ورد هذا الشطر في الذيل والتكملة هكذا: ((كما استبطأ المصبور هبة باتك)).

فقد كان ما قد أنــذروا بوقوعــه
فهل بعده للصبر[1] صَوْلــةُ فاتــك
مصاب مصيـــب للقلــوب بسيِّد[2]
رمى عن قِسيٍّ لليـــالي عواتــك
بكت حسنها[3] الغَبْراء فيه فأَسْعَدت
بأدمعها الخضراء ذات الجَمايك[4]
على عَلَم الإســلام قامت نوادب
بهتْن مبـــاك أو بَهتم مضاحـــك
فمن سِنة سنّت على الرأس تُربها
ومكْرَمـــة ناحـــت لأكـــرم هالك
ومن آية تبكي بنـــور[5] صبحهـــا
إذا قام في جَنْـــح من الليل حالك

---

[1] في الذيل: ((للدهر)).
[2] نفسـه: ((بسهمـه)).
[3] نفسـه: ((حزنـها)).
[4] نفسـه: ((الحبائـك))؛ أي طرق النجوم.
[5] في الذيل: ((منـوّر)).

ومن حكمـــة تبـــكي[1] لفقـــد مُفَجِّـــر

لينبوعها السّلسال في الأرض سالك

فيا أســـفي مَنْ للهوى ورسومـــه

ومن لمُنِيـــخٍ عند تلك المَبـــارك

ومن للواء الشَّرع يرفـــع خفْضه

ويمنع من تمزيقـــه كفَّ هاتـــك

ومن لِكِتـــاب اللـــه يدرس وحيه

ويَقْبِس منه النـــور غير مُتـــارك

ومن لحديث المصطـــفى وماجد[2]

يبين بهـــا[3] في فهمـــه ومُتـــارك

ومن ذا يُزيـــل اللَّبس في مُتَشابه

ومن ذا يُزيح الشَّـــك عن مُتَشابك

ومن لليراع المُصْفَرِّ طابت بكفّه[4]

فصارت طوال الشمس[5] مثل النيازك

---

[1] في الذيـل: ((تـرثي)).
[2] نفسـه: ((ومآخـذ)).
[3] نفسـه: ((يُبَيِّنـهـا)).
[4] نفسه: ((ومـن لليـراع الصُّفْر طالـت بكفّـه)).
[5] نفسـه: ((السمـر)).

ومن للرُّقاع البيض طابت بطيبه[1]
فجابت إلى الأملاك سُبُل المسالك
ومن لمقام الحفل يصـــدع بالتي
تُغَصُّ[2] لقس من جناح المـــدارك
ومن لمقال كالنُّضـــار يُخلِّـــص[3]
لإبْرِيـــزه التَّبريـــز لا للسَّبايـــك
ومن لفِعـــال إن ذكـــرت بنـــاءه
فعـــال وإن تُنْشر فمِسْكَه فـــارك
ومن لخلالٍ كُرمَـــت وضَرايـــر[4]
ضربن بقدحٍ في عتاب[5] الضَّرايك[6]
الضَّرايك[6]

---

[1] في الذيل: ((طارت بذكره)).
[2] نفسه: ((تقص)).
[3] نفسه: ((مُخلّص)).
[4] نفسه: ((وضرائب)).
[5] نفسه: ((غياث)).
[6] أي الفقيرات الجائعات.

ومن لشعار الزهد أُخـــفي بالفنـــا[1]

ففي طيِّه فضل الفضيل ومالـــك[2]

ومن لِشعاب المجد أو لشُعوبـــه

إذا اختلطـــت ساداته بالصَّعالـــك

---

[1] في الذيل: ((بالغنى)).

[2] الفضيل، ومالك؛ اشتهرا بصدق التوبة بعد الضلال والعصيان. فالأول: هو أبو علي الفضيل بن عياض بن مسعود بن بشر التميمى اليربوعى الخراسانى المروزى. ولد بسمرقند في حدود 107هـ/725م تقريباً، وتوفي سنة 187هـ/802م بمكة المكرمة. كان يمتهن السرقة وقطع الطرق؛ فتسلق يوماً داراً؛ فسمع أحدهم يتلوا قوله تعالى: (أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللهِ). (من الآية: 16 من سورة الحديد)). فقال في نفسه: يارب قد آن. وعاد من حيث أتى؛ فمرّ ببعض الناس؛ فقال أحدهم: لِنَرْتَحِل؛ فأجاب الآخر: يا قوم: لنرحل مع الصباح؛ فإن فضيلاً على الطريق؛ يقطع علينا. فقال لنفسه: أنا أسعى بالليل في المعاصي؛ وقوم من المسلمين هاهنا يخافوننى؛ وما أرى الله ساقني إليهم إلاّ لأرتدع؛ اللهم إنّي قد تبت إليك. وجعلتُ توبتي مجاورة البيت الحرام. أما الثاني: فهو التابعي مالك بن دينار؛ (توفي سنة 130هـ/747م). كان في البداية سكيراً عاصياً؛ فلما تزوج؛ ورزقه الله ببنت شغف بها وأحبها؛ ولكنها ماتت بعد سنوات ثلاث؛ فحزن عليها حزناً شديداً؛ ورأى في منامه ثعباناً يطارده؛ فظهرت ابنته، وحَمَتْه من الثعبان؛ وتلت عليه الآية الكريمة: (أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللهِ). (من الآية: 16 من سورة الحديد)). ولمّا استيقظ من نومه؛ توضأ وخرج لصلاة الصُّبْح في المسجد؛ أيْنَ صلَّى الإمام بالآية نفسها. وبعد الصلاة صاح: قد آن يا رب.. قد آن يا رب؛ نعم: (أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللهِ). فتاب توبة صادقة من يومها. وأضحى من كبار التابعين، ومن كتاب المصحف الشريف.

ألا ليس من فاكْفُف عُويلك أو فرِد
فما بعد سهلٍ في العُلى من مُشـــارك
أُصبِبْنــــــا فياللـــه فيـــه وإنمـــا
أصبنا لعَمْري في الذُّرى والحوارك
فنـــادِ بأَفْــلاك المحامد اقْصُري
فلا دَوَران بـــل[1] قُطْب المـــدارك
وصِحْ يالبناء[2] اليوم أَقْويت منزلاً
بوَطْىءِ المنايا لا بوطىء السَّنابك
على هـــذه حام الحِمـــام محلّقـــاً
ثمانين حَـــوْلاً كالعدوِّ المُضاحك
فسالَمهُ في مَعْرك الموت خادعاً
وحاربَه إذ جاز ضَنْك المعـــارك
طواك الرَّدى مهما يُساكن فإنَّـــه
مُحَرِّك جيش ناهب العيش ناهك

---

[1] في الذيل: ((فلا دوران، زال..)).
[2] نفسه: ((بالسناء)).

نبا سَبــا قُدُمـــاً وهي السَّكاســك[1]

ولم يأْلُ عن خَونٍ لحايزٍ[2] ومالك

وأَفْنى من أبناء[3] البرايا جموعها

وأَلْقى البَرايا[4] بالرغم فوق البَرامك

ســواءٌ لديــه أن يصــول بقلبك[5]

من للناس[6] ناس للتقى أو بناســك

ولو أنــه أَرْعَى على ذي كرامة

لأَعْيى[7] على المختار نجل العواتك[8]

ولو راعه عُمــرٌ تكامــل ألفــه

لما راع نوحاً في السنين الدّكادك[9]

---

[1] في الذيل: ((سبى سبأ قدماً وحيّ السكاسك)).
[2] في الذيل: ((خون لخان))
[3] نفسه: ((من أفناء)).
[4] نفسه: البُرَى)).
[5] نفسه: ((بفاتك)).
[6] نفسه: ((من النلس)).
[7] نفسه: ((لأرعى)).
[8] العواتك: جدات الرسول صلى الله عليه وسلم.
[9] في الذيل: ((الدكائك)).

وما من سبيـــل للـــدوام وإنمـــا

خُلقنا لأرحاء المنـــون الرَّامـــك[1]

فيا آل سهل أو بنيـــه مخصصـــاً

نداء عمـــوم في غموم مـــوالك

أعندكـــم أني لمـــا قـــد عراكـــم

أمانع صَبْري لن يليـــن عزايـــك[2]

فكيف أُعزِّي والتعـــزي مُحـــرَّم

عـــلَّي ولكـــن عـــادة الرَّمالـــك[3]

فـــإن فـــرحٌ يبـــدو فذلـــك تَكَرُّهٌ[4]

لتجريع صابٍ من مصاب مواعك

وإن كان صبـــراً[5] إنها لحلومكـــم

توابة[6] في مرِّ الريـــاح السواهـــك

---

[1] في الذيل: ((الدواهك)).
[2] نفسه: ((عرائكي)).
[3] نفسه: ((عادة آل مالك)).
[4] نفسه: ((فإن جزع يبدو فذاك تكره)).
[5] نفسه: ((صبر)).
[6] نفسه ((ثوابت)).

ورثتم سنا ذاك المقــدَّس[1] فارتقوا
بأعلى سَنام من ذُرى العزِّ تامــك
فلم يمض من أبقى من المجد إرْثه
ولم يلق ملكاً[2] تــارك مثل مالــك
أتدرون لم جَــدَّت ركاب أبيكــم
كما جَدَّ سير بالقِلاص الرواتِــك
تذكَّر في أُفــق السمــاءِ قديمــه
فَحــنَّ إلى غَيْــضٍ[3] هنالك شابك
وكلٌّ[4] سما في حضرة القدس حظه
فلم يلب[5] عنه بالحظوظ الركايــك
فيــا عجبــا منــا نبــكي مّهنّــأ
تبــوأ داراً في جــــوار الملايك
يلاقيه في تلك المغــاني رفيقُــه
بوجــه منير بالتَّباشيــر ضاحك

[1] في الذيل: ((المقدم)).
[2] نفسه: ((هُلكاً)).
[3] في الذيل: ((عيص)).
[4] نفسه: ((وكان)).
[5] نفسه: ((يله)).

فلا تحسبوا أن النوى غال روحه
لجسم ثَوى تحـــت الدّكادك سادك[1]
فلـــو أنكـــــم توشفتـــم[2] بمكانـــه
رأيتـــم مقيماً في أعالي الأرايك
ينعم في روض الرِّضا وتجـــوده
سحايب في كُثْبان مِسْك عواتـــك[3]
كذلك وعد اللـــه في ذي مناسب
من البرِّ صحَّت بالتغنّي[4] ومناسك
فيا رحمة الرحمن وافِي جنابـــه
ويا روحـــه سلّم عليـــه وبـــارك
ويا لَوْعـــتي سيري إليه برُقعتي
وقصِّي شجوناً من حديثي هنالك

---

[1] أي لازم.
[2] في الذيل: ((كوشفتم)).
[3] نفسه: ((عوانك)). أي ما يشوبهم من احمرار.
[4] نفسه: ((بالتقى)).

حديث الأشجان شجون، ووجوه القراطيس به كوجوه الأيام جون، فارعني سمعك، أبثك [1] بثي واكتئابي، وأَعِرْني [2] نظرة في كتابي، لتعلم ما بي، فعندي ضرب الأسى جناية [3]، وعلى وِردي أطال باغي الأسى حماية [4]، وعَبْرتي أبكت من القَطْر سِجامه، وزَفْرتي أذكت من الجَمْر ضِرامه، ومني تعلمت ذات الهديل كيف تنوح، وعنّي أخذت ذات الحسن [5] كيف تغدو والهة وتروح، فما مذعورة راعها القناص، وعلق بواحدها حبل الجهالة [6] فأعوره الخلاص، فهي تتلفت إليه والمخافة خلفها وأمامها، وتتلهف عليه فتكاد تواقع فيه حمامها، بأَخْفَق ضلوعاً، وأَشْفَق رُوعاً، وأضيق مجالاً، وأوسع وجالاً، وأَشْغَل بالاً، وأشعل بلبالاً، بل ماطلاها، وقد رآها، ترمي [7] طلاها، فوقف حتى كاد يشركها في الحين،

---

[1] في الذيل: ((فأصخ لي أبثك...)).
[2] نفسه: ((أو أعرني)).
[3] نفسه: ((خيامه)).
[4] نفسه: ((حمايه)).
[5] نفسه: ((الحتين)).
[6] نفسه: ((الحبالة)).
[7] نفسه: ((تدمي طلاها))؛ أي ابن ظباها.

الحين، ويحصل من الشّرك تحت جناحين. ثم أفلت وهو يشكُّ في الإفلات، ويشكو وِحْدته في الفلوات [1]، بأرهب نفساً، وأجنب أنساً، وألهب حشاً، وأغلب توحشاً، وأضيع بالمومات، وأضرع لغير الأمات، مني وقد وافى النبأ العظيم، ونثر الهدى بكفّ الرَّدى شمله [2] النظيم، وأصبح يعقوب الأحزان وهو كظيم. وقيل أُصيبت الدنيا بحبشتها [3] وحسنها، والديانة بمحسنها وأبي حسنها، فحق فحق على القلوب انفطارها، وعلى العيون أن تهمي قطارها، وعلى الصبر أن يمزق جلبابه، وعلى الصدر أن يغلق في وجه السلو بابه. أنعي [4] الجليل السعي، ورزية الجميل السجية، ووفاة الكريم الصفات، وفقد الصميم المجد، وذهاب السمح الوهاب، وقبض روحاني الأرض، وانعدام معنى الناس، وانهدام مَغْشَى [5] الإيناس، وانكشاف [6] شمس العلم، وانتِساف قُدْس الحِلم. يا له

[1] في الذيل: ((بالفلاة)).
[2] نفسه: ((سلكه)).
[3] نفسه: ((بحسنتها)).
[4] نفسه: ((النعي)).
[5] نفسه: ((مَغْنَى)).
[6] نفسه: (والانكساف)).

حادثاً جمع قديماً من الكروب وحادثاً، ومصاباً جرَّع أوصاباً وأضحى كل به مصاباً. **لا** جرم أني شربت من كأسه مستمفضها [1]، وشرقت بها وبماء [2] دمعي الذي ارفض معها، فغالت خلدي، وغالبت جلدي، حتى غبت عني، ولم أدر بآلامي التي تعني. ثم أفقت من سُكْري، ونفقت [3] مبدِّد فكري، فراجعني التَّذكار والتمام، وطاوعني شجوناً [4] يتعاطاه الحِمام، فبكيت حتى خشيت خشيت أن يعشيني، وغشيت إذ غشيني من ذلك أليم ما غشيني، وظلت ألقى [5] انبجاساً للترح يلقيني، فتارة يُعنيني، وتارة يبقيني، فلو أن احتدامي والتَّدامي وجفني الدامي، اطلعت على بعضه **الخنساء**، لقالت هذه عَزْمة حزن، **لا** يستطيعها النّساء. ذلك بأن قسمة المراثي كقسمة الميراث، وللذُّكران المزيَّة، كان للسرور أو للرّزيَّة، على الإناث، هذا لو وازن مبكي مبكياً، ووارى ترابي فلكياً،

---

[1] في الذيل: ((مستفظعها)).
[2] نفسه: ((وبدمعي)).
[3] نفسه: ((ولفقت)).
[4] نفسه: ((شجو لا تتعاطاه)).
[5] نفسه: ((لقَّى أينما شاء الترح)).

إنا لنبكي نور علمٍ، وهي تبكي ظلمة جهل، وندبتي بجبل يُدعى بسهل، كان يتفجر [1] منه الأنهار، وينهال جانبه من خشية الله أو ينهار، في مثله ولا أريد بالمثل سواه، فما كان في أبناء الجنس من ساواه. يحسن الجزع من كل مؤمن تقي، ويقال للمتجلد، لا تنزع الرحمة إلا من شقي، فكل جَفْن بعده جاف، فصاحبه جلف أوصاف [2]، وكل فؤاد لم تصدع [3] له صفاته، ولم تتغير لفقده صفاته ، فمتحَقَّق عند العلماء [4] معلوم، أنه معدود في الحجارة أو معدوم. فيا ليت شعري يوم ودع للترحال، ودعا حاديه بشدِّ [5] الرِّحال، كيف كان حاضروه في تلك الحال هل استطاعوا معه صبراً، وأطاعوا لتلبيته [6] أمراً، أو ضعف احتمالهم، احتمالهم، وقوي في مفارقة النفوس اعتمالهم. ويا ليت شعري، إذ أفادوا الماء طهارة زائدة بغسل جلاله، هل حنطوه في غير ثنايه، أو كفنوه في غير خلاله. ويا ليست

---

[1] في الذيل: ((كانت تتفجر)).
[2] نفسه: ((أو جاف)).
[3] نفسه: ((تنصدع)).
[4] نفسه: ((العقلاء)).
[5] نفسه: ((لشدِّ)).
[6] نفسه: ((لتثبيته)).

شعري إذا استقل به نعشه لأشرفٍ، ترفرف عليه المليكة ويظلّله الرُّفرف هل رأوا قبله حملة الأطوار [1] على الأعواد، وسير الكواكب في مثل تلك المواكب، فيأنسوا بالإلف، ويرفعوا منكم الطرف، ويدعو لفيض من أثر ذلك الظرف. ويا ليت شعري، إذ ودَّعوا [2] درة الوجود، صدفة اللحد المجود، لم أثروا الثرى على نفوسهم، ورضوا الأرض مغرباً لأنوار شموسهم. فهلا حفروا له بين أحناء الضلوع، وجعلوا الصفيح صريح الحبّ والولوع. فيكونوا قد فازوا بقربه، وجازوا فخراً خير لتربه. ويا ليت شعري إذا لم يفعلوا ذلك ولم يهتدوا هذه المسالك، هل قضوا حقَّ الحزن، وسَقَوا جوانب الضَّريح من عبراتهم بأمثال المُزْن، وهل اتصفوا بصفة الأسف أو قنعوا منها بأن وصفوها، وهل تلافوا بقايا الأَنْفَس، بعد المفقود الأنفس، وأتلفوه [3].

---

[1] في الذيل: ((حمل الأطواد)).
[2] نفسه: ((أودعوا)).
[3] نفسه: ((وأتلفوها)). والبيت الموالي من البحر الطويل.

فكـــل أسى لا تذهـــب النَّفْـــس عنـــده
فمـــا هـــو إلا من قبيـــل التَّصنُّـــع

يا قدس الله مثوى ذلك المتوفى، وما أظن الجَزَع تَّـم [1] حقه ووفَّى. ولو درى الزمن [2] وبنوه، قدر من فقدوه، لوجدوا المفاجئ [3] الفاجع، أضعاف ما وجدوه. فقد فقدوا واحداً جامعاً للعوالم، وماجداً رافعاً لأعلام المعالي والمعالم، ومفَدَّى ثَقُل له في الفدا، ونفوس الأوداء والأعدا، ومبكى ما قامت على مثله النوايح ولا حسنت إلاّ فيه المراثي، كما حسنت من قبل فيه المدايح. رحمة الله عليه ورضوانه، وريحان الجنان يحييه به رضوانه. من لي بلسان يقضي حق ندبته، وجنان يقضي بما فيه إلى جثته [4] وتربته، وقد نبهني [5] حزني عليه وبلَّدني، وتملَّكني حصر الحسرة عليه وتعبدني، وأين يقع **مُهَلهل** البديه، مما يخفيه

[1] في الذيل: ((عمّ)).
[2] نفسه: ((الزمان)).
[3] نفسه: ((للفاجي)).
[4] نفسه: (جننه)).
[5] نفسه: ((بلَّهَني)).

مُهَلهل الثَّكل ويُبديه؟ يميناً لو لبثت في كهف الروية ثلاثمائة سنين، واستمددت سواد ألسنة الفصحاء اللسنين، ما كنت في تأبين ذلك الفصل المُبين من المُحْسنين، إلاّ أني أَتَيْتُ بالطّريف [1] من بيانه [2] والتَّليد، ورثيت رشد كماله برثايه كمال **ابن رشد أبي الوليد**، فأنشدت بنيه قوله فيه[3]:

أخـــلاَّي إني من دموعي بزاخر
بعيدٌ عن الشَّطين منه غريقـــه
وما كـــان ظـــنّي قبل فقد أبيكم
بأن مصاباً مثـــل هـــذا أُطيقـــه
ولـــم أدر من أَشْقى الثلاثة بعده
أأبنـــاؤه أم دهـــرُه أم صديقـــه

ثم استوفيت تلك الأبيات والرسالة، وأجريت بترجيعها من دم الكبد ونجيعها عَبراتي المُسالة، فحينئذ كنت أَوفّي المصاب واجبه، وأُشْفِي صدوراً صديَّة شجيَّة، وقلوباً وَاجِفَة واجبة. ولو أن ما رثى به نفسه الكريمة من ثرّ

---

[1] في الذيل: ((بالطارف)).
[2] نفسه ((من بيانه المُعْلَم والمطارف والتاليد...)).
[3] البحر الطويل.

إساءته [1]، حين رأى الحين مغتصباً [2] حشاشَة مكرماته. أثار كامن وجدي بألفاظه المُبكية، ومعانيه التي تحلُّ من مزاد العيون الأوكية لاهبَّ لي رنداً [3]، وأعقبني صفاة تَنْدى، وأطعمني في أن يعود بكاي زبداً. فقد بلغني أنه لما [4] وقف على ثنيَّة المنيَّة، وعرف قرب انتقال السَّاكن من البَنِيَّة جمع بنات فكره، كما جمع شيبة الحَمْد بنات خِدره، وقال يا بنياتي، قد آن ليومي أن يأتي فهل لكنْ أن ترينني [5]؟ فوضعن أكبادهن على الوشج [6]، ورفعن أصواتهن بالنَّشيج، وأقبلن [7] يُرجّعن الأناشيد، ويفجعن القريب والبعيد، حتى أومأ إليهنَّ، بأن قضين ما عليهن، فيا إخوتاه [8]، ومثلي بهذا النداء نخي وتاه، أسهموا أخاكم في ميراث تلكم الكَلِم، واحموا [9] فؤاداً بالمُلَّم المؤلم

---

[1] في الذيل: ((من كلماته)).
[2] نفسه: ((مقتضياً)).
[3] نفسه: ((لأثقب لي زنداً)).
[4] نفسه: ((حين)).
[5] نفسه: ((ترثينني)).
[6] نفسه: ((الوشيج)).
[7] نفسه: ((وانبرين)).
[8] نفسه: ((خوفاه)).
[9] نفسه: ((وارحموا)).

المؤلم قد كَلِم، ولا تقولوا يكفيه ميراث الأحزان، فتبخسوا وحاشاكم في الميزان، فإني وإن تناولتها باليدين، وغلبت عليها، فإني صاحب الفريضة [1] والدّين، فإني لحظّي من ميراث الحكمة سائل، ومع أن لي حقاً فلي ذمم ووسايل، فابعثوا إلي ما يُطارحني في أشجاني، وأقف على رسمه فأقول شجاني، ولا أطلب من كلام ذلكم الإمام، العزيز فَقْده على الإسلام، قوله في التصبير، على الرزء الكبير، ووصاته، لئلاّ يُلزمني، ولست بالمستطيع إصغاءً للمطيع لأمره [2] وإنصاته، فإن امتثلت أصبت قتلي بما نثلت، وإن عصيت أبعدت نفسي من رضاه وأقصيت، ولي في استصحاب حالي أمل، وما لم يرد خطاب لم يلزم عمل. على أني وإن صاب وابل دمعي وصب، وأصبحت بذكر المصاب الكلف الصَّب، فلا أقول إلا ما يرضي الرّبّ، فإني [3] أبكي عالماً كبيراً، وعلماً شهيراً، تسعدني في بكايه الملة، وتنجدني بوَجْده [4]، فأنا الكاتب وهي

[1] في الذيل: ((الفريضين)).
[2] نفسه: ((لأوامره)).
[3] نفسه: ((فأنا)).
[4] نفسه: ((بوجدها)).

المُمِلَّة. وأما أنتم أيها الإخوة الفضلاء، والصفوة الكرماءُ، فقد تلقيتم وصلته [1] المباركة شفاها، وداوى صدوركم بكلامه النافع وشفاها، فلا يسعكم إلاَّ الامتثال، والصبر الذي تُضْرب به الأمثال، فعزاءً عزاءً، وانتماءً إلى التأَسّي واعتزاءً، وإن فضل رزء أرزاء، وكان جزءٌ منه يعدل [2] أجزاءً، فعلى قَدْرها تُصاب العلياءُ، وأشد الناس بلاءً الأنبياء ثم الأولياءُ. ذلك لتَبيَّن [3] فضيلة الرّضاء والتسليم، وتتعيَّن صفات [4] من يأْتي الله بالقلب السَّليم، ويعلم كيف [5] الكريم للكريم، وكيف يحل الأجر العظيم، وهب الله لكم في مصابكم صبراً على قدره، وسكب ديم مغفرته على مثوى فقيدكم وقبره، وطيب بعرف روضات الجنات جنبات قصره، ونفعه بما كان أودعه من أسرار العلوم في صدره وخلَّفه منكم بكل سري بحلة المجد من كل [6] بصدره.

---

[1] في الذيل: ((وصاياه)).
[2] نفسه: ((يعادل)).
[3] نفسه: ((لتَتَبَيَّن)).
[4] نفسه: ((صفة)).
[5] نفسه: ((كيف يخلف الكريم للكريم)).
[6] نفسه: ((من كل نديّ بصدره)).

قلت: ذكر الشيخ **ابن الخطيب** في الأصل في هذه الترجمة ((**الأعيان والوزراء**))، ستة من أهل هذا البيت ، كلهم يسمون بهذا الإسم، عدا واحداً، فإنه سمى بسعيد، وذاك مما يدل على كثرة النباهة والأصالة والوجاهة، رحمهم الله [1].

***

[1] **يبدو أن هذه الفقرة الأخيرة أضافها الناسخ.**

سليمن بن موسى

ابن سالم بن حسان بن أحمد بن عبد السلام الحميري الكلاعي [1]؛ بلنسي الأصل؛ يُكْنَى أبا الربيع، ويعرف بابن سالم.

حاله

كان بقيَّة الأكابر من أهل العلم بصُقْع **الأندلس الشَّرقي**، حافظاً للحديث، مبرّزاً في نقده، تام المعرفة بطرقه، ضابطاً لأحكام أسانيده، ذاكراً لرجاله [2]، ريَّان من الأدب، كاتباً بليغاً. خطب بجامع **بلنسية** واستُقْضِي، وعُرف بالعدل والجلالة، وكان مع ذلك من أُولي الحزم والبسالة، والإقدام والجزالة والشهامة، يحضر الغزوات، ويباشر بنفسه القتال، ويُبْلي البلاء الحسن، آخرها الغزاة التي استشهد فيها.

---

[1] له ترجمة أيضاً في: الذيل والتكملة، والتكملة لكتاب الصلة، وفوات الوفيات، والحلة السيراء، والمغرب في حلى المغرب، والنجوم الزاهرة، وشذرات الذهب، وتاريخ قضاة الأندلس، والمقتضب في كتاب تحفة القادم، والوافي بالوفيات، والديباج المذهب، والروض المعطار، ونفح الطيب.

[2] في الذيل: ((لرجاله وتواريخهم وطبقاتهم)).

مشيخته

روى عن: **أبي القاسم بن حُبيش** وأكثر عنه، **وأبي محمد بن عبيد الله، وأبي عبد الله بن زَرْقون، وأبي عبد الله بن حُميد، وأبي بكر بن الجدّ، وأبي محمد بن سيد بونه، وأبي بكر بن مُغاور وأبي محمد عبد المنعم بن عبد الرحيم بن الفرس، وأبي بكر بن أبي جمرة، وأبي الحسن ابن كوثر وأبي خالد بن رفاعة، وأبي جعفر بن حَكَم، وأبي عبد الله بن الفخار، وأبي الحجاج بن الشيخ، وأبي عبد الله بن نوح، وأبي الحجاج بن أبي محمد بن أيوب، وأبي بكر عتيق بن علي العبدري، وأبي محمد عبد الوهاب ابن عبد الصمد بن عتاب الصّدفي، وأبي العباس بن مضاء، وأبي القاسم بن سَمْحون، وأبي الحسن عبد الرحمن بن أحمد بن ربيع الأشعري، وأبي زكريا الإصبهاني، وأبي بكر أسامة بن سليم، وأبي محمد عبد الحق الأزدي، وأبي محمد الشاذلي، وأبي الطاهر بن عوف، وأبي عبد الله الحضرمي،** وجماعة غير هؤلاء من أهل **المشرق والمغرب.**

من روى عنه

روى عنه: **أبو بكر بن أبي جعفر بن عمر**[1]، **وعبد الله بن حزب الله، وأبو جعفر بن علي، وابن غالب**[2]، **وأبو زكريا بن العباس، وأبو الحسن طاهر بن علي، وأبو الحسين عبد الملك بن مُفوز، وابن الأَبَّار، وابن الجنَّان، وابن الموَّاق، وأبو العباس بن هرقد، وابن الغمَّاز، وأبو عمرو بن سالم، وأبو محمد بن بَرْطَلَة، وأبو الحسن الرعيني، وأبو جعفر الطنجالي، وأبو الحجاج بن حكم، وأبو علي بن الناظر.**

تصانيفه

منها: ((**مصباح الظلم**))؛ في الحديث، و((**الأربعون**[3] **عن أربعين شيخاً لأربعين من الصحابة**[4]))، و((**الأربعون السّباعية**[5]))، و((**السّباعيات**

---

[1] **في الذيل: ((عمرو)).**
[2] **نفسه: ((وأبو جعفر بن علي بن غالب)).**
[3] **نفسه: ((الأربعون حديثاً عن أربعين...)).**
[4] **نفسه: ((الصحابة في أربعين معنى)).**
[5] **نفسه: ((السباعية في حديث السلفي)).**

من حديث الصّدفي [1])، و((**حِلْية الأمالي في المراقبات** [2] **العوالي**))، **و((تَحفة الوداد ونجعة الرواد** [3]))، و((**المسلسلات والإنشادات**))، وكتاب ((**الاكتفاء في** [4] **مغازي رسول الله**، و**مغازي الثلاثة الخلفاء**))، و((**ميدان السابقين وحِلْية** [5] **الصَّادقين المصدّقين**))؛ في غرض **كتاب كتاب الاستيعاب**، ولم يكمله، و((**المعجم ممن** [6] **وافقت كُنيته زوجه من الصحابة**))، و((**الإعلام بأخبار البخاري الإمام**))، و((**المعجم في مشيخة أبي القاسم بن حُبَيْش**))، و((**برنامج رواياته** [7]))، و((**جني الرطب في سني الخطب**))، و((**نكتة الأمثال ونَفْثة السّحر الحلال**))، ((**وجهد النصيح في معارضة المعرّى في خطبة الفصيح**))، و((**الامتثال لمثال المنبهج** [8] **في ابتداء الحكم واختراع**

---

[1] في الذيل: ((أبي علي الصدفي)).
[2] نفسه: ((الوافقات))، وفي النفح: ((الموافقات والعوالي)).
[3] في النفح: ((وتحفة الورّاد))، وفي الذيل: ((وتحفة الرواد، في العوالي البدلية الإسناد.
[4] في الذيل: ((وكتاب الاكتفاء بما تضمنه من مغازي...)).
[5] في النفح، والذيل: ((وحلبة)).
[6] نفسهما: ((المعجم فيمن وافقت كنيته كنية زوجه...)).
[7] في الذيل: ((مروياته)).
[8] في النفح، والذيل: ((المبهج)).

الأمثال))، و((**مفاوضة القلب العليل ومنابذة الأمل الطويل بطريقة أبي العلاء**[1] **المعري في ملقى السبيل**))، و((**مجاز فتيا اللّحن للاّحن الممتحن**)) ؛ يشتمل علىماية مسألة ملغّزة، و((**نتيجة الحب الصميم وزكاة المنثور والمنظوم**))، و((**الصحف المنشرة في القطع المعشّرة**))، و((**ديوان رسايله**)) ؛ سفر متوسط، و((**ديوان شعره**)) ؛ سفر[2].

شعره

من شعره ما كتب به إلى **أبي بحر صفوان بن إدريس،** عقب انفصاله من **بَلَنْسية** عام سبعة وثمانين وخمسماية[3]:

أُحنُّ إلى نجْدٍ ومن حلَّ في نجـــد
وماذا الذي يُغني حنيني أو يُجْدي
وقد أوطنوهـــا واد عين وخلَّفـــوا
مُحبَّهـــم رهن الصَّبابـــة والوَجْد

---

[1] في الإسكوريال، والزيتونة: ((أبي علي))؛ وصوبت من الذيل والتكملة.
[2] في الذيل، والنفح: ((سُفَيْر)).
[3] الموافق لـ 1191م. والقصيدة من البحر الطويل.

تَبِيــن بالبَيْــن اشتيــاقي إليهــم

ووجدي فساوى ما أجنَّ[1] الذي يبدي[2]

وضاقت على الأرض حتى كأنها

وشاحٌ بخصر أو سوارٌ على زَنْد

إلى الله أشكو ما أُلاقي من الجوى

وبعض الذي لاقيته من جوى يُرْدِ[3]

فــراق أخــلاَّءٍ وصــدٌّ أُحبَّــة

كأن صروف الدهر كانت على وَعْد

فيا سَرحتي نجــد نــداءُ مُتَيَّــم

له أبداً شوق إلى سَرْحتي نجــد

ظميت فهل طــلٌّ يبرِّد لوعــتي

ضحَّيت[4] فهل ظلٌّ يُسَكّن من وَجْد

ويا زمنــاً قد مرَّ[5] غيــر مُذْمَــم

لعل الأُنــس قــد تصرَّم من رد

[1] أي مـا أخـفى
[2] في النفـح: ((أبـدي)).
[3] نفسـه: ((يـردي)).
[4] أي أصابتـني الشمس عند الضحى.
[5] في النفـح: ((بـان)).

ليالي نَجني الأُنس من شجر المنا
ونقطف زهر الوصل من شجر الصَّد
وسَّقياً لإخـــوان بأكناف حايــل[1]
كرام السَّجايا لا يحولون عن عهد
وكم لي بنجـــد من سَرِيٍّ ممجَّـــد
ولا كابـــن إدريس أخي البِشــر والجـــدِّ[2]
أخو همـــة كالزُّهر في بُعْد نَيْلها
وذو خلق كالزَّهر غبّ الحيا العد[3]
تجمعــت الأضـــداد فيه حميـــدة
فمن خُلق سَبطٍ ومن حسبٍ جَعْـــد
أيا راحلاً أودى بصَبْري رحيلـــه
وفلَّل من عزمي[4] وثلـــم من حـــد[5]

---

[1] في النفـح: ((حاجـر)).
[2] نفسـه: ((المجـد)).
[3] أي المطـر الجـاري الـذي لا ينقطـع.
[4] في الإسكوريـال: ((غـزلـي))؛ وصوبـت مـن النفـح.
[5] في النفـح: ((حـدّي)).

أتعلم ما يلــقى الفــؤاد لبعدكــم

ألا مُذْ نأيتــم لا يُعيــد ولا يُبــد[1]

فيا ليت شعري هل تعود لنا المُنا

وعيشٌ كما نَمْنَمْــتَ حاشيتي برد

عسى الله أن يُدني السرور بقربكم

فيبدو بنا الشَّمل[2] منتظــم العِقــد

ومن شعره في النسيب وفقد الشباب [3]:

توالــت[4] ليــالٍ للغوايــة جــونُ

ووافى صبــاح للرَّشــاد مُبيــن

ركاب شباب أزْمَعت عنك رحلةً

وجيــش شَيْــبٍ[5] جهَّزتــه مَنون

---

[1] في النفـح: ((يبـدي)).

[2] نفسـه: ((فيبـدو، ومنّـا الشَّمْـلُ...)).

[3] البحـر الطويـل.

[4] في النفـح: ((توالـت)).

[5] في الذيـل، والنفـح: ((مشيـب)).

ولا أكذب الرحمـــن فيما أُجِنُّـــه[1]
وكيـــف وما[2] يخـــفى عليه جَنين[3]
ومن لم يخل أن الرِّيـــاء[4] يشينـــه
فمن مذهـــبي أن الرَّيـــاء يشيـــن
لقد ريع قلـــبي للشَّبـــاب وفقْـــده
كما ريع بالعِقْد[5] الفقيـــد ضنيـــن[6]
وآلمني وخط المشيـــب بلمَّـــتي
فخُطَّـــت بقلـــبي للشجون فنـــون
دليل[7] شبابي كان أُنْضَرَ منظـــراً
وآنـــق مهما لاحظتـــه عُيـــون
فآهـــا[8] على عيـــشٍ تكدَّر صفوه
وأُنْس خلا منه صَفـــاً وحَجـــون

---

[1] أي أخفيـه.
[2] في النفـح: ((لا)).
[3] أي مخـفي.
[4] في الإسكوريـال: ((الوفـاء))؛ وصوبـت مـن النفـح.
[5] في الذيـل، والنفـح: ((العلـق)).
[6] أي بخيـل.
[7] في الذيـل، والنفـح: ((وليـلُ)).
[8] نفسهما: ((فـآهٍ)).

ويا ويح فــودي أو فؤادي كلمـــا

تزيَّـــد شيـــبي كيف بعـــد يكون

حرام على قلبي سكـــونٌ بغـــرَّة[1]

وكيف مع الشَّيب الممِضِّ[2] سكون

وقالوا شباب المرء شعبة جنـــة

فمالي عراني للمشيـــب[3] جُنـــون

وقالـــوا شجـــاك[4] حِدثان ما أتى

ولم يعلموا أن الحديـــث شجـــون[5]

وقال في الاستعانة والتوكل عليه [6]:

أمولى الموالي ليس غيرك لي مولى

وما[7] أحدٌ يا رب منك بـــذا أولى

---

[1] في الذيل، والنفح: ((يقرّه)).
[2] أي المؤلم.
[3] في الذيل: ((بالمشيب)).
[4] في الذيل، والنفح: ((وقالوا شجاك الشيب...)).
[5] أقتبس هذا من المثل السائر: ((الحديث ذو شجون))؛ وقد سبقت الإشارة إليه.
[6] البحر الطويل.
[7] في الذيل: ((وهل)).

تبارك وجْهٌ وجهت نحوه المـــنى
فأَوْزعها شكراً وأوسعها طَــوْلا

وما هو إلا وجهك الدايـــم الذي
أقل حلى عليائه يُخْرس القَــوْلا

تبرأت من حـــولي إليك وقُـــوَّتي
فكن قوتي في مطلبي وكن الحَوْلا[1]

وهب لي الرضا ما لي سوى ذاك مبتغى[2]
ولا لقيت نفسي على نَيْلها[3] الهولا

وقال[4]:

مضت ليَ سبعٌ[5] بعد عشرين[6] حجة
ولي حركـــات بعدهـــا وسكـــون

---

[1] أي القـوة.
[2] في الإسكوريـال: ((سـواك لمبتـغى)).
[3] في الذيـل، والنفـح: ((نيلـه)).
[4] البحـر الطويـل.
[5] في النفـح: ((سـت)).
[6] نفسـه: ((سبعيـن)). وورد في الذيـل أن منتـهى عمـره سبعون سنـة.

فيا ليت شعري كيف أو أين[1] أو متى
يكون الــذي لابُــدَّ أن سيكــون

واستجاز المترجم به من يذكر بما نصه: المسئول من السادة العلماء أيمة الدين، وهداة المسلمين، أن يجيزوا لمن ثبت اسمه في هذا الاستدعاء، وهم المولى الوزير العالم الفاضل الأشرف **بهاءُ الدين أبو العباس أحمد** ابن القاضي الأجل **أبي عبد الرحمن بن علي البيساني** ولولديه **أبي عبد الله، محمد**، **وأبي عبد الله الحسين،** وولده **عبد الرحيم**، ولأولاد ولده **أبي الفتح حسن**، **وأبوي محمد عبد الرحمن ويوسف**، ولمماليكه **سنقر** وأخيه الصغير **وسِنْجر التركيون** [2]، **وأفيد وأقسر الروميان** [3]، **ولكمال بن يوسف ابن نصر بن ساري** الطباخ، وللوجيه **أبي الفخر بن بركات ابن ظافر بن عساكر**، **ولأبي الحسن بن عبد الوهاب بن وردان، ولأبي البقاء خالد بن يوسف الشَّاذلي،** ولولده

---

[1] في النفح: ((أين أو كيف...)).
[2] الأصح: التركيين.
[3] الأصح: الروميين.

محمد، ولمحمد بن يوسف بن محمد البزالي الإشبيلي ولولده، **ولعبد العظيم بن عبد الله المندري** ولولده **أبي بكر، ولأبي الحسن بن عبد الله العطار**، جميع ما يجوز لهم روايته من العلوم على اختلافها، وما لهم من نظم ونثر، وإن رأوا تعيين موالدهم ومشايخهم، وإثبات أبيات يخف موقعها ثراه من الزلل، ومما يخالف الحق، فعلوا مأجورين. وكتب في العشر الأخر من شهر ربيع الآخر سنة ثلاثين وستماية [1].

فكتب مجيزاً بما نصه: قال **سليمن بن موسى بن سالم الكَلاعي**: وكتب بيده، تجاوز الله عنه، وأقام بالعفو من أُوده: إني لما وقفت على هذا الاستدعاء، أجاب الله في مستدعيه المسمى فيه صالح الدعاء، اقتضى حق المسئول له، الوزير الأجل، العالم الأشرف الأفضل **بهاء الدين أبو العباس** ابن القاضي الأجل، الفاضل العلم الأوحد، ندرة الزمان ولسان الدهر، وقسّ البيان، **أبي** [2] **علي عبد الرحيم بن علي**، أعلى الله قدره ورفعه، ووسم سلفه

---

[1] **الموافق لـ 1232م.**
[2] **الأصح: أبو**

الكريم ونفعه، تأكيد الإسعاف، بحكم الإنصاف له، ولكل من سمي معه. فأطلقت الإذن لجميعهم، على تباعد أفكارهم وتدانيها، وتباين أقدارهم وتساويها، من أب سني، وذرّية عريقة في النَّسب العلي، ومماليك له تميزوا بالنسب المولوي، وسُمين بعدهم، اعتلقوا من الرغبة في نقل العلم، بالحَبْل المتين، والسبب القوي. والله بالغ بجميعهم، من تدارك الآمال أَبْعُد الشَّأْو القَصِي، ويجريهم من مساعدة الإمكان، ومسالمة الزمان، على المنهج المرضي، والسنن السَّوي، أن يحدّثوا بكل ما اشتملت عليه روايتي، ونظمته عنايتي، من مشهور الدواوين، ومنثور الأجزاء المنقولة عن ثقات الرَّاوين، وغير ذلك من المجموعات في أي علم كان من علوم الدين، وكل ما يتعلق بها من قرب أو بعد، مما يقع عليه التعيين، وبما يصح عندهم نسبته إلي من مجموع جمعته، ومنظوم نظمته، أو نثر صنعته. الإباحة العامة على ذلك آتية، ومقاصد الإسعاف لرغباتهم فيه مطاوعة وموافية، فليرووا عني من ذلك مُوفَّقين، ما شاءوا أن يرووه، وليلتزموا في

تحصيله أولاً، وأدايه ثانياً، أو في ما التزمه العلماءُ واشترطوه ومن جلَّه شيوخي وصدورهم، الذين سمعت منهم، وأخذت بكل وجوه الأخذ عنهم، القاضي الإمام الخطيب العلامة، **أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن يوسف بن حبيش،** آخر أيمة المحدثين **بالمغرب** رضي الله عنهم. والإمام الحافظ الصدر الكبير **أبو بكر محمد بن عبد الله بن يحيى بن فرج بن الجِدّ الفهري**. والفقيه المشاور القاضي المسند **أبو عبد الله محمد بن أبي الطيب**. والفقيه الحافظ **أبو محمد عبد المنعم بن محمد بن عبد الرحيم الخزرجي**. والقاضي الخطيب النحوي **أبو عبد الله محمد بن جعفر بن حُميد**. والأستاذ الحافظ **أبو محمد عبد الله بن أحمد بن جُمهور القيسي.** والشيخ الراوية الثقة **أبو محمد عبد الحق بن عبد الملك بن بونه بن سعيد ابن عصام العبدري**. والشيخ الصالح **أبو جعفر أحمد بن حكم القيسي الحصَّار** الخطيب بجامع **غرناطة**، والفقيه القاضي الأجزل **أبو العباس يحيى بن عبد الرحمن بن الحاج.** والقاضي الفقيه الحسيب **أبو بكر بن أبي جمرة.**

والقاضي **أبو بكر بن مغمور**. والقاضي المسند **أبو الحسين عبد الرحمن بن ربيع الأشعري**. وسوى هؤلاء ممن سمعنا منه كثيراً، وكلهم أجازني روايته وما سمعه. وقرأت على الخطيب **أبي القاسم بن حبيش** غير هذا وسمعت كثيراً، وتوفي رحمه الله **بمرسية** في الرابع عشر لصفر لسنة أربع وثمانين وخمسماية [1]. ومولده سنة أربع وخمسماية [2]؛ على ما أخبرني به رحمه الله ورضي عنه. ومما أخذته عن الحافظ **أبي بكر بن الجدّ بإشبيلية** بلده، **مُوَطَّأُ مالك**، رواية **يحيى بن يحيى القرطبي**، أخبرني به عن **أبي بحر سُفيان بن العاصي الأسدي** الحافظ، سماعاً بأسانيده المعلومة. وتوفي الحافظ **أبو بكر** سنة ست وثمانين [3]. وقرأت على الفقيه **أبي عبد الله بن زرقون** أيضاً **موطّأ مالك**، وحدثني به عن **أبي عبد الله الخولاني** إجازة، قال سمعته على **أبي عمرو عثمان بن أحمد بن يوسف اللخمي**، عن **أبي عيسى يحيى ابن عبد الله بن أبي عيسى**، عن أبيه **عبيد الله بن يحيى**

---

[1] **الموافق لـ 1188م.**
[2] **الموافق لـ 1110م.**
[3] **أي سنة 586هـ/1190م.**

الليثي عن أبيه **عن مالك بن أنس**، رضي الله عن جميعهم. ولا يوجد اليوم **بأندلسنا ومغربنا** بأعلى من هذه الأسانيد. وممن كتب لي بالإجازة من ثغر **الإسكندرية** الإمام الحافظ مُفْتي **الديار المصرية** ورئيسها **أبو الطاهر بن عوف**، والفقيه **الحاكم أبو عبد الله بن الحضرمي**، والفقيه المدرس **أبو القاسم بن فِيرُّه**، وغيرهم. نفعنا الله بهم، ووفقنا للإقتداء بصالح مذهبهم. وأما المولد الذي وقع السؤال عنه؛ فإني ولدت على ما أخبرني أبواي رحمهما الله، بقاعدة **مرسية**، مستهل رمضان المعظم سنة خمس وستين وخمسماية [1]. ومما يليق أن يكتب في هذا الموضع ما أنشدني شيخاً [2] الفقيه **أبو بكر عبد الرحمن بن محمد بن مغاور** رحمه الله في منزله **بشاطبة** سنة ست وثمانين وخمسماية [3]، وهو بقية مشيخة الكتاب **بالأندلس** لنفسه، مما أعده ليكتب على قبره [4]:

---

[1] **الموافق لـ 1169م.**
[2] **هكذا. ويبدو أنها: ((شيخنا)).**
[3] **الموافق لـ 1110م.**
[4] **البحر الخفيف.**

أيها الواقــف اعتبــاراً بقبــري

استمـــع فيه قول عظمي الرميـــم

أودعوني بطن الضريح وخافـــوا

مـــــن ذنـــوب كلومهـــا بأَديـــم

قلـــت لا تجزعـــوا علي فـــإني

حسن الظَّن بالـــرؤوف الرحيـــم

ودعـــوني بما اكتسبـــت رهينـــاً

غلق الرَّهـــن عند مولى كريـــم

انتهى. وكتب هذا بخطه في مدينة **بلنسية** حماها الله؛ **سليمان بن موسى بن سالم الكلاعي**، في الموفى عشرين لجمادى الآخرة سنة إحدى وثلاثين وستماية[1]. والحمد لله رب العالمين.

وفاته

كان أبداً يقول إن منتهى عمره سبعون سنة لرؤيا رآها في صغره، فكان كذلك، واستشهد في الكاينة على المسلمين بظاهر **أنيشة** [2] على نحو سبعة أميال منها؛ لم

---

[1] الموافق لـ 1233م.

[2] سميت موقعة أنيشة أو أنيجة باسم التل والحصن المقام عليه. لأن المعركة حدثت حوله في عشرين من ذي الحجة سنة 634هـ الموافق لـ 14 أوت سنة 1237م. وهذا الحصن يقع شمال بلنسية على بعد سبعة

يزل متقدماً أمام الصفوف زحفاً إلى الكفار، مقبلاً على العدو، ينادي بالمنهزمين من الجند: يفرون، حتى قُتل صابراً مُحْتسباً، غداة يوم الخميس لعشر بقين من ذي الحجة سنة أربع وثلاثين وستماية [1].

ورثاه **أبو عبد الله بن الأبّار** رحمه الله بقوله [2]:

ألمّا بأشــلاء العُــلى والمكــارم

تُقَد بأَطْراف القنــا والصَّــوارم

وعُوجا عليها مأْربــاً وحفــاوة[3]

مصارعُ غُصَّت[4] بالطّلا والجماجم

أميال منها. وقام الأمير أبو جميل زيان أمير بلنسية بهدم الحصن المذكور؛ لكي يمنع الأراغونيين من احتلاله والاستفادة منه في التضييق على بلنسية. ومع ذلك تمكن الأراغونيون من احتلال الربوة التي كان الحصن مشيداً عليها. فسارع الأمير أبو جميل زيان إلى حشد قواته وهاجمهم؛ ولكن الهزيمة حلت بالمسلمين.

[1] الموافق لـ 1236م.

[2] البحر الطويل.

[3] في تاريخ قضاة الأندلس: ((ومفازة)).

[4] في النفح: ((خُصَّت)).

تُحيّي وجوهاً في الجَنان[1] وجيهة
بمـــا لقيت[2] حُمراً وجوهُ الملاحم
وأجســـاد إيمـــان كساها نجيعُها[3]
بحاسِدِ[4] من نسيج[5] الظّبى واللَّهاذم[6]
مُكرَّمة حتى عن الدَّفن في الثرى
وما يُكرم الرحمن غير الأكـــارم
هم القوم راحوا للشهادة فاغْتَـــدوا[7]
وما لهم في فوزهـــم من مُقـــاوم
تساقوا كؤوس الموت في حَوْمـــة الوغى
فمالت بهم ميل الغصون النَّواعم
مضوا في سبيل اللـــه قُدماً كأنما
يطيـــرون من أقدامهـــم بقـــوادم

1 في تاريـخ قضـاة الأندلـس: ((الحنـان))؛ بالحـاء المهملـة.
2 نفسـه: ((بقيـت)).
3 نفسـه: ((نحيفهـا)).
4 في النفـح: والذيـل، وتاريـخ قضـاة الأندلـس: ((مجاسـد)).
5 في الذيـل: ((حـوك)). وفي النفـح، وتاريـخ قضـاة الأندلـس: ((نسـج)).
6 اللهـاذم: ((الأسنـة الحـادة، القاطعـة.
7 في تاريـخ قضـاة الأندلـس: ((واغتـدوا)).

يرون جــوار اللـــه أكبــر مَغْنَم

كذاك جوار اللـــه أسنى المغانـــم

عظائمُ نالوها[1] فخاضـــوا لنيلهـــا

ولا رَوْع يثنيهم صدور العظائـــم

وهان عليهم أن تكون لحُودهـــم

مُتُون الرَّوابي أو بطون التهايـــم

ألا بأبي تلك الوجـــوه سواهمًـــا

وإن كنَّ عنـــد اللـــه غير سَوَاهِم

عفا حُسْنهـــا إلاَّ بقايـــا مباســـم[2]

يعـــزُّ علينـــا وطؤهـــا بالمناسم

وســـؤر أساريـــر تنير طلاقـــة

فتكْسِف أنـــوار النجوم العَواتـــم

لئن وكَفَـــت فيها الدموع[3] سحايباً

فعن بارقـــات لُحْن فيها لشائـــم

---

[1] في الذيل: ((راموها)).

[2] في تاريخ قضاة الأندلس: ((مياسم)).

[3] في الذيل، وتاريخ قضاة الأندلس، والنفح: ((العيون)).

ويا بـــأبي تلك الجســـوم نواحلاً

بإجرائها نحو الأجور الجسائـــم

تغلغل فيهـــا كلٌّ أسمـــر ذابـــل

فجـــدل[1] منهـــا كل أبيـــض ناعم

فلا يبعـــد اللـــه الذيـــن تقرَّبـــوا

إليـــه بإهـــداء النفوس الكرائـــم

مواقف أَبْرار قضوا من جهادهم

حقوقاً عليهم[2] كالفُروض اللَّوازم

أُصيبوا وكانوا في العِبادة أُســـوة

شباباً وشيباً بالغواشي[3] الغواشـــم

فعامل رمح دُقَّ في صدر عامل

وقائِمٌ سيـــف قُدَّ في رأس قائـــم

ويا رُبَّ صـــوَّام الهواجر واصل

هنالك مصـــروم الحياة بصــــارم

---

[1] في تاريخ قضاة الأندلس: ((فجدَّل)).
[2] في الإسكوريال: ((عليها))؛ وصوبت من الذيل والتكملة.
[3] في الذيل: ((بالعواشي))؛ بالعين المهملة.

ومنقذ عانٍ في الأداهــم راسفٌ
ينوء برجلي راسفٍ في الأداهــم
أضاعهم يوم الخميس حفاظهــم
[وكرُّهم][1] في المأزق المتلاحــم
سقى الله أشـــلاءً بسفــح أنيشـــة
سوافــحُ تُزجيهــا ثِقال الغمايــم
وصلَّى عليها أَنْفُساً طاب ذكرهـــا
فطيَّب[2] أنفاس الرِّيـــاح النَّواســم
لقد صبروا فيها كراماً وصابروا
فلا غرو أن فازوا بصفو المكارم
وما بذلـــوا إلاَّ نفوســاً كريمـــة[3]
تحنُّ إلى الأخرى حنين الرَّوائـــم
ولا فارقوا[4] والموت يُتْلع جيـــدَه
فحيث[5] التقى الجمعان صِدْق العزائم

---

[1] سقطت هذه الكلمة في الإسكوريال؛ بينما وردت في الذيل والتكملة.
[2] في تاريخ قضاة الأندلس: ((بطيِّب)).
[3] في الذيل، تاريخ قضاة الأندلس: ((نفيسة)).
[4] في تاريخ قضاة الأندلس: ((فرَّقوا)).
[5] في الذيل، وتاريخ قضاة الأندلس: ((بحيث)).

بعيشك طارحني الحديــث عن التي

أُراجع فيها بالدمــوع السَّواجــم[1]

وما هـــي إلاَّ غاديـــات فجائـــع

تُعَبـــر عنهـــا رايحـــات مآتـــم

جلائل دقَّ الصبر فيها فلم نُطِــق[2]

سوى غضِّ أجفانٍ وغضَّ[3] أباهم

أبيـــت لها تحت الظلام كأنـــني

رمي نصـــال أو لديـــغ أراقـــم

أُغازل من بَرْح الأسى غير بارح

وأَزْجُر[4] من سأم[5] البكا غير سائم

وأعقد بالنجـــم المُشَرِّق ناظـــري

فيغْرُب عـــني ساهراً غير نائـــم

---

[1] جـاء هذا الشطر في تاريخ قضاة الأندلس هكـذا: ((تعبر عنها رائحات مآتم)).

[2] في تاريـخ قضـاة الأندلـس: ((نُطِـق)).

[3] في الذيـل: ((وعَـضَّ)).

[4] في تاريـخ قضـاة الأندلـس: ((وأصْحـبُ)).

[5] في الذيـل: ((سـامي))، وفي تاريـخ قضـاة الأندلـس: ((سـام)).

وأشكو إلى الأيام سوء صنيعهـــا
ولكنها شكـــوى إلى غير راحـــم
وهيهات هيهات العزاء ودونـــه
قواصِم شـــتَّى أُرْدَفت بقَواصـــم
ولو برَّد السُّلوان حَرَّ جوانـــحي
لآثرت عن طـــوعٍ سُلُوَّ البهائـــم
ومن لي بسُّلـــوان يحـــل منفّـــراً
بجاثٍ من الأرزاء حولي جاثـــم
وبين الثنايـــا والمخـــارم رمـــةٌ
سرى في الثَّنايا طيبُها والمخارم
بَكَتْها المعـــالي والمعالم جهدهـــا
فمن[1] للمعالي بعدهـــا والمعالـــم
سعيدٌ صعيـــدٌ لم تَرُمْـــه قـــرارة
وأَعْظِم بها وسط العظـــام الرَّمايم
كأَنَّ دمـــاً أذكى أديـــم تُرابهـــا
وقد مازجته الرِّيح مِسْك اللَّطايم

---

[1] في تاريخ قضاة الأندلس، والذيل: ((فلهْفَ المعالي)).

يشقُّ على الإسلام إسلام مثلهـــا
إلى خامعـــاتٍ بالفـــلا وقشاعـــم
كأن لم تَبِتْ تغشى[1] للسُّراة[2] قبابها
ويرعى حماها الصَّيد رَعْي السَّوايم
سفَحْتُ عليها الدمع أحمر وارساً
كما تَنْثُر[3] الياقوت أيـــدي النَّواظم
وسامرتُ فيهـــا الباكيات نوادبـــاً
يُورِقْن تحت الليـــل وُرق الحمايم
وقاسمت في حَمْل الرَّزية أهلهـــا[4]
وليس قسيم البرِّ غير المُقاســـم
فوا أسفـــا[5] للديـــن أعضل[6] داؤه
وآيس مـــن أُسٍّ[7] لمسراه حاســـم

[1] في الذيل: ((يغشى)).
[2] في تاريخ قضاة الأندلس، والذيل: ((السراة)).
[3] نفسهما: ((نثر)).
[4] نفسهما: ((قومها)).
[5] في الذيل: ((فوا أسفي)).
[6] في تاريخ قضاة الأندلس: ((أعظم)).
[7] نفسه: ((من أسد)).

ويا أسفـــا[1] للعلم أَقْوت[2] رُبوعـــه
وأصبـــح مهدود[3] الذَّرى والدَّعائم
قضى حامل الآثار[4] من آل يعرب
وحامي هُدى المختار من آل هاشـــم
خبا الكوكب الوقاد إذ متَّع الضـــحى
ليخبطه[5] في ليلٍ من الجهل فاحم
وخَابَتْ[6] مساعي السَّامعين حديثَه
كما شاء يوم الحـــادث المتفاقـــم
فأي بهاءٍ غـــارَ ليـــس بطَالـــع
وأي سنـــاءٍ غـــاب ليـــس بقادم
سلامٌ على الدُّنيا إذا لم يَلُح بهـــا
مُحيًّا سليمن بن موسى بن سالـــم

---

[1] في الذيـل: ((ويا أسـفي)). وفي تاريـخ قضـاة الأندلـس: ((وواأسفـا)).
[2] في تاريـخ قضـاة الأندلـس: ((أذوت)).
[3] نفسـه: ((ممـدود)).
[4] في الذيـل: ((الآداب)).
[5] نفسـه: ((لنخبـط)).
[6] في الذيـل: ((وخانـت)).

وهل في حياتي مِتْعةٌ بعد موتـــه

وقد أسلمتني للدَّواهي الدَّواهـــم

فهأناذا في حَرْب[1] دهر مُحارب

وكنت به في أمن دهر مسالـــم

أخو العزَّة القعساءِ كهلاً ويافعـــاً

وأكفاؤه ما بين راض وراغـــم

تفرَّد بالعليـــاء عِلمـــاً وســـؤدداً

وحَسْبُك من عال على الشُّهب عالم

معرســـه فوق السُّـــهى[2] ومقيلـــه

ومَوْرِده قبـــل النُّسور الجَواِثـــم[3]

بعيـــدٌ مـــداه لا يُشـــقُّ غبـــاره

إذا فاه فاض السِّحر ضَرْبة لازم

يُفـــوض منـــه كلُّ نـــاد ومنبـــر

إلى ناجح مَسْعـــاه في كل ناجـــم

---

[1] في الذيل: ((خـوف)).
[2] نفسـه: ((السمـا)).
[3] نفسـه: ((الحوائـم)).

متى صادم[1] الخطب الملمَّ بخطبةٍ[2]

كفى صادمــاً منه بأكبر صـــادم

له منطق سهل النَّواحي قريبهـــا

فإن رُمْته ألفيت صعب الشَّكايــم

وسحــــر بيـــان فات كلَّ مُفــوَّهِ

فبات عليـــه قارعـــاً سنَّ نـــادم

وما الروض حلاَّه بجوهره النَّدى

ولا البرد وشَّقــه[3] أَكُفُّ الرَّواقــم

بأبدع حُسْنــاً في[4] صحائفه التي

تُسَيِّرهـــا أقلامــــــه[5] في الأقالــم

يمانٍ كـــلاعي نمـــاه إلى العـــلا

تمامٌ حَواه قبـــل عقـــد التمايــم

يروق رُواق الملك في كل مَشْهد

ويُحسن وسْماً في وجوه المواسم

[1] في الذيل: ((صدم)).
[2] في تاريخ قضاة الأندلس: ((بخَطْبه)).
[3] في الذيل، وتاريخ قضاة الأندلس: ((وشَّتْه)).
[4] نفسهما: ((من)).
[5] في تاريخ قضاة الأندلس: ((أخلاقه)).

ويكثر أعــلام البسيطــة وحـــده
كمال مثــال[1] أو جمـــال مقــاوم
لعاً لزمـــان عاثـــرٍ من خلالـــه[2]
براق[3] مـــن الجلى أصيب يواقـــم
مُنـــاد إلى دار الســـلام مُنـــادم
بها الحـــور واهاً للمنادي المنادم
أتـــاه رداه مقبـــلاً غيـــر مُدْبـــر
ليحـــظى بإِقْبالٍ من اللـــه دايـــم
إمامـــاً لديـــن أو قوامـــاً لدولـــة
تـــولَّى ولم تلحقـــه لَوْمَـــة لايـــم
فإن[4] عابه حُسَّـــاده شَرَقـــاً بــــه
فلن تَعْــدم الحسنـــاءُ ذاماً بذايـــم[5]

---

[1] في الذيـل: ((معـالٍ)).
[2] نفسـه: ((جلالـه)).
[3] نفسـه: ((بـواق)).
[4] نفسـه: ((وإن)).
[5] نفسـه: ((لذائـم)).

فيا أيها المخدوم سَــامي[1] محلـــه
فدىً لك من ساداتنـــا كـــلّ خادم
ويا أيها المختـــوم بالفوز سعيُـــه
ألا إنما الأعمـــال حُسن الخواتم
هنيئاً لك الحُسْنى من اللـــه إنها
لكـــل تـــقيٍّ خيمـــه غير خايـــم
تَبـــوَّأْت جنّـــاتٍ النعيم ولم تزل
نزيـــل الثريَّـــا قبلهـــا والنعائـــم[2]
ولم تأْلُ عيشاً راضياً أو شهـــادة
ترى ما عداها في عداد المآتـــم
لعمري[3] ما يَبْلى بلاؤك في العدا
وقد جَرَّب[4] الأبطال ذَبْل[5] الهزايم

[1] في الذيل: ((عالي)).
[2] في تاريخ قضاة الأندلس: ((والنواعم)).
[3] في الذيل، وتاريخ قضاة الأندلس: ((لعمرك)).
[4] نفسهما: ((جَرَّتِ)).
[5] نفسهما: ((ذيل)).

وتالله[1] لا ينسى مقامك في الوغى
سوى جاحـــدٍ نور الغزالة كاتـــم
لقيت الرَّدى في الرَّوع جَذْلان باسماً
فبوركْتَ من جذلان في الرَّوع باسم
وحُمْت على الفردوس حتى وَرَدْتَــه
ففُزْتَ بأَشْتــات المنا فَوْز غانـــم
أَجِدُك لا تُثـــني عِنانـــاً لأوبـــةٍ
أداوي بها بَرْح الغليـــل المُـــداوم
ولا أنت بعد اليـــوم واعد[2] هبَّـــةٍ
من النوم تحدُوني إلى حال حالم
لسُرْعان ما قَوَّضت رحلك ظاعناً
وسِرت على غير النواحي[3] الرواسم
وخلَّفت من يرجو دفاعك يائســـاً
من النَّصر اثناء الخطوب الصَّرايـــم[4]

[1] في تاريخ قضاة الأندلس: ((وبالله)).
[2] في الإسكوريال: ((راعد)).
[3] في الذيل: ((النواجي)).
[4] نفسه: ((الضوائم)).

كأني للأشجـــان فـــوق هواجـــر
بمـــا عادني من عادياتٍ هواجم
عَدِمْتُك مفقـــوداً[1] يعـــز نظيـــره
فيا عزَّ مَعْـــدوم ويا هون عـــادم
ورُمتك مطلوبـــاً فأَعْـــيَى منالـــه
وكيـــف بما أعيا[2] منـــالاً لرايـــم
وإني لمحـــزون الفُؤاد صديعُـــه
خلافاً لسالٍ قلبـــه منـــك سالـــم
وعندي إلى لقيـــاك شوق مبرح
طواني من حامي الجوى فوق جاحم
وفي خَلَـــدي واللـــه ثَكْلُك خالـــدٌ
أَليَّـــــة بـــرٍّ لا أَلـــيَّـــة آثـــــم
ولو أن في قلـــبي مكاناً لسَلْـــوة
سلـــوتُ ولـــكن لا سُلُـــوَّ لهائـــم

---

[1] في تاريخ قضاة الأندلس، والذيل: ((موجوداً)).
[2] في الذيل: ((أعني)).

ظلمتُك أن لم أقض نعماك حَقَّها
ومثـــلي في أمثالهـــا غيرُ ظالـــم
يطالبـــني فيـــك الوفـــاءُ بغايـــة
سموت لها حفظـــاً لتلك المراسم
فأبكي لشلْوٍ بالعـــراء كما بـــكى
زياد لقبرٍ[1] بين بصرى وجاســـم[2]
وأعبـــد أن يمتـــاز دوني عبـــدةً
بعلْياء في تأبين قيسَ بن عاصـــم[3]
وهذي المراثي قد وفَّيت برَسْمها
مُسهِّمـــة جهـــد الوفّي المُساهـــم
فمـــدَّ إليهـــا رافعـــاً يـــد قابـــلٍ
أكـــبَّ عليهـــا خافضاً فَمَ لاثِـــم[4]

***

[1] في الإسكوريـال: ((لقفـر))؛ وصوبـت مـن الذيـل والتكملـة.
[2] إشـارة إلى قـول النابغـة الذبيـاني في رثـاء النعمان بـن الحارث:
((سقى الغيث قبراً بين بصرى وجاسم * بغيث من الوسمي قطر ووابـل)).
[3] إشـارة إلى بيت لعبـدة بـن الطبيـب الـذي رثى بـه قيس بن عاصم؛ جـاء فيـه:
((فلم يـك قيـس هلكـه هلـك واحـد * ولكنــه بنيـان قـوم تـهـدم)).
[4] في تاريـخ قضـاة الأندلـس: ((وكـبّ عليهـا حافظـاً يـد لاثـم)).

ومن القضاة في هذا الحرف

***

سلمون بن علي

ابن عبد الله بن سلمون الكناني[1]؛ من أهل غرناطة؛ يُكنى أبا القاسم، ويُدعى باسم جده سلمون. وقد مرّ ذكر أبيه وأخيه.

حاله

من أهل العلم والهُدى الحسن، والوقار، قديم العدالة، متعدد الولاية، مضطلع بالأحكام، عارف بالشروط، صَدْرُ وقته في ذلك، وسابق حلبته إلى الرواية، والمشاركة، والتَبجُّح، في بيت الخير والحشمة، وفضل الأبوة والأخوة. قلَّ في **الأندلس** مكانٌ شذَّ عن ولايته، وناب عن القضاة بالحضرة، فُحمد نفاذه، وحسنت سيرته. ثم ولي مستبداً في الدولة الباغية، وخاض في بعض أهوائها، بما جرَّ علَيه عَتَباً، فعقبه الإعتاب عن كَثَب.

[1] له ترجمة أيضاً في: تاريخ قضاة الأندلس، والديباج المذهب.

تواليفه

أَلَّف في **الوثائق المرتبطة بالأحكام** كتاباً مفيداً، نسبه بعض معاصريه إلى أنَّه قيده عن شيخه **أبي جعفر بن فَرْكون**، ودوّن مشيخته.

مشيخته

أجازه: الراوية المعمر **أبو محمد بن هرون الطايي، والشيخ المسن أبو جعفر أحمد بن عيسى بن عياش المالقي،** والشيخ الأديب **أبو الحَكَم بن المرحَّل، والعدل أبو بكر بن إسحاق التجيبي،** والقاضي **أبو العباس بن الغمّاز،** والفرضي **أبو إسحق التّلمساني، وأبو الحسن بن عبد الباقي بن الصواف،** والمحدث **أبو محمد الخلاسي،** والراوية **أبو سلطان جابر بن محمد بن قاسم بن حيَّان القيسي،** والوزير **أبو محمد بن سِماك** ، والشيخ المدرس **بالديار المصرية أبو محمد الدُّمياطي،** والمقري الرَّاوية **أبو عبد الله بن عيَّاش، وأبو الحسن بن مضاء،** والمحدث **أبو عبد الله بن النجار وأبو زكريا بن عبد الله بن محرز،** والمقري **أبو بكر بن عبد الكريم بن صدقة السَّفاقُسي،** والشيخ **زين الدين أبو عبد الله محمد بن الحسن القرشي**

العوني، وأبو القاسم الأيسر الجذامي، وشهاب الدين الأبرقوسي، والعدل **أبو فارس الهواري، وأبو الكرم الحميري، وأبو الفدا بن المعلم**، والشريف **أبو الحسن القرافي، وأبو عبد الله بن رحيمة**، والشيخ **أبو عبد الله بن اللبيدي، وأبو الحسن بن عطية البودري، وأبو محمد بن سعيد المسراتي، وأبو عبد الله بن عبد الحميد**، والخطيب **أبو الحسن بن السفاج الرندي، وأبو محمد بن عطية**، والوزير **أبو عبد الله بن أبي عامر بن ربيع**، والعدل **أبو الحسن بن مستقور**، والخطيب **أبو عبد الله بن شعيب**، والشريف **أبو علي بن طاهر بن أبي الشرف**، والأستاذ **أبو بكر بن عبيدة**. وقرأ على الأستاذ **أبي جعفر بن الزبير**، وبرنامج رواياته نبيه.

مولده

عام خمسة وثمانين وستماية [1].

***

---

[1] **الموافق لـ 1286م.**

مـن المحدثيـن والفقهـاء وسائـر الطلبـة النجبـاء بيـن أصـلي وغيـره

***

سعيد بن محمد

ابـن إبراهيـم بـن عاصـم بـن سعيـد الغسـاني [1]، مـن أهـل غرناطـة؛ يُكْـنَى أبا عثمـان.

حالـه

هـذا الرجـل مـن أهـل الذكـاء والمعرفـة والإدراك، يقـوم عـلى الكتـاب العزيـز حِفْظاً وتدريسـاً، ويشـارك في فنـون، مـن أصـول وفقـه وحسـاب وتعديـل، ومعرفـة بالإلمامـات الشُّعاعيـة. يكتـب خطـاً حسنـاً، وينظـم الشعـر، ويحفـظ الكثيـر مـن النّتـف والأخبـار، مقتصـد، منقبـض عـن النـاس، مشتغـل بشأنـه، قيـد الكثيـر، يسيـر إلـي لزمانـة، أصابـت أُختهـا، بمـا يـدل عـلى نشاطـه وهمتـه.

مشيختـه

قـرأ عـلى الأُستـاذ الخطيـب **أبي القاسـم بـن جُـزي** ورحـل إلى **العـدوة**، فلقـي **بفـاس وتلمسـان** جُملـة، كالأُستـاذ

---

[1] **لـه ترجمـة أيضـاً في نفـح الطيـب.**

أبي إسحق السَّلاوي التلمساني، وأبي العباس أحمد بن عبد الرحمن المكناسي من أهل **فاس**، والحاج **ابن سبيع** وغيرهم. واستدعيته لتأديب ولديّ أسعدهم الله، فبلوت منه على السنين، نضحاً وسلامة وديناً وعفَّة.

شعره

جرى ذكر [1] في **الإكليل الزاهر** بما نصه: ممن [2] يتشوَّق إلى المعارف [3] والمقالات، ويتشوَّف [4] إلى الحقائق والمجالات [5]، ويشتمل على نفْس رقيقة، ويسير من تعليم القرآن على خير طريقة، ويعاني من الشّعر ما يشهد بنبله، ويستطرف [6] من مثله. فمن شعره قوله [7]:

لمَّا نأوا في الظاعنيـــن وســـاروا

أضحت قلوب العاشقيـــن تحـــار

[1] هكذا. ((والصحيح: ((ذكره)).
[2] في نفح الطيب: ((هو ممن)).
[3] نفسه: ((المعرفة)).
[4] نفسه: ((ويتَّسق)).
[5] نفسه: ((والمحالات)).
[6] نفسه: ((ويستظرف)).
[7] البحر الكامل.

تركوهــم في ظُلمـــة وتوحُّــش
ما انجابت الأضـــواءُ والأَنـــوار
ذهبـــوا فأبقـــوا كل عقل ذاهـــلاً
ولكـــل قـــلب بالنُّـــزوح مطـــار
ظَعنوا وقد فَتَنوا الورى بجمالهم
عَبَثـــوا بأفئـــدة الأنـــام وحـــارُ[1]
ما ضرَّهم قبيل[2] النَّوى لو ودَّعوا
ما ضرَّهم لو أعلمـــوا إذ ســـارٌ[3]
فقلوبنـــا من بعدهـــم في فجْعـــة
ودموعنـــا من بعدهـــم أمطـــار
يا دار أيـــن أحبَّـــتي ووصالنـــا
أيـــن الـــذي كُنَّـــا بـــه يـــا دارُ
كنـــا نذيـــع به عبيـــر حديثنـــا
وكلامنـــا الألطـــاف والأشعـــار

---

[1] **جعلها د. طويل: ((وحاروا)).**
[2] **جعلها د. طويل: ((قبل)).**
[3] **جعلها د. طويل: ((ساروا)).**

والطَّيــر تتْلُــو فوقنـــا نغماتهـــا

والدهـــر يسمـــح والمُـــدام تدار

ولطالمـــا بِتْنــا وبـــات رقيبنـــا

في غفلـــة قُضِّيت بها الأوطـــار

هـــل زمـــــن[1] تقـــــادم عهـــده

نلنا بها[2] النُّعْمى ونحـــن صغـــار

فلا تَـــذْر على الوصـــال وابْكِيَنْ[3]

ما دامـــت الآصـــال والأسحـــار

ومن المقطوعات [4]:

وكم عذلـــوني في هواه وما رأوا

محياه حـــتى عايـــنوه وسلَّمـــوا[5]

وقالوا نعم هـــذا الكمال حقيقـــةٌ

فحطُّوا وجاءوا صاغرين وسلَّموا

---

[1] تصرف د. طويل؛ فأضاف عبارة: ((نحن في))؛ فغدت: ((هل نحن في زمن...)).
[2] جعلهـا د. طويـل: ((بـه)).
[3] هـذا الشطـر مختـل.
[4] البحـر الطويـل.
[5] حرفت في الإسكوريـال؛ فكتبـت: ((وسلـم وا)).

وكتب إلي صحبة كتاب أعرته إياه، عقب الفراغ من مطالعته [1]:

هــذا كتــاب كــلّ[2] مُعْجَــم
أفحمـــــني معنـــاه إفحامــــا

أعجمــــــه منشئـــه أولا
وزاده النّــاســخ إعجامـــا

أسقــط من إجمــاله جملــة
وزاد في التفصيــل أقسامــا

وغيَّــر الألفاظ عن وَضْعها
وصيَّـــر الإيجــاد إعدامــا

فليــس في إصلاحه حيلــةٌ
تُــرجى ولــو قوبل أعوامــا

[1] البحر السريع.
[2] جعلها د. طويل: ((كله)).

نثره

كتب إليّ شافعاً في الولد، وأنا واجد عليه: من حلَّ محلَّ السيد نادرة الزمان، وسابق حلْبة البيان، في رسوخ العلم، والسُّمو في درجة الحلم، وأرضعته الحِكَم دَرَّتها، وقلَّدته المعارف دُرَرها، وجلَت عليه بدرها، وجلبت إليه بذرها، كان بالحنوّ والرأفة خليقاً، وأن يهب نسيمه لدناً رفيقاً، وأن يتعاهد بالعطف غرساً في زاكي تربته ظلي، وإلى مَحْتده المنجب وفضله المنجب أنتمى، فيلحفه من الرحمة جناحاً، ويطلع عليه في ليل الوحشة المؤلمة من نور صفحه عن حفوته مصباحاً، والذنب إذا لم يكن عقوقاً ولا سوء أدب، وكان في المماليك والقيم المالية مغتفر، عند الأكابر مثله من ذوي الرتب، وقد بلغ في الاعتراف غاية المدى، وانْدَمل الجُرح الذي أصابته المدى، والبون واضح في المقاييس، بين المرؤوس والرئيس، وشتان بين الزيف والجوهر النفيس. ومع أن الولد كمد، فهو للنفس ريحانة، وفي فصّ خاتم الإنسان جُمانة، وقد نال منه هذا الإمضاءُ، والصارم يتخذ فيزيد منه المضاءُ، وهو يرتجي

كـل ساعـة، أن يفـد عليـه البَشير برضـاك، فيستأنـف جهـوراً، وينقلـب إلى أهلـه مسـروراً، والله يبقيـك، والـوزارة ترفـل منـك في مظهـر حُلَـل، ويريـك في نفسـك وبَنيـك غايـة الأَمـل.

مولـده

التاسـع لـذي الحجـة عـام تسعـة وتسعيـن وستمايـة [1].

وهـو الان علـى حالـه الموصوفـة.

***

---

[1] الموافق لـ 1299م.

***

سهل بن طلحة

من أهل غرناطة، يُكنّى أبا الحسن.

حاله

كان ظريفا، عنده مشاركة في الطَّلب، مدح ولي العهد **أبا عبد الله بن الغالب** بشعر وسط، فمن ذلك قوله من قصيدة أولها [1]:

أنـــا للغـــرام وللهـــوى مدفـــوع
فمـــتى السَلـــوٌ ووصلهـــا ممنـــوع

يقول أيضا منها بعد كثير:

يـــا حبـــذا دارٌ لزينـــب باللّـــوَى
حيـــث الفؤاد عـــلى الهوى مطبوع

[1] البحر الكامل.

يـــا حادي العيس التفـــت نحو اللوى

إني بسكـــان اللّـــوى مَفْجــوع

وعِـــج المـــطيّ بلعلـــع وبرامـــة

فهنـــاك قلـــب للشَّـــجي مـــروع

أطـــلال آرام وبيـــــض خـــردٌ

هـــنَّ الأهلَّـــة بالجيـــوب طُلُـــوع

في ظبيـــة مـــن بيهـــن تصـــدُّني

حُسنـــا ولي أبـــداً إليـــه نُـــزوع

حـــوراء جايـــرة عـــليَّ بحكمهـــا

ظُلْمـــا وإني مُذعـــن وسميـــع

تَفْـــنَى الليـــالي والزمـــان وأَنقَـــضِي

كمـــدا ولا نبـــأ لهـــا مسمـــوع

فيا[1] ليت هـــل دهـــر يعـــود بوصلها

فيكـــون للعيـــش الخصيـــب رجوع

---

[1] جعلها د. طويل: ((يـا)).

وتعـــود أيـــام السُّـــرور كمثـــل ما
قـــد عـــاد روح حياتهـــا والروع
فقـــدوم مولانـــا الأميـــر محمـــد[1]
خيـــر الملـــوك ومن لـــه التَّرفيـــع

وفاته

كان حيّاً سنة اثنتين وخمسين وستمائة.

***

[1] هو السلطان النصري أبو عبد الله الغالب بالله محمد بن يوسف بن محمد بن نصر. له ترجمة في الإحاطة.

سالم بن صالح

ابن علي بن صالح بن محمد الهمداني[1]؛ من أهل مالقة؛
يكنى أبا عمرو؛ ويعرف بابن سالم.

حاله

قال الأُستاذ **أبو جعفر بن الزُّبير**: كان أديباً مُقيّداً، كتب بخطِّه كثيراً، وانتسخ أجزاء عدَّة، واجتهد وأكثر، وكان مُتَبذّلاً في لباسه، متواضعاً، مقتصداً، مليح المُجالسة، حسن العشرة، جليل الأخلاق، فاضل الطبع.

مشيخته

روى عن: الحافظ **أبي عبد الله بن الفخار، وأبي زيد**[2] **السهيلي، وأبي الحجاج بن الشيخ، وأبي جعفر ابن حَكَم، وأبي بكر بن الجَدّ، وأبي عبد الله بن زَرْقون، وأبي محمد بن عبيد الله**، وشارك في كثير من شيوخه **أبا محمد القرطبي**، وكان يناهضه.

---

[1] له ترجمة في التكملة لكتاب الصلة.
[2] في التكملة لكتاب الصلة: ((وأبي القاسم السهيلي)).

دخوله غرناطة

دخلها، وأقام بها، وأخد عن شيوخها، وتردد إليها.

شعره

قال في رُمْح [1]:

أنـــا الرُّمـــح المُعَـــدُّ إلى النوايـــب
فصاحـــبي تجدني خيـــر صاحـــب
لئـــن فَخَـــر اليـــراع بكتـــب خطٍّ
فلخـــطِّي[2] فخـــــرٌ بالكتايـــــب

ومما كتب له **ابن خميس** قوله [3]:

إلـــهي قـــد عصينـــا منـــك ربَّـــاً
تعـــلَّى[4] أن يقابـــل بالمعـــــاصي

---

[1] **بحر الوافر.**
[2] **جعلها د. طويل: ((فإنَّ الخطَّ فخرٌ)).**
[3] **بحر الوافر.**
[4] **جعلها د. طويل: ((تعالى)).**

فكيــف خلوصُنـــا من هَــوْل يوم
تَشِيــب لهولـــه سُــود النَّــواصي

وجلب شعراً كثيرا دون شُهْرته، وما ذكر به، وتوفي **بمالقة** ليلة الإثنين لثمان[1] عشرة ليلة خلت من رمضان المعظم سنة عشرين وستمائة[2].

***

[1] صوبها د. طويل؛ فجعلها: ((ثماني)).
[2] الموافق لـ 1223م. أضاف ابن الأبار في التكملة عبارة: ((وقد نيَّف على الستين)).

***

هشام بن محمد

ابن عبد الله بن عبد الرحمان الناصر لدين الله بن محمد بن عبد الله[1]؛ أخو المُرتَضى المتقدم الذِّكر[2]؛ يُكْنَى أبا بكر، ويلقب بالمُعْتَد بالله؛ الخليفة بقرطبة.

صفته

أبيض أصهب، إلى الأدمة، سَبْط الشعر، أَخْنَس، خفيف العارض واللَّحية، حسن الجسم، إلى قصر، أُمُّه أم ولد تسمى **عاتبا**.

[1] له ترجمة أيضاً في: جمهرة أنساب العرب، وجذوة المقتبس، وبغية الملتمس، والحلة السيراء، والمغرب في حلى المغرب، والبيان المغرب، والمعجب، ونفح الطيب؛ حيث سمي في هذه المصادر كلها: ((هشام بن محمد بن عبد الملك بن عبد الرحمن...)).

[2] خصص له ابن الخطيب ترجمة في الإحاطة؛ وقد مرت.

حالـه

بويع لـه **بالثَّغر**[1]، **فقرطبة** أيام استقراره **بحصن أَلبُنْت**[2]، عند صاحبه **عبد الله بن قاسم الفهري**. قال **ابن حيان**، ثالباً إياه على عادته، قُلد الأمر في سن الشيخوخة، وكان معروفاً بالشَّطارة في شبابه، وأقلع[3] فُرجي فلاحه، وقال، دخل **قرطبة**[4] في زِيّ تقتحمه العين، وهنًا وقلَّة، عديم[5] رواءُ وبهجة، وعَددٍ وعُدَّة، فوق فرسٍ دون مراكب الملوك بحِلية مختصرة، سادلاً سَمْل غفارة على ما تحتها من كسوة رثّة، قُدَّامه سبع خبايب[6] من خيل **العامريين** دون عَلَم ولا مضطرد، يسير هَوْناً والناس ينظرون إليه، ويصيحون بالدُّعاء في وجهة. فدخل

---

[1] **ورد في المعجب أن بيعته حدثت في ربيع الأول من سنة 418هـ؛ حين كان له من العمر أربع وخمسون سنة.**

[2] **يسمى البنت، أو ألبونت؛ وبالإسبانية Alpuente؛ وهو حصن كبير يقع شرقي الأندلس؛ في الجهة الغربية من بلنسية؛ في محذات نهر طورية. وأضحى أيام الطوائف حاضرة لإمارة بني قاسم الفهريين.**

[3] **في البيان المغرب: ((فأقلع مع شيبة...)).**

[4] **جاء في المعجب؛ أنه دخل قرطبة في الثامن من ذي الحجة سنة 420هـ.**

[5] **في البيان المغرب: ((وعدم)).**

[6] **نفسه: ((جنايب)).**

القصر، وقلَّد حَكَماً المعروف **بالقزاز** الأعمال والأمر، وأطلق يده في المال، وهو الذي يقول فيه الشاعر [1]:

هبْــك كمــا تــدَّعي وزيــرا
وزيــرُ مــن أنــت يا وزيــر
والله مــا للأميــر معــنى
فكيــف مــن وزيــر[2] الأميــر

وضعُف أمره، وآثر الناس الوثوب على وزيره، فأوقع به طايفة من الجند، وثارت العامة بهشام فخُلع في خبر طويل، ودخل **غرناطة** مع أخيه **المرتضى**، ولحق يوم هزيمته بظاهرها، **بحصن أَلْبُنْت** إلى أن بويع له **بقرطبة** يوم الأحد لخمس بقين من ربيع الآخر سنة ثمان[3] عشرة وأربعماية [4].

محنته

ثارت العامة به **بقرطبة** كما تقدم، ملتفَّةً على **أُمية ابن عبد الرحمان بن هشام بن سليمن بن عبد الرحمان الناصر**، يوم الثلاثاء الثاني عشر لذي حجة من سنة اثنتين

---

[1] مخلع البسيط.
[2] في البيان المغرب: ((وزَّر)).
[3] الأصح: ((ثماني)).
[4] الموافق لـ 1027م.

وأربعمائة[1]، بسوء تدبير وزيره، وبادر الاعتصام بعِلْية القصر، وأُنزل منها إلى ساباط الجامع بالأمان، فيمن تألَّف إليه من ولده وحريمه، فحدَّث بعض سَدَنة الجامع، أنَّ أوَّل ما سأَل الشيوخ، إحضار كسيرة من خبز يسدُّ جوع طُفَيلة له، كان قد احتضنها، ساتراً لها بكمه من قَرّ ليلته تلك، كانت تشكو الجوع ذاهلة عما أحاط به، فأبكى من كلَّمه اعتبار بعادية الدّهر، وأُخرج إلى الحصن **ابن الشرف** إلى أن هلك.

وفاته

في صفر ثمان وعشرين وأربعمائة[2]، وسنة نحو أربعة[3] وستين سنة. وكان آخر ملوك **بني أُمية بالأندلس.**

***

[1] الموافق لـ 1011م.
[2] الموافق لـ 1036م. في المعجب: ((مات في سنة 427هـ؛ ولا عقب له)).
[3] صوبها د. طويل؛ فجعلها: ((أربع)).

***

هاشم ابن أبي رجاء

الإلبيري؛ الوزير؛ يُكْنَى أبا خالد.

حاله

كان من عظماء أهل **إلبيرة** وحليتهم، وهو الذي عاد الفقيه الزاهد **أبا إسحاق بن مسعود الإلبيري** [1] في مرضه، وعذله على رداءة مسْكنه، وقال له لو سكنْتَ داراً خيراً من هذه لكانت أولى لك؛ فأجابه رحمة الله بقوله [2]:

قالوا ألا تستجيد بيتاً
تعجب من حسنه البيوت
فقلت ما ذاكم صوابٌ
حقيرٌ [3] كثير لمن يموت

[1] هو أبو إسحاق إبراهيم بن مسعود بن سعد التجيبي؛ الذي توفي في حدود سنة 460هـ/1067م تقريباً.
[2] مخلع البسيط.
[3] في المغرب في حلى المغرب: ((حفشٌ))؛ أي بيت صغيرجداً.

لــولا شتــاءٌ ولفــح قيــظ

وخوف لصٍّ وحفــظ قوت

ونســوة يبتغيــن كِنّــاً[1]

بُنيــت بُنيــان عنكبــوت

وأي معنى لحســن مَغْــنى

ليــس لسكّانــه ثُبــوث

ما لوعــظ[2] القبــر لوعقلنا

موعظة للناطق[3] الصمــوت

يُومِي إلى ممتطي الحنايــا

مالــك عن مضجعي عميت

نسيت يومي وطول نــومي

وســوف تنسى كما نسيــت

وسُدْتَ يا هــادمي قصورًا

نَعِمْــت فيهــنَّ كيف شيت

---

[1] في المغرب: ((سثراً)).

[2] جعلها د. طويل: ((ما وعظ)).

[3] جعلها د. طويل: ((الناطق)).

معتنقــاً للحســان فيهــا

مستنشقــا مسكهــا الفتيــت

تسحــب ذيــل الصِّبَــا

وتلهو بآنســات يقلن هيــت

فاذكر سُهادي قبــل التَّنادي[1]

واسهد له قبــل أن يفــوت

فعــن قريب يكــون ظعني

سَخِطَّت يا صاح أم رضيت

***

[1] هذا الشطر مختل.

***

يوسف بن إسماعيل

ابن فرج بن إسماعيل بن يوسف بن نصر الأنصاري الخزرجي [1]؛
أمير المسلمين بالأندلس؛ أبو الحجّاج.

حاله وصفته

كان أبيض أزهر، أَيَّداً، برّاق الثنايا، أَنْجَل رَجل الشَّعر أسوده، كثّ اللحية، تقع العين منه على بدر تمام، يفضل الناس بحُسْن المرأى، وجمال الهيئة، كما يفضلهم مقاماً ورتبة، عذب اللسان، وافر العقل، عظيم الهيبة، إلى ثقوب الذهن، وبُعد الغور، والتفطُّن للمعاريض، والتَّبريز في كثير من الصنائع العملية، مائلا إلى الهدنة، مُزْجيا للأمور كلفاً بالمباني والأثواب، جمّاعة للحُلى والذَّخيرة، مستميلا لمعاصريه من الملوك، تولى الملك بعد أخيه **بوادي السّقايين** من ظاهر **الخضراء**، ضحوة يوم الأربعاء الثالث عشر من ذي الحجة عام ثلاثة [2] وثلاثين

---

[1] لـه ترجمـة أيضـاً في: اللمحـة البدريـة، ونفـح الطيـب.
[2] في اللمحـة: ((أربعـة)).

وسبعمائة [1]، وسنُّه إذ ذاك خمسة عشر عاماً وثمانية أشهر، واستقلَّ [2] بالملك، واضطَّلع بالأعباء، وتملأ الهدنة ما شاء، وعظُم مرانه لمباشرة الألقاب، ومطالعة الرسم، فجاء نسيج وحده، ثم عانى شدايد العدو، فكُرم يوم [الوقيعة العظمى بظاهر] [3] **طريف** موقعه [4]، وحُمد بعد في منازلة **الطّاغية** عند الجثوم على **الجزيرة** [5] صبرُه، وأجاز البحر في شأْنها، فأفلت من مكيدة العدو التي تخطَّاها أجله، وأَوهن حبْلها [6] سعده، ولما نفذ فيها [7] القدر، وأَشْفَت **الأندلس**، سدَّد الله أمور [8] المسلمين بها على يده، وراخى مُخَنَّق الشّدة بسعيه، فعرفت الملوك رجاحته، وأثنت على قصده، إلى حين وفاته [9].

---

[1] الموافق لـ 1332م.
[2] في اللمحة: ((واستقلَّ بعدُ بالملك)).
[3] لم يرد في الإسكوريال إلاّ عبارة: ((وقيعة طريف))؛ والإضافة من اللمحة البدرية.
[4] في اللمحة: ((موقفه)).
[5] نفسه: ((البلاد)).
[6] نفسه: ((حيلها)).
[7] نفسه: ((في الجزيرة)).
[8] نفسه: ((الأمور وامتسك الإسلام على يده)).
[9] نفسه: ((وفاته على أزكى عمله)).

أمه

أُم ولد تسمى **بهارا**، طِرْفٌ في الخير والصون والرجاحة.

ولده

كان له ثلاثة من الولد، كبيرهم **محمد** أمير المسلمين من بعده، وتِلوه أخوه **إسماعيل**[1] المستقر في كنفه، **محجوراً** محجوراً عليه التصرف إلى أعمال التدبير، وثالثهم إسمه **قيس**، شقيق **إسماعيل**.

وزراء دولته

توَّلى وزراته لأول أُمره، كبير الأكره ونبيه الدهَّاقين[2]، الدهَّاقين[2]، من مُنْتَجعي المَدَر بحضرته، **أبو اسحاق بن عبد عبد البر،** لمخيَّلة طمع نشأت لمقيمي الدولة فيما بيده، سدًّا لحال بها على عوز طريقه إلى حضرته، إلى ثالث شهر المحرم من العام، وأَنِف الخاصة والنبهاء، رياسته فطلبوا من السلطان إعاضته، فعدل عنه إلى خاصة دولتهم

[1] في اللمحة: ((إسماعيل؛ محجوره؛ ثالثهم...)).
[2] نفسه: ((المشيخة)).

الحاجب **أبي نعيم [رضوان]** [1]، مظنَّة التَّسديد، **محطَّ** الإنفات، فاتصل نظره مستبدا عليه، في تنفيذ الأمور، وتقديم الولاة والعمال، وجواب المخاطبات، وتدبير الرعايا، وقَوْد الجيوش، ثم نَكَبه [2]، وأحاط به مكروها، مجهول السبب، ليلة الأحد الثاني والعشرين لرجب عام [3] أربعين وسبعمائة [4]. وتولى الوزارة بعده، ابن عمة أبيه القايد [5] **أبو الحسن علي بن موْل بن يحيى بن مول الأمي**، ابن عم وزير أخيه، رجل جَهْوري حازم، مؤثر للغلظة على الشَّفقة [6]، ولم يَنْشب أن كفَّ استبداده، فانكدر نجم سعادتهم، والتأَثَث حاله، ولزمته شكاية سدركت فاستنقذته [7]. وأقام لرسم [8] الوزارة كاتبه شيخنا نسيج وحده **أبا الحسن بن الجياب** إلى أخريات شوال عام [9] تسعة

---

[1] كلمة الحاجب أضافها عنان؛ زيادة في التوضيح..
[2] في اللمحة: ((ثم قبض عليه ليلة السبت...)).
[3] نفسه: ((لعام)).
[4] الموافق لـ 1339م.
[5] في اللمحة: ((...أبيه السلطان أبي الوليد القائد أبو الحسن...)).
[6] سقطت عبارة: ((على الشفقة)) في اللمحة.
[7] في اللمحة: ((استنفدته)).
[8] نفسه: ((رسم الوزارة بكتابته)).
[9] نفسه: ((من عام)).

تسعة وأربعين وسبعمائة[1]، وهلك رحمه الله فأُجري لي الرَّسم، وعَصَّب لي تلك المثابة، مُضاعف الجراية، معزَّزة بولاية القيادة.

كتابه

تولى كتابته كاتب أخيه وأبيه، شيخنا المذكور إلى حين وفاته. وقلَّدني كتابة سرّه مثنَّاة بمزيد قربه، مظفَّرة برسم وزراته.

قضاته

تولى [2] أحكام القضاء، قاضي أخيه الصَّدر البقِيَّة، شيخنا **أبو عبد الله محمد بن يحيى بن بكر** [3] إلى يوم الوقيعة الوقيعة الكبرى **بطريف**، وفُقد في مصافَّه، وتحت لوائه [4]، لوائه [4]، وتولى [5] القضاء القفيه المُفْتي البقيَّة **أبو عبد الله الله محمد بن عيَّاش** [6]، من **أهل مالقة** أياما، ثم طلب

---

[1] الموافق لـ 1348م.
[2] في اللمحة: ((تولى له)).
[3] نفسه: ((بكر الأشعري)).
[4] نفسه: ((لواء جهاده)).
[5] نفسه: ((وولي)).
[6] نفسه: ((محمد بن محمد بن عيَّاش)).

الإعفاء. فأُسعف عن أيام تقارب أسبوعا، وولّي مكانه الفقيه **أبو جعفر أحمد بن محمد بن بُرطال** من **أهل مالقة**. فسدّد الخُطَّة، وأجرى الأحكام، إلى الرابع من شهر ربيع الآخر؛ عام ثلاثة وأربعين وسبعمائة [1]، وقُدّم [2] عوضا عنه، الفقيه الشريف الصَّدر الفاضل **أبو القاسم محمد بن أحمد الحسيني السَّبتي** المولد والمنشأ [3]، الطالع على أفق حضرته في أيام أخيه، النازع أخيه، النازع إلى إيالتهم **النصرية** معدودا في مفاخر أيامها، مشارا إليه بالبنان عند اعتبار أعلامها، ثم عزله لغير جُرمة تذكر، إلاَّ مالا ينكر وقوعه، مما تجره تبعات الأحكام، وولي الخطة شيخنا نسيج وحده الرُّحلة البقية **أبا البركات بن الحاج**، شيخ الصُّقع، وصدرُ الجلَّة، واستمرار قاضيا إلى... [4] وأربعين وسبعمائة. ثم أعاد إليها القاضي المفوض هونه، الشريف الفاضل، **أبا القاسم**، إلى يوم وفاته.

---

[1] الموافق لـ 1342م.
[2] في اللمحة: ((وقدم للقضاء عوضه)).
[3] نفسه: ((والنشأة)).
[4] بياض في هذا الحيز؛ موجود في المخطط،

رئيس الغزاة ويعسوب الجند الغربي

تولى ذلك [لأول] [1] الأمر الشيخ **أبو ثابت عامر بن عثمان بن إدريس بن عبد الحق،** قريع دهره في النكراء والدهاء، المسلم له في الرتبة، عِتاقة ورأيا وثباتا، إلى أن نكبه، وقبض عليه وعلى إخوته، يوم السبت التاسع والعشرين؛ من ربيع الأول، عام أحد وأربعين وسبعمائة [2]، وأقام شيخا ورئيسا، دايلهم وابن عمهم، المتلقَّف لكرة عزّهم، **يحيى بن عمر بن رحُّو**، ولي ذلك بنفسه ونديمه [3] ومبرز خصاله إلى تمام مدته.

من كان على عهده من الملوك

وأولاً **بفاس:** دار الملك **بالمغرب**، السلطان المتناهي الجلالة، **أبو الحسن علي بن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق**، وجاز على عهده إلى **الأندلس**، إثر صلاة يوم الجمعة تاسع عشر [4] صفر، من عام أحد وأربعين

---

[1] أضيفت هذه الكلمة من اللمحة البدرية.
[2] الموافق لـ 1340م.
[3] حرفت في الإسكوريال؛ فكتبت: ((وقدميه))؛ والتصويب من اللمحة البدرية.
[4] في اللمحة: ((تاسع شهر صفر)).

وسبعمائة [1]، بعد أن أوقع بأُسطول **الروم**، المُسْتَدعى من أقطارهم، وقيعة كبيرة شهيرة، استولى فيها من المتاع والسلاح والأجفان، على ما قدم [2] به العهد، واستقر **بالخضراء** في جيوش وافرة [3]، وكان جوازه، في مائة وأربعين جفنا غزويا، وبادر إلى لقائه، واجتمع به في وجوه **الأندلسيين** وأعيان طبقاتهم بظاهر، **الجزيرة الخضراء**، في اليوم الموفي عشرين من الشهر المذكور، ونازل إثر انقضاء المولد النَّبوي، **مدينة طريف**، ونصب عليها المجانيق، وأخذ بمخنَّقها، واستحثَّ من بها من المحصورين، **طاغية الروم** [4]، فبادر يقتاد [5] جيشا، يجرّ [6] الشَّجر والمَدَر. والمَدَر. وكانت المناجزة؛ يوم الإثنين السابع لجمادى الأولى من العام، ومُحِّص [7] المسلمون بوقيعة هايلة، أتت على النفوس والأموال والكِراع، وهلك فيها بمَضْرب المُلْك من

---

[1] الموافق لـ 1340م.
[2] في اللمحة: ((بَعُدَ)).
[3] نفسه: ((جيش وافر)).
[4] نفسه: ((الروم بمصرهم)).
[5] نفسه: ((يقود)).
[6] نفسه: ((يسوق)).
[7] نفسه: ((ومَحَّصَ الله المسلمين بالوقيعة الشهيرة)).

العقايل الكرام، فعضمت الأُحْدوثة، وجلَّت المصيبة، وأسرع اللَّحاق **بالمغرب** مفلولاً في سبيل الله، مُحْتسباً يروم [1] الكرَّة: وكان ما هو معلوم، من إمعانه في حدود **الشَّرق**، عند الإحكام المهادنة **بالأندلس**، وتوغُّله في **بلاد إفريقية**، وجريان حكم الله عليه بالهزيمة، [ظاهر **القيروان**] [2] التي لم ينتشله الدهر بعدها، وعلقت آمال الخلق بولده، مستحق الملك، من بين ساير إخوته [3]، وهلك على تَفِية لحاقه [4] بأحواز **مراكش**، ليلة الأربعاء السادس والعشرين لربيع الأول عام اثنين وخمسين وسبعمائة [5]، فاختار الله له ما عنده [6]، بعد ما بلغ من من بُعد الصيت، وتعظيم الملوك له، وشهرة الذكر، ما لم يبلغه سواه. ونحن نجلب دليلاً على فضله، والإشادة بفخره، نسخة العقد الذي تضمن هديته إلى صاحب **الديار المصرية**، صحبة الرَّبعة الكريمة بخطِّه، وذلك: ((قبّة من

---

[1] **في الإسكوريال: ((يوم))؛ وصوبت من اللمحة.**
[2] **هذه الإضافة من اللمحة.**
[3] **في الإسكوريال: ((ولده))؛ وصوبت من اللمحة.**
[4] **في اللمحة: ((التحاقه)).**
[5] **الموافق لـ 1351م.**
[6] **في اللمحة: ((اختار الله له ما لديه)).**

مائة بنيقة، وفيها أربعة أبواب، وقبّة أخرى من ستة وثلاثين بنيقة؛ داخلها حلة محلوقة ووجهها حرير أبيض، وركيزها أبنوس وعاج مرصع، والاهار فضة مذهبة، والشرايط حرير. وضربت القَّبتان بالصفصيف، وحل فيها جميع الهدية. وصُفَّفت جميع الدواب بجهازاتها أمام القبة. من الخيل ثلاثمائة، وخمسة وثلاثون من البغل بين الذكور وأُناث، ومن الجمال سبعماية، إلا أنها لم تصفف، بل أعدت لحمل الهدية، ومن البُزاة الأحرار أربعة وثلاثون، ومن أحجار الياقوت مائتان وخمسة وعشرون، ومن قطب الزمرد ماية وثمانية وعشرون، ومن حبوب الجوهر الفاخر أكثره، ثلاثة آلاف وأربعة وستون. ومن أحجار الزبرجد ثمانية وعشرون، ومن المهنّدات بحلية الذهب عشرة، ومن أزواج مهاميز الذهب عشرة، ومن أزواج الأركب عشرة، واحد كله ذهب، وثلاثة كلها فضة، وستة من حبجبة مذهبة على الحديد، واثنان من اللضمات من ذهب. وشاشية مذهبة، وحلل ثلاث عشرة. وعشر كلل ومخاد حلة، وتوق ذهب مائتان، واشتراق ذهب

عشرون، وقدود ستة وأربعون، وفرشا جلَّة، وعشر علامات مُعَشَّشة. وعشر وقايات مذهَّبة. وثلاثون من وجوه اللَّحف حرير وذهب، ومائتان من المحررات الملونة الرفيعة المختمة. وحيطيان أحدهما حلة والآخر طوق. وثلاثة وعشرون شُّقة من الرهاز. واثنان من هنابل الحلة. وعشرة براقع للخيل منها ثمانية من الحلة. ومن أسلة الخيل ثلاثون، وثلاثة طنافس من الحرير. وهنابل حرير اثنان. وعشرة هنابل من الحرير والصوف. وهنابل وانشريشية وزموريةماية وسبعة. وأربعة آلاف من الجلد التركي والأغماتي. ومن دَرَق اللَّمط المثمنة مائتان. ومن الأكْسية المحررة أربعة وعشرون. ومن البرانس المحررة ثمانية. ومن الأحارم ما بين محررة وصوف عشرون. ومن أزواج المحفف خمسون. وعشر لزمات من الفضة، وستة عشر [1] شُقة من الملف. وما أزودة الحجاج فأعطى للحرة المكرمة أخته، أعزها الله، ثلاثة آلاف دنير من الذهب، ومائتي كسوة برسم **العرب**. ولمن سافر معها ستماية وسبعين. **ولأبي**

---

[1] **جعلها د. طويل: ((ست عشرة)).**

إسحاق بن أبي يحيى ثلاثمائة من الذهب وكسوة رفيعة، ولعريفه **يحيى السويدي** ألف دنير من الذهب. إلى العدد الكثير من الذهب العين برسم الوصفان والخدام، ولرسوم التحبيس على قراء الرابعة الكريمة، ستة عشر ألفاً وخمسمائة دنير)). انتهى.

وكان هذا السلطان رحمه الله، ممَّن دوَّخ الأقطار، وجاهد الكفار، ووطىء بالأساطيل خدود البحار، والتمس ما عند الله من الثواب، وأعلق يده من نسخ كتابه بأوثق الأسباب، إلى أن [1] استوسق الأمر لولده، أمير المؤمنين **بالمغرب** وما إليه، **فارس** المكني **بأبي عنان**، الملقب [2] **بالمتوكل على الله**. فقام بالأمر أحمد قيام. وجرت بين هذا السلطان وبينه المخاطبات والمراسلات، وسفَّرني [3] إليه لأول مرة، مُعَزّيا بأبيه، ومُهنّيا بما صار إليه من ملكه، واستصحبت إليه كتاباً من إنشائي، نجليه بحول الله

[1] **في اللمحة: (واستوسق الأمر لوله أمير المسلمين..)).**
[2] **نفسه: ((المتلقب من ألقاب الخلافة بالمتوكل..)).**
[3] **نفسه: ((وسفرت إليه عنه، واتصلت أيامه إلى آخر مدته)).**

تجميما لمن يقف على هذه الأخبار، وإن اقتحمتها ثبج الإكثار وهو:

المقام الذي رسخت منه في مقامَيْ الصَّبر والشكر قَدَم، فلا يغيره وجود لا يروعه عدم، وصدقت منه في كتاب المجد عزمة لم يختلجها وَهَن ولا ندم، حتى تصرفت بحكم معاليه أيام دهره ولياليه، هو ولدان وهذه خدم. مقام محل أخينا، الذي إن جاشت النوايب وسعها صدره، أو عظمت المواهب، ترفع عنها قدره، أو أظلمت الكروب جلاها بَدْرُه. أو تألبت الخطوب، هزمها صبره، أو أظلَّت سحايب النعم، أسدرها حمد الله وشكره، أو عرضت عقود الحمد في أسواق المجد أغلاها فجره. أو راقت حلل الصنايع طرزَّها ذكره، أو طبّقت سيوف الناس أغمدها صفحه، وسلَّها قهره. السلطان الكذا أبقاه الله ضاحك السعد، كلما بكت عين، مجموع الشَّمل كلما أزِف بَيْن. وارِىَ الزَّند إذا اقتضى دين، محي الذَّمار بانفساخ الأعمار، كلما أغار على الأحياء حين، ولازال يقيد منه شكر الله نعما ما في وعدها ليّ، ولا في قولها مين. ويلبس

منها حللا تقواه في عواتقها زين. مساهمة في كل خَطْب غَمَّ، أو فضل من الله عم، ومقاسمةً في كل ما ألـمَّ وتهنئة بالملك الذي خلص وتَـمَّ، فلان.

أما بعد حمد الله الذي جعل الصَّبر في الحوادث حصنا منيعا، والشكر يستدعي المزيد من النعم سريعا، فمتى أُعملت للصبر دعوة، كان بها الأجر سميعا. ومتى رُفعت من الشكر رُقعة، كان المزيد عليها توقيعا. والصلاة على سيدنا ومولانا **محمد** رسوله، الذي بوَّأَنا من السعادة جنابا مَريعا، وبين له حدود أوامره ونواهيه فطُوبى لمن كان مُطيعا. وكان لنا في الدنيا هاديا، ونجده في الآخره شفيعا، والرضا عن آله وصحبه، الذين كانوا على العُداة قيضا، وللعُفاة ربيعا، فحلُّوا من الإقتداء به فيما ساء وسرَّ، وأَحْلَى وأَمرَّ مقاما رفيعا. وخفض عليهم مضاضَة فقده، مثابرتهم على ضمّ شمل المسلمين من بعده، اقتداءًا بقوله سبحانه: ﴿ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا ﴾[1]. والدُّعاءِ

[1] الآيـة كاملـة هكـذا: (وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمُ بِنِعْمَتِهِ إخْوَاناً وَكُنْتُمْ

لمقامكم الأسمى بالنصر، الذي يشكر منه الجياد والبيضُ الحدادً صنيعا. وتشرح منه ألسن الأقلام تهذيبا وتقريعاً، والصبر الذي زرافات الأجر قطيعاً، فقطيعاً، فإنا كتبناه إليكم، كتب الله لكم من حظوظ الخير أوفرها عددا. وأقطعكم من خُطَط السَّعد أبعدها مداً؛ وأتبعكم من كَتايب العز أطولها يدا، وخولَّكم من بَسْطة المُلك مالا يبيد أبدا، وألهمكم من الصبر لما تقدّمُونه فتجدونه غدا. من **حمراء غرناطة،** حرسها الله وعندنا من الإعتداد في الله أسبابٌ وثيقة، وأنسابُ صدق في بحبوحة الخُلوص عريقة. ومن الثناء عليكم حدايقُ روضٍ لا تحاكيها حديقة، ومن المساهمة لكم في شتّى الأحوال، مقاصدُ لا تلتبس منها طريقة، ومن السُّرور بما سناه الله لكم، نعمٌ يشُكر الله عزَّ وجلَّ خليقة.

وإلى هذا، أيَّدكم الله بنصره، وحَكم لمقامكم بشدّ أَزْرِه، وإعلاءِ أمره، فإنَّنا ورد علينا الخبر الذي قبض وبسط، وجار وأَقْسَط، وبَخس ووفّى وأَمْرض وشفى،

عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيّنُ اللّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلّكُمْ تَهْتَدُونَ). سورة آل عمران؛ الآية: 103.

وأضحى وظلَّل، وتجهَّم وتهلَّل، وأمَرَّ وأَحْلَى، وأساء ثم أَحْسَن، وبشَّر بعد ما أَحْزَن، خبرُ وفاة والدكم، محلّ أبينا، السلطان العظيم القدرـ الكبير الخَطَر، قدَّس الله طاهِرَ تُربته، وكرَّم لَحْده، كما أحيا بكم معالم مجده. فياله من سَهْم رمى أغراض القلوب فأثبتها. وطرق مجتمعات الآمال فشتَّتها. ونعى إلى المجد إنسان عينه وعَيْن إنسانه. وإلى المُلْك هُيولي أركانه، إلى الدين ترجمة ديوانه، وإلى الفضل عميد إيوانه، حادثٌ نبَّه العيون من سِنَة غرورها. وذكَّر النفوس بَهْم أمورها. وأَشْرَق المحاجر بماءِ دموعها، وأضرم الجوانح بنار ولُوعها. وبيَّن أن سَراب الأمال سراب، وأنَّ الذي فوق التُّراب تراب. فمن تأمل الدنيا وطباعها، والأَيام وإسراعها، والحوادث وقِراعها، بدا له الحقُّ من المَيْن. واستغنى عن الأثر بالعين. فشأنها أن لا تفترَّ عن سهم تُسَدّده إلى غرض. وصحَّةٍ تعقبها بمرض، وجوهر ترميه بعرض. وداءٍ للموت قديم، وقُرْبُه لا يُبْقي عليه أديم. وكأسه يشربها مُوسرٌ وعديم. دبَّت إلى كسرى الفُرْس عقاريه، فلم تمنعه أساورته ولا مرازِبُه. وقصر

قصَير على حكمه فكدَّرت مشاريه. وأتبر **سيف بن ذي يزن** عمدانه، فلم ترعه مضاربه. وأردى تُبَّعاً، فلم يكن في أتباعه من يحاربه. لم تدافع عنهم الجنود المجَنَّدة. ولا الصّفاح المهنَّدة. ولا الدُّروع المحكمة، ولا النّياب المعْلمة. ولا الجياد الجُرد المسَوَّمة. ولا الرّماح المثقَّفة المُقَومة. كلَّ قدَّم على ما قدَّم. وجَّد إلى ما أعدَّ. جعلنا الله ممن يَسَّر لسفره زاداً. وقدَّم بين يديه رباطا شافعا لديه وجهادا. ووثَّر لنفسه بمناصحة الله والمؤمنين في أعلى عليين، مهادا. وطوَّق المسلمين عدلا وفضلا وإمدادا، غير أن هذا الفاجئ الذي فجع، ومنع القلوب أن تقرَّ والعين أن تَهْجَع. غمرته البُشرى، وغلبته المسرَّة الكبرى، وعارضته من بقايكم الآية المحكمة الأخرى. فاضمحل من بعد الرُّسوخ. وصار ليله في حُكْم المَنْسُوخ. ما كان من استخلاصكم الملك الذي أنتم أهله، واحْتيازكم المجد الذي أشرق بكم محلهُّ. وكيف بسَهْم أخطأ ذاتكم الشريفة، أن يقال فيه أصمى وأَجْهَز. والأَمل بعد بقايكم أن يقال فيه تعذَّر أو أعْوَز. إنما

الآمال ببقايكم للملأ مَنُوطة. وسعادة الإسلام بحياتكم المتَّصلة مشروطة.

ومنها: فأي تَرَح يبقى بعد هذا الفَرح، وأي كسل يَنْشأُ بعد هذا المَرح. إن أَفَل البدرُ، فقد تبلَّج الفجرُ، أو غاص النّيل فقد فاض البحر. وإن مال فَلَكُ الملك، فقد عاد إلى مَداره. وإن أذنب الدَّهر، فقد أحسن ما شاء في اعتذاره. إنْما هذا الخطب وهنٌ أعقبه ضوء النهار، وسطعت بعده أشعةُ الأنوار، وصِمْصامةٌ أُغمدت، وسُلَّ من بعدها ذو الفقار.

ومنها: وإنَّنا لما..... [1] عن حقَّه ورصدنا طالعه في أُفقه، قابلنا الواقع بالتَّسليم، والمنْحة الرَّادفة بالشكر العظيم. وأَنِسْنا في غمام الهُدنة ربَّ هذا الإقليم. وقلنا استقر الحق ووضحت الطرق، وهوى الرَّايد وصدق البرق، وتقرَّرت القاعدة وارتفع الفرق، واستبشر يإبْلال **المغرب** أخوه **الشَّرق**، وثابث آمال أُولي الجهاد إلى اقحتام فُرضة المجاز، وأُولي الحج إلى مرافقه ركب **الحجاز**، وآن

[1] بياض في هذا الحيز؛ موجود في المخطوط.

للدنيا أن تلبس الحُلى العجيبة بعد الإبتزاز. والحمد لله الذي زيَّن بكم أفق الملك، وكيَّف بسَعْدكم نظم ذلك السّلك. وهنَّأ الله إيالتكم، العباد والبلاد، والحجَّ والجهاد. وصدَّق الظنون الذي في مقامكم، الذي جاز في المكارم الآماد. بادرنا أيَّدكم الله من برّكم إلى غرضين. وقمنا من حقّ عزايمكم وهنايكم بواجبين مُفْتَرضين. وشرعنا ومن لدَينا، أن نباشر بالنفوس، هذين القَصْدين. إلاَّ أننا عاقنا عن ذلك، ما اتصل بنا، من العدُوّ الذي بلينا بجواره، ورُمِينا بمصابرة تيَّاره. وإلاَّ فهذا الغرض قد كنَّا لا نرى فيه بإجراء الإستنابة، ولا نحظى غيرنا بزيارة تلك المثابة. فليَصل الفضل جلالُكم. ويقبل العُذْر كمالُكم. وإذا كان الإستخلاف مما تحتمله العبادة، ولا ينكره عند الضرورة العُرْف والعادة، فأحرى الأخوة والودادة، والفضل والمجادة. فتخيرنا جهدنا، واصطفينا لباب اللُّباب فيمن عندنا، فعيَّنا فلانا. واتصلت أيامه إلى آخر مدته.

وبمدينة تِلمْسان[1]: **عبد الرحمان بن موسى بن عثمان بن يَغْمراس بن زيّان،** يكنى **أبا تاشفين**. وقد تقدم[2] ذكره، وهو الذي انقضى ملك **بني زيان** على يده[3]. تولى الملك عام ثمانية عشر[4] كما تقدم، وتهنَّأه إلى أن تأَكَّدت الوُحْشة بينه وبين السلطان ملك **المغرب**، فتحرَّك لمنازلته، وأخذ بكَظْمه[5]، وحصره سنين ثلاثاً، واقتحم عليه ملعب البلدة، ليلة سبع وعشرين من رمضان عام سبعة[6] وثلاثين وسبعمائة[7]. وفي غرَّة شوال منها، دخل[8] البلد من أقطاره عَنْوة، وقف هو وكبير ولده[9] برحبة قصره، قد نزعا لام الحرب المانعة من من عمل السلاح استعجالا للمنِيَّة ورغبة في الإجهاز وقاما مقام الثَّبات والصبر والإستجماع، إلى أن كُوثِرا وأُثخنا،

---

[1] في اللمحة: ((وبتلمسان)).
[2] نفسه: ((مرّ)).
[3] نفسه: ((على يده لأول مدته)).
[4] أي 718هـ/1318م.
[5] في اللمحة: ((بمخنقه)).
[6] نفسه: ((ثمانية)).
[7] الموافق لـ 1336م.
[8] في اللمحة: ((دخل عليه المدينة عنوة)).
[9] في الإسكوريال: ((بلده))؛ وصوبت من اللمحة.

وعاجلتهما [1] منيَّةُ العزّ قبل شدّ الوِثاق، وإمكان الشَّمات، الشَّمات، واستولى على الملك [2] ملك **المغرب**. وفي ذلك قلت من الرّجز المسمى **بقطع السلوك في الدول الإسلامية** [3]، مما يخص ملوك **تلمسان**، ثم أميرها **عبد الرحمان** [4] هذا [5]:

وحل فيها عابدُ الرحمان
فاغترَّ بالدنيا وبالزمان
وسار فيها مطلق العِنان
من مظهر سام إلى جنان
كم زخرف [6] علياه من بنيان
آثاره تُبني عن العيان
وصرف العزم إلى بجاية
فعظمت في قومها النّكاية

[1] في اللمحة: ((فعاجلتهما ميتة العز)).
[2] نفسه: ((على ملك بني زيان ملك المغرب، واندرج فيه إلى هذا العهد)).
[3] اشتهر هذا الكتاب باسم رقم الحلل في نظم الدول. وقد سبقت الإشارة إليه.
[4] في اللمحة: ((الرحمن ما نصه)).
[5] بحر الرجز.
[6] في اللمحة: ((زخرفت)).

حتى مـــا إذا مدة الملك انقضت
وأوجُه الأيـــام عنهـــم أعرضت

وحقَّ حقُّ الدهـــر فيهـــا ووجب
وكتـــب الله عليهـــا ما كتـــب

حـــثَّ إليهـــا السير ملك المغرب
يالـــك مـــن ممـــارس مجـــرِّب

فغلـــب القـــوم بغيـــر عهـــد
بعـــد حصـــار دائـــم وجَهْـــد

فأقفـــرت مـــن ملكهـــم أوطانه
سبحان مـــن لا ينقضي سلطانه

ثـم نشأت لهـم بارقة، لـم تكـد تَقد حتى خَبَتْ، عندما جَرتْ على السلطان **أبي الحسن** الهزيمة **بالقيران**؛ وانبتَّ عن أرضه، وصُرفت البيعة في الأقطار إلى ولده، وارتحل إلى طلب **منصورا** ابن أخيه، المنتزي [1] بمدينة **فاس**. فدخلوا **تلمسان**، وقبضوا على القايم بأمرها، وقدموا على أنفسهم **عثمان بن يحيى بن عبد الرحمان بن**

[1] **في اللمحة: ((الدّاعي لنفسه بمدينة...)).**

يغمراسن المتقدم الذكر في رسم **عثمان** وذلك في الثامن والعشرين لجمادى الآخرة من عام تسعة وأربعين وسبعمائة [1]؛ واستمرت أيامه أثناء الفتنة وارتاش، وأقام رسم الإمرة، وجدَّد مُلْك قومه. واستمرت حاله إلى أن أوقع بهم ملك [2] **المغرب**، أمير المسلمين **أبو عنان** الوقيعة المصطلمة [3] التي خضدت [4] الشوكة، واستأصلت الشَّأَفة. وتحصل **عثمان** في قبضته. ثم ألحقت النكبة به أخاه [5]؛ فكانت سبيلهما في القتل صبرا عِبرة، وذلك في وسط ربيع الأول من عام التاريخ.

وبتونس: الأمير **أبو يحيى أبو بكر ابن** الأمير **أبي زكريا ابن** الأمير **أبي إسحاق ابن** الأمير **أبي زكريا** [6] إلى أن هلك. وولي الأمر ولده **عمر**[ثم ولده **أحمد**] [7] ثم عاد [الأمر] إلى **عمر**. ثم استولى ملك **المغرب** السلطان **أبو**

---

[1] الموافق لـ 1348م.
[2] في اللمحة: ((.. بهم السلطان أبو عنان...)).
[3] نفسه: ((المستأصلة))..
[4] في الإسكوريال: ((حصدت))؛ وصوبت من اللمحة.
[5] في اللمحة: ((أخاه أبا ثابت)).
[6] في اللمحة: ((زكريا بن يحيى بن عبد الواحد بن أبي حفص إلى أن هلك)).
[7] هذه الإضافة من اللمحة.

الحسن على ملكهم. ثم ضُمَّ نَشْرُهم بعد نكبته وخروجه عن وطنهم على **أبي إسحاق بن أبي بكر**.

ومن ملوك **النصارى بقَشْتالة**: **ألفنش** [1] **بن هِرَنْدُه بن دون جانْجُه بن ألفنش** المستولي على **قرطبة** [2] **ابن هرنده** المستولي على **إشبيلية**. إلى عدد جمّ. وكان [3] **طاغية** مرهوبا، وملكا مجدودا. هبَّت له الريح، وعظمت به إلى المسلمين النكاية. وتملَّك **الخضراء** بعد أن أوقع بالمسلمين الوقيعة الكبرى العظمى **بطريف**. ثم نازل **جبل الفتح**، وكاد يستولي على هذه **الجزيرة** [4]؛ لولا أن الله تداركها بجميل صنعه وخفيّ لطفه، لا إله إلا هو. فهلك بظاهره في محلَّته حَتْفَ أنفه ليلة عاشوراء من عام أحد وخمسين وسبعمائة [5]. فتنفس المُخنَّق، وانجلت الغُمَّة، وانسدل

---

[1] في اللمحة: ((ألفونش)).

[2] لاحظ عنان الخطأ الذي وقع فيه ابن الخطيب؛ حيث قال: ((فإن الذي استولى على قرطبة هو فرناندو الثالث ملك قشتالة (هرانده). وقد استولى عليها في شوال سنة 633هـ/1236م. وهو الذي استولى كذلك على إشبيلية في رمضان سنة 647هـ/1248م. وينعت في التواريخ النصرانية بسان فرناندو. أي القديس)).

[3] في اللمحة: ((وكان هذا الطاغية)).

[4] نفسه: ((يستولي على الأندلس)).

[5] الموافق لـ 1350م.

السّتر. كنت منفردا بالسلطان رحمه الله، وقد غلب اليأس، وتُوُقِّعت الفضيحة، أَؤنِسُه بعجايب الفرج بعد الشدة، وأُقوي بصيرته في التماس لطف الله، وهو يرى الفرج بعيدا، ويتوقع من الأمر عظيما. وورد الخبر بمهلكه، فاستحالت الحال إلى ضدها، من السُّرور والإستشبار. الحمد لله على نعمه. وفي ذلك قلت [1]:

ألا حدِّثـــاني[2] فـــهي أم الغرايـــب
وما حاضرٌ في وصفها مثل غايب
ولا تُخْليـــا منها على قَطْرٍ[3] السُّرى
سروج المذاكي أو ظهور النجايب[4]
أيوسُــف إنَّ الدهر أصبح واقفـــا
على بابك المأمـــول موقف تايب

---

[1] في اللمحـة: ((وفي ذلـك قلـت مـن كلمـة استعجلتهـا في مخاطبـة السلطـان؛ رحمـه اللـه تعـالى؛ وأولهـا)). والقصيـدة المواليـة مـن البحـر الطويـل.
[2] نفسـه: ((حدثاهـا)).
[3] في اللمحـة: ((خطـر)).
[4] ثـم قـال معلقـاً بعـد هـذا البيـت في اللمحـة: ((ومنهـا في وصـف الكائنـة))؛ ثـم أورد بقيـت القصيـدة.

دعـــاؤك أمضى من مهندة الظبـــا
وسعدك أقضى من سعود الكواكب
سيوفـــك في أغمادهـــا مطمئنـــة
ولكـــن سيف الله دامي[1] المضارب
فثِـــق بالذي أرْعاك أمـــر عبـــاده
وسَلْ فضلـــه فالله أكـــرم واهـــب
لقد طرَّق الأذفنـــش سعدك خزية
تجـــدُّ على مرِّ العصور الذواهب
وفَّيت وخان العهد في غير طايل
وصدَّق أطماع الظنون الكـــواذب
هوى في مجال العجب غير مقصر
وهل نهض العُجْب المخل براكب
وغالـــب أمـــر الله جـــلَّ جلالـــه
ولـــم يَدْرِ أنَّ الله أغلـــب غالـــب
ولله في طيِّ الوجـــود كتايـــب
تدقُّ وتَخْفى عـــن عيـــون الكتايب

---

[1] في اللمحـة: ((مـاضي)).

تغير عـــلى الأنفاس في كل ساعة

وتكمـــن حتى في مياه المشـــارب

فمـــن قـــارع في قومـــه سنَّ نادم

ومـــن لاطم في ربعـــه خدَّ نادب

مصايـــب أشجى وقعُها مُهج العِدا

وكـــم نْعـــمٌ في طي تلك المصايب

شـــواظٌ أراد الله إطفـــاء نـــاره

وقـــد نَفَـــج الإسلام من كل جانب

وإن لم يصب منـــه السلاح فإنما

أُصيب بسهم من دُعايـــك صايـــب

ولله مـــن ألطافـــه في عبـــاده

خزايـــنُ ما ضاقت لمطلب طالب

فمهماغَرَسْتَ الصبَّرفي تربة رضا

بأحكامـــه فلتجـــن حسن العواقب

ولا تعـــدَّ الأمـــر البعيـــد وقوعه

فإن الليـــالي أُمَّهـــات العجايـــب

وهي طويلة سهلة؛ على ضعفٍ كان ارتكابه مقصوداً في أمداحه.

وبيرجلونة[1]: السلطان **يطْره** المتقدم ذكره في اسم أخيه.

ومن الأحداث في أيامه الوقيعة الكبرى بظاهر **طريف**، يوم الإثنين السابع من جمادى الأولى، من عام أحد وأربعين وسبعمائة [2]، وما اتصل بذلك من منازلة **الطاغية أَلْهَنْشُه**، **قلعة يحصب** الماسة الجوار من حضرته، واستيلائه عليها، وعلى **باغة**. ثم منازلة **الجزيرة الخضراء** عشرين شهرا، أوجف خلالها بجيوش المسلمين من أهل العدوتين إلى أرضه. ثم استقر منازلا إياها إلى أن فاز بها قِداحه، والأمر لله العلي الكبير، في قَصَص يطول ذكره، تضمن ذلك **طُرْفة العصر** من تأليفنا. ثم تهنأ السلم، والتحف جناح العافية والإمنة برهة، رحمه الله.

---

[1] **هي برشلونة.**
[2] **الموافق لـ 1340م.**

وفاته

وما استكمل أيام حياته، وبلغ مداه، أتمَّ ما كان شباباً واعتدالا وحسنا، وفخامة وعزاً [حتى] [1] أتاه أمر الله من حيث لا يَحْتَسب، وهجم [2] عليه يوم عيد الفطر، من عام خمسة وخمسين وسبعمائة [3]، في الركعة الأخيرة، رجل من عِداد المرورين [4]، رمى بنفسه عليه، وطعنه بخنجر كان قد أعدَّه [5]، وأغرى بعلاجه، وصاح، وقُطعت الصلاة، وقُبض عليه، واستُفهم، فتكلم بكلام مُخَلَّط، واحتُملُ إلى منزله، على فَوْت لم يستقر به، إلا وقد قضى رحمه الله ورضي عنه، وأُخّرِج ذلك الخبيث [6] للناس، وقتل وأحرق بالنار مبالغة في التشفي؛ ودفن السلطان عشية اليوم في مقبرة قصره؛ لصق [7] والده [8]، وولي

[1] هذه الكلمة؛ أضافها عنان.
[2] في اللمحة: ((فهجم)).
[3] الموافق لـ 1354م.
[4] في اللمحة: ((رجل مرور؛ ورمى نفسه)).
[5] نفسه: ((اتخذه)).
[6] نفسه: ((المرور))؛ أي الحاقد المتحفز.
[7] هكذا في اللمحة؛ بينما كتب في الإسكوريال: ((العناية)).
[8] في اللمحة: ((أبيه)).

أمره ابنه **أبو عبد الله محمد**، وبولغ في احتفال قبره، بما أشف على من تقدمه، وكتب عليه ما نصه:

((هذا قبر السلطان الشهيد، الذي كَرُمت أحسابُه وأعراقه، وحاز الكمال خَلْقُه وأخلاقه، وتحدَّث بفضله [وحلمه][1] شامَ المعمور وعراقُه، صاحب الآثار السَّنيَّة، والأيام الهَنيَّة، والأخلاق الرضِيَّة، والسير المَرْضيَّة. الإمام الأعلى، والشّهاب الأجلى، حُسام الملة، علم الملوك الجلَّة، الذي ظهرت عليه عناية ربّه، وصُنع الله له سَلْمه وحَرْبه. قطب الرَّجاحة والوقار، وسلالة سيّد الأنصار، حامي حمى الإسلام برأيه ورايته، المستولي في [2] في [2] ميدان الفخر على غايته، الذي صحبته [عناية الله] [3] الله] [3] في بداية أمره وغايته، أمير المسلمين **أبي الحجاج يوسف ابن** السلطان الكبير، الإمام الشهير، أَسَدَ دين الله، الذي أذعنت الأعداء لقهره، ووقفت الليالي [4] والأيام عند نهيه وأمره. رافع ظلال العدل في الآفاق [حامي حِمى

---

[1] سقطت هذه الكلمة في الإسكوريال؛ بينما وردت في اللمحة.

[2] في اللمحة: ((من)).

[3] هكذا في اللمحة؛ وكتب في الإسكوريال: ((العناية)).

[4] في اللمحة: ((الأيام والليالي)).

السُّنة بالسمر الطوال والبيض الرّقاق][1]، مخلد صحف الذّكر الخالد والعزّ الباق، الشَّهيد السعيد المقدس **أبي الوليد**، ابن الهمام الأعلى الطاهر النسب والذات، ذي العز البعيد الغايات، والفخر الواضح الآيات، كبير **الخلافة النصرية**، وعماد **الدولة الغالبيَّة**، المقدس المرحوم **أبي سعيد فرج بن اسماعيل بن نصر**، تغمده الله برحمته من عنده، وجعله في الجنَّة جاراً **لسعد بن عُبادة** جدّه، وجازى عن الإسلام والمسلمين، حميد سعيده، وكريم قصده. قام بأمر المسلمين أحمد القيام، ومهَّد لهم الأمن من ظهور الأيام، وجلَّى لهم وجه العناية مشرق القسام، وبذل فيهم من تواضعه وفضله، كل واضح الأحكام. إلى أن قضى الله بحضور أجله، على خير عمله، وختم له بالسعادة، وساق إليه على حين إكمال شهر الصوم هديَّة الشهادة، وقبضه ساجدا خاشعا، مُنيبا إلى الله ضارعا، مستغفراً لذنبه، مطمئنا في الحالة، التي أقرب ما يكون العبد فيها من ربّه. على يد[2] شقِّي قيضه الله لسعادته، وجعله سببا

---

[1] ما بين حاصرتين؛ أضيف من اللمحة.
[2] في اللمحة: ((يَدَيْ)).

لنفوذ سابق مشيئته وإرادته. خفي مكانه لخمول قدره. وتمَّ بسببه أمر الله لحقارة أمره. وتمكن له عند الإشتغال بعبادة الله، ما أضمره من غدره، وذلك في السجدة الأخيرة من صلاة العيد. غرة شوال، من عام خمسة وخمسين وسبعماية [1]. نفعه الله بالشهادة التي كرم منها الزمان والمكان، ووضح منها على قبول رضوان الله البيان. وحَشَره مع سلفه الأنصار، الذين عزَّ بهم الإيمان، وحصل لهم من النار الأمان. وكانت ولايته الملك في غرة اليوم الرابع عشر لذي الحجة من عام ثلاثة وثلاثين وسبعمائة [2]، ومولده [3] في الثامن والعشرين لربيع الآخر عام ثمانية عشر وسبعمائة [4]، فسبحان من انفرد بالبقاء المحض، وحتَّم الفناء على أهل [5] الأرض ثم يجمعهم إلى يوم الجزاء والعرض، لا إله إلا هو)).

---

[1] الموافق لـ 1354م.
[2] الموافق لـ 1332م.
[3] هكذا في اللمحة؛ وفي الإسكوريال: ((ولادته)).
[4] الموافق لـ 1318م.
[5] هكذا في اللمحة: وفي الإسكوريال: ((الأهل)).

وفي جهة الأخرى من النظم، وكلاهما من إملائي، ما نصه[1]:

يحييك بالرحيان والروح من قبـــر
رضى الله عمَّن حلَّ فيـــك مدى الدهر
إلى أن يقوم الناس تعنو وجوههـــم
إلى باعـــث الأموات في موقف الحشر
ولست بقَبْـــرٍ إنما أنت روضـــة
مُنَعَّمـــة الريحـــان عاطـــرة النَّشـــر
ولو أنني أنصفتك الحـــق لم أَقُـــلْ
سوى يا كِمام الزَّهـــر أو صدف الدُّر
ويا ملْحَد التقوى ويا مَدْفَن الهُدى
ويـــا مسقـــط العليـــا ويا مغرب البدر
لقد حـــطَّ فيك الرحل أي خليفـــة
أصـــل[2] المعالي غُـــرَّةٌ في بني نصر

---
[1] **البحر الطويل.**
[2] **في اللمحة: ((أصيل)).**

لقد حلَّ فيــك العزُّ والمجد العــلى
وبــدر الدُّجا والمُستَجار لدى[1] الدهــر
ومن كأبي الحجاج حامي حمى الهُدى
ومن كأبي الحجاج ماحي دجا الكفــر
إمام الهُدى غيث النَّدى دافع العــدا
بعيــد المدى في حومة المجد والفخر
سلالة سَعْــد الخزرج بن عُبــادة
وحسبك مــن بيت رفيــع ومن قــدْر
إذا ذُكر الإِغضاءُ والحلم والتُّــقى
وحدَّثْت عن علياه حــدِّث عن البحــر
تخوَّنه طرفُ الزمان وهــل ترى
بقــاءً لــحيٍّ أو دوامــاً عــلى أمــر
هو الدهــر ذو وجهين يومٌ وليلــة
ومن كان ذا وجهين يُعتــب في غــدر

[1] في اللمحة: ((من)).

تولى شهيــدا ساجداً في صلاتـــه
أصيل التقى رَطْــب اللسان من الذكر
وقد عرف الشّهر المبارك حق ما
أفــاض من النَّعــمى ووفى من البـــر
وباكـــر عيد الفطر والحكم مبـــرم
وليس[سوى][1] كأس الشهــادة من فطر
أتيـــح له وهـــو العظيـــم مهابـــةً
وقـــدرا حقيـــر الذَّات والخلق والقـــدر
شـــقيٌّ أتـــت[2] من لدنـــه سعـــادة
ومُنْكـــر قـــوم جـــاء بالحادث النُّكـــر
وكم من عظيم قد أُصيب بخامـــل
وأسباب حكم الله جلَّـــت عن الحصـــر
فهـــذا عليٌّ قد قضى بابن ملجـــم
وأوقع وحـــشي بحمـــزة ذي الفخـــر

---

[1] سقطت هذه الكلمة في الإسكوريال؛ بينما وردت في اللمحة.
[2] في اللمحة: ((أتتـه)).

نَعُـــدُّ الرِّمـــاح المشرفيـــة والقنـــا
ويطرق أمـــر الله من حيـــث لا تدري
ومن كان بالدُّنيـــا الدَّنيـــة واثقـــا
على حالـــة يومـــا فقـــد باءَ بالخُســـر
فيا مالك الملك الذي ليس ينقـــضي
ويا من إليه[الحكم][1] في النهي والأمر
تغمَّـــد بستر العفـــو منك ذنوبنـــا
فلسنا نُرَجّي غيـــر ستـــرك مـــن ستر
فمـــا عنـــدك اللهم خيـــرٌ ثوابـــه
وأبـــقى ودنيـــا المـــرء خدعة مغتـــرِّ

ومما رثي به قولي في غرض ناءٍ عن الجزالة، متحرّيا اختيار ولده[2]:
العُمْـــر يـــوم[3] والمُـــنى أحـــلام
مـــاذا عسى أن يستمـــر منـــام[4]

[1] وردت هذه الكلمة في اللمحة؛ وسقطت في الإسكوريال.
[2] البحر الكامل.
[3] في النفح: ((نوم)).
[4] نفسه: ((مقام)).

وإذا تحققنـــا الــشيءَ[1] بَـــدْأَة

فله بمـــا تقــضي العقــول تمام

والنفــس تجمــع في مدى آمالها

رَكْضـــاً وتـــأبى ذلــك الأيـــام

مـــن لم يُصَبْ في نفسه فمصابـــه

بحبيبـــه نفــذت بـــذا الأحكـــام

بعـــد الشبيبـــة كبـــرة ووراءهـــا

هَـــوْمٌ[2] ومن بعـــد الحيـــاة حِمام

ولحكمة ما أشرقت شُهب الدُّجـــا

وتعاقـــب الإصبـــاح والإظـــلام

دنيـــاك يـــا هـــذا محلَّـــة نُقلـــة

ومنـــاخ ركـــبٍ مـــا لديـــه مقام

هـــذا أميـــر المسلميـــن ومن به

وُجِـــد السَّمـــاح وأُعـــدم الإعدام[3]

---

[1] في النفـح: ((لـشيء)).
[2] نفسـه: ((هـرم)).
[3] أي الفقـر.

ســـر الإمامـــة[1] والخلافـــة يوسف

غيثُ الملوك وليثهـــا الضرغام

قصدته عادية الزمـــان فأقصـــدت

والعـــزُّ ســـام والخميـــس لهـــام

فُجعـــت به الدنيا وكُـــدِّر شربهـــا

وشكى العراق مصابـــه والشـــام

أسفـــاً على الخُلُـــق الجميل كأنـــه[2]

بـــدر الدجنـــة قد جـــلاه تمـــام

أسفـــا على العمر الجديـــد كأنـــه

غـــضٌّ[3] الحديقـــة زهره بسَّـــام

أسفا على الخلـــق الرَّضي كأنهـــا[4]

زهـــر الرِّياض همى عليه غمام

أسفا على الوجه الذي يهمي نـــدًى[5]

طاشـــت لنـــور جمالـــه الأفهام

---

1 في النفـح: ((الأمانـة)).
2 نفسـه: ((كأنمـا)).
3 نفسـه: ((زهـو)).
4 نفسـه: ((كأنـه)).
5 نفسـه: ((مهمـا بـدا)).

يـــا ناصر الثَّغــر الغريب وأهله

والأرض ترجف والسماء قَتــام

يا صاحب الصَّدمات[1] في جنح الدجا

والناس في فرش النعيــم نيـــام

يا حافــظ الحَرم الــذي بظلالــه

سُتر الأرامــل واكتسى الأيتـــام

مولاي هل لك للقصـــور زيـــارة

بعـــد انتــزاح الــدار أو إلمـــام

مولاي هــل لــك للعبيــد تذكًّــر

حاشـــاك أن تنسى[2] لديــك ذِمام

يـــا واحــد الآحـــاد والعلم الــذي

خفقـــت بعزِّه نُصْـــرة[3] الأعـــلام

وافـــاك أمـــر الله حيـــن تكاملت

فيـــك النُّهى والجـــود والإقـــدام

---

[1] في النفح: ((الصدقات)).
[2] نفسه: ((يُنْسَى)).
[3] نفسه: ((بعزَّةِ نَصْرِهِ)).

ورحلت عنا الرِّكب خير خليفــة
أثـــنى عليـــك الله والإســـلام
نعـــم الطريق سلكت كان رفيقـــه
والزَّاد فيـــه تهجُّـــدٌ وصيـــام
وكسفت يا شمس المحاسن ضحوةً
فاليوم كيـــل[1] والضيـــاء ظـــلام
سقـــاك[2] عيد الفطـــر كأس شهادة
فيهـــا من الأجل الحرمي[3] مـــدام
وختمت عُمْــرك بالصلاة فحبـــذا
عمـــلٌ كريـــم سعيـــه وختـــام
مولاي كم هـــذا الرقاد إلى مـــتى
بين الصَّفايـــح والتُّـــراب تنـــام
أعـــد التحيـــة واحتسبهـــا قُربـــة
إن كـــان يمكنـــك الغداة كـــلام

[1] في النفـح: ((ليـل)).
[2] نفسـه: ((وسقـاك)).
[3] نفسـه: ((الـوحيّ)).

تبكي عليــك مصانــع شهدتهــا[1]
بيض كمــا تبكي الهديل حَمَــام
تبــكي عليــك مساجــد عمرتهــا
فالنــاس فيهــا سُجَّــدٌ وقيــام
تبــكي عليــك خلايــق أمَّنتهــا
بالسَّلــم وهي كأنهــا أنعــــام
عاملــت وجــه الله فيمــا رُمتــه
منهــا فلــم يبعــد عليك مــرام
لو كنت تُفْدَى أو تُجاز[2] من الرَّدى
بُذلت نفــوس من لدنــك كــرام
لو كنت تمنــع بالصَّوارم والقنــا
مــا كــان ركنك بالغــلاب يُرام
لكنــه أمــــر الإلــه ومالنــــا
إلاَّ رضى بالحكــم واستســلام

[1] في النفـح: ((شيَّدتـهـا)).
[2] نفسـه: ((تجـار)).

والله قـــد كتب الفنا على الـــورى
وقضـــاؤه جَفَّـــت بـــه الأقـــلام
نـــم في جوار الله مســـرورا بمـــا
قدَّمـــت يـــوم تزلـــزل الأقـــدام
واعلم بـــأن سليـــل ملك[1] قد غـــدا
في مستقـــر عُلاك وهـــو إمـــام
بستـــر[2] تكنَّـــف منـــه مـــن خلَّفته
ظـــل ظليـــل فهـــو ليس يُضام
كنت الحُسام وصرت في غمد الثرى
ولنصر ملكـــك سل منه حُســـام
خلَّفـــت أُمـــــة أحمـــد لمحمـــــد
فقضـــت بسعـــد الأمـــة الأحكام
فهو الخليفـــة للـــورى في عهـــده
تُرعى العهود وتوصـــل الأرحام

[1] في النفـح: ((ملكـك)).
[2] نفسـه: ((سِتْرٌ)).

أبــقى رسومك كلهــا محظوظــة
لــم ينتثــر منها عليــك نظــام
العدل والشّيــم الكريمــة والتُّــقى
والــدَّار والألقــــاب والخُــدَّام
حسبي بأن أخشى[1] ضريحك لائمًا
وأقــول والدمع السَّفوح سِجــام
يا مدفن التَّقوى ويا مثوى الهــدى
مــنّي عليــك تحيــة وســلام
أخفيتُ عن حزني عليك وفي الحشا
نارٌ لهــا بين الضلــوع ضــرام
ولو أنني أدَّيت حقَّــك لــم يكــن
لي بعد فقــدك في الوجــود مقُام
وإذا الفــتى أدَّى الذي في وُسْعــه
وأتى بَجَهــدٍ مــا عليــه مــلام

[1] في النفح: ((أغشى)).

وكتبت في بعض المعاهد التي كان يأنس بها رحمة الله عليه [1]:

غِبــتَ فــلا عَيــن ولا مخبــر
ولا انتضـــارٌ منــك مرقــوب
يـــا يوســف أنــت لنـــا يوسف
وكلُّنـــا في الحـــزن يعقــوب

***

[1] البحر السريع.

يوسف بن عبد الرحمان

ابن حبيب بن أبي عبيدة بن عُقْبة بن نافع الفهري [1].

أوليَّته

كان **عبد الرحمان** أحد زعماء **العرب بالأندلس**. وكان ممن ثار منها من أصحاب **بلج** [2] عصبيَّةً لقتله، فخرج عن **الأندلس** إلى **إفريقية**. وجدُّه **عقبة بن نافع**، هو الذي اختط **قيروانها** أيام **معاوية بن أبي سفيان**. قال **عيسى بن أحمد**: وهرب ابنه **يوسف** هذا من **إفريقية** إلى **الأندلس** مغاضبا له أيام **بشر بن صفوان الكلبي**؛ فهوى الأندلس، واستوطنها، فساد بها ثم تأَمَّر فيها.

حاله

كان شريفاً جليلا، حازما عاقلا. اجتمع عليه أهل **الأندلس** من أجل أنه **قُرشي**، بعد موت أميرهم **ثوابة بن سلامة**، ورضى به الخِيار من **مُضر واليمن**، فدانت له

---

[1] **له ترجمة أيضاً في: البيان المغرب، وجذوة المقتبس، وبغية الملتمس، والحلة السيراء، وكتاب العبر، ونفح الطيب.**

[2] **هو بَلْج بن بشْر القُشيْري. أحد الولاة المتغلبين في الأندلس؛ وتوفي سنة 124هـ/741م.**

الأندلس، تسع سنين وتسعة أشهر، وكان آخر الأمراء **بالأندلس**، وعنه انتقل سلطانها إلى **بني أمية**. وأشرك **الصُّميل بن حاتم** في أمره، فتُركت لذلك نسبة الأمر له، وكانت الحرب التي لم يُعرف **بالمشرق والمغرب**، أشدَّ جلاداً، ولا أصبر رجالا منها، واعتزلها **يوسف** تحرُّفا، وقام بأمرها **الصُّميل**، وانهزم **اليمانيون** واستلحموا ملحمة عظيمة، واستوسق الأمر **ليوسف**. وغزا **جِلِّيقية**، فعظم في عُدوّها أثره. ولما تمَّ له الأمر طرقه ما تقدم به الإلماع، من عبور **صقر بني أمية عبد الرحمان الداخل** في خبر طويل. والتقى بظاهر **قرطبة** سنة ثمان وثلاثين ومائة [1] في ذي الحجة. وانهزم **يوسف بن عبد الرحمان والصُّميل**، ولحقا **بإلبيرة**. وأتبعهما **عبد الرحمان بن معاوية** فنازله، وقد تحصن بمعقل **إلبيرة** حصن **غرناطة**، وترددت بينهما الرُّسل في طلب المهادنة والبقاء على الصلح. وتخلَّى **يوسف** عن الدعوة، واستقر سكناه **بقرطبة**. وذلك في صفر سنة تسع وثلاثين ومائة [2]، وأقبل معه في عسكره إلى **قرطبة**. وذُكر

---

[1] **الموافق لـ 755م.**
[2] **الموافق لـ 756م.**

أنه تمثل عند دخوله عسكر **عبد الرحمان** ببيت **جرور بن النعمان**[1]**:**

فبتنا[2] نسوس الأمْرَ[3] والأمر أمرنــــا
إذا نحـــن فيهـــم سوقـــةٌ نتنصَّـــف

فتبًّـــا لدنيـــا لا يـــدوم نعيمهـــا
تُقلّـــب ساعـــات بنـــا تصـــرّف

واستقر **بقرطبة** دهراً، ثم بدا له في الخلاف. ولحق بأحواز **طليطلة**، وأعاد عهد الفتنة، فاغتاله مملوكان له، وقتلاه رحمه الله، في سنة اثنتين وأربعين ومائة[4]، وأخبار يوسف بن عبد الرحمان معروفة، وهو محسوب من الأمراء الأُصلاء بغرناطة، إذ كانت له قبل الإمارة بها ضياع يتردد إليها.

***

1 **البحر الطويل.**
2 **في الحلة السيراء: ((بينا)).**
3 **نفسه: ((الناس)).**
4 **الموافق لـ 759م.**

ومن غير الأصليين

***

يحيى بن عبد الله

ابن محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن أبي عزفة اللخمي؛ الرييس أبو زكريا، وأبو عمرو بن الرييس أبي طالب بن الرييس أبي القاسم. كناه أبوه أبا عمرو؛ وغلبت عليه الكنية المعروفة.

حاله

كان قيّما على طريقة أصحاب الحديث، رواية وضبطا وتقييدا وتخريجا، مع براعة خط، وطرف ضبط، شاعرا مُجيدا مطبوعا. ذا فكاهة وحُسن مجالسة. رأس **بسَبْتة**، بعد إجازته البحر من **الأندلس** والإحتلال **بفاس**، نايبًا عن ملك **المغرب** السلطان **أبي سعيد بن عبد الحق**، لأمر متَّ به إليه قبل استقلاله، ليس هذا موضع ذكره. ثم استبدَّ بها مخالفا عليه، لأَمر يطول شرحه، أجرى فيه مُوَفَّى الجانب من الخلع، باسلاً مقداما. سكون طاير، مثقَّفا بخلال رياسته، ضاماً لأطرافها. ونازله جيش

المغرب، وبيد أميره ولده **أبو قاسم** مُرْتَهنا، فأتيح له ظفرٌ أجلى ليلة غربيات المحلة والأثر فيها، واستخلاص ولده.

مشيخته

أخذ عن جماعة من أهل بلده وغيرهم، قراءة وسماعاً وإجازة. فممن أخذ عنه من أهل بلدة **سَبتة**: **أبو إسحاق الغافقي، وأبو عبد الله بن رُشيد، وأبو الظفر المنورقي، وأبو قاسم البلفيقي، وأبو علي الحسن بن طاهر الحسيني، وأبو إسحاق التّلمساني، وأبو محمد عبد الله بن أبي القاسم الأنصاري، وأبو قاسم بن الشَّاط. وبغرناطة** لما قدم عليها، مُغَرَّباً عن وطنه، عند تصيرُّه إلى الإيالة **النَّصرية** من أيديهم، وسكناه بها، عن **أبي محمد عبد المنعم بن سماك، وأبي جعفر بن الزبير، وأبي محمد بن المؤذن، وأبي الحسن بن مَسْتَقور** وغيرهم. ومن أهل **ألمرية أبو عبد الله محمد بن الصايغ، وأبو عبد الله بن شعيب.** ومن أهل **مالقة** الولي **أبو عبد الله بن الطّنجالي، وأبو محمد الباهلي، وأبو الحسن بن منظور، وأبو الحسن بن مصامد.** ومن أهل **الخضراء، أبو جعفر بن خميس**. ومن

أهل **بلّش أبو عبد بن الكماد**. ومن أهل **أُرُجبة**[1] **أبو زكريا البُرشالي**. ومن أهل **بجاية أبو علي ناصر المِشْدالي، وأبو عبد الله بن غربوز**. ومن أهل **فاس أبو عبد الله المومناني**. ومن أهل **تيزي أبو عبد الله محمد القيسي**. وكتب له بالإجازة طايفة كبيرة من أهل **المشرق**، منهم **قطب الدين القسطلاني**.

شعره

قال لي شيخنا **أبو البركات**: سألته، وأنا معه واقفٌ بسور قصبة **سبتة**، أن يجيزني ويكتب لي من شعره، فكتب لي قطيعات منها في تهنئة السلطان **أبي الجيوش** يوم ولايته[2]:

الآن عاد إلى الإمامة نورها
وارتاح منبرها وهشَّ سريرها
وبدا لنا من بعد طول قطوبها
منها التهلُّل واستبان سرورها

---

[1] أرجبة **Orgiva**؛ هي إحدى قرى غرناطة؛ تقع في الجنوب الشرقي منها. سبقت ألإشارة إليها.

[2] البحر الكامل.

وضعـــت أَزِمَّتهـــا بكـــف خليفـــة

هو أصلها الأوْلى بهـــا ونصيرها

مـــن معشر عرفت بطون أكفّهـــم

بذل النَّدى واللاَّثميـــن ظهورهـــا

خُرصانهم ووجوههم في ظلمة الـــ

ـــنَّقـــع المُثار نجومها وبدورهـــا

وســـع الرعايـــا منـــه عدلـــــه

لم يزل إليـــه قلوبهـــم ويصورها[1]

حتى اغتدت بالحب فيه صدورها

ملأي وأخلص في الولاءِ ضميرها

رام العُداة لمجـــده كَيْـــدا فلـــم

تنجـــح مساعتُهـــا وساءَ مصيرها

وكـــذاك فعـــل الله فيمـــن كـــاده

جهـــلا وغرَّتـــه المُنـــا وغرورها

مـــولاي إنا عصبـــةٌ معروفـــة

بالحبِّ فيـــك صغيرها وكبيرهـــا

[1] هذا البيت مختل.

جينا نُقضِّي من حقوقك واجبا
نُسدي بالمدايح[1] تارة ونبيرها
ولقد خدمتُ مقامكم من قبلها
بفرايد حَسْنا يعز نظيرها
فاجذب بضبعي من حضيض مزارتي
عرّست[2] وعلى يديك مسيرها
وافتكني من أسر فرط خصاصة
عنفت فلم يقصد سواك أسيرها
لازلت للإسلام تحمي أمة
دانته مما يتَّقي ويجيرها
وبقيت في عز وسعد شامل
حتى يحين من الرفاة نُشُورها

وفي الإلغاز بالأقلام والمحبرة [3]:

وسربٌ ضمَّهم دَسْت ستير
شباب ليس يفزعهم قَتير

[1] جعلها د. طويل: ((المدائح))؛ بعد حذف الباء.
[2] أضاف د. طويل هنا كلمة: ((من))؛ فغدت: ((مَنْ عَرَّسَتْ)).
[3] البحر الوافر.

قد اختصروا فلــم يُفرش سآد
لمجلسهــم ولــم يُنصب سرير
لهــم كــأس إذا دارت عليهــم
فقــد أزف الترحُّــل والمسيــر
وأفشــوا ســرَّ سياقهم[1] بلفــظ
مُبيــن ليــس يفهمه البَصيــر
وهــزَّت مــن روسهــم نشاطا
وعند الصَّحــو يعروهم فتــور
فصــاح إن تحللهــــم وإلاَّ
فشأنهــم التَّلعْتُــم والقصــور
صــلاب حيــن تعجمهم ولكن
إذا طعنــوا فدمعهــم غزيــر
لهم عقــل يلــوم على القوافي
لــذاك[2] نومهــم أبــدا كثيــر
طويلهــم يطــول العُمر منــه
أخــا نَعــبٍ ويخترم القصيــر

---

[1] جعلها د. طويل: ((ساقيهم)).
[2] جعلها د. طويل: ((لذلك)).

وهـــم لـــم يشـف يومـا[1]
بغير القطـع عضوهـم الكبير
فقـل لي من هُم لا زلت فـردا
دياجي المشكلات بـه تسيـر

نكبته

تنظر في العبادلة في اسم أبيه [2].

مولـده

سنة سبع وسبعين وستمائة [3].

وفاته

عام تسعة عشر وسبعمائة [4]، في شعبان، رحمه الله.

***

---

[1] هذا الشطر مختل.

[2] علق عنان على هذا بقوله: ((سبق لابن الخطيب أن ترجم لأبيه؛ عبد الله بن محمد بن أحمد بن محمد العزفي؛ أمير سبتة الذي عزل عن رئاسته عنوة؛ وأبعد هو وولده وأهله إلى الأندلس؛ فاستقر بغرناطة؛ وتوفي بها في سنة 713هـ)).

[3] الموافق لـ 1278م.

[4] الموافق لـ 1319م.

يحيى بن علي

ابن غانية الصحراوي [1]، الأمير أبو زكريا.

حاله

كان بطلا شهما حازما، كثير الدهاء والإقدام، والمعرفة بالحروب، مُجْمَعاً على تقدمه. نشأ في صحبة الأمير **بقرطبة محمد بن الحاج اللّمتوني** وولاّه مدينة **إستجة**، فهي أول ولايته. وليها **يحيى**، وتزوج **محمد الحاج** أمه **غانية** بعد أبيه وكفله، وأقام معه **بقرطبة**، إلى أن كان من **محمد بن الحاج** ما كان من مداخلة أشياخ **مَسُّوفَة** على خلع **محمد بن يوسف بن تاشفين** [عن الأمر] [2]، وصرف البيعة إلى **يحيى** الحفيد، الوالي في ذلك العهد بمدينة **فاس،** ولم يتم له الأمر، فأجلى عن نكبته. وانفصل **يحيى بن غانية** عن جماعته، وأقام متصرّفاً في الحروب، معروف الحق والغِناء، إلى أن اشتهرت بسالته وديانته، ورغب **يدّير ابن ورقا** صاحب **بلنسية** من السلطان في توجيهه إليه،

---

[1] **له ترجمة في المعجب؛ بالإضافة إلى بعض أخباره في المغرب، والعبر، ونفح الطيب.**

[2] **هذه الإضافة من الزيتونة.**

ليستعين به على مدافعة العَدوّ، فأجيب إلى ذلك. فوصل **يحيى بلنسية**، وأقام بها ذابّاً على المسلمين، إلى أن توفي **يَدّير بن ورقا**، فولاه **علي بن يوسف** إياها **وشرق الأندلس**، فظهر غناؤه وجهاده، وهزم الله بها **ابن رُذْمير**[1] **الطاغية** منازلا **إفراغة** على يده، فطار ذكره، وعظُم صيته، واشتهر سَعْده، وأَسُل عن البيضة دفاعه،

أخبار عزمه

حكي عنه أنه تزوج في فُتُوَّتِه امرأة من قومه شريفة جميلة، وقرَّ بها عينا، ثم تركها وطلَّقها، فسئل عن ذلك، فقال والله ما فارقتها عن خلَّة تُذَم، ولكن خِفت أن اشتغل بها عن الجهاد، ولم يزل يدافع **النصارى** عن **المسلمين بالأندلس**، فهزم **ابن رذمير**، وأقلع محلاتهم عن مدينة [2] **الأُشبونة**، واستمسك به حال **الأندلس**. ووُلّي

---

[1] **هو ألفونسو المحارب ملك الأراغون؛ الذي تمكن من الاستيلاء على مدن كثيرة في الثغر الأعلى؛ كما عمل جهده للإستيلاء على مدينة إفراغة؛ التي تتميز بالمناعة والحصانة؛ لذا فقد هزم هزيمة نكراء؛ وذلك في رمضان من عام 528هـ/1134م. حيث تأثر لهزيمته الفادحة؛ فتوفي بعد أيام منها كمداً وغماً.**

[2] **في الزيتونة: ((بلاد)).**

قرطبة وما إليها من قبل **تاشفين بن علي بن يوسف**، عام ثمانية وثلاثين وخمسمائة[1]، فاستقامت الأمور بحسن سيرته، وظهور سعده، إلى صفر من عام تسعة وثلاثين[2]. وكانت ثورة **ابن قَسي**[3]، باكورة الفتنة. ولما خرج إلى **لَبْلة**، ثار **ابن حَمْدِين بقرطبة** دار ملكه في رمضان من العام، واستباح قصره، وانطلقت الأيدي على قومه، وتم له الأمر، وبلغ **يحيى** الخبر، فرجع أدراجه إلى **إشبيلية**، فثار به أهلها، وناصبوه[4] الحرب وأصابوه بجراحة، فلجأ إلى حصن **مرجانة**، فأقام بها يصابر الهول، ويرقِّع القُنَن. ثم تحرك إليه جيش **ابن حمدين**، وكانت بينهما وقيعة انهزم فيها **ابن حمدين**، واستولى **ابن غانية** على **قرطبة**، في شعبان من عام أربعين[5]، وتحصن **ابن حمدين بأندوجر**[6] ممتنعا بها. ونهض **يحيى** إلى منازلته. فاستعان **ابن**

---

[1] **الموافق لـ 1143م.**
[2] **أي 539هـ/1144م.**
[3] **حرفت في الزيتونـة؛ فكتبت: ((ابن قيس)).**
[4] **في الزيتونـة: ((ناشبوه)).**
[5] **أي 540هـ/1145م**
[6] **حصن أندوجر Andujar؛ الواقع شرقي قرطبة؛ على ضفة نهر الوادي الكبير.**

حمدين بملك **قشتالة**، وأطعمه في **قرطبة**؛ فتحرك إلى نُصرته. ولما وصل **أندوجر**، أعذر **يحيى** في الدفاع والمصابرة، ثم انصرف بالجيش إلى **قرطبة**، وأخذ العدُوُّ في آثارهم، صحبة مستغيثه **ابن حمدين**. فنازل **قرطبة**، وامتنع **ابن غانية** بالقصر وما يليه من المدينة. وأدخل **ابن حمدين النصارى قرطبة** في عاشر ذي الحجة من عام أربعين [1]، فاستباحوا المسجد، وأخذوا ما كان به من النواقيس [2]، ومزقوا مصاحفه، ومنها زعموا **مصحف عثمان**، وأنزلوا المنار من الصَّومعة، وكان كله فِضَّة، وحُرقت الأسواق، وأفسدت المدينة، وظهر من صبر **ابن غانية**، وشدة بأسه، وصدق دفاعه، ما أيأس منه. وكان من قدر الله، أن بلغ **طاغية الروم** يوم دخولهم **قرطبة**، اجتياز **الموحّدين** إلى **الأندلس**، فأجال طاغيتهم، قداح الرأي، فاقتضى أن يهادن **ابن غانية**. ويتركه **بقرطبة** في نحر عدوّه من **الموحدين**، سدّا بينهم وبين بلاده، فعُقدت الشروط،

---

[1] **الموافق لـ 1145م.**
[2] **علق عنان؛ فقال: ((يقصد بها هنا مصابيح المسجد المغطاة بأغطية نحاسية تشبه النواقيس)).**

ونزل إليه **ابن غانية** فعاقده، واستحضر له أهل **قرطبة**، وقال لهم، أنا قد فعلت معكم الخير، ما لم يفعله مَنْ قبلي، غلبتكم في بلدكم وتركتكم رعيَّة لي، وقد ولَّيت عليكم **يحيى بن غانية،** فاسمعوا له وأطيعوا. قال المؤرخ، وفَخَر **الطاغية** في ذلك اليوم بقومه [1]، وقال، ولا يُريبنكم أن تكونوا تحت يدي ونظري، فعندي كتاب نبيكم إلى جَدّي، حدَّث **ابن أمُّ العماد أبو الحسن**، قال: حضرتُ، وأُحضر حقٌّ من ذهب، فُتح وأخرج منه كتابٌ من **رسول الله** صلى الله عليه وسلم، إلى **قيصر** ملك **الروم**، وهو جدُّه بزعمه. والكتاب بخط **على بن أبي طالب.** قال **أبو الحسن**: قرأته من أوله إلى آخره، كما جاء في حديث **البخاري**. وانصرف إلى بلاده، وانصرف **ابن حمدين**؛ فكان هلاكه **بمالقة**؛ بعد اضطراب كثير. واستقر **ابن غانية بقرطبة** الغادر به أهلها، فشرع في بنيان القصبة وسدّ عورتها، وسام أهلها الخسف وسوءَ العذاب، ووالى إغْرامهم. واستعجل أمرهم، واتصل سَلْمه مع العدو إلى

[1] في الإسكوريال: ((بقديمه))؛ وصوبت من الزيتونة.

تمام أحد وأربعين وخمسمائة [1]، وقد تملك **الموحدون** **إشبيلية** وما إليها. وضيَّق عليه **النصارى** في الطلب الإتاوة [2]، واشْتطُّوا عليه في طلب ما بيده. ونزل **طاغيتهم أندوجر** وبه رجل يعرف **بالعربي**، واستدعى **ابن غانية**. فلما تحصَّل بمحلته، طلبه بالتخَّلي عن **بيَّاسة وأُبَّدة**، فكان ذلك. وتشاغل **الموحدون** بأمر ثائر نازعهم **بالمغرب**. فكُلب العدو على [3] **الأندلس**، فنازل **الأُشبونة وشنترين، وألمرية وطُرْطُوشة ولاردة وإفراغة**، وطمع في استيصال بلاد الإسلام، فداخل **ابن غانية** سراً من **باشبيلية** من **الموحّدين**، ووصله كتاب خليفتهم بما أحبَّ، وتحرك **الطاغية** في جيوش لا تُرام. وطالب **ابن غانية** بالخروج عن **جيَّان** وتسليمها إليه، وكاده، حسبما تقدم في اسم **عبد الملك بن سعيد**. ونهض بعد هذه الكاينة إلى **غرناطة**، وهي آخر ما تبقى **للمرابطين** من القواعد؛ ليجمع بها أعيان **لَمْتُونة ومسُّوفة**، في شأن صرف الأمر إلى **الموحدين**.

---

[1] **الموافق لـ 1146م.**
[2] **حرفت في الإسكوريال؛ فكتبت: ((الإثارة))؛ وصوبها عنان.**
[3] **في الإسكوريال: ((عن))؛ فصوبها عنان.**

وفاته

لما وصل الأمير **يحيى بن غانية** إلى **غرناطة** أقام بها شهرين، وتوفي عصر يوم الجمعة الرابع عشر شعبان عام ثلاثة وأربعين وخمسمائة[1]، ودفن بداخل القصبة في المسجد الصغير، المتصل بقصر **باديس بن حَبُّوس** مجاوراً له في مدفنه، وعليه في لوح من الرخام تاريخ وفاته. والناس يقصدونه للتبرك به.

***

[1] **الموافق لـ 1148م.**

يوسف بن تاشفين

ابن إبراهيم بن توقورت بن وريابطن بن منصور بن مصالة ابن أمية بن وايامى الصنهاجي ثم اللمتوني[1]؛ يُكْنَى أبا يعقوب، ويلقب بأمير المسلمين.

أوليته

ذكروا أن **يحيى بن إبراهيم بن توقورت** حجّ، وهو كبير قَبيل الصحراويين في عشر الأربعين وأربعمائة[2]، واجتاز على **القيروان**، وهي موفورة بالعلماء، وتعرّف بالفقيه **أبي عُمران الفاسي**، ورغب إليه أن ينظر له في طلب من يستصحبه، ليعلّم قومه ويفقههم[3]، فخاطب له فقيهاً من فقهاء **المغرب** الأقصى واسمه **واجاج**، واختار له **واجاج، عبد الله بن ياسين** القايم بدولتهم، البادي نظم نشرهم، وتأليف كلمتهم، فاجتمع عليه سبعون شيخاً من نبهائهم ليعلمهم، فانقادوا له انقيادا كبيراً، وتناسل

---

[1] له ترجمة في: البيان المغرب، والمعجب، والحلل الموشية، وإعمال الأعلام، وكتاب العبر، وبغية الرواد، ووفيات الأعيان، والكامل في التاريخ، وجذوة الاقتباس، ونخبة الدهر، وتاريخ بن الوردي، ومذكرات الأمير عبد الله، والروض المعطار.

[2] أي حوالي 440هـ/1048م

[3] في الإسكوريال: ((ويفهمهم)).

الناس، فضخم العدد، وغزا معهم قبايل الصحراءِ. ثم التأَثْثْ حاله معهم؛ فصرفوه، وانتهبوا كتبه، فلجأ إلى أمير **لمتونة يحيى بن عمر بن تلايكان اللمتوني**؛ فقبله، وأعاد حاله، وثابث طاعته، فأمضى القتل على من اختلف عليه. وكان **يحيى بن عمر** يمتثل أمر **عبد الله** امتثالا عظيماً. ثم خرج بهم إلى **سجلماسة**. فتملكوها، وتملكوا الجبل. ثم ظهروا على **المغرب**، ثم قُتل الأمير **يحيى بن عمر**، فقدَّم **عبد الله** أخاه **أبا بكر بن عمر بدَرْعة**، ونهد به، فتملك جبال المصامدة، واحتل **بأغمات وَريكة** واستوطنها. **ولعبد الله** أخبار غريبة، وشذوذ في الأحكام؛ الله أعلم بصحتها. وقتل **عبد الله بن ياسين برغواطة**. ولم يزل الأمير أبو بكر بن عمر حتى أخذ ثأره، وأثخن القتل فيهم، وقدَّم ابن عمه **يوسف بن تاشفين بن ابراهيم**، على عسكر كبير، فيهم أشياخ **لمتونة**، وقبايل **البرابرة والمصامدة**، واجتاز على **بلاد المغرب**، فدانت له. وطرق الأمير **أبا بكر** خبرٌ من قومه من **الصحراء** انزعج له، فولَّى **يوسف بن تاشفين** على مملكة **المغرب**، وترك معه

الثلث من **لمتونة**، إخوانه، وأوصاه، وطلَّق زوجته **زينب**، وأمره بتزوُّجها، لما بلاه من يُمنها. فبنى **يوسف مدينة مراكش** وحصَّنها [1]، وتحبب إلى الناس، واستكثر من الجنود والقوة، وجَبى الأموال، واستبدَّ بالأمر. ورجع الأمير **أبو بكر من الصحراء** سنة خمس وستين وأربعمائة [2]، فألفى **يوسف** مستبدًّا بأمره؛ فسالمه، وانخلع له عن الملك، ورجع إلى **صحرايه**؛ فكان بها تَصِله هدايا **يوسف** إلى أن قتله **السُّودان**. واستولى **يوسف** على **المغرب** كله ثم أجاز البحر إلى **الأندلس**؛ فهزم **الطاغية** الهزيمة الكبرى **بالزلاَّقة**، وخلع أُمراء **الطَّوائف**، وتملك البلاد إلى حين وفاته.

حالـه

قال **أبو بكر بن محمد بن يحيى الصيرفي**: كان رحمه خائفاً لربّه كتوماً لسرّه، كثير الدعاءِ والإستخارة، مقبلاً على الصلاة، مديماً للإستغفار، أكثرُ عقابه لمن تجرأ أو تعرض لانتقامه، الإعتقال الطويل، والقَيْدُ الثُّقيل،

---

[1] حرفت هذه الكلمة في الإسكوريال؛ فكتبت: ((تحضها)).
[2] الموافق لـ 1072م.

والضرب المُبرِّح، إلاَّ من انتزى أو شقَّ العصا، فالسيف أَحْسَم لانتشار الداء. يُواصل الفقهاء، ويعظِّم العلماء، ويصرف الأُمور إليهم، ويأخذ فيه بآرائهم، ويقضي على نفسه وغيره بفُتْياهم، ويحضُّ على العدل، ويصْدع بالحق، ويعضّد الشَّرع، ويحْزِم في المال، ويُولَع بالإقتصاد في الملبس والمطعم والمسكن، إلى أن لقي الله، مجدًّا في الأمور، ملُقناً للصواب، مستحبًّا [1] حال الجد، مؤدّياً إلى الرعايا حقَّها، من الذَّب عنها، والغِلْظة على عدوها، وإفاضة الأمن والعدل فيها. يرى صور الأشياء على حقيقتها تسمى **بأمير المسلمين** لما احتل **الأندلس** وأوقع **بالروم**، وكان قبل يدعى **الأمير يوسف**، وقامت الخطبة فيها جميعا باسمه، **وبالعُدْوَة**، بعد **الخليفة العباسي**. وكان درهمه فضَّة، ودُنيْره تِبْر محض، في إحدى صحفتى الدُّنير ((**لا إله إلا الله، محمد رسول الله**)) وتحت ذلك **أمير المسلمين يوسف بن تاشفين،** وفي الداير، **{ومن يتَّبع [2] غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من**

---

[1] في الإسكوريال: ((مستصحباً)).
[2] في الآية: ((يَبْتَغِ)).

الخاسرين}.[1] وفي صفحة الأخرى، ((**الإمام عبد الله أمير المسلمين يوسف بن تاشفين**))، وفي الداير تاريخ ضربه وموضع سِكَّته، وفي جهتي الدرهم ما حمله من ذلك.

بعض أخباره

في سنة سبعين وأربعمائة[2] وردت عليه كتب **الأندلس**، يبثُّون حالهم، ويحرّكونه إلى نصرهم. وفي سنة اثنتين بعدها، ورد عليه **عبد الرحمان بن أسباط**، من **ألمرية**، يشرح حال **الأندلس**. وفي سنة خمس وسبعين[3] بعدها، وجَّه إلى شراءِ العدد فيها، واستكثر منها. وفي سنة ستٍّ بعدها فتح مدينة **سَبْتة**، ودخلها عنوة على الثَّاير بها **سَقُوت البرغواطي**. وفي سنة ثمان اتصل به تملُّك **طاغية قشتالة مدينة طُليطُلة**، وجاز إليه **المعتمد بن عباد** بنفسه، وفاوضه واستدعاه لنُصرة المسلمين، وخرج إليه عن **الجزيرة الخضراء**. وعلم بذلك **الأدفنش**، فاخترق] بلاد

[1] **الآية 85 من سورة آل عمران.**
[2] **الموافق لـ 1077م.**
[3] **أي سنة 475هـ/1082م.**

المسلمين][1] معرضاً عن رؤساء[2] **الطوائف**، لا يرضى أخذ الجِزْية منهم، حتى انتهى إلى **الخضراء**، ومثل على شاطئ البحر، وأمر أن يُكتب إلى الأمير **يوسف بن تاشفين**، والموج يضرب أرساغ فرسه، بما نسخه:

((من أمير الملَّتَيْن **أذفونش بن فردلند** إلى الأمير **يوسف بن تاشفين**. أما بعد: فلا خفاءَ على ذي عينين أنك أمير الملَّة المسلمة، كما أنا أمير الملَّة **النصرانية**. ولم يخف عليكم ما عليه رؤساؤكم **بالأندلس** من التَّخاذل، والتواكل، وإهمال الرعية، والإخلاد إلى الراحة، وأنا أسومهم سوءَ الخسْف، وأضرب الدّيار، وأهتك الأستار، وأقتل الشبان، وأسبي الولدان، ولا عذر لك في التَّخلّف عن نُصرتهم، إن أمكنتك قُدرة. هذا وأنتم تعتقدون، أن الله تبارك وتعالى، فرض على كل منكم، قتال عشرة منا، ثم خفَّف عنكم فجعل على كل واحد منكم، قتال اثنين منا، فإن قتلاكم في الجنة، وقتلانا في النار، ونحن نعتقد أن الله أظهرنا بكم، وأعاننا عليكم، إذ لا تقدرون دفاعا، ولا

---

[1] **في الزيتونة: ((الأندلس)).**
[2] **نفسه: ((ملوك)).**

تستطيعون امتناعا. وبلغنا عنك أنك في الإحتفال على نِيَّة الإقبال؛ فلا أدري أن كان الحين يبطئُ بك أمام التكذيب لما أُنزل عليك. فإن كنت لا تستطيع الجواز فابعث إلىَّ ما عندك من المراكب الأجوز إليك، وأُناجزك في أحب البقاع، فإن غلبتني، فتلك غنيمة جاءَت إليك،ونعمة مَثَلَث بين يديك. وإن غلبتك، كانت لي اليد العليا، واستكملت الإمارة. والله يتمُّ الإرادة))

فأمر **يوسف بن تاشفين** أن يُكتب في ظهر كتابه: ((جوابك يا **أذفونش** ما تراه، لا ما تسمعه إن شاء الله))؛ وأردف الكتاب ببيت **أبي الطيب**[1]:

ولا كتب إلاَّ المَشْرفيَّة والقنا[2]

ولا رسل إلاَّ الخميس العرمرم

وعبر البحر، وقد استجاش أهل **الأندلس**. وكان اللقاء يوم الجمعة منتصف[3] رجب من عام تسعة وسبعين

[1] البحر الطويل.
[2] في الديوان، ووفيات الأعيان: ((عنتده)).
[3] اختلفت المصادر في تحديد تاريخ هذه الموقعة بدقة؛ فبينما اتفق: صاحب الحلل الموشية، وابن الأبار، وابن دحية، وابن أبي زرع، وابن أبي دينار؛ على حدوثها يم الجمعة الثاني عشر من رجب عام 479هـ؛ أيد ابن خلكان؛ ما ورد أعلاه في الإحاطة.

وأربعمائة[1]. ووقعت حرب مُرَّة، اختلط فيها الفريقان، بحيث اقتحم **الطاغية** محلة المسلمين، وصدم يسارة جيوش **الأندلس**، واقتحم **المرابطون** محلَّته للحين. ثم برز الجميع إلى مأزق، تعارفت فيه الوجوه، فأبلوا بلاءً عظيماً، وأَجْلَت عن هزيمة العدو، واستيصال شأفته. وأفلت **أذفونش** في فَل قليل، قد أصابته جراحة، وأعزَّ الله المسلمين ونصرهم نصراً لا كفاء له، وأكثر شُعراء **المعتمد** القول في ذلك.

فمن ذلك قول **عبد المجيد**[2] **بن عبدون** من قصيدة[3]:

فأيــن العجــب يــا أذفونــش هلاَّ
تجنبــت المشيخــــة يــا غــلام

---

[1] الموافق لـ 1086م

[2] في المخطوط: ((عبد الجليل)).؛ وصوبها عنان)).

[3] البحر الوافر.

شَمْلَـــك[1] النســــــاءُ ولا رجـــال
فحــــدِّث مـــا وراءك يـــا عصـــام[2]

أقمـــت لدى الوغى سوقـــاً فخذهـــا
مناجـــــزة وهَـــــوْنٌ لا تنـــــام

فـــإن شيـــت اللُّجيـــن فثـــمَّ ســـام
وإن شيـــت النُّضـــار فثـــمَّ حـــام

رأيـــت الضَّـــرب تطيُّبـــا فَصلّـــب
فأنـــت عـــلى صليبـــك لا تُـــلام

أقـــام رجالـــك الأشقـــون كـــلاًّ
وهـــل جســـدٌ بـــلا رأس ينـــــام

رفعنـــا هامهـــم في كـــــلّ جـــذع
كما ارتفعـــت عـــلى الأَيْـــك الحمام

---

[1] في الإسكوريال: ((سيسلك))؛ وصوبت من الزيتون. وجعلها د. طويل: ((ستشملك)).

[2] أخذا هذا من المثل القائل: ((ما وراءك يا عصام)). وقائله هو ملك كندة؛ الحرث بن عمرو؛ يستخبر ويستفسر عما وصلت إليه امرأة اسمها عصام كلفها بالاطلاع على حال ابنة عوف بن ملحم الشيباني؛ التي سمع بروعة جمالها، وكمال خلقها. فلمّا عادت عصام من مهمتها قال مستخبراً: ((ما وراءك يا عصام)).

سيعبـــد بعدهـــا الظلمـــاءَ لمَّـــا
أُتيـــح لهـــا بجانبهـــــا اكتِتمـــام
ولا ينفـــــكُّ كالخفَّـــاش يُغْـــضي
إذا مـــا لـــم يباشـــره الظـــلام
نضـــا إذ راعـــه واجتـــاب ليـــلا
يـــودُّ لـــو أنَّ طـــول الليـــل عـــام
سيبـــقى حســـرةً ويبيـــد إن لـــم
أبادتهـــا القَنـــــاة أو الحُســــــام

وعاد إلى **العُدْوة**. ثم أجاز البحر ثانية إلى منازلة **حصن لييط** [1]، وفسد ما بينه وبين أمراء **الأندلس**، وعاد إلى **العدوة**، ثم أجاز البحر عام ثلاثة وثمانين وأربعمائة [2]، عاملاً على خَلْعهم. فتملَّك مدينة **غرناطة** في منتصف رجب من العام المذكور، ودخل القصر بالقصبة العُليا

[1] حرفت في المخطوط؛ فكتبت: ((أليط))؛ والصحيح هو حصن لييط أو أليدو Aledo؛ ذلك الحصن المنيع الذي بناه ألفونسو السادس ملك قشتالة؛ مبشرة بعد استيلائه على طليطلة سنة 478هـ/1085م؛ وشحنه بالأسلحة والمقاتلين؛ بغرض إزعاج المسلمين بالغارات المتوالية. ويتواجد هذا الحصن بين مرسية ولورقة.

[2] الموافق لـ 1090م

منها، واستحسنه، وأمر بحفظه، ومواصلة مرمَّته. وطاف بكل مكان منه ثم تملَّك **ألمرية وقرطبة وإشبيلية** وغيرها، في أخبار يطول اقتضاؤها، والبقاء لله.

وفاته

توفي رحمه الله بمدينة **مراكُش** يوم الإثنين مستهل محرم سنة خمسماية [1]. وممن رثاه **أبو بكر سوَّار** من قصيدة أنشدها على قبره [2]:

ملــك الملــوك وما تركــت لعامــل
عمــلا من التقــوى يُشــارك فيــه
يــا يوســف مــا أنــت إلا يوســف
والكــلُّ يعقــوب بمــا يطويــــه
إسمــع أمير المؤمنيــن وناصــر الــ
ــديــن الــذي بنفوسنــا نُفديــه
جوزيــت خيــرا عــن رعيتــك التي
لم تــرض فيها غيــر ما يُرضيــه

[1] الموافق لـ 1106.
[2] البحر الكامل.

أمـــا مساعيـــك الكـــــرام فإنهـــــا
خرجـــت عـــن التَّكييـــف والتَّشبيـــه
في كـــــل عـــام غـــزوةٌ مبـــرورة
تُـــرْدي عديـــــد الـــروم أو تُفنيـــه
تصـــل الجهـــاد إلى الجهـــاد موفَّقـــا
حتـــم القضـــاءُ بكـــل مـــا تقضيـــه
ويـــجيء مـــا دبَّرتـــــه كمجيئـــه
فكــــأَنَّ كــــلَّ مُغَيَّـــــب تدريـــه
متواضعـــا لله مظهـــــرُ دينـــــه
في كـــــل مـــا تبديـــه أو تخفيـــه
ولقـــد ملكـــت بحقّـــك الدنيـــا وكـــم
ملـــك الملـــوك الأمـــر بالتَّمويـــه
لو رامـــت الأيـــام أن تحـــصي الذي
فعلـــت سيوفُـــك لم تكـــد تُحصيـــه
إنـــا لمفجوعـــون منـــــك بواحـــد
جُمعـــت خُصال الخيـــر أجمـــع فيه

وإذا سمعـــــت حمامـــة في أيكـــة

تبـــكي الهديـــل فإنهـــــا ترثيـــه

وميـــضٌ[1] قـــد استـــرعى رعيَّـــة أُمة

فأقـــام فيهـــــم حـــقَّ مُسترعيـــه

وإذا هِزبْـَــر الغـــاب صَـــرى شِبلـــه

في الغاب كان الشّبـــل شِبْـــه أبيـــه

وإذا عـــليٌّ كـــان وارث ملكـــــه

فالسهـــم يُلـــــقى في يَـــدَي باريـــه

***

---

[1] **جعلها د. طويل: ((ومَضى)).**

يوسف بن محمد

ابن يوسف بن محمد بن نصر، ولي عهد أبيه،
أمير المسلمين الغالب بالله[1].

حاله

كان أميرا جليلا حصيفا فاضلا، ظاهر النبل، محبا في العلم......[2] من فنونه.[مال] إلى التعاليم والنجوم، أفرط في الإستغراق في ذلك، ونمى إلى أبيه، فأنكره، وقصد يوما منزله لأجل ذلك، ودخل المجلس، وبه مجلَّدات كثيرة، وقال ما هذه يا يوسف، فقال سَتْراً لغرضه المتوقَّع فيه نكير أبيه، يا مولاي هي كتب أدب، فقال السلطان، وقد قنع منه بذلك، يا ولدي ما أخذناه يعني السلطنة، إلا بقلَّة الأدب، تورية حسنة، إشارة إلى الثورة على ملوك

[1] وهو مؤسس دولة بني الأحمر الأمير محمد بن يوسف بن ناصر؛ الملقب بالغالب بالله. له ترجمة في الإحاطة. وله ترجمة أيضاً في اللمحة البدرية.
[2] بياض في هذا الحيز.

كانوا تحت إيالتهم ، فغرب في حسن النادرة، وكان قد ولاَّه عهده بعد أخيه، لو أمهلته المنية.

وفاته

توفي يوم الجمعة ثالث عشر صفر عام ستين وستمائة [1].

***

[1] الموافق لـ 1261م.

يوسف بن عبد المؤمن

ابن علي [1]، الخليفة أبو يعقوب، الوالي بعد أبيه.

حاله

كان فاضلا كاملا عدلا ورعا جزلا، حافظا للقرآن بشرحه، عالما بحديث **رسول الله**، صلى الله عليه وسلم، خطِئه وصحيحه، آية **الموحّدين** في الإعطاء والمواساة، راغباً في العمارة، مثابرا على الجهاد، مشِيعا للعدل. أصلح **العُدْوة** وأمنهان وأنس شاردها، وحصّن **جزيرة الأندلس** ببعوثه لها، فقمعوا عاصيها، وافْتَرعوا بالفتح أقاصيها، وأحسن لأجنادها، وأمدّهم من الخيل بالُمبين من أعدادها، رحمه الله.

ولده

ثمانية عشر؛ أكبرهم **يعقوب** ولي عهده، نَجْمُ **بني عبد المؤمن**، وجوْهرتُهم.

---

[1] له أيضاً ترجمة في البيان المغرب، ووفيات الأعيان، وتاريخ المن بالإمامة، والمعجب، وعمال الأعلام، والحلل الموشية،، وكتاب العبر، والكامل في التاريخ.

حاجبه

أبو حفص شقيقه.

وزراؤه

إدريس بن جامع، ثم **أبو بكر ين يوسف الكومي**.

قُضاته

حجاج بن يوسف بن عُمران، وابن مَضاء.

كتَّابه

أبو الحسن بن عيَّاش القرطبي، وأبو العباس ابن طاهر بن مَحْشَرة.

بعض أخباره

في أيامه، استُوصلت دولة **ابن مردنيش**، بعد حروب مُبيرة، ودوَّخ **إفريقية**، وردَّ أهل **باجَة** إلى وطنهم، بعد تملُّك العدو إياه، وجبرهم جدا واستنقاذا، وفتح **حصن بلج**.

وفاته

في الثامن والعشرين لربيع الآخر سنة ثمانين وخمسمائة [1]، بظاهر **شنترين** من سهم أصابه في خبائه، وهو محاصر لها، فقضى عليه، وكُتِم موته حتى اشتهر بعد رحيله. ذكر ذلك **أبو الحسن بن أبي محمد الشَّريسي،** فكانت خلافته اثنين وعشرين عاما، وعشرة أشهر، وعشرة أيام وعمره سبع وأربعون سنة.

مولده

في مستهل سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة [2]، ودخل غرناطة لأول مرة، ووجب ذكره فيمن حلَّ بها.

***

[1] **الموافق لـ 1184م.**
[2] **الموافق لـ 1138م.**

يوسف بن يعقوب

ابن عبد الحق بن محيو[1]؛ أمير المسلمين بالمغرب؛
يُكْنَى أبا يعقوب.

أوليته

معروفة مذ وقع الإلماع بذلك في اسم أمير المسلمين أبيه.

حاله

كان ملكا عالي الهمة، بعيد الصيت، مرهوب الشَّبا، رابط الجأْش، صعب الشَّكيمة، على عهده اعتُلي الملك، وناشب القبيل، واستوسق الأمر. جاز إلى **الأندلس** مع والده، ودوَّخ بين يديه بلاد **الروم**، ووقف بظاهر **قرطبة وإشبيلية**، وحضر الوقيعة **بذنونه**[2]، وجَرَت بينه

---

[1] **له ترجمة أيضاً في: اللمحة البدرية، والحلل الموشية.**

[2] **علق عنان على هذا بقوله: ((كان السلطان أبو يوسف يعقوب بن عبد الحق الملقب بالمنصور ملك المغرب (ووالد المترجم له) قد عبر إلى الأندلس؛ ملبياً صريخ سلطانها محمد بن محمد بن الأحمر؛ إلى الغوث والإنجاد؛ وذلك في سنة 673هـ. وسار أبو يوسف في قواته شمالاً حتى وصل إلى أحواز قرطبة. وهناك تقدم القشتاليون إلى لقائه في جيش ضخم على رأسه الدون نونيوديلارا؛ الذي تسميه الرواية الإسلامية (دنونه أو ذنونه)؛ فنشبت بين الفريقين على مقربة من إستجة معركة هائلة؛ هزم فيها النصارى هزيمة فادحة، وقتل قائدهم دون نونيوديلارا، وعدة كبيرة من عظمائهم في شهر ربيع الأول سنة 674هـ (سبتمبر سنة 1275م).**

وبين سلطان **الأندلس**، على عهده، مُنافرات، أَجْلَت أخيرا عن لحاق السلطان به مُسْتَعتبا. واستقرَّ آخر محاصرا **لتلمسان**، غازيا **لبني زيَّان** الأُمراء بها، وابتنى مدينة سماها **تلمسان الجديدة**، وأقام محاصراً لها، مضيقا على أهلها نحواً من ثمانية أعوام، وعظَّمته الملوك شرقا وغربا، ووردت عليه الرُّسل والهدايا من كل جهة، وهابه الأقارب والأُباعد.

وفاته

ولما أراد الله إنفاذ حكمه فيه، قيّض له عبْداً خِصِيا حَبَشيًّا، أَسِفَه بقتل أخٍ له أن نسيب، في باب خيانة عثر له عليها، فاقْتَحم عليه دار الملك على حين غفلة، فدجَّاه بسكين أعدَّه لذلك، وضجَّ القصر، وخرج وبالسلطان رمق، ثم توفي من الغد، أو قريبا منه، في أوايل ذي قعدة من عام ستة وسبعمائة [1]؛ فكانت دولته إحدى وعشرين سنة وأشهرا، وانتقل إلى مدفن سلفه **بسلا**، وقبره بها

وكانت من أعظم الوقائع الحاسمة بين المسلمين والنصارى في الأندلس منذ موقعة العقاب الشهيرة في سنة 1212م)).

[1] **الموافق لـ 1306م.**

وركب قاتِلُه فرساً أزعجها ركضا، يروم النجاة واللَّحاق بالبلد المحصور، وسبقه الصّياح، فسُدّ بعض الأبواب التي أمل النجاة منها، وقُتل وأُلْحق به كثير من جنسه.

وجرى ذكره في الرَّجز المتضمن دول الملوك [1] من تأليفنا بما نصه:

حـتى إذا الله إليـه قيَّضـه
قام ابنـه يوسـف فيها عوضه
وهـو الهمـام الملـك الكبيـر
فابتهـج المنبـر والسَّريـر
وضخـم الملـك وذاع الصَّيـت
بملكـه وانتضـم الشَّتيـت
وساعد السَّعـد وأغـضى الدهر
وخلُـص السـرُّ لـه والجهـر
وأمـل الجـود وخيـف البأس
واستشعر الخِشْيـة منـه الناس

[1] هو لابن الخطيب؛ ويسمى أيضاً رقم الحلل في نظم الدول.

ثـــم تقــضَّى معظـــم الزمـــان
مواصـــلا حَصْـــر بني زيَّـــان
حـــتى أهـــلَّ تلمســـان للفـــرج
ونشقوا من جانب اللطف الفـــرج
لمـــا تـــوفي درج السعـــد درج
فانفرج ضيق الحصر عنها وانفرج

ونـزل بظاهر **غرناطة** وببعـض مروجهـا **بقريـة أشقطمـر**، في بعـض غـزوات أبيـه إلى **قرطبـة**، وتقـدم السلطـان إليهـم مـن البرّ والقـرى، مـا كثـر الإخبـار بـه والتعجـب منـه، ووجَّـه إليهـم ولـده وولي عهـده.

***

يعقوب بن عبد الحق

ابن محيو بن بكر بن حمامة بن محمد بن رزين بن فقوس بن كرناطة ابن مرين[1]؛ من قبيلة زناتة؛ أمير المسلمين؛ المُكْنى بأبي يوسف؛ الملقَّب بالمنصور؛ رحمه الله.

أوَّليَّته

ظهر بالمغرب أبوه الأمير **عبد الحق**، وقد اضطربت **دولة الموحّدين**، والتَأَثَ أمرهم، ومَرَجت **عرب رياح**، لعجز الدولة عن كفّ عدوانهم؛ فخرج الأمير **عبد الحق** في بحبوحة قومه من **الصحراء**، ودعا إلى نفسه، واستخلص الملك بسيفه، عام عشرة وستمائة [2]، وكان على ما يكون عليه مثله، ممن جعله الله جرثومة مُلْك وخَدَم دولة، من الصّدق والدَّهاء والشجاعة. ورأى في نومه كأنَّ شُعَلاً أربع من نار، خرَجْن منه، فَعَلَوْنَ في جوّ **المغرب**، ثم احْتَوين على [جميع] أقطاره، فكان تأويلها تملُّك بنيه الأربعة بعده، والله يُؤتي مُلْكه من يشاءُ. وكان له من الولد:

---

[1] له ترجمة أيضاً في: اللمحة البدرية، والحلل الموشية.
[2] الموافق لـ 1213م.

إدريس، وعثمان، وعبد الله، ومحمد، وأبو يحيى، وأبو يوسف، ويعقوب. هذا ولما هلك هو وابنه **إدريس** في وقِيعة **رِياح**، ولي أمره **عثمان** ولده، ثم ولي بعده أخوه **محمد**، ثم ولي بعده **أبو يحيى** أخوهما. وفي أيامه اتَّسق الملك، وضَخُم، وافتتحت البلاد. ولما هلك حتف أنفه **بفاس** في رجب من عام ستة وخمسين وستمائة [1]، قام بالملك أخوه **يعقوب** المترجم به، وأرَّث المُلْك بنيه.

حاله

كان ديّنا فاضلاً حيِّياً، جواداً سَمْحاً، شجاعا، محبا في الصالحين، منقادا إلى الخير، حريصا على الجهاد. أجاز ولده في أوائل عام اثنين وسبعين وستمائة [2] إلى **الأندلس**، ثم عبر بنفسه في سِرار صفر من العام بعده، فاحتل بظاهر **إشبيلية**، وكَسَر جيش **الرُّوم**، المنعقد على زعيمهم المسمى **دُنُونه**، بظاهر إستجة في ربيع الآخر من العام. ثم عبر

[1] الموافق لـ 1258م.
[2] الموافق لـ 1273م.

ثانيا، مغتنماً ما نشأ بين **الروم** من الفُرقة، فغزا مدينة **قرطبة**. وصار أمر العدو في أطواق **الفُرُنْتيرة**، بحيث لا يوجد في بطن القتيل منها إلا العشب أزلاً ومسْغَبة، لانتشار الغارات، وانتساف الأقوات، وحديث الفتنة. وسببها ما كان من تصيُّر **مالقة** إليه، من أيدي المنتزين عليها من **بني إشقيلولة**، ثم عودتها إلى سلطان **الأندلس**، من أيدي رجاله، شيوخ **بني مُحلَّى،** ثم تدارك الله المسلمين بصلاح ذات البين، واحتلَّ بظاهر **غرناطة**، في بعض هذه الغزاوت، فنزل بقرية **إسقطمر** من مرْجها، واحتفل السلطان رحمه الله في **برّه**، وأجزل نَزله، وتوجيه ولده إليه. وذكر سيرته شاعرهم **أبو فارس عزُّوز** في أرجوزته، فقال:

سيـــرة يعقـــوب بن عبـــد الحـــق
قد حـــاز فيهـــا قصبـــات السَّبـــق
بُغْيَتـــــان يقـــــرأ الكتـــــاب
وتذكُّـــــر العلـــــوم والآداب

يقــــوم للكتـــــاب ثُلْــثَ الليــل
ومالـــه عـــن ورده مـــن سبيــل
حـــتى إذا الصبـــاح لاح وارتفـــع
قـــام وصـــلَّى للإلـــه وركـــع
وضـــجَّ بالتَّسْبيـــــح والتقديـــس
حتى يتـــم الحـــزب في التغليـــس
يقـــرأ أولا كتـــــاب السِّيـــر
والقَصَـــص الآتي بكـــل خبـــر
ثــــم فُتُـــــوح الشَّـــام باجتهـــــاد
وبعـــده المشهـــــور بالإنجـــــاد
سؤالـــــه تعجـــز عنـــه الطَّلبـــة
ومـــن لديـــه مـــن أجـــل الكتبـــة
يعقــد الكَتْب إلى وقـــت الضُّحى
ثـــم يصلّيهـــا كفعـــل الصُّلحـــا
ويأمـــر الكتَّـــــاب بالأوامـــــر
في باطـــنٍ مـــن ســـرِّه وظاهـــر

ويدخــل الأشيــاخ مــن مريــن
للــرأى والتدبيـــر والتَّزْييــن
مجلسُــه ليـــس بــه فُجــور
ولا فــتًى في قولـــه يَجُــــور
كأنهـــم مثــلُ النجــوم الزُّهــر
وبينهــم يعقــوب مثـــل البَــدْر
قـــد أَسْبــر الوقــار والسكينــة
وحـــلَّ في مكانـــةٍ مكينــة
حتى إذا ما جــاز وقــت الظهــر
قــام إلى بيــت للنــدى والفخــر
يبــقى إلى وقــت صلاة العصــر
يــأتي إلى بيــت العُــلى والأمــر
وينصــف المظلــوم ممــن ظلمه
ولــم يــزل إلى صـــلاة العَتْمــة
ثـــم يــؤمُّ بَيْتـــه الكريمــا
ويتــــرك الوزيـــر والخديمــا

ثـــم ينــــام تــارةً وتـــــارة

يدبِّـــــر الأمـــــــور بالإدارة

مـــا إن ينـــام الليـــل إلاّ ساهـــرا

ينـــوي الجهـــاد باطنـــاً وظاهـــراً

فهـــل سمعتـــم مثـــل هـــذه السِّيرة

وهـــــذه المآثـــــر الأثيـــــرة

لملـــــكٍ كـــــان مـــن الملـــوك

أو مالـــكٍ في الدهـــر أو ممْلـــوك

كـــــذاك كـــان فِعْلُـــه قديمـــا

بـــذاك نـــال المُلْـــك والتَّعظيمـــا

ومن الرَّجز المسمى بقطع السُّلوك [1] من تأليفنا، في ذكره، قولى:

تبـــوَّأ[2] هـــذا الأمـــر عبـــد الحـــق

أكـــرم مـــن نـــال العُـــلى بحـــق

---

[1] اسمـه أيضـاً: رقـم الحلـل في نظـم الـدول. سبقت الإشـارة إليـه.

[2] حجـذف د. طويـل الهمـزة؛ فأضحـت: ((تبـوَّا)).

واستخلص الملـــك بحـــدِّ المرهف

لســـن مجـــدٍ عظيـــم الشـــرف

وكـــان سلطانـــا عظيـــم الجـــود

وصدقـــت رؤيـــاه في الوجـــود

فأعـــلى الأيـــام نــــور سعـــده

ونالهـــا أبنـــاؤه مــــن بعـــده

عثمــــان ثــــم بعـــده محمـــد

ثم أبـــو يحـــيى الهمـــام الأسعـــد

تمهَّـــد الملـــك لـــه لمـــا هلـــك

وسلـــك السَّعـــد به حيـــت سلـــك

وفُتِحــــت فـــاسُ عـــلى يديـــه

والملـــك العـــلي حلَّــــه لديـــه

وكـــان ذا فضـــل وهدًى وورع

قـــد رســـم الملـــك فيهـــم واخترع

ثـــم أَتَـــتْ وفاتـــه المشهـــورة

فـــولي المنصـــور تلـــك الصُّورة

وهــو أبو يوســف غلاَّب العــدا
واحــدُ الأمــلاك بأســا ونــدا
مُمَهِّــد الملــك ومُــوري الزَّنــد
وباســط العــدل ومُــولي الرِّفــد
مُــدَّت إلى نُصرتــــه الأَكُــفُّ
والروم في العُــداون لا تَكُــفُّ
فاقتحــم البحــر سريعــا وعبــر
ودافــع الأعــداء فيهــا وصبــر
ووقعــــت في عهــــده أُمــور
وفتنــة ضاقــت لهــــا الصُّــدور
وآلــــت الحــــال إلى التِيــام
فمــا أُضيعــت حُرمــة الإســلام
حــتى إذا الله إليــــه قبضــه
قــام ابنــه يوســف فيهــا عِوَضه

وفاته

توفي في شهر المحرم عام خمسة وثمانين وستمائة، [1] **بالجزيرة الخضراء** ودُفن بها. ثم احتُمل بَعْدُ إلى **سَلا**، فدفن بالجبانة المعروفة هنالك للملوك من **بني مرين**. ومحلُّ هذا السلطان في الملوك المجاهدين المرابطين معروف، تغمده الله برحمته.

***

[1] **الموافق لـ 1286م.**

الأعيـان والـوزراء والأماثـل والكبـراء

***

يحيى بن رحو

ابن تاشفين بن معطي بن شريفين؛ أقرب القبائل المرينية إلى قبيل سلطانهم؛ من بني حمامة. خدم جدّه بتونس، ثم بالأندلس؛ يُكنّى أبا زكريا؛ شيخ القبيل الزّناتي؛ ومحراب رأيهم؛ وقُطب رحّى حماتهم.

حاله

كان هذا الشيخ وحيد دهره، وفريد وقته، وشامة أهل جِلْدته، في النُّبل والفطانة، والإدراك والرَّجاحة، شديد الهزل مع البأو، والممالقة مع التَّيقُور، والمهاترة مع الحشمة. عارفا بأخلاق الملوك وشروط جُلسائها، حسن التوصُّل إليها، والتأتّي لأغراضها، بعيد الغُور، كثير النَّكراء، لطيف الحلة، عارفا بسياسة الوطن، قيوما على أخلاق أهله، عديم الرّضا بسير الملوك، وإن أعلقوا بالعروة الوثقى يده، ويسَّروا على العبور، عقبة الصّراط

عونه، وأقطعوه الجنَّة وحده، طنازاً [1] بهم، مُغْريا، خائنة الأعين بتصرُّفاتهم، مقتحما حِمى اغتيابهم، قد اتخذ ذلك سجيَّة، أُقْطعته جانب القطيعة برهة، فارتكب لها الأداهم مدَّة. جمَّاعة للمال، ذايدا عنه بعصى التَّقتير، وربما غمس فيه إبرةً للصدقة، وساما بينه وبين الوزير، مُكْفِي السماءَ على الأرض، برأيه المستعين على الفتكة وما وراءها، بمنيع موالاتهم، وبانيه يوم مكاشفة الملأ إياه بالنُّفرة، وكان قُطْب الرَّحى للقوم في الوجهة إلى الأمير **عبد الحليم**، ومقيم رسمه، وانصرف إلى جهة **مراكش** عند الهزيمة عليه، فاتَّصل بعميدها **عامر بن محمد بن علي الهنتاني**، وجرت عليه خطوب، وعاثت في الكثير من نعمته أكفُّ التَّمزيق، ديْدَن الدهر، في الأموال المُحتجنة، والنقود المُكتنزة، واستقر أخيراً **بسلجماسة**، في مظاهرة **الأمير عبد الحليم** المذكور، وبها هلك. وكان على إزرايه ولَسْب لِسانه، واخز تلال حيَّة حدَّته، ناصح الرأي لمن استنصحه، قوَّاما فيه بالقسط، ولو على نفسه والوالدين

[1] **أي استهزاء بهم.**

والأقربين، فضيلة عُرف فيها شأوه، مقيما لكثير من الرُّسوم الحَسْبِية.

دخوله غرناطة

قدم **غرناطة** في جمادى من عام تسعة وخمسين [وسبعمائة] [1] في غرض الرّسالة، ووصل صحبته قاضي الجماعة **بالمغرب أبو عبد الله المقّري**، وكان من امتِساكه **بالأندلس**، ما أوجب عودة المترجم به في شأنه، فتعدد الإستمتاع بنُبله.

وفاته

توفي قتيلا في الهزيمة على الأمير **عبد الحليم** بظاهر سجلماسة في ربيع الأول من عام أربعة وستين وسبعمائة [2].

***

[1] الموافق لـ 1357م. والكلمة المحصورة بين حاصرتين؛ سقطت في الإسكوريال؛ وأضافها عنان.
[2] الموافق لـ 1362م.

يحيى بن طلحة

ابن محلّى البطوي؛ الوزير أبو زكريا.

حاله

كان مجموعا رائعا، حُسْنَ شكل وجمال رواءٍ، ونصاعة ظَرْف، واستجادة مَرْكب وبزَّة، قديم الجاه، مرعى الوسيلة، دِرْباً على الخدمة، جلدا على الوقوف والملازمة، مُجدي الجاه، تلمُّ به نوبة تواضع، يتشبَّث به الفقراءُ وأولي الكُدْيَة، فَكِه المجلس، محبًّا في الأدب، ألفاً للظرفاءِ، عاملا على حسن الذّكر وطيب الأُحدوثة. تولَّى الوزارة للسلطان **أبي الحسن**، ونشأ في حجر أبيه، ماتًّا إليهم بالخؤولة القديمة، فتملأ ما شاء من قرب ومزيَّة، وباشر حصار **الجبل**[1] لمّا نازله **الطاغية**، لقرب عهد بفتحه، فأبلى وحَسُن أثره. نشأ **بالأندلس**، وسكن **وادي آش وغرناطة**، واستحق الذكر لذلك.

---

[1] **أي جبل طارق.**

شعره

وكان ينظم الشعر. فمن ذلك قوله في مُزْدوجة في غرض الفخر[1]:

أنـــا ابـــن طلحـــة ولا أُبـــال
ليثّ السُّرى في الحرب والنزال
يحيى حيـــاة البِيـــض والعُوال
مبيـــدٌ كــــلَّ بطـــلٍ مغتـــال
إن سمعـــوا باسمي في مجـــال
يلقـــوا بأيديهـــم إلى النّكـــال
أَسْتَنْـــزل القرن لـــدى الصِّيال
وأكســـر النَّصـــل على النّصال
أمـــلي التفريــــق للأمـــوال
والجمع بيـــن الأقـــوال والفعال
والشّعـــر إن تسمعه من مقـــال
تعلـــم بـــأن السِّحر في أقـــوال

---

[1] **بحـر الرجـز.**

أُوشــج الغريـــب فالأمثـــال

وأُقـــرن الأشبـــاه بالأمثـــال

وأُفضِّـــل المرجـــان باللَّلآل[1]

وأذكـــــر الأيـــام واللَّيـــال

فمَـــنْ أبـــو أُميـــة الهـــلال

ومَنْ وحيـــدُ عصـــره الميكال

هـــذا ولي في غيـــر ذا معال

بها أعـــالي الدَّهـــر من أعال

كما لحَسَـــب الصَّميم والمعال

والمحتد الضَّخـــم الحفيل الحال

وكَـــرَم الأعمـــام والأخـــوال

والصَّون والعفـــاف والأَفْضال

فمـــن يُساجلـــني فَـــذَا سِجـــال

ومن يُناضلـــني فـــذا نِضـــال

---

[1] في الإسكوريـال: ((باللئـال)).

وفاته

توفي في أواخر عام خمسة وثلاثين وسبعمائة [1].
أصابه سهْمُ نفطٍ رُمي من سور **تلمسان**؛ أيام الحصار؛ فقضى عليه. نفعه الله .

***

[1] الموافق لـ 1334م.

يحيى بن عبد الرحمان

ابن إبراهيم بن الحكيم اللخمي؛ أخو الوزير أبي عبد الله بن الحكيم وكبيرهُ؛ يُكنى أبا بكر؛ رُنْدي الأصل. قد مرَّ شيء من ذكر أوَّليته.
ودخل غرناطة مرات؛ وافدًا وزائرًا، وساكنا ومغرّبًا.

حاله

كان وزيرا جليلا، وقورا عفيفا، سرِيًّا فاضلا، رحْب الجانب، كثير الأمل، جمَّ المعروف، شَهير المحل، عريض الجاه، صريح الطُّعمة، من أقطاب أرباب النعم، ومُنْتَجعي الفلاحة **بالأندلس**. استبدَّ ببلده برهة، بإسناد ذلك إليه وإلى أخيه، من السلطان أمير المسلمين **أبي يعقوب** ملك **المغرب**، الصَّاير إليه أمره عند نبذها مغاضبا، ثم أصاره إلى إيالة السلطان، ثاني الملوك من **بني نصر**، على يدي أخيه كاتبه، ووزير ولده.

محنته ووفاته

ولما تقلَّد أخوه ذو الوزارتين **أبو عبد الله بن الحكيم** الأمر، سما جاهُه، وعظم قدره وتعدَّد أمله، إلى أن تعدَّى إليه أمر المحنة يوم الفتك بأخيه، فطاح في سبيله نَشَبُه، وذهب في حادثه الشنيع مَكْسبُه. واستقرَّ مُغرَّباً بمدينة **فاس**، تحت سِتر وجراية.، وبها أَدْرَكته وفاته في أوايل شوال من عام عشرة وسبعمائة [1].

***

[1] **الموافق لـ 1310م.**

يحيى بن عمر

ابن رحّو بن عبد الله بن عبد الحق؛ جدّ الملوك من بني مرين؛ يُكنى أبا زكريا؛ شيخ الغزاة؛ ورئيس جميع القبايل بالأندلس.

أَوَّليته

قد تقدمت الإشارة إلى أَوَّلية هذا البيت، ونحن نُلمع بسبب انتباذهم عن قومهم، وهو ما كان من قتل أخي جَدّهم، **يعقوب بن عبد الله بن عبد الحق**، ابن أخي السلطان **أبي يوسف**، إذ كان ثائرا مُصْعبا، مظنَّة للملك، ومحلاًّ للأمال، فنافسه وليُّ العهد وأوقع به، فوقع بينهم الشَّتات، وفرَّ شيوخ هذا البيت وأتباعهم إلى **تِلمسان**، ثم اجتازوا إلى **الأندلس**، منهم من آثر الجهاد، أو نبا به ذلك الوطن، أو شرَّده الخوف، أو أحطب به الإستدعاءُ. فمنهم **موسى وعمران والعباس**، أبناءُ **رحُّو بن عبد الله، وعثمان ابن إدريس** وغيرهم. فبدت فيهم الشياخة، وصحبهم التَّقديم، وأقامت فيهم الخُطَّة، وتردَّدت بينهم الولاية.

حالـة

هـذا الشيـخ مُستحـق الرُّتبـة، أهـلٌ لهـذه الرياسـة، بأسـا ونجدة، وعِتقا وأصالـة، ودهـاءً ومعرفـة، طِرْف في الإدراك، عامـل عـلى الحُظـوة، مستديـمٌ للنعـم، طيّـب بالخدمـة، كثير المزاولـة والحَنَكـة، شديـد التَّيقـظ، عظيـم الملاحظـة، مُستَغْـرق الفكـرة في ترتيـب الأُمـور الدنيويـة، بحّـاث عـن الأخبـار، ملتمـس للعُيـون، حسـن الجـوار، مبـذول النَّصفـة، بقيـةُ بيتـه بالعُدوتيـن، وشيـخ رجالـه. لـه الإمامـة والتّبريـز في معرفـة لسانهـم، ومـا يتعلـق بـه مـن شِعْـرٍ ومُثُـل وحكمـة وخَبـر، لـو عرضـت عليـه رِمَـم مـن عَبَـر منهـم لأَثْبَتَهـا، فضـلا عـن غيـر ذلـك، نسَّابـة بطونهـم وشِعابهـم، وعلاَّمـة سيرهـم، وعوايدهـم، ألمعيٌّ، ذكـي، حافـظ للكثيـر مـن الحكـم والتواريـخ، محفـوظ الشَّيبـة مـن العِصمـة، طاهـر والعفَّـة، مشهـور الشَّهامـة والنَّجـدة، معتـدل السَّخـاءِ، يضـع الهنـاءِ مواضـع النُّصـب فـلا يُخـدع عـن جدتـه، ولا يُطمـع في غفلتـه، ولا ينـازع فيمـا استحقـه مـن مزيَّتـه، خـدم الملـوك، وخبـر السّيـر، فتـرك الأخبـار لعلمـه، وعَضَـل عقلـه بتجربتـه.

تولى رياسة القَبيل وَسَط صَفَر من عام سبعة وعشرين وسبعمائة [1]، معوَّضًا به عن شيخ الغُزاة **عثمان ابن أبي العلاء** [2]، فتنعَّم البيت، وخدن الشُّهرة، عندما أظلم ما بينه وبين **ابن المحروق** مدبّر الدولة، ودافعه بالجيش، في ملْقى حَرانه، من أحواز **حصن أندرش** [3] مرات، تناصف الحرب فيها، وربما ندر الفَلْج في بعضها، واستمرت حاله إلى سابع من محرم؛ من عام تسعة وعشرين وسبعمائة [4]، وأُعيد **عثمان بن أبي العلاء** إلى رتبته على تَفِئة مهلك **ابن المحروق**، وانتقل هو إلى مكانه **بوادي آش** في قومه، تحت حفظٍ ومبرَّة. ثم دالت له الدولة، وعادت إلى ولده الكُرة، يوم القبض على نظرائه وقرابته، مُتْرفي حظوته، ولد الشيخ **أبي سعيد عثمان بن أبي العلاءِ،** عند إيقاع الفتكة بهم؛ يوم السبت التاسع والعشرين لربيع الأول عام أحد وأربعين وسبعمائة [5].

---

[1] **الموافق لـ 1326م.**

[2] **في الإسكوريال: ((أبي العلى)).**

[3] **اشتهر هذا الحصن فيما بعد؛ حينما اصبح مقرّ أبي عبد الله؛ آخر الملوك العرب في الأندلس؛ جراء تسليمه غرناطة للنصارى.**

[4] **الموافق لـ 1328م.**

[5] **الموافق لـ 1340م.**

واستمرت له الولاية، وألقت عصاها كَلِفَة منه بالكفؤ الذي سلَّم له المنازع، إلى أن قبض سلطانه رحمه الله، فجرى ولده على وتيرة أبيه، ووفَّى له صاع وفائه، فجدَّد ولايته، وشدا حسَّه، ونوَّه رتبته، وصدر له يوم بيعته منشور كريم من إنشائي نصه:

((هذا ظهير كريم منزلته في الظهاير الكريمة منزلة المعتمد في الظُّهر الكرام، أطلع وجه التعظيم سافر القِسام، وعقد راية العزّ السامي الأعلام، وجدَّد كريم المتات وقديم الذّمام، وانتضى للدفاع عن حَوْزة الدين حُساما يقر بمضايه صدر الحُسام، فأعلن تجديده بشدّ أزر المُلك ومُناصحة الإسلام، وأعرب عن الإعتناء الذي لا تخلق جديده أيدي الليالي والأيام. أمر به الأمير **عبد الله محمد ابن أمير المسلمين أبي الحجَّاج، ابن أمير المسلمين أبي الوليد بن نصر**، أيد الله أمره وأعز نصره، لوليّه الذي هو عِماد سلطانه، وواحد خُلصائه، وسَيْف جهاده ورأس أُولي الدفاع عن بلاده وعقد ملكه، ووُسْطى سِلكه، الشيخ الجليل الكبير الشهير، الأعزّ الأَسْنَى، الصدر

الأَسْمَى، الأحفل، الأسعد، الأطهر، الأظهر، الكذا، **أبي زكريا** ابن الشيخ الكذا، **أبي علي** ابن الشيخ الكذا، **أبي زيد رحُّو بن عبد الله بن عبد الحق**، زاد الله قدره علُوًّا، ومجده سموًّا، وجهاده ثناءاً متلوًّا. لما كان محله من مقامه، المحل الذي تتقاصر عنه أبصار الأطماع فترتَدُّ حاسرة، وكان للدولة يداً باطشة، ومُقلة باصِرة، فهو مَلاك أمورها واردةً أو صادرةً، وسيف جهادها الذي أصبحت بمضائه ظافرة، وعلى أعدائها ظاهرة، وكان له الصّيت البعيد، والذكر الحميد، والرأي السديد، والحَسَب الذي يليق به به التمْجيد، والقدر الذي سما منه الجِيد، وعرفه القريب والبعيد، والجهاد الذي صدق به في قواعده الإجتهاد والتَّقليد، فإن أقام [1] جيشا أَبْعَد غارته، وإن دبَّر أمرا أحكم إدارته، مستظهرا بالجلال الذي لبس شارته. فهو واحدُ الزمان، والعُدَّة الرفيعة من عُدد الإيمان، ومن له بذاته وسلفه علو الشأْن، وسمو المكان، والحسب الوثيق البُنيان، ولبيته الكريم، بيت **بني رحُّو** السابقة في

[1] في الإسكوريال: ((قام)).

ولاية هذه الأوطان، والمدافعة عن حوزة المُلك وحِمى السلطان. إن فوخروا صدعوا بالمكارم المعْلُومة، ومتُّوا إلى ملك **المغرب** ببنوة العُمومة، وتزيَّنوا من حُلى الغرب بالتيجان المنظومة. فهم سيوف الدين، وأبطال الميادين، وأُسود العَرين، ونجوم سماء **بني مَرِين**. وكان سلفه الكريم رضي الله يستضيء من رأيه بالشّهاب الثاقب، ويحلُّه من بِساط تقريبه أعلى المراتب، ويستوضح ببركته جميع المذاهب. ويستظهر بصدق دفاعه على جهاد العَدوّ الكاذب، ويرى أنه عزَّ دولته، وسيف صوْلته، وذخيرة فخره، وسِياج أمره. جدّد له هذا الرَّتب تجديدا، صيَّر الغاية منها ابتداءاً، واستأنف به إعلاءً، ولم يدَّخر عنه حُظْوة ولا اعتناءاً. وحين صيَّر الله إليه مُلْك المولى أبيه بمظاهرته، وقلَّده قلادة الملك بأصيل اجتهاده، وحميد سعيه، بعد أن سبق الألوف إلى الأخذ بثاره، وعاجلت البَطْشة الكبرى يد ابتداره، وأردى بنفسه الشَّقي الذي سعى في تبديد شمل الإسلام، وإطفاء أنواره، على تعدُّد الملك يومئذ وتوفر أنصاره. فاستقر الملك في قراره،

وانسحب السّتر على محلّه، وامتد ظل الحفظ على داره. عَرَف وسيلة من المقام الذي قامه، والوفاء الذي رفع أعلامه، وألقى إليه في أهم الأُمور بالمقاليد، وألزمه ملازمة الحظور بمجلسه السَّعيد، وشديد الإغتباط على قربه، مُسْتَنْجحًا منه الرأي السَّديد، ومستندا من وُدّه إلى الركن الشَّديد، وأقامه بهذه **الجزيرة الأندلسية** عِماد قومه، فهو فيهم يعسوب الكتيبة، ووسطى العقد الفريد، وفَذْلكة الحِساب وبيت القَصيد، فدوَّاره منهم للشريد، مأوى الطَّارف والتليد، الكفيل بالحسنى والمزيد. يقف ببابه أُمراؤهم، وتنعقد في مجلسه آراؤهم، ويركض خلفه كبراؤهم. مجدّدا من ذلك ما عقده سلفه من تقديمه، وأوجبه مزيَّة حديثه وقديمه. فهو شيخ الغُزاة على اختلاف قبايلهم، وتشعُّب وسايلهم، تتفاضل درجات القبول عليهم بتعرفيه، وتَشْرُف أقدارهم لديه بتشريفه، وتثبت واجباتهم بتقديره، وينالهم المزيد بتحقيقه للغناء منهم وتقريره، فهو بعده، أيده الله، قبْلَة آمالهم، وميزان أعمالهم، والأُفق الذي يصوب من سحاب قَطْره غمام

نَوالهم، واليد التي تستمنح عادة أطمعتهم وأموالهم. فليتولَّ ذلك عظيمَ القدر، منشرحَ الصدر، حالاًّ من دائرة جمعهم، محلَّ القلب من الصدر، متألقا في هالتها تألُّق البدر، صادعا بينهم باللُّغات **الزَّناتية**، التي تدل على الأصالة العريقة، والنّجار الحُرّ. وهو إن شاء الله الحُسام الذي لا ينبه على الضريبة، ولا يزيده حُسنا جلب الحُلَي العجيبة، حتى يشكر الله والمسلمون اغتباط مقامه بمثله، ويزري برُّه له على من أسرَّ برَّه من قبله، ويجني الملك ثمرة تقريبه من محلّه. ومن وقف على الظهير الكريم من الغزاة. آساد الكفاح، ومتقلدى السيوف ومعتلقي الرماح، كُماة الهيجاء وحُماة البطاح، حيث كانوا من مُوسَّطة أو ثغر، ومن أُقيم في رسم من الجهاد أو أمر، أن يعلموا قدر هذه الغاية المُشْرقة، واليد المطلقة، والحُظوة المتأَلّقة، فتكون أيدهم فيما قلدوه ردًّا ليده، وعزايمهم متوجّهة إلى مقصده، فقصده، فقدُره فوق الأقدار، وأمره الذي ناب أَمره مقابل الإبتدار، على توالي الأيام وتعاقب الأعصار، وكتب في كذا.....

مولـده

ولـد بظاهـر **تلمسـان**، عنـد لحـاق أبيـه رحمـه الله بسلطانهـا عـام **أحـد وتسعيـن (وستمائـة)**[1] تلقَّيته مـن لفظـه.

ومـن**المُسْتـدرك**: وتمـادت ولايته إلى الأوايـل مـن شهـر رمضـان عـام اثنيـن وستيـن وسبعمائـة [2]. فلمـا تصيـرت إلى قِدار ناقتهـا، **محمـد بـن إسماعيـل بـن نصـر،** عزلـه، وهـمَّ بـه، فغرَّبـه إلى بلـد **الـروم**، فـرار أرَّق بـه البسالـة والصبـر، وتبعـه الجيـش، فأُصيب بجراحـة، ورد مـن صامتِـه، وجلـى عـن نفسـه، فتخلصـه عزمـه ومضـاؤه، واستقـرَّ عنـد **طاغيـة الـروم**، فـأولاه مـن الجميـل مـا يفـوت الوصـف، واجتـاز **العُـدْوة**، فعُـرف بهـا حقُّـه، وعـادت رتبـة هـذا الرجـل، بعـد أن ردَّ الله عـلى سلطانهـا ملكـه، إلى أحسـن أحوالهـا مـن الجـاه والحظـوة، وانطـلاق اليـد. والسلطـان مـع ذلـك مُنْطـوٍ لـه عـلى الضّعـن لأُمـور، منهـا غَمْسُ اليـد في أمـر عمـه، وقعـوده عنـه، وهـو أحـوج مـا كـان لنصـره، وانزحالـه عنـه في الشّـدة،

---

[1] **الموافـق لـ 1291م.**
[2] **الموافـق لـ 1360م.**

عندما جمعه المنزل الخَشِن، فسحب عليه أذيال النكبة لابنه **عثمان**، مُتْرفى مرقب الظهور في عودته، والمستأْثر بجواره، والمحكَّم في أمره، فتُقُبِّض عليهما، وعلى من لهما محالفاً للوقت فيهما، إذا كان متوفرا على الحلم لحِدْثان العودة، وجِدة الإِيالة، صبيحة يوم الإثنين لثالث عشر لرمضان عام أربعة وستين وسبعمائة [1]. فأحاط بهم الرجال لهذا السلطان والتُقِطوا من بين قَبيلهم، ودهمهم الرجال، آخذين بحجزهم وأيديهم إلى دور الثقاف. ثم أُركبوا الأداهم، وانتقلوا إلى بعض الأطباق المتفرّقة **بقصبة المُنكَّب**، واقتضى نظر السلطان جلأ المترجم به وأولاده من **مرسى المنكب**؛ ونُقل ولده الأكبر إلى **ألمريَّة** حسبما مرَّ في اسمه، فلينظر هنالك، واستقر إلى هذا العهد، بعد قُفوله من الحجّ **بمدينة فاس**، فلقي بها برًّا وعناية، ولحق ولداه **بالأندلس**، وهما بها تحت جراية وولاية.

***

[1] **الموافق لـ 1362م.**

يوسف بن هلال

صهر الأمير أبي عبد الله بن سعد [1]

حاله

كان شجاعا حازما، أحظاه الأمير المذكور وصاهره، وجعل لنظره حصن **مطرنيش** [2] ومواضع كثيرة. وفسدت طاعته إياه، فقبض عليه ونكبه وعذَّبه، واستخلص ما كان لنظره وتركه. فأعمل الحيلة، ولحق بمُورتلة فثار بها، وعاقد صاحب **برجلونة** على تصيير ما يملكه إليه. فأعانه بجيش من **النصارى**، ولم يزل يضرب ويوالي الضَّرب على **بلنسية** ويشجي أهلها، وتملك **الصَّخرة والصُّخيرة** وغيرهما. واتفق أنَّ خيلاً جهزها **ابن سعد** للضرب عليه، عثرت بجملته متوجها إلى **شنت بيطر**، فقُبض عليه، وقيد أسيراً، فنهض به للحين إلى **مُورتلة** وطلبه بإخلائها، فأبى [فأمر] **ابن مردنيش** بإخراج عينه اليمنى، فأُخرجت بعود.

---

[1] **هو ملك بلنسية الأمير محمد بن مردنيش. سبق التعريف به.**

[2] **في الإسكوريال: ((مطريشة))؛ وصوبها عنان. وهو أحد حصون الأمامية لبلنسية.**

ثـم قـرّب مـن الحصـن وطلبه بإخلائهـا ، فدعـا بزوجه وطلبهـا بإخـلاء الحصـن، وإلا فتخـرج عينـه الأُخـرى، فحُمـل عـلى التكذيـب، ولـم يجبـه أحـد، فأُخرجـت للحيـن عينـه الأخـرى، وسيـق إلى **شاطبـة**، فبـقي إلى أن مـات سنـة ثـلاث وأربعيـن وستمائـة [1]. ودخـل **غرناطـة**، وباشـر منازلتهـا مـع الأميـرة صهـره، فاستحـق الذكـر لذلـك.

***

[1] **الموافـق لـ 1245م.**

***

يحيى بن عبد الله

ابن يحيى بن كثير بن وسلاسن بن شمال بن مهايا المصمودي

أوليته وحاله

دخل **أبو عيسى يحيى بن كثير** [1] **الأندلس** مع طارق بن زياد، وقيل له **اللَّيثي**؛، لأنه أسلم على يد رجل اسمه **يزيد بن عامر الليثي**، فنسب إليه، وقيل إنهم نزلوا بنزل **اللَّيثي**، فنسبوا إليه، **يُكنى يحيى** هذا [2]، **أبا عيسى**. وكان جليل القدر، عالي الدرجة في القضاء. وُلِّي قضاءَ **إلبيرة وبجَّانة** مدة، وولي قضاء **جيَّان وطليطلة**، ثم عزل عن **طليطلة**، وأُضيفت إليه **كورة إلبيرة** مع **جيَّان**. ثم استعفى عن **جيَّان** وبقي يلي قضاءَ **إلبيرة**، وكان لا يرى القُنوت في الصلاة، ولا يقْنُت في مسجده البتَّة.

---

[1] ترجمة جدّه يحيى بن كثير الليثي موجودة في التكملة لكتاب الصلة.
[2] المقصد هنا هو صاحب الترجمة يحيى بن عبد الله.

مشيخته

روى عن **أبي الحسن النحاس**، وسمع **الموطأ** من حديث **اللَّيث** وغيره ؛ من عم أبيه **عبيد الله بن يحيى.**

مولده

في ذي القعدة سنة سبع وثمانين ومائيتين [1].

وفاته

توفي ليلة الثلاثاء بعد صلاة العشاء، ودفن يوم الثلاثاء بعد العصر، لثمان خلت من رجب عام سبعة وستين وثلاثمائة [2].

***

---

[1] **الموافق لـ 900م.**
[2] **الموافق لـ 977م.**

يحيى بن عبد الرحمان

ابن أحمد بن ربيع الأشعري [1]، يُكْنَى أبا عامر.

حاله

العالم الجليل، المحدّث الحافظ، واحد عصره، وفريد دهره، كان رحمه الله علماً من أعلام **الأندلس**، ناصراً لأهل السنة، رادعا لأهل الأهواء، متكلما دقيق النظر، سديد البحث، سهل المناظرة، شديد التَّواضع، كثير الإنصاف، مع هيبة ووقار وسكينة، ولّي قضاءَ الجماعة **بقرطبة** ثم **بغرناطة** وأقرأ **بغرناطة** لأكابر علمائها ونبهائها، الحديث والأصلين وغير ذلك، بالمسجد الجامع منها وبغيره.

مشيخته

حدث عن والده العالم المحدث **أبي الحسن عبد الرحمان بن أحمد بن ربيع**، وعن الشيخ الأستاذ الخطيب **أبي جعفر أحمد بن يحيى الحميري**، وعن الرواية المحدث **أبي القاسم خلف بن عبد الملك بن بَشْكوال**، وعن الحفاظ

[1] **لـه ترجمـة أيضـاً في تاريـخ قضـاة الأندلـس**

المسن **أبي بكر بن محمد بن عبد الله بن يحيى بن الجَدّ الفهري**، والقاضي **أبي عبد الله محمد بن سعيد بن زرقون**، والزاهد الورع، **أبي الحجاج يوسف بن محمد البلوي المالقي**، عرف **بابن الشيخ**، **وأبي زكريا يحيى بن عبد الرحمان بن عبد المنعم الإصبهاني** الواعظ، والفقيه القاضي **أبي محمد عبد المنعم بن محمد بن عبد الرحمان الخزرجي**.

وفاته

بمالقة سنة سبع وثلاثين وستمائة [1].

***

[1] **الموافق لـ 1239م. وفي تاريخ قضاة الأندلس: ((توفي في شهر ربيع الأول من عام 639هـ)).**

يحيى بن عبد الله

ابن يحيى بن زكريا الأنصاري.

أوليته

تقدمت في اسم عمه **أبي إسحاق**، فلينظر هنالك.

حاله

من أهل العدالة والزَّكا والسَّلف في الخطط الشرعية، سَكُون، متفنّن في العلوم الشرعية من فقه وأحكام، وله التقدم في الوقت في علم الفرايض والحساب. وحَبَس على الزاوية التي اتَّخذتُها بالحضرة، موضعات في ذلك الغرض نبيهة، لم يَقْصُر فيها عن الإجادة، وتولّى قضاءَ مواضع من **الأندلس**، ثم استُعمل في النّباية عن قاضي الحضرة العلية، وهو الآن قاض **بمدينة وادي آش**، وخطيب بمسجدها الأعظم، تنتابه الطَّلبة للأخذ عنه، والقراءة عليه.

مشيخته

روى مع الجملة ممن هو في نمطه، وأخذ بالإجازة عن الشيخ الأستاذ الصالح **أبي إسحاق بن أبي العاصي،** والخطيب **أبي علي القرشي**، وعن الفقيه الخطيب **أبي عبد الله البيّاني**، وعن الأستاذ شيخ الجماعة **أبي عبد الله بن الفخّار**، وأخذ عن والده وعمه **أبي اسحاق** وأجازه الشيخ القاضي الخطيب **أبو البركات بن الحاج**، والخطيب الصالح **أبو محمد بن سَلْمُون،** والكاتب الجليل **أبو بكر بن شبرين**، ورييس الكتاب **أبو الحسن بن الجيَّاب**، وقاضي الجماعة **أبو القاسم الشريف**، والخطيب **أبو عبد الله القرشي**، وهو الآن بالحال المذكورة.

***

يوسف بن الحسن

ابن عبد العزيز بن محمد بن أبي الأحوص القرشي الفهري؛ يُكْنَى أبا المجد، ويعرف بابن الأحوص.

حاله

كان من أهل العلم والعدالة والنزاهة. وُلِّي كثيرا من القواعد، فظهر من قصده الحق، وتحريه سبيل الصواب، ما يؤثر عن الجلَّة

مشيخته

قرأ على والده وري عنه، واستدعى له بالإجازة من أعلام زمانه، فأجازه الرواية **أبو يحيى بن الفَرَس، وأبو عمر بن حوط الله، وأبو القاسم بن ربيع، وأبو جعفر أحمد بن عروس العقيلي، وأبو الوليد العطار**، والخطيب **أبو إسحاق الأوسي القرطبي**، والقاضي **أبو الخطاب بن خليل، وأبو جعفر الطبَّاع**، وغيرهم.

قال القاضي **أبو المجد** شيخنا رحمه الله: أنشدني **أبو علي الحسن**؛ قال أنشدني الخطيب **أبو الربيع بن سالم**؛ قال أنشدنا **أبو عمرو السّفاقي**؛ قال أنشدنا **أبو نعيم**

الحافظ؛ قال أنشدنا **عبد الله بن جعفر الجابري**؛ قال أندشنا **ابن المعتز** [1]:

ألـــم تـــر أن الدهـــر يـــومٌ وليلـــةٌ
يكُرَّان مـــن سَبْت عليـــك إلى سَبْت

فقـــل لجديـــد العَيْش لابدَّ مـــن بلًى
وقل لإجتمـــاع الشَّمل لابد من شَتّ

وبالسند المذكور إلى **أبي الربيع بن سالم**؛ قال: أنشدنا **أبو محمد عبد الحق بن عبد الملك بن بونه**؛ ، قال: أنشدنا **أبو بكر غالب بن عطية الحافظ** لنفسه [2]:

جفـــوتُ أُناسا كنت إِلْفَ وصلهـــم[3]
وما بالجفـــا عند الضرورة من ناس

---

[1] **البحـر الطويـل.**
[2] **البحـر الطويـل.**
[3] **جعلهـا د. طويـل: ((إلفـا لوصلهـم)).**

بلـــوتُ فلم أُحمَـــد فأصبحت يائسا
ولا شيء أشـــفى للنفـــوس من الياس
فلا تعذلوني في انقبـــاضي فإنني
وجدتُ جميـــع الشَّر في خِلْطة الناس

وفاته

في اليوم التاسع عشر من شهر رجب الفرد عام خمسة وسبعمائة[1].

***

[1] الموافق لـ 1305م.

يوسف بن موسى

ابن سليمن بن فتح بن أحمد بن أحمد الجزامي المنتشافري [1]؛
من أهل رُنْدة؛ يكنى أبا الحجاج.

حاله

هذا الرجل حسن اللقاء، طِرْفٌ في التخلق والدماثة، وحسن العشرة، أديب ذاكر للأخبار، طُلَعَةٌ، يكتب ويشعر، سيال الطبع مَعِينه. ولِّي القضاء ببلده **رُندة**، ثم **بمَرْبلَّة**. وورد **غرناطة** في جملة وفود من بلده وعلى انفراد منهم.

وجرى ذكره في التاج المُحلى بما نصه: حسنة الدهر الكثير العيوب، وتَوْبةُ الزمان الجم الذنوب، ما شيت من بِشْرٍ [2] يتألَّق، وأدب تتعطَّر به النَّسمات وتتخلَّق، ونفس كريمة الشمايل والضرايب، وقريحة يقذف [بحرها] [3] بدور [4] الغرايب؛ إلى خشية لله تحول بين القلوب وقرارها، وتُثني النفوس عن اغترارها، ولسان يبوح بأشواقه،

---

[1] هكذا أيضاً في الكتيبة الكامنة. بينما كتب في النفح: ((المنتشاقري))؛ بالقاف المثناة الفوقية. نسبة إلى منتشاقر Monte Sacro؛ وهي مقاطعة أكشونية.
[2] في النفح: ((من أدب يتألق، وفضل تَتَعطَّر...)).
[3] هذه الإضافة من نفح الطيب.
[4] في النفح: ((بدرر)).

وجفن يسخو بدرر آماقه، وحرص على لقاء كل ذي علم وأدب، وممن [1] يَمُتُّ إلى أهل الديانة والعبادة بسبب. سبق بقُطرة الحَلْبة، وفَرَع [2] من الأدب الهَضْبة، ورفع الراية، وبلغ في الإحسان الغاية ، فطارت قصائده كل المطار، وتغنَّى بها راكب الفُلْك وحادي القِطار. وتقلد خُطَّة القضاء ببلده، وانتهت إليه رياسة الأحكام بين أهله وولده، فوضحت المذاهب بفضل مذهبه، وحسن مَقْصِده. وله شيمةٌ في الوفا تعلَّم منها الآس [3]، ومؤانسة عذبة لا تستطيعها الأكواس [4]. وقد أثبت من كلامه ما تتحلَّى به ترايب [5] المهارق، ويجعل طيبه فوق المفارق، وكنت أتشوَّقُ إلي لقايه، فلقيته بالمحلَّة من ظاهر **جبل الفتح**، لُقْيا لم تَبْل صداً، ولا شفت كمدا، وتعذَّر بعد لقاؤه فخاطبته بقولي[6]:

---

[1] في النفح: ((ومن)).
[2] فرع الهضبة: علاها حتى قمتها
[3] في النفح: ((الأس)).
[4] نفسه: ((الأكوس)).
[5] نفسه: ((مراتب)).
[6] نفسه: ((وخاطبته بهذه الرقعة)). والأبيات من البحر الطويل.

حمــدتُ[1] على فرط المشقــة رحلــة
أتاحــت لعيــني اجتــلاء محيَّــاك
وقد كنت في التَّذكار بالبعــد[2] قانعــا
وبالريــح إن هبَّــت بعاطــر ريَّاكــا
فَجلَــت[3] لي النُّعمى بما أنعمــت به
عـــلَّي فحياهـــا الإلــه وحيَّاكــا

أيها الصَّدر الذي بمخاطبته يُبأَى [4] ويُتَشرَّف، والعلم والعلم الذي بالإظافة إليه يُتعرَّف، والروض الذي لم يزل على البعد بأزهاره الغضَّة يُتْحَف. دُمْت تتزاحم على موارد ثنائك الألسن [وتروي للرواة ما يصح من أنبائك ويُحْسَن] [5] طالما مالت إليه النفوس منَّا وجَنحت، وزجرت وزجرت الطائر الميمون من رُقاعك كلما سنحت. فالآن اتضح البيان، وصدق الأثر العيان. ولقد كنا للمُقام بهذه

[1] في الكتيبة الكامنة: ((حفظت)).
[2] في النفح والكتيبة: ((في البعد)).
[3] في الكتيبة: ((فجاءت))، وفي النفح: ((فحلَّت)).
[4] في النفح: ((يباهي)).
[5] وردت هذه العبارة في النفح هكذا: ((ويروي الرواة من أنبائك ما يصح ويحسن)).

الرّحال نَرتَمض [1]، ويجِنُّ الظَّلام فلا نَغْتَمض، هذا يُقلقله إصفار كيسه، وذا يتوجَّع لبعد أنيسه، وهذا تروّعه الأهوال، وتضجره بتقلُّباتها الأحوال. فمن أنَّة لا تنفع، وشكوى إلى الله [تعالى] [2] ترفع. فلما ورد بقدومك البَشير، وأشار إلى ثنيَّة طلوعك المشير، تشَّوَفت النفوس الصَّدِيَّة [3] إلى جَلايها، وصِقالها، والعُقول إلى حلّ عِقالها [4]، [والألسن المعجمة] [5] إلى فَصْل مقالها. ثم إنَّ الدهر راجع التفاته، واستَدرك ما فاته، فلم يسمح من لقايك إلا بلَمْحة، ولا بعث من نَسِيم روضك بغير نَفْخَة، فما زاد أن هيَّج الأشواق فالتهبت، وشنَّ غاراتها على الجوانح فانتهبت، وأعلَّ القلوب وأمْرَضها، ورمى ثغرة الصَّبر فأصاب غرضها. فإن رأيت أن تنفَّس عن نَفْسٍ شدَّ الشوق مُخَنَّقَها، وكدَّر مشارب أُنْسِها[وأذهب] [6] رونقها، رونقها، وتُتحف من آدابك بدرر تُقتنى، وروضة طيَّبة

---

[1] أي نحترق.
[2] هذه الإضافة من النفح.
[3] أي العطشى.
[4] أي رباطها.
[5] في النفح: ((والأنْفس المُفْحَمَة)).
[6] هذه الإضافة من النفح.

الجِنى، فلَيْسَت ببدع في شميتك، ولا شاذَّة في باب كرمك، ولولا شاغل لا يَبْرح، وعوائق أكثرها لا يُشرح، لنافست هذه السّحاءَة [1] في قدوم عليك، والمُثول بين يديك، فتشُّوفي [2] إلى اجتلاء أنوارك شديد وتشيُّعي فيك [3] على إبلاء الزمان جديد. فراجعني بقوله [4]:

حَباك فؤادي نيــلُ بشرى وأَحْكايــا[5]
وحيَّـد بــآداب نفايَـــسَ حيَّاكـا
بدايــعُ أبداهــا بديــعُ زمانــه
فطاب بهــا يا عاطــر الرّوض ريَّاكا
أمهديهــا أودعــتَ قلــبي علاقــةً
وإن لم يزل[6] مُغْــرًى قديما بعَلْيــاك

[1] السحـاءة: مـا يكتـب عليـه؛ مـن أوراق وغيـر ذلـك.
[2] في النفـح: ((فتشـوقي)).
[3] نفسـه: ((وتشيـعي إلى إبـلاء...)).
[4] البحـر الطويـل.
[5] في الكتيبـة: ((فأحياكـا))).
[6] نفسـه: ((أزل)).

إذا ما أشـــار العصر نحو فرِنْـــده[1]
فإيَّـــاك أعـــني[2] بالإشـــارة إيَّاكـــا
لأتحفـــني لُقيـــاك أسمى[3] مومَّـــلي
وهـــل تُحفـــة في الدهر إلاَّ بُلْقياكـــا
وأَعْقَبَـــت إتحـــافي فرايـــدُك التي
وجُـــوب ثناهـــا يا لســـاني أعياكـــا

خصصتني أيها الحبر المخصوص بمآثر أعيا عدها وحصرها، ومكارم طيِّب أرواح الأزاهر عطرُها، وسارت الركبان بثنايها، وشملت الخواطر محبة علائها، وبفرايدك الأنيقة، وفوايدك المزرية جَمالاً على أزهار الحديقة، ومعارفك التي زكت حقًّا وحقيقية، وهدت الضال عن سبيل الأدب مَهْيعه [4] وطريقَه، وسَبْقُ تحفتك عندي أعلى أعلى التحف[5]، وهو مأمول لقائك، والتمتع بالتماح

[1] في النفـح، والكتيبـة: ((فريـده)).
[2] نفسهمـا: ((يعنـي)).
[3] في النفـح، والكتيبـة: ((أسـنى)).
[4] أي طريقـه الواسـع الواضـح.
[5] حرفت في الإسكوريال؛ فكتبت: ((تحفتك))؛ وفي النفح: ((أعلى التحف عندي)).. عندي)).

سناك الباهر وسنائك، على حين امتدت لذلك[1] اللقاء أشواقي، وعظم من فوت استنارتي بنور محيّاك إشفاقي، وتردد لهجي بما يبلغني من معاليك ومعانيك، وما شاده فكرك الوقاد من مبانيك. وما أَهَلَّت به بلاغتك من دراسه، وما أَضْفَتْ[2] على الزمان من رايق مَلابسه، وما جمعت من أَشْتاته، وأحيت من أمواته، وأيقضت من سِناته[3]، وما جاد به الزمان من حسناته. فلتَرداد هذه المحاسن من أنبايك، وتصرُّف الألسنة بثنايك، علقت النفس من هواها بأشد علاقة، وجَنحت إلى لقايك جُنوح والهة مُشْتاقة، والحوادث الجارية، تصرّفها، والعوايق الحادثة كلما عطفت بأملها[4] إليه، لا تتحفها به ولا تَعْطفها، إلى أن ساعد الوقت، وأسعد، البخت، بلقياكم[5] هذه السفرة الجِهادية، وجاد إسعاف الإسعاد من من أمنيتي بأسنى هدية، فلقيتكم لقيا خجل، ولمحت

---

[1] في النفح: ((لذلكم)).
[2] نفسه: ((وما أضفيت)).
[3] أي من فتور ونعاس.
[4] في النفح: ((أملها)).
[5] نفسه: ((بلقائكم في هذه....)).

أنواركم لمحةً على وجل، ومهجتي [1]، في محاسنكم الرائقة، ومعاليكم الفائقة، على ما يعلمه ربنا عزَّ وجلَّ. وتذكرت عند لقايكم المأمول، إنشاء الله قائل يقول [2]:

كانت محادثـــة[3] الركبان تخبر عن
محمـــد بن خطيب[4] بأطيـــب الخبـــر
حـــتى التقينا فلا والله ما سمعـــت
أذني بأحســـن مما قد رأى بصـــري

قسما [5] لعمري أقواله وأعتقده، وأعتدُّه، فلقد بهرت بهرت منك المحاسن، وفُقْتَ من يُحاسن، وقَصُر عن شأوك كل بليغ لَسِن، وسبقت فِطْنَتُك النَّارية النُّورية بلاغة كل فَطِن، وشهد لك الزمن [6] أنك وحيده، ورئيس ورئيس عصبته [7] الأدبية وفريده. فبورك لك فيما أُنلت من

[1] في النفح: ((ومحبتي)).
[2] البحر البسيط.
[3] في النفح: ((مساءلة)).
[4] نفسه: ((الخطيب)).
[5] في النفح: ((قسمٌ)).
[6] نفسه: ((الزمان)).
[7] في الإسكوريال: ((عصابته))؛ وصوبت من النفح.

من الفضايل، وأوتت من آيات المعارف التي بها نور الغزالة هايل [1]، ولازلت مُرَقًّى [2] في مراتب المعالي، موقًّى صروف الأيام والليالي. ومن شعره يمدح الجهة النَّبوية، مُصَدّرا بالنَّسيب لبسط الخواطر النَّفسانية[3]:

لما تناهى الصبُّ في تشويقه
درر الدموع اعتاضها بعقيقه
متلهِّفَ وفؤاده متلهِّب
كيف البقاءُ[4] مع احتدام حريقه
متوِّج بحر الدموع بنَجْدِه[5]
أنى خلاص يُرتجى لغريقه
متجرِّع صاب[6] النَّوى من هاجر
ما إن يحنُّ للاعِجات مشوقه

---

[1] في النفح: ((ضائل)).
[2] نفسه: ((ترقى)).
[3] البحر الكامل.
[4] في النفح: ((البقا)).
[5] نفسه: ((بخدّه)).
[6] الصاب: ضرب من الشجر؛ طعمه مرّ.

يُسْبي الخواطــر حُسْنــه ببديعــه

يُصــبي النُّفــوس جمالــه بأنيقــه

قَيْــدُ النواظــر إذ يلــوح لرامقٍ

لا تَنْثنى[1] الأحــداق عــن تَحْديقــه

للبــدر لمحتــه كبِشــر ضيائــه

للمســك نَفْحتــه كنَشْــر فتيقــه

سَكِــرت خواطر لامِحيــه كأنَّهــم

شربــوا من الصِّبَــا[2] كأس رحيقه

عطشــوا لثَغر لا سبيــل لريقــه

إلا كلَمْحِهــــم للَمْـــع بَريقــه

ما ضــرَّ مــولًى عاشقُــوه عبيدُه

لو رقَّ إِشفاقــــا لحــال رقيقــه

عنــه اصطبــاري مــا أَنا بمُطِيعه

مثــل السُّلــوِّ ولا أنــا بمُطيقــه

---

[1] في النفـح: ((لا تنثـني)).
[2] نفسـه: ((الصـهبـاء)).

سجع[1] الحمـــام يُشوق تَرجيع الهوى

فأثـــار شَجْــو مشوقــه بمشوقــه

وبكـــت هديـــلاً راعهـــا تفريقــه

ويحـــقٌّ أن يبـــكي أخُـــو تفريقــه

وبكـــاء أمثـــالي حـــقٌّ[2] لأنـــني

لـــم أَقــضِ للمـــولى أكيـــد حقوقه

وغَفَلت في زمن الشباب المنقضي

أقبِّـــح بنســـخ بـــروره بعقُوقــه

وبدا المشيب وفيه زجْرُ ذوي النهى

لو كنـــت مزدجـــرا لشيـــم بروقه

حَسْـــبي ندامـــة آســـف ممـــا جنى

يصـــل النَّشيـــج لوزره بشيهقـــه

ويَرُمُ[3] ما خَرم الهـــوى زمن الصبا

ويـــرُوم مـــن مـــولاه رَتْق فُتوقـــه

---

[1] في الإسكوريـال: ((شـدت))؛ وصوبـت مـن النفـح.
[2] في النفـح: ((أحـق)).
[3] هكـذا في النفـح؛ وفي الإسكوريـال: ((ويـروم)).

ويــردد الشكــوى لديــه تذلُّــلا
علَّ الرِّضــا يُحبيــه[1] دركَ لحوقــه
فَيصْحُ من سُكــر التَّصابي صَحْوه[2]
نسخــاً لحكــم صبوحــه بغبوقــه[3]
لو كنــت يممَّــت التُّقى وصحبتــه
وسلكــت إيثــارا ســواءَ طريقــه
لأَفَــدْت منــه فوائــداً وفرائــداً
عُرضت تُســام لرابــح[4] في سوقه
لله أربـــــاب القلــوب فإنهــم
من حِزْب من نال الرِّضا وفريقــه
قامــوا وقــد نــام الأنــام فنورهم
هَتَــك الدُّجــا بضيائــه وشُروقــه
وتأنّســوا بحبيبهــم فلهــم بــه
بِشْــرٌ لصــدق الفضــل في تحقيقه

[1] في النفح: ((يحييه)).
[2] نفسه؛ كررت كلمة: ((سكره)).
[3] نفسه: ((وغبوقه)).
[4] نفسه: ((لرائج)).

قَصرَت عنهم عندمــــا سبقوا المدى
ولسابـــق فَضْــل عـــلى مَسْبوقـــة
لـــولا رجـــاءُ تَلمُّـــحي[1] من نورهم
يحـــيي الفـــؤاد بسيـــره وطُروقـــه
وتـــأَرُّجٌ يُسْتـــاف مـــن أرواحهـــم
سببُ انتعاش الرُّوح طيـــب خلوقه
لَفُتِنْت[2] مـــن جـــرّاء[3] جرائريَ التي
مـــن خوفهـــا قلبي حليـــف خفوقه
ومـــعي رجـــاءُ توسُّـــل أَعْدَدتـــه
ذخرا لصدمـــات الزمـــان وضِيقه
حـــبِّي ومَدْحي أحمـــد الهادي الذي
فـــوزُ الأنـــام يصحُّ في تصديقـــه
أَسْمَى الورى في منْصِب وبمَنْسب
مـــن هاشم زاكي النّجار عريقـــه

---

[1] في النفـح: ((تلمـح)).
[2] نفسـه: ((لعنيـت)).
[3] نفسـه: ((جـرا)).

الحـــقُّ أظهـــر عقيـــب خفائـــه
والدِّيـــن نظَّمـــه لـــدى تفريقـــه
ونـــفى هُـــداة ضلالـــةً من جائـــرٍ
مستوثـــــق بنعوتـــــه ولعوقـــــه[1]
سبحـــان مَرْسِلُـــه إلينـــا رحمـــة
يَهدي ويَهـــدى الفضـــل من توفيقه
والمعجـــزات بـــدت بصدق رسوله
وحقيقُـــــه بالمأثـــرات خليقُـــه
كالظـــبي في تكليمـــه والجِـــذْع في
تَحْنينـــه والبـــــدر في تَشْقيقـــه
والنَّـــار إذ خمـــدت بنـــور ولاده[2]
وأجـــاجُ مـــاءٍ قـــد حـــلا من ريقه
والـــزَّاد قـــلَّ فـــزاد من بركاتـــه
فكـــفى الجيـــوش بتَمْـــره وسُوَيقه

---

[1] في النفـح: ((مستوثـق بيغوثـه ويعوقـه)).
[2] نفسـه: ((ولادةٍ)).

ونُبـــوع مـــاءِ الكـــفّ من آياتـــه

وســـلام أحجـــار غَـــدت بطريقـــه

والنخـــل لمَّا أن دعـــاه مشى لـــه

ذا سرعـــة [بعروقـــه وعذوقـــه][1]

والأرض عاينهـــا وقـــد زُويت له

فقريـــب مـــا فيهـــا رأى كسحيقـــه[2]

وكـــذا ذراع الشَّـــاة قـــد نطفت له

نُطْـــق اللســـان فصيحُـــه وذليقـــه

ورمى عِداه بكـــف حصباء[3] فانثنت

هربـــاً كمذعـــور الجنـــان فروقـــه[4]

وعليـــه آيـــات الكتـــاب وتنزّلـــت

تُتـــلى بعُلْـــو جلالـــه[5] وبسوقـــه

---

[1] **في النفـح: ((بعذوقـه وعروقـه)).**

[2] **أي بعيـدة.**

[3] **في النفـح: ((حصبـا))؛ بـدون همـزة.**

[4] **الفـروق: ((الجبـان)).**

[5] **في النفـح: ((جنابـه)).**

فأذيق[1] من كـــأس المحبـــة صَرْفَها
سبحـــان ساقيـــه بهـــا ومُذِيقـــه
حـــاز السَّنــاءَ ونالـــه وبعرُوجــه
جـــاز السمـــاءَ طِباقهـــا بخروقـــه
ولكـــم لـــه مـــن آيـــة من ربِّـــه
ورعايـــــة[2] وعنايـــــة بحقوقـــــه
يـــا خيـــرة الأَرْســـال عند إلهـــه
يا مُحْـــرز العَلْيـــا عـــلى مخلوقـــه
عَلَقَـــت آمـــالي بجاهـــك عـــدَّة
والقصد ليـــس يخيـــب في تعليقـــه
ووثقـــت[3] من حبـــل اعتمادي عُمدة
لتمسُّـــــكي بقَويِّـــــه ووثيقـــــه
ولئن غـــذوتُ أَخِيـــذ ذنـــبي إنـــني
أرجو بقصدك [أن أُرى][4] كطليقـــه

[1] في النفـح: ((وأذيـق)).
[2] نفســه: ((وعنايـة ورعايـة)).
[3] نفســه: ((علقـت)).
[4] سقطـت هـذه العبـارة في الإسكوريـال؛ بينمـا وردت في النفـح.

وكساد سُوقي مذ لجأت إلى بابكـــم[1]
يقــضي حصـــول نفــوذه وتفوقه
ويحِـــنُّ قلـــبي وهـــو في تغريبـــه
[لمـــزاره لريَّـــاك][2] في تشريقـــه
وتزيد لوعتـــه متى حـــثَّ السُّـــرى
حـــاد حـــداً بجمالـــــه وبنُوقـــــه
وأرى قَشِيـــب العمـــر أَمْسى باليـــاً
ومرور دهـــري جـــدَّ في تمزيقـــه
وأخاف أن أقضي ولم أقض المُنى
بنفـــوذ سهـــم مَنِيَّـــتي ومُرُوقـــه
فمتى أحطُّ على اللَّوى رَحْلي وقـــد
بَلَغـــت ركـــابي لِلْحمى وعقيقـــه
وأمـــرِّغ الخديـــن في تُـــرْبٍ غدا
كالمِسْـــك في أَرَج شـــذا مَنْشُوقـــه

---

1 في النفـح: ((للبابكـم)).
2 أضيفت هذه العبارة من النفح؛ بينما ترك بياض في موضعها بالإسكوريال.

وأَعيــد [إنشـــادي وإنشائي][1] الثَّنا

ببديـــع نظـــم قريحـــتي ورقيقـــه

حـــتى أُميـــل العاشقيـــن تطرُّبـــاً

كالغُصْن مرَّ صبـــاً على مَمْشوقه

وتحَّيَّـــة التسليـــم أبلـــغ شافـــعي[2]

وثنـــا المديـــح حديثُـــه وعتيقُـــه

ولذي الفخار وذي العـــلى[3] ووزيره

صدِّيقـــه وأخي الهـــدى فارُوقـــه

مـــني السلام عليهـــم[4] كالزهر في

تألِيفهـــــا والزَّهـــر في تأليفـــه[5]

---

[1] في النفـح: ((إنشـائي وإنشـادي)).
[2] نفسـه: ((شافـع)).
[3] نفسـه: ((الحـلى)).
[4] سقطت هـذه الكلمـة في الإسكوريـال؛ بينمـا وردت في النفـح.
[5] في النفـح: ((في تأنيقـه)).

قال: وكتب بذلك إلي في جملة من شعره [1]:

هواكــم بقلــبي[2] لأحكامـــه[3] نســـخ
ومن أجلــه جَفْــني بمدمعـــه يَسْخُ[4]

ومن نشأتي ما إن صَحَت منه نَشْوَتي
سواءٌ به عصر المشيب[5] أو الشَّرخ

عليه حيـــاتي مذ تمـــادت ومَيْتَتي
وبَعْـــثي إذا بالصُّور يتفـــق النَّفخ

ولي خَلَـــدٌ[6] أضـــحى قنيص غرامه
ولا شـــركٌ يُـــدني إليه ولا فـــخُّ

قتلت سُلُـــوّي حيـــن أحييت لوعتي
وما اجتيح[7] بالإقرار في حالتي لَطْخ[8]

---

[1] البحـر الطويـل.
[2] في الكتيبـة، والنفـح: ((هواكـم بقلـبي مـا...)).
[3] في الإسكوريـال: ((محكمـة))، وفي الكتيبـة: ((لمحكمـه)).
[4] في النفـح، والكتيبـة: ((يسخـو)).
[5] في الكتيبـة: ((الشبـاب)).
[6] نفسـه: ((جلـدٌ)).
[7] نفسـه: ((ومـا احتيـج للإقـرار..)).
[8] ورد بعد هـذا البيـت في نفـح الطيـب البيـت المـوالي:
وأغدو إلى سَعْدي بكَرْخ علاقتي * وقصديَ قصدي ليس سعدي ولا الكَرْخُ

وناصـــح كتـــمي إذا زكت بيناتـــه[1]
يجول عليه من دموع الأسى نَضْخ
وأرجـــو بتحقيق[2] هواكـــم بأن أفي
فعهـــدٌ[3] ولا نقصٌ[4] وعقـــدٌ ولا فَسْخ
ومـــا الحب إلاَّ ما استقـــل ثبوتـــه
لمبناه رصٌّ في الجوانح[5] أو رَسْـــخ
إذا مسلـــكٌ لـــم يستقـــم[6] بطريقـــه
سلكتُ اعتدالا مثـــل ما يَسْلك الرُّخ
بـــدا لضميـــري من سناكم تلمُّـــح
فبـــخَّ لعقـــل لم يطـــر عندها بـــخٌّ
على عـــود ذاك اللَّمح مازلت نادباً
كما تنـــدب الورق[7] فارقها الفَـــرْخ

---

[1] ورد هذا الشطر في الكتيبة هكذا: ((وما صحَّ جسمي إذ زكت بيّناته)).
[2] في النفح، والكتيبة: ((بتحقيقي)).
[3] في الكتيبة: ((بعهد)).
[4] في النفح، والكتيبة: ((ولا نقضٌ)).
[5] في الكتيبة: ((في الجوانب)).
[6] نفسه: ((لم تستقم)).
[7] في الكتيبة، والنفح: ((الورقاء)).

يَـــدي بأياديكـــم وقلبـــي شاغـــل

فمن فِكـــرتي نسجٌ ومن أُنْملي نَسْخ

ومن شعره أيضا قوله في غرض يظهر منه :[1]

إليـــك تحـــن النُّجـــب والنُّجبـــاءُ

فهـــم وهي في أشواقهـــم شُركـــاءُ

تَخُـــبُّ بركـــاب تحـــبُّ وصولهـــا

لأرض[2] بهـــا بـــادٍ ســـنى وسنـــاءُ

فأنفاسهـــا ما أن تـــني صعداؤهـــا

وأنفاسهـــم[3] مـــن فوقهـــا سعـــداءُ

همُوا عالجوا إذا عجَّل السيَّر داءَهم

وأشبـــاه مثـــلي مُدْنَفـــون بُطـــاءُ

فعـــدت ودوني للحبيب ترحَّلـــوا

ومـــا قاعـــد والراحلـــون ســـواءُ

لـــه وعليـــه حـــبُّ قلـــبي وأدمعي

وقـــد صـــحَّ لي حبٌّ وســـحَّ بكاءُ

---

[1] البحر الطويل.

[2] وردت هذه الكلمة في النفح؛ بينما سقطت في الإسكوريال.

[3] في النفح: ((وأنفسهم)).

بطيبــة هل أرضى وتبــدو سماؤها[1]
وإن[تك أرضــا فالحبيب][2] سمــاءُ
شَــذا نفحهــا واللَّمــح منهــا كأنه
ذكــاء عبيــر والضَّيــاء ذكــاءُ[3]
فيــا حاديــا غَــنِّي وللرَّكب[4] حاديا
عِنــاني[5] بعــد البعــد عنك عنــاءُ
بسِلْــع فسلْ عما أُقاسي من الهوى
وسَــلْ بقِبــاء إذا يلـــوح قبــاءُ
وفي عالــج مــنِّي بقلــبي لاعــج[6]
فهــل لي عــلاج عنــده وشفــاءُ
وفي الرقمتين[7] أرقــم الشوق لاذع
ودرياقــــه أن لو يُبــــاح لِقــاءُ

---

[1] في الإسكوريـال: ((وكأنـهـا)).
[2] هكذا في النفح؛ بينما كتبت في الإسكوريال: ((وإن تـك أرضي بالحبيـب)).
[3] ذكـاء هنـا: اسـم للشمـس.
[4] في الإسكوريـال: ((والذكـر)).
[5] في النفـح: ((عنـائيَ)).
[6] نفســه: ((لاذعٌ)).
[7] نفســه: ((وبالرقمتيـن)).

أماكن تمكيـــن وأرضٌ بها الرضى
وأرجـــاء فيهـــا للمشـــوق رجـــاءُ

ومـن المقطوعـات قولـه [1]:

أدب الفـــتى في أن يُـــرى متيقّظـــاً
لأوامـــر مـــــن ربِّـــه ونـــواهِ
فـــإذا[2] تمسَّـــك بالهـــوى يهـــوي به
[والحبْـــل منـــه][3] لمن تيقَّـــن واهِ

ومـن ذلـك [4]:

يـــا من بدُنيـــاه ظـــلَّ في لُججـــج
حقّـــق بـــأن النَّجـــاة في الشـــاط[5]
تطمـــع في إرثـــك الفـــلاح وقـــد
أضعـــت مـــا قبلـــه مـــن أَشْـــراط
كـــن حـــذراً في الذي طمعت بـــه
مـــن حَجْـــب نقص وحجب إسْقاط

---

[1] البحـر الكامـل.
[2] في الكتيبـة: ((وإذا)).
[3] أضيفت من النفح؛ بينما وجد بياض مكانها في الإسكوريال. وفي الكتيبة: ((فالحبل)).
[4] البحـر المنسـرح.
[5] في الكتيبـة، والنفـح: ((الشـاطي)).

وقال [1]:

تـــرى شعُـــروا أني غَبطت نسيمةً
ذكت بتـــلاقي الرَّوض غبَّ الغمايم
كما قابلـــت زُهـــر الرياض وقبَّلت
ثُغـــور أقاحيـــه بـــلا لـــوم لايـــم

وقال [2]:

ورَدَ المشيـــــب مبيَّضـــا بورُوده
ما كان مـــن شعْـــر الشَّبيبـــة حالكا
يـــا ليتـــه لو كـــان بيَّـــض بالتُّقى
مـــا سوَّرتـــه[3] مآثـــم مـــن حالكـــا
إنَّ المشيـــب غـــدا رداءً للرَّدى
فـــإذا عـــلاك أجـــدَّ في تَرْحالكـــا[4]

---

[1] البحر الطويل.
[2] البحر الكامل.
[3] في النفح: ((سَوَّدَتْـه)).
[4] أي في انتقالك.

وأنشدني صاحبنا القاضي **أبو الحسن**؛ قال: مما أنشدني الشيخ **أبو الحجاج** لنفسه [1]:

لوعــة الحــبِّ في فؤادي تعاصت
أن تُـداوى ولــو أتى [أَلفُ راق][2]
كيــف يبــرأُ[3] من علَّــة وعليهــا
زائــــد علَّــــة النَّــوى والفِــراق
فانكســاب الدمــوع جــارٍ فجــارٍ
والتُهــــاب الضُّلــوع راقٍ فــراق

نبذة من أخباره

نقلت من خط صاحبنا الفقيه القاضي المؤرخ **أبي الحسن بن الحسن**، قال حاكيا عنه: ومن غريب ما حدَّثني به؛ قال: كنت جالسا بين أيدي [4] الخطيب **أبي القاسم التاكُرونّي** صبيحة يوم بمسجد **مالقة** الأعظم؛ فقال

[1] البحر الخفيف.
[2] في الإسكوريال: ((الفراق))؛ وصوبت من النفح.
[3] في النفح: ((يبرا))، وفي الكتيبة: ((بُرْئي)).
[4] نفسه: ((يَدَيْ)).

لنا في أثناء حديثه: رأيت البارحة في عالم النَّوم، كأن **أبا عبد الله الجلياني** يأتيني ببيتي شعر في يده؛ وهما [1]:

كـــل علْـــم يكـــون للمـــرء شُغـــلا
بسِـــوى الحـــقّ قـــادحٌ في رشاده
فـــــإذا كـــان الله فيـــه حـــظٌّ[2]
فهـــو ممـــــا يُعِـــدُّه لمعـــــاده

قال: فلم ينفصل المجلس، حتى دخل علينا الفقيه الأديب **أبو عبد الله الجِلياني** والبيتان عنده [3]؛ فعرضهما على الشيخ، وأخبره [4] أنه صنعهما البارحة، [فقال له كل من في المجلس: ، أخبرنا بهذا [5] الشيخ قبل مجيئك، فكان هذا من العجائب] [6]، وقد وقعت الإشارة لذلك في في اسم الشيخ.

---

[1] البحر الخفيف.
[2] ورد هذا الشطر في النفح هكذا: ((فإذا كان فيه لله حظ)).
[3] في النفح: ((معه)).
[4] نفسه: ((فأخبره)).
[5] نفسه: ((بهما)).
[6] أضاف عنان ما بين حاصرتين من النفح.

مشيخته

منقول من خطّه في ثَبتٍ أجاز فيه أولادي، أسعدهم الله، بعد خطابة بليغة. قال فمن شيوخي الذين رويتُ عنهم، واستردفتُ البركة منهم، الشيخ الخطيب الصالح المتفنن، **أبو محمد عبد الواحد بن أبي السداد الباهلي،** والشيخ الإمام **أبو جعفر بن الزُّبير،** والشيخ الوزير المشاور **أبو عبد الله بن أبي عامر بن ربيع،** والقاضي العدل **أبو عبد الله محمد بن علي بن محمد بن برطال**، والشيخ الخطيب الصالح **أبو عبد الله الطَّنجالي**، والرواية المسن **أبو عمرو محمد بن عبد الرحمان الرندي الطنجي**، والمدرس الصالح **أبو الحسن على بن أحمد الإشبيلي بن شَالة**، والخطيبان الأستاذان الحاجان **أبو عبد الله محمد بن رُشيد الفهري، وأبو عثمان سعيد بن ابراهيم بن عيسى الحِميْري،** والشيخ الصالح **أبو الحسين عبد الله بن محمد ابن محمد بن يوسف بمن منظور**، والخطيب الصالح العلاَّمة المصنف **أبو جعفر بن الزيات**، والفقيه القاضي **أبو جعفر بن عبد الوهاب،** والشيخ الرواية المحدث **أبو عبد**

الله محمد بن أحمد بن الكماد، والخطيب **أبو العباس أحمد بن محمد اللورقي**، والعدل **أبو الحسن علي بن محمد الطائي بن مستقور**، والخطيب الصالح **أبو العباس أحمد بن محمد بن خميس الجزيري**، والقاضي العدل الحاج **أبو محمد عبد الله بن أبي أحمد بن زيد الغرناطي**، والشيخ الرواية الحاج الرّحال الصوفي **أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أمين الفارسي العجمي الأقشري**، والقاضي الحسيب **أبو عبد الله محمد بن عِياض بن محمد بن عياض**، والقاضي **أبو عبد الله بن عبد المهيمن الحضرمي**، والأستاذ **أبو إسحاق الغافقي**، والإمام **أبو القاسمي بن الشّاط**، والخطيب القاضي **أبو عبد الله القرطبي**، والرواية **أبو القاسم البلفيقي**، والمحدث **أبو القاسم التجيبي**، والخطيب **أبو عبد الله الغماري**، والإمام الكبير **ناصر الدين المِشْدالي**، والفقيه الصوفي **أبو عبد الله محمد بن محمد الباهلي** عرف **بالمسفر** من **أهل بجاية**، وقاضي القضاة **بتونس أبو إسحاق بن عبد الرفيع**، والعلامة **أبو عبد الله ابن راشد**، والخطيب **أبو عبد الله بن عزْمون**، والعلامة

الخطيب **أبو محمد عبد الواحد بن منظور بن محمد بن المنير الجذامي**. قال: وكلهم أجازني عامة ما يرويه، وكان ممن لقيته، وقرأت عليه، إلاّ المدرس **أبا الحسن بن شالة**؛ فوقع لي شك في إجازته.

تواليفه

قال، ومما [1] يسَّر الله تعالى فيه من التأليف، كتاب ((**ملاذ المستعيذ** [2]**، وعياذ المستعين، في بعض خصائص سيد المرسلين، في الأحاديث الأربعين المروية على آياتٍ من الذكر الحكيم والنور المبين**)). وكتاب ((**تخصيص** [3] **القرب وتحصيل الأرب**))، و((**قبول الرأي الرشيد، في تخميس الوتريات النبويات** [4] **لإبن رُشيد**)). و((**انتشاق النَّسمات النَّجدية، واتساق النزعات الجدّية**)). و((**غُرَر الأماني المُسْفرات في نظم المُكَفَّرات**)). و((**النَّفحات الرُّندية واللَّمحات الزَّندية**))؛ وهو مجموع شعري، و((**حقائق**

---

[1] في الإسكوريال: ((وممن))؛ فصوبها عنان.
[2] جاء اسم هذا الكتاب في نفح الطيب هكذ: ((ملاذ المستعين في بعض خصائص سيد المرسلين)).
[3] في الإسكوريال: ((تحصين))؛ وصوبت من النفح.
[4] في النفح: ((النبوية)).

بركات المنام، في مرأى المصطفى خير الأنام)). و((**الإسْتِشْفاء بالعدة، والإستشعاع**[1] **بالعمدة، في تخميس**[2] **القصيدة النبوية المسماة بالبُردة**)). و((**توجُّع الراثي في تنوع المراثي**))، و((**اعتلاق المسايل**[3] **بأفضل الوسايل**)). و((**لمح البهيج، ونفح الأريج**))؛ في ترجيز[4] ما لولي الله أبي مدين شعيب بن الحسين الأنصاري رضي الله عنه، من عبارات حكمة وإشارات صوفية، و((**تجريد**[5] **رؤوس مسائل البيان والتحصيل، لتيسير البلوغ لمطالعتها والتوصيل**)). و((فهرسة روايتي)). **و((رجز)) في ذكر مشيخة**[6] **شيخنا الرواية أبي عمر الطّنجى**، رحمه الله وإسناده. قال: ومما كنت شَرعت فيه ولم يتفق تمامه، كتاب سميته ((**عواطف الأعتاب، في لطايف أسباب المتاب**)). ومما بيدي الآن جمعه؛ وهو إن شاء الله على التمام، **أربعون حديثاً متصلة الإسناد**؛ أول حديث منها في

---

[1] في النفح: ((الاستشفاع)).
[2] نفسه: ((في تخميس البردة)).
[3] نفسه: ((السائل)).
[4] نفسه: ((ترجيز كلام الشيخ أبي مدين من عبرات حكمية وإشارات صوفية)).
[5] نفسه: ((وكتاب تجريد...)).
[6] نفسه: ((مشايخ أبي عمر الطنجي))

الخوف، والثاني في الرجاءِ، بلواحق تتبعها، وسميته ((**أرج الأَرْجاءِ، في مزج الخوف والرجاءِ**)). والله يصفح عنا، ويغفر زلاَّتِنا، وأن لا يجعل ما نتولاه من ذلك حجة علينا، وأن نكون ممن مُنَح مقولا، ومنع معقولا، ويختم لنا بخواتم السُّعداء من عباده، وممن وفَّق وهدى إلي سبيل رشاده.

وفاته

كان حيًّا عام أحد وستين وسبعمائة [1].

***

---

[1] **الموافق لـ 1359م.**

ومـن المقريـيــــن

***

يحيى بن أحمد

ابن هذيل التجيبي [1]؛ يكنى أبا زكريا؛ شيخنا أبو زكريا بن هُذيل رحمه الله؛ أرجِدوني [2] الأصل؛ ينسب إلى سَلَفه؛ أملاك ومعاهر كولابج هذيل؛ مما يدل على أصالة.

حاله

كان آخر حَمَلة الفنون العَقْلية **بالأندلس**، وخاتمة العلماء بها، من طبٍّ وهندسة وحساب وأصول وأدب، إلى إمتاع المحاضرة، وحسن المجالسة، وعموم الفائدة، وحسن العهد، وسلامة الصَّدر، وحفظ الغيب، والبراءة من التصنُّع والسَّمت، مؤثرا للخمول، غير مبال بالناس، مشغولا بخاصَّة نفسه. خدم أخيراً باب السلطان بصناعة الطَّب، وقعد بالمدرسة **بغرناطة**، يقرئ الأُصول والفرايض والطب.

[1] لـه ترجمـة أيضاً في: الكتيبـة الكامنـة؛ أين وردت الترجمـة خطـأ باسـم ابن شقـرال. ثـم نثيـر فرائـد الجمـان، والـدرر الكامنـة، ونفـح الطيـب.
[2] نسبـة إلى أرجدونـة (أرشدونـة) Archidona.

عمن أخذ

قرأ على جملة من شيوخ وقته، كالأستاذ **أبي بكر ابن الفخار،** أخذ عنه العربية والأدب. وقرأ الطب على **أبي عبد الله الأَرْكُشي**، **وأبي زكريا القصري،** وجملة من الإسلامين **بالعُدْوة**. وقرأ كراسة الإمام **فخر الدين الرازي** المسماة **بـ((الآيات البيّنات))**، على الأُستاذ **أبي القاسم بن جابر**، ونظم الأُصول على الأُستاذ النظّار **أبي القاسم بن الشّاط**، وأخذ الحساب عن **أبي الحسن بن راشد**، والحساب والهندسة والأصول وكثيراً من عمليات الحساب وجَبْره ومقابلته والنجوم، على الأُستاذ **أبي عبد الله بن الرَّقام**؛ ولازمه كثيراً.

تواليفه

وله تصانيف وأوضاع منها: ديوان شعره المسمى بـ(**(السليمانيات والعربيات**[1] **وتنشيط الكسل**)). ومنها **شرحه لكّراسة الفَخْر**، وهو غريب المأْخذ، جمع فيه بين طريقتي القدماءِ والمتأخرين من المنطقتين. وكتابه المسمى

---

[1] **في النفح: ((والعرفيات)).**

بـ((**الاختيار والاعتبار**))؛ في الطبّ. وكتابه المسمى ((**بالتذكرة في الطبّ**)).

شعره

وجرى ذكره في **التاج المحلّى** بما نصه: درَّة بين الناس مُغْفَلة، وخِزانة على كل فائدة مُقْفَلَة، وهدية من الدهر الضَّنين لبنيه مُحْتَفلة، أبدع من رتَّب التعاليم وعلَّمها، وركَّض في الألواح قلمها، وأتقن من صور الهيئة ومثَّلها، وأَسس قواعد البراهين وأثَّلها، وأعرف من أول شِكاية، ودفع عن جسم نِكاية، إلى غير ذلك من المشاركة في العلوم، والوصول من المجهول إلى المعلوم، والمحاضرة المستفزّة للحلوم، والدُّعابة التي ما خلع العِذار فيها بالملوم. فما شِيت من نفسٍ عذْبة الشّيَم، وأخلاق كالزهر من بعد الدّيم، ومحاضرة تُتْحف المجالس والمحاضر، ومذاكرة يروق النواظر [1] زهرها الناضر. وله أدبٌ ذهب في الإجادة كل مذهب،، وارتدى من البلاغة بكل رداءٍ مُذهب، والأدب نقطة من حَوْضه، وزهرة من زهرات

[1] في النفح: ((في النواظر)).

روْضه، وسيمر له في هذا الديوان، ما يُبهر العقول، ويحاسن برُوائه، ورائق بهائه، الفرند المصقول. فمن ذلك ما خرَّجته من ديوان شعره المسمى ((**بالسُّليمانيات والعربيات** [1])) من النَّسيب [2]:

ألا أستودع الرحمان بــدراً مكمــلا
بفــاس مــن الدرب الطويــل مطالعــه

وفي[3] فلــك الأزرار يطلع[4] سعــدُه
وفي أفــق الأكبــاد تُلــفى مواقعــه

يصيــر[5] مــرآه منجــم مُقلــتي
فتصــدِّقُ في قطــع الرجــاء قواطعه

تجسَّــم من نــور[6] الملاحــة خــدّه
ومــاءُ الحيــا فيــه تَرَجْــرَج مائعــه

---

[1] في النفـح: ((والعزفيـات)).
[2] البحـر الطويـل.
[3] في النفـح: ((ففـي)).
[4] في الكتيبـة: ((مَطْلَـعُ)).
[5] في الإسكوريـال: ((يسيـر))؛ وصوبـت مـن النفـح.
[6] في النفـح: ((مـاء)).

تلَّـــــون كالحربـــاء في خجلاتـــه

فيحمـــرٌّ قانيـــــه ويبيـــضٌ ناصعـــه

إذا اهتـــزَّ غنَّى حلْيُه فـــوق نحـــره

كغُصـــن النَّقـــا غَنَّـــت عليـــه سواجعه

يذكر حتـــف الصبِّ عامـــل قـــدره[1]

وتقطـــف[2] مـــن واو العِـــذار توابعـــه

أعـــدَّ للورى[3] سيفا كسيف لِحاظـــه

فهـــذا هـــو المـــاضي وذاك يُضارعه[4]

ومن أخرى في النَّسيب، وتضمّنت التَّورية الحسنة [5]:

وصالـــك هـــذا أم تحيـــةُ بـــارق

وهجـــرُك أو ليـــل السَّلم[6] لتائـــق

---

[1] في الكتيبـة، والنفـح: ((قدّه)).
[2] نفسهمـا: ((وتعطـف)).
[3] في النفـح، والكتيبـة: ((الـورى)).
[4] في الكتيبـة: ((مضارعـه)).
[5] البحـر الطويـل.
[6] في الكتيبـة، والنفـح: ((السليـم)).

أُناديــك[1] والأشواق تركض حجرها[2]
بصفحـــة خدِّي من دموع سوابـــق
أَبـــارق ثغـــر من عُذيـــب رُضابه
قضت مهجتي بين العُذيب وبارق

ومنهـا :

فـــلا تُتعبـــنَّ ريح الصَّبا في رسالة
ولا تُخجل الطَّيف الذي[هو طارق][3]
متى طعمت عيني الكرى بعد بعدكم
فإني في دعوى الهوى غير صادق

[قولـه((أبـارق ثغـر مـن عذيـب رضابـه)) ؛ ينظـر إلى قـول ابـن النبيـه في ذلـك [4]:

يلـــوي على زرد العـــذار دلالـــه
كـــم فتنـــة بيـــن اللّوى وزرُود]

---

[1] **في النفـح: ((أباديـك)).**
[2] **في الكتيبـة: ((حُمْرُهـا)).**
[3] **في النفـح: ((كـان طـارق)).**
[4] **البحـر الكامـل.**

ومن قصيدة ثبتت في السلمانيات [1]:

بدا بدر تـــمْ فوقه الليـــل عَسْعســـا
وجنَّــــة أُنـــس في صبـــاحٍ تنفَّســـا

حوى النجـــم قِرْطاً والدَّراري مُقلدا
وأسْبَـــل من مســـك الذوايب[2] حِندِسِـــا

كـــأَنَّ سنـــا الإصباح رام يزورنـــا
وخـــاف العيـــون الرامقـــات فغلَّســـا

أتى يحمل التـــوراة[3] ظَبيـــاً مُزّنَّـــرا
لطيـــف التثني أشنـــب الثَّغـــر ألعســـا

وقابـــل أحبـــار اليهـــود بوجهـــه
فبـــارك ربِّي[4] عليـــــــه وقدَّســـا

ومنها وتماجن ما شاء غفر الله له:

رويت ولوعي من[5] ضلوعي مُسَلْسلا
فأصبحت مـــن علْـــم الغـــرام مُدرِّســـا

---

[1] البحـر الطويـل.
[2] في النفـح: ((الذؤابـة)).
[3] هكـذا في النفـح؛ بينمـا كتبـت في الإسكوريـال: ((التوريـة)).
[4] في النفـح: ((مولانـا)).
[5] نفسـه: ((عـن)).

نفى النوم عني كي[أكون مسهــدا][1]
فأَصبحـــت في صيــد الخيـــال مهندسا
غزال من الفـــردوس تسقيه أدمعي
ويـــأَوي إلى قلـــبي مثيـــلاً[2] ومكنســـاً
طغى وردْ خدَّيـــه بجنَّات[3] صدغـــه
فأضعفـــه بـــالآس نَبْتـــا ومـــا آســـا

[قوله طغى ورد خديه، البيت محال على معنى فلاحي، إذ من أقوالهم أن الآس، إذا اغتُرس بين شجر ورد، أضعفته بالخاصية]. وقال أيضاً في قصيدة **مهيارية** [4]:

نـــام طفل النَّبت في حجـــر النَّعامى
لاهتـــزاز الطَّـــلِّ[5] في مهـــد الخـــزامى
وســـقَى الوسْـــمِيُّ أغصـــان النَّقـــا
فهـــــوت تلثــــم أفــــواه النَّـــدامى

---

[1] **في الإسكوريـال: ((منجمـا)).**
[2] **في النفـح: ((مقيـلا)).**
[3] **في الإسكوريـال: ((بجنـان)).**
[4] **بحـر الرمـل.**
[5] **في الكتيبـة الكامنـة، ونثيـر فرائـد الجمـان: ((الظـلّ)).**

كحَّــل الفجــرُ لهــم جَفْــن الدُّجى

وغــدا في وجْنَــة الصُّبــح لِثامــا

تحســب البـــدر مُحيَّــا ثمــل

قــد سقَتْــه راحــة الصبـــح مُدامــا

حوله الزهــر[1] كــؤوس قــد غــدت

مِسكــــة[2] الليـــل عليهــنَّ ختامــا

يا عليــل الريــح[3] رفقــاً علَّــني

أُشْــف بالسَّقــم الــذي حُــزت سقِامــا

وأُبلّغــنْ[4] شــوقي عريبــاً[5] باللّــوى

هَمَــت في أرض بهــا حلّــوا غِرامــا

فرشــوا فيهــا مــن الدُّر حــصًى

ضربــوا فيهــا مــن المســك خِيامــا

[1] في الكتيبـة، والنثيـر: ((الشُّهب)).
[2] في الإسكوريـال: ((مسكيـة)).
[3] في الكتيبـة: ((الـروح)).
[4] في النفـح: ((أبلغنْ))؛ بحـذف الـواو.
[5] نفسـه: ((عربيـا)). وعريـب عشيـرة يمنيـة.

كنــت أشــفي غلــة مــن صدِّكــم[1]
لــــو أَذِنتــم لجُفــوني أن تنامــــا
واستفَــدْتُ[2] الرُّوح من ريـــح الصَّبا
لـــو أتــتْ تحمــل مـــن سلْمى سلاما
نشـــأت للصَّـــب منهـــا زفـــرة
تَسْكُـــب الدَّمـــع عـــلى الرَّبع سِجامـــا
طَرِب البـــرق مـــع القلـــب بهـــا
وبهـــا الأَنَّـــات طَارَحْــــنَ الحِمامـــا
طلـــلٌ لا تستشـــفي[3] الأذن بـــه
وهـــو للعينيـــن قـــد أَلْـــقى كلامـــا
تـــرك السَّاكـــن لي مـــن وصْلِـــه
ضمّـــة الجُـــدران[4] لثْمـــا والتزامـــا
نزعـــات مـــن سليمـــان بهـــا
فَهِـــم القلـــب معانيهـــا فَهامـــا

[1] في الكتيبة: ((من طيفكم))، وفي النثير: ((كنت أشري زورة من طيفكم)).
[2] في النثيـر: (واستعدت)).
[3] في الكتيبـة، والنثيـر: ((تستـفي)).
[4] في الإسكوريـال: ((الجدبـان))؛ وصوبـت مـن النفـح.

شـــادنٌ يَــرْعى حشاشات الحـــشَى
حَسْبُ حـــظّي منـــه أن أرْعى الذّمامـــا

وقـال مـن قصيـدة أولهـا في غـرض النسيـب [1]:

أأرجـــو أمانـــا منك واللحـــظ غادر
ويثبتُ عقـــلي[2] فيـــك والطَّـــرف ساحر
أعـــــدَّ سليمـــــان أليـــم عذابـــه
لهدهُـــد[3] قلـــبي فهـــو للبيـــن صائـــر[4]
أشاهد منـــه الحُســـن في كـــل نظرة
وناظـــر أفكـــــاري بمغنـــاه[5] ناظـــر
دعَـــتْ للهوى أنصار سحـــر جُفونه
فقلـــبي له عـــن طيـــب نفـــس مُهاجر
إذا شـــقَّ عن بـــدر الدجى أُفق ذرِّه[6]
فـــإني بتمويـــه العـــــواذل كافـــر

---

[1] البحـر الطويـل.
[2] في الكتيبـة: ((قلـبي)).
[3] في النفـح: ((الطائـر)).
[4] في الكتيبـة: ((صابـر)).
[5] نفسـه: ((لمعنـاه)).
[6] في الكتيبـة، والنفـح: ((زره)).

وقد حُرم السُّلوان طافَــتْ[1] خواطري

وقلــبي لمـــا في وجنتيــه مُجــاور

وقــد ينْــزع القلــب المُبَلَّى[2] لسَلْــوة

كمــا اهتــزَّ من قطــر الغمامــة طاير

يقابــل أغــراضي بضِــدِّ مرادهــا

ولــم يــدر أن الضِّــد للضِّــد قاهــر

ونارُ اشتيــاقي[صعَّدت][3] مُزْن أدمعي

فمُضمَــر سرِّي فــوق خــدِّي ظاهر

وقد كنت باكي العيــن والبين غايب

فقل إلى كيف حال[4] الدمع والبين حاضر

وليــس النَّوى بالطبع مــرًّا وإنمــا

لكثــرة مــا شُقَّــت عليــه المرائــر

---

[1] في النفح: ((طابت)).

[2] في الكتيبة: ((الشجي)).

[3] وردت هذه الكلمة في النفح؛ بينما سقطت في الإسكوريال.

[4] سقطت هذه الكلمة في النفح؛ بينما وردت في الإسكوريال. وفي الكتيبة: ((فقل كيف حال الدمع..)).

ومنها في وصف ليلة:

وزنجيَّـــة فات الكــؤوس بنحْرهــا
قلايـــد ياقـــوت عليهـــا الجواهـــر
ولا عيـــب فيهـــا غيـــر أن ذبالها
يُقَطّـــب فتبـــدو الكـــؤوس[1] سرايـــر
تجنبـــت فيها نَيْـــل كـــل صغيرة
وقـــد غُفـــرت فيهـــا لـــدي الكبائر

ومن السُّليمانيات من قصيدة [2]:

يـــا بارقـــا قـــاد الخيـــال فأومضا
أَقصِد بطيفـــك مُدْنَفـــاً قـــد غمّضا
ذاك الذي قـــد كنت تعهـــد نائمـــا
بالسُّهـــد من بعـــد الأحبَّـــة عوَّضا
لا تحسبُـــني مُعْرضـــا عـــن طيفه
لكـــن منامي عـــن جُفوني أعرضا

---

[1] **جعلها د. طويل: ((للكؤوس)).**
[2] **البحر الكامل.**

عجب الوشاة لمهجــتي أن لم تذُبْ
يـــوم النَّوى وتشكَّكت فيمـــا مضى

ومنها:

خفيــت لهــم مــن سرِّ صبري آية
مــا فهمــت إلاَّ سليمـــان الرِّضـــا
لله درُّك ناهجـــاً سبُـــل الهـــوى
فلمثلـــه أمــر الهـــوى قد فوِّضـــا
أمنـــت نمـــلاً فــوق خدِّك سارحـــا
وسللت سيفـــاً من جُفونـــك مُنْتضى

ومن الأمداح قوله من قصيدة [1]:

حريص على جرِّ الذوايـــب والقنـــا
إذا كعَّــتِ[2] الأبطـــال والجــوُّ عابـــس
وتعتنـــق الأبطـــال لـــولا سقوطهـــا
لقلـــت لتوديـــعٍ أَتتْـــه الفـــوارس

---

[1] البحـر الطويـل.
[2] أي: إذا جبنـت وضعفت الأبطـال.

إذا اختطفتـــــم كفّـــــه فسروجهـــم
مجـــالٌ وهـــم في راحيتـــه فرائـــس[1]

وقال يمدح السلطان أمير المسلمين **أبا الوليد بن**[2] **نصر** عند قومه من فتح **أشكر** [3] من قصيدة أولها [4]:

بحيث البنـــود الحمر والأســـد الورد
كتائـــب سكّـــان[5] السمـــاء لهـــا جنـــد
وتحـــت لِواء النصر ملك هو[6] الورى[7]
تضيـــق به الدنيـــا إذا راح أو يغـــدو
تأَمَّنـــــت الأرواح في ظـــل بنْـــده
كـــأنَّ جنـــاح الروح[8] من فوقـــه بَنْـــد

---

[1] في الإسكوريـال: ((عرائـس)).
[2] كلمـة: ((ابـن)) أضيفـت مـن النفـح.
[3] تقـع مدينـة أشكـر شمـال مدينـة بسطـة.
[4] البحـر الطويـل.
[5] يقصـد بسكـان السمـاء: الملائكـة.
[6] في الإسكوريـال: ((هـدى)).
[7] ورد هـذا الشطـر في الكتيبـة هكـذا:
((وتحـت لواء الشرع ملـك هـو الـهـدى)).
[8] يقصـد جنـاح جبريـل عليـه السـلام.

فلــو رام إدراك النجـــــوم لنالهــا
ولو هــمَّ لانْقَــادت إليه[1] السِّند والهند

بعيـــني بحـــر النَّقـــع تحـــت أَسِنَّــة
تُمنمـــه[وهنـــاً][2] كمـــا نمنـــم البـــرد

سمـــاءُ عجـــاج والأَسنَّـــة[3] شهبهـــا
ووقْـــع القنـــا رعـــدٌ إذا برق الهنـــد

وفي وصف آلة النَّفط:

وظنَّوا بأنَّ الرعد والصعق في السما
[فحاق بهم من دونها][4] الصعق والرعد

عجائب[5] أشكـــال سما هِرْمـــس بهـــا
مهندمـــة[6] تـــــأتي الجبـــال فتَنْهـــدُّ

---

[1] في الكتيبة، والنفح: ((له)).
[2] سقطت هذه الكلمة في الإسكوريال؛ بينما وردت في النفح.
[3] في الكتيبة: ((والقوانس)).
[4] وردت هذه العبارة محرفة في النفح؛ هكذا: ((محاق به من أيده)).
[5] في اللمحة: ((غرائب)).
[6] في النفح: ((مُهَنْدَسَة)).

إلاَّ إنَّهــا الدنيــا تريــك عجايبــا

وما في القــوى منها فلا بُــدَّ أن يبدو

وكتب وهو معتقل بسبب عمل تولاه جحدرية أولها [1]:

تباعــد عــني منــزلٌ وحبيــب

وهــاج اشتيــاقي والمــزار قريــب

وإني على قرب الحبيب مع النوى

يكــاد إذا اشتــدَّ الأنيــــن يجيــب

لقــد بعــدت عــني ديــارٌ قريبة

عجبــت لجار الجنــب وهو غريــب

ومنها:

أعاشــر قومــاً[2] ما تقــر نفوسهــم

فلْهِّــم فيهــا عنــد ذاك ضــروب

إذا شعــروا مــن جارهــم بتــأَوُّه

أجابتــه[3] منهــم زفــرةٌ ونحيــب

---

[1] **البحر الطويل.**
[2] **في النفح: ((أقواما تقرُّ)).**
[3] **في الإسكوريال: ((أجابتهم))؛ وصبت من النفح.**

فـــلا ذاك يشكو هـــم هـــذا تأسُّفـــا

لكـــل امـــرئ ممـــا دهـــاه نصيب

كـــأني في غـــاب الليوث مُسلّمـــاً[1]

يروِّعـــني منهـــا الغـــداة وثـــوب

تحكَّم فينا[2] الدهـــر والعقـــل حاضر

بكـــلّ قيـــاس والأديـــب أريـــب[3]

ولو مـــال بالجهَّـــال ميلتـــه بنـــا

لجـــاءَ بعـــذرٍ إنَّ ذا لعجيـــب

رفيقٌ بمن لا ينثـــني عـــن جريمة

بطـــوش بمـــن مـــا أوبقتـــه[4] ذنوب

وتطعمنـــا[5] منـــه بـــوارقُ خُلَّـــب

نقـــول[6] عســـاه يرْعَـــوي ويتـــوب[7]

---

[1] في النفـح: ((مسالـمٌ)).
[2] نفسـه: ((فيهـا)).
[3] نفسـه: ((أديـب))؛ مكـررة.
[4] أي أهلكتـه.
[5] في النفـح: ((ويطمعنـا)).
[6] نفسـه: ((تقـول)).
[7] نفسـه: ((فيـؤوب)).

إذا ما تشبثنا بأذيال بُرده
دهَتْنا إذا جرّ الذيول[1] خطوب
أدار علينا صولجنا ولم يكن
سوى أنه بالحادثات لُعوب

ومنها:

أيا دهر إني قد سئمت تهدُّفي
أَجرْني فإن السهم منك مصيب
إذا خفق البرق الطروق[2] أجابه
فؤادي ودمع المقلتين سَكوب
وإن طلع الكفُّ الخضيب بسحره[3]
فدمعي بحنَّاءِ الدماءِ خضيب
تُذَكّرني الأسحار داراً ألفتها
فيشتد حُزني والحمام طروب
إذا عَلِقت نفسي بليت ربما
تكاد تفيض أو تكاد تذوب

[1] في النفح: ((الخطوب)).
[2] في الإسكوريال: ((الطروب)).
[3] في النفح: ((سحيرة)).

دعوتـــك ربِّي والدعـــاء ضراعـــة

وأنـــت تُنـــاجى بالدعـــا فتجيـــب

لئن كان عُقبى الصبر فوزاً وغبطة

فإني على الصبـــر الجميـــل دَرُوب

وبعثت إليه هدية من البادية، فقال يصف منها ديكا، وكتب بذلك رحمة الله عليه [1]:

أيـــا صديقـــاً جعلتـــه سنـــدا

فـــراح فيمـــا أحبَّـــه وغـــدا

طلبـــت منكـــم صرُيَدِكاً[2] خنثا

وجَّهْتمـــوني[3] مكانـــــه لبـــــدا

صيَّـــر مـــنى مؤرخـــاً ولكـــم

ظللـــت في علمـــه من البُلـــدا

قلـــــتُ لـــــه آدم أتعرفـــه

قـــال حفيـــدي بعصرنا[4] وُلـــدا

---

[1] بحـر المنسـرح.
[2] في النفـح: ((سُرَيْدِكـاً)).
[3] نفسـه: ((جئتـم لي)).
[4] في الإسكوريـال: ((بعصـره)).

نـــــوحٌ وطوفانـــه رأيتهمـــا
قـــال عَلَوْنـــا لفيضـــه[1] أُحُـــدا
فقلـــت هـــل لّي بجرهم خبـــر
فقال قـــومي وجيـــرتي السعدا
فقلت قحطـــان هـــل مررت به
قـــال نفثنـــا ببُـــرده العُقَـــدا
فقلـــت صف لي سَبَـــا وساكنها
فعنـــد هـــذا تنفَّـــس الصَّعـــدا
وقال[2] كـــم لي بدُجنهـــم سحرا
من صرخـــةٍ لي وللنوم[3] هـــدا
فقلت هـــاروت هل سمعت به
فقـــال ريشي لسِحـــره[4] نَفِـــدا
فقلـــت[5] كسرى وآل شرعتـــه
فقـــال كنـــــا بجيشـــه وَفْـــدا

---

[1] في النفـح: ((بفيضـه)).
[2] نفسـه: ((فقـال)).
[3] نفسـه: ((وللنئـوم)).
[4] نفسـه: ((لسهمـه)).
[5] في الإسكوريـال: ((فقـال))؛ وصوبـت مـن النفـح.

ولّـــوْا وصــــاروا وها أنا لبـــدٌ[1]

فهل رأيتم مـــن فوقهـــم أحدا

ديـــكٌ إذا ما انثـــنى لفكرتــــه

رأى الوجـــود[2] طرائقـــا قـــددا[3]

يرفـــل في طيلسانــــه ولِهـــاً

قـــد صيَّر الدهـــر لونه كمِـــدا

إذا دجـــا الليـــل غـــاب هيكله

كـــأن حبـــرا عليــــه قد جَمـــدا

كأنمـــــا جلنـــــار لحيتــــه

بُرْجان حازا مـــن الهواء مـــدا

كأنـــا حصنـــا عـــلا بهامتــــه

أعـــدَّه للقتـــال فيـــــه عـــدا

يرنـــو بياقُوتَـــتي لواحظـــه

كأنمـــا اللحـــظ منــــه قد رمدا

---

[1] لبد: هو آخر نسور لقمان؛ وضرب بـه المثل في طول العمر.

[2] في النفح: ((وجوداً)).

[3] أخذ من قوله تعالى: (وَأَنّا مِنّا الصّالِحُونَ وَمِنّا دُونَ ذَلِكَ كُنّا طَرَائِقَ قِدَداً). سورة الجن؛ الآية: 11. وكنا طرائق قددا: معناها: كنا أهواء مختلفة، وفرقاً شتى.

كـــأن منجالـــتي ذؤابتـــه[1]
قـــوسٌ سمـــا[2] من أجلـــه بُعدا
وعَوْسَـــج مـــدَّ مـــن مخالبـــه
طـــغى بها في نقـــاره وعَـــدا
فـــذاك ديـــكٌ جلَّـــت محاسنـــه
لـــه صـــراخ بين الدُّيوك غـــدا[3]
يطلبـــني بالـــذي فعلـــت بـــه
فكـــم فَلَلنـــــا بلبَّتيـــه مـــدا
وجَّهتـــــه محنـــــةٌ لآكلـــة
والله مـــا كـــان ذاك منّي[4] سدى

ولـم نـزل بعـدُ نستعـدي عليـه بإقـراره، وبقتلـه، ونطلبـه بالقـود عنـد تصرفـه في العمـل، فيوجـه الدّية، لنـا في ذلـك رسائـل.

---

[1] في النفـح: ((ذوائبـه)).
[2] نفســه: ((سمــاء)).
[3] نفســه: ((بــدا)).
[4] نفســه: ((منـك)).

ومن شعره في غرض **الحسن بن هانئ**[1] :

طرقنـــا ديـــور القوم وهنا وتغليســـا
وقد شرَّفوا الناسوت إذا عبـــدوا عيسى
وقد رفعوا الإنجيـــل فوق رؤوسهـــم
وقـــد قدَّســـوا الروح المقدَّس تقديســـا
فمـــا استيقضـــوا إلاَّ لصكَّـــة بابهـــم
فأدهـــش رُهبانـــا وروَّع قِسِّيســـا
وقـــام بها البطريـــق يســـعى مُلبِّيـــا
وقد ليَّـــن[2] الناقـــوس رفقـــا[3]وتأْنيســـا
فقلنـــا لـــه آمنَّـــا فإنَّـــا عصابـــة
أتينـــا لتَثْليـــث وإن شِيـــت تَسْديســـا[4]
ومـــا قصدنـــا إلاَّ الكـــؤوس وإنمـــا
لَحَنَّـــا لـــه في القـــول خُبْثـــا وتدليسا

---

[1] في النفـح: ((في غرض أبي نـواس))؛ وهـذه القصيـدة مـن البحـر الطويـل.
[2] في الكتيبـة: ((أصمـت)).
[3] في النفـح: ((رفعـاً)).
[4] التثليـث: شـرب ثلاثـة كـؤوس، والتسديـس: شـرب ستـة كـؤوس. وذلـك في مجالـس الشـرب.

ففُتحـــت الأبـــواب بالرحـــب منهـــم

وعـــرَّس طـــلاب المُدامـــة تَعْريســـا[1]

فلما رأى زقّي[2] أمـــامي ومزْهـــري

دعـــاني أتأنيســـا[3] لحنـــت وتَلْبيســـا

وقـــــام إلى دَن يفـــــضُّ ختامـــه

فكبَّـــس[4] أجـــرم الغياهـــب تكبيســـا[5]

وطـــاف بها رطـــب البنـــان مُزَنَّـــر

فأبصـــرت عبداً صيَّـــر الحرَّ مرؤوسا

سُلافـــا حواهـــا القـــار لبســـا فخلتها

مثـــالا من الياقوت في الحبر مغموسا[6]

إلى أن سطـــا بالقوم سُلطان نومهـــم

ورأس قبيـــل[7] الشمع نُكّـــس تنكيســـا

---

[1] أي السهر إلى آخر الليل.
[2] في النفح: ((رقي)).
[3] في الكتيبة: ((تأنيسا))؛ بدون ألف.
[4] في النفح: ((فكيس تكييسا)).
[5] جاء هذا البيت في الكتيبة الكامنة هكذا:
((وقام إلى دَن فغضّ ختامه * فكيَّس أجرم الغياهب تكييسا)).
[6] في الكتيبة: ((ملبوسا)).
[7] في النفح، والكتيبة: ((قتيل)).

وثَبْـــتُ إليـــه بالعنـــاق فقـــال لي

بحقّ الهوى هَـــبْ لي من الضمِّ تَنفيسا

كتبـــت بدمع العيـــن صفحـــة خَـــدِّه

فطلَّـــس حبـــر الشعـــر كتبي تطليسا

فبيـــس الذي احتلنا وكدنـــا عليهـــم

وبيس الذي قد أضمروا قبـــل ذا بيسا

فبتنـــــا يرانـــا الله شـــرَّ عصابـــة

نطيـــع[1] بعصيـــان الشريعـــة إبليســـا

وقال بديهة في غزالة من النحاس على بِرْكَة في محل طلب منه ذلك فيه[2]:

عنَّـــت لنـــا من وحش وجرَّة ظَبْيـــة

جـــاءت لـــورد المـــاء مِلءَ عنانهـــا

وأظنهـــــا إذا حـــــدَّدت آذانهـــا

ريعـــت بِنـــا[3] فتوقفـــــت بمكانهـــا

---

[1] في الكتيبـة: ((تطيـع)).
[2] البحـر الكامـل.
[3] في الإسكوريـال: ((لنـا)).

حيَّــت بقــرني رأسهـــا إذا لم نجــد[1]
يــوم اللقـــــاء تحيـــة[2] ببنانهـــا
حنَّــت على النّدمـــان مـــن إفلاسهم
فرمـــت قضيـــب لُجَيْنهـــا لحَنانهـــا
لله دَرء غزالـــــة أبـــــدت لنـــا
دُرَّ الحِبـــــاب تصوغُــــه بلسانهـــا

وفاته

فلِج فالتزم المنزل عندي لمكان فضله، ووجوب حقَّه، وقد كانت زوجُه توفيت، وصَحِبه عليها وجدٌ شديد، وحُزْنٌ مُلازم، فلما ثقُل، وقرُبت وفاته، استدعاني، وقد كان لسانه لا يُبين القول، وأملى على فيما وصاني به من مُهم أمره [3]:

---

[1] في النفح: ((تجد)).
[2] نفسه: ((تحيفة)).
[3] البحر الطويل.

إذا مــتُّ فادفــنّي حــذاءَ حليلــتي
يُخالط عظمي في التُّراب عظامها
ولا تدفــنّي في البقِيــع فإنَّــني
أُريد إلى يــوم الحســاب التزامها
ورتب ضريحي كيفمــا شاء الهوى
تكون أمــامي أو أكون أمامهــا
لعل إله العــرش يجبــر صدعتني
فيعلي مُقــامي عنــده ومُقامهــا

ومات في ليلة الخامس والعشرين من عام ثلاثة وخمسين وسبعمائة [1]، ودَفَنْتُه عصره **بباب إلبيرة**؛ حذاء حَلِيلته كما عَهد، رحمة الله عليه.

***

[1] **الموافق لـ 1352م.**

يحيى بن عبد الكريم

الشنتوفي؛ [1] من أهل الجزيرة الخضراء.

حاله

كان أديبا ثرثاراً، أديباً لَوْذعيا، كثير النظم والنثر، كتب عن أمير المسلمين **أبي يوسف يعقوب** [2]، وابنه **أبي يعقوب**، واحتل معهم [3] بظاهر **غرناطة**.

كتابته

كتب عن المذكور عند نزوله غازيا ومجاهدا بظاهر **شَرِيش** ما نصه: ((أخونا الذي يسير بما يخلَّده بطون أوراق الدفاتر، من مأثور حميد المآثر، ويتلقى ما يَرِد عليه من قبلنا من منشور حِزْب البشاير، بمعاشر القبايل والعشاير، ويفوّق ما قَبسته، المنن لأقلام وأفواه المحابر، في مراقب مراقي المنابر، ويجمع لما وشْته سحايب الخواطر، من روْضات السَّجلاَّت في النوادي والمحاضر، الأمير الكذا،

---

[1] في الإسكوريال: ((الشنتوف)).

[2] هو الخليفة الموحدي المنصور أبو يوسف يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن. سبقت الإشارة إليه.

[3] صوبها د. طويل؛ فجعلها: ((معهما)).

أدام الله اهتزازه للأنباء السارة وارتياحه، ونَعَّم بها أرواحه، ووصل بكل أرجٍ من نسيم الجَذْل، ومُبْهج من وسيم الأمل، غدوه ورواحه، وأحبَّ به أرواحه. سلام كريم عليكم، ورحمة الله وبركاته، من أخيكم، الذي لا يَتِمُّ بِشْره إلاَّ بأَخْذِكم منه بأوفى حظٍّ، وأوفر نصيب، ومُصافيكم الذي لا يَكْمُل سروره، ويجمُل حبوره، حتى يكون لكم فيه سهم مُصِيب، ومَرْعى خصيب، الأمير **يوسف** ابن أمير المسلمين وناصر الدين **يوسف بن عبد الحق**.

أمَّا بعد حمد الله مُحِق الحق بتصعيده فوق النُّجوم ومُعليه، ومُبطل الباطل بتصريبه تحت النجوم ومُدليه، ومطهّر الأرض من نجس دنس الكفر وأوليه، ضَرْبا بالمُرهفات صبراً وطعنا بالمُشْعفات دِراكا، وجاعل البلاد الشّرك الأسار عُباد الإفك، بما نظمهم من سِلك الملك، وبدَّدهم من هَتْك السّتر، بالفَتْك والسَّفك، حبائل لا يخرجون منها وأشراكا، وخاذل من زلَّت عن السُّور قدمُه، وخرجت من الدُّور ذِمَمه، بأن يُراق دمه، ويُعدم وجوده وقِدمه، بلوغا لأمان أماني الإيمان وإدراكا،

والصلاة والسلام على سيدنا محمد، ناظم فرايد الفرايد، مُنَضّد عوايد المواعد، بالظَّفر المنتظر بكل جاحد مُعاند، قلايد لا تنتثر وأسلاكا وسالك مسالك الغزوات، وناسك مناسِك الخَلوات، ومُدرك مدارك قبول الدَّعوات، إفناءً الأعداء الله وإهْلاكا: والرضا على آله وصحبه، المُرتَدِين بمننه، المُهتدين بسُنَنِه، في إباحة حَرَم الحُرم، وإزاحة ظُلم الظُّلم، حنادس وأَحْلاكا، القارعين بأسيافهم أصْلاب كِلاب الصلُّبان تباكا، والقارعين أبواب ثَواب الرحمان نُسَّاكا، وموالاة الدُّعاء لسيدنا ومولانا الوالد، بتخليد السّعد المُساعد، وإدارة الإرادة بعَضد من النَّصر وساعد، مقادير كما يشاءُ وأفلاكا، وممالآت آياته آيات، هذه الرَّايات، بإدراك نهايات الغايات، في اشتباه أشياء ذوي الشَّايات، فلا تذر في الأرض كُفرا، ولا تدع فيها إشراكا. فكتبناه، كتب الله لإيخائكم الكريم أرفع الدرجات عُلاً، وأتمَّها تعظيما، وفضلكم مع العقود عن الشهود بالنّية التي لها أكرم ورود، وأصدق وفود، أجرا عظيما، من منزلنا بمخنَّق شَريش، حيث الكتايب الهايلة هالَّة بدُرها البادية

الخُسوف، والحُماة الكماة، أكمام زهرها الدَّاني القطوف، وسوار معصمها النائِي عن العصمة مجرَّدات صفوف صنُوف السيوف، فالشّفار بالأحداق، كالأشفار بالأحداق إدرارتها، الطَّاقة بحيزومها نطاقا، والفتح قد لاحت مَخَايلُه، وباحت مقاوِلُه، والكفر فلَّت مناصله وعُرفت مقاتله، والمُترف يتمنى أن يلقاه قاتله، فلا يقاتله فَرقاً، لا يجدون له فراقا فواقاً، فحماتُها العُتاة لا يرون إلا سماءَ نقع الكفاح، لمعاً متلاقيا وائتلافا، وكُماتها لا يشربون إلاَّ من تحت دمِهم المُطهّر بنَجسه وجه الأرض، المعدي به هريقُه من فيح حتّهم يوم العَرْض، المؤدي بإراقته واجب الفرض، إعدادا لامتثال الأمر الإلهي واعتناقا))...

ومن هذا الكتاب وهو طويل: ((ووَصَلْنا والخيل تَمْرح في أَعَنَّتها تصلُّفا، وتختال في مَشْيها تغطْرُفاَ، وتعضُّ على لُجُمها تحدُّقا وتحرُّفا، كأنها لم تَرْم قُصارى قُصور **النصارى**، دون تصور عنها، أغراضا وأهدافا، ودون معاهدة العُيون وَصْف الواصف، والأقلّ مما احتوى عليه هذا الفتح، تهتزُّ المعاطف، إذ الإيمان اهتزَّ إعطافا، وتوشح

به عطافا. وهل الكَتْبُ وإن طال، نبذة من نُبَذ الفُتوح، وفَلْذة من كبد النَّصر المَمْنُوح، وزهرةٌ من غُصن النَّدا المَروح، أدنينا لإيخائكم الكريم منه اقتطافا، والسلام)).

شعره

مــالي وللصبــر عني دونكم حجبا
وطالمــا هــزَّني أُنْسي لكــم طربــا
فحيــن شبَّ النوى في أضلعي لهبــا
هزَزْتُ سيف اصطباري بعدكم فَنبــا
وقلت للقلــب يَسْلــو بعدكــم فأبــا

***

غبتم فغــاب لذيــذُ الأُنــس والونــس
وخانــني جَلَــدي فيكــم فأَرَّقــني
ذكــرى ليالينــا في غفلــة الزمــن
فارقتُموني وطيــبُ العيش فارقني
وصرتُ من بعدكم حيــران مكتئبــا

***

مـــن لي بقُرْبكم في حِفْــظ عهدكـــم
فكـــم ظَفِــرتُ بـــه أيـــام وُدِّكـــم
وكـــم جـــرى دمـــع أجفاني لفقدكـــم
فلـــو بكيـــتُ دمـــاً مـــن بُعدكـــم
لم أقضِ من حقّ ذاك القُرب ما وجبا
***
للـــه أيامُنـــــا مـــا كـــان أَجْملهـــا
أوزَعَـــت بآخرهـــا شكـــرا[1] وأولهـــا
من حُسنها لـــم أزل أصبو بها ولها
يا صاح صبـــراً على الأيام إن لهـــا
على تصاريفها مـــن أمرهـــا عجبـــا
***
صبــــراً عـــلى زمـــن يبديك شيمته
إقبَـــلْ مساءتـــه واحمـــد مسرَّتـــه
فما عـــسى يبلـــغ الإنســـان مُنْيته
ومن كَرِهْت ومن أحببـــت صحبته

[1] في الإسكوريال: ((سكرا))؛ وصوبت من الزيتونة.

لا بد أن يفقـــد الإنســـان من صحبا

***

[قلت عجبا من الشيخ **ابن الخطيب** رحمه الله، في ذكره هذا المترجم به في ترجمة المُقْرئين، مع تحليته له، ووصفه إياه بما وصفه من الكتابة والشّعر، بل وإثباته له كتابته، وشعره، فكان حقَّه أن يكون في ترجمة الكتَّاب والشعراء بعد هذه الترجمة][1].

***

[1] **يرجح أن يكون هذا التعليق المحصور بين حاصرتين؛ بقلم الناسخ.**

يوسف بن إبراهيم

ابن يوسف بن محمد بن قاسم بن علي الفهري؛ من أهل غرناطة؛ يكنى أبا الحجاج، ويعرف بالسّاحلي [1].

حاله

من **العايد** [2]: صدْرٌ [3] في حملة القرآن، على وتِيرة الفضلاء وسُنن الصالحين، من لِين الجانب، والعُكوف على الخير، وبذل المعروف، وحسن المشاركة، والخُفوف إلى الشّفاعة. أب الأُمراء، وحضي بتَسْويدهم، وناب في الخطابة بالمسجد الأعظم من **حمرائهم** [4]، وكان إماما به، ذا هُدًى وسكينة ووقار. وحجَّ، ولقي المشايخ [5]، واعتنق الرواية والتَّقييد، فانتُفع بلقايه.

---

[1] لـه ترجمـة أيضاً في نفـح الطيـب.
[2] أي من كتـاب عائـد اللصلـة لابـن الخطيـب.
[3] في النفـح: ((صـدرٌ مـن صـدور حملـة القـرآن)).
[4] يقصـد قصـر الحمـراء؛ بـلاط الدولـة النصريـة.
[5] في النفـح: ((الأشيـاخ)).

مشيخته

قرأ على: الأُستاذ العلامة **أبي جعفر بن الزبير** ببلده، وعلى الشيخ الخطيب الصوفي **أبي الحسن بن فضيلة**، وعلى الخطيب الصالح، **أبي جعفر بن الزيات**، والمحدّث الرَّحال **أبي عبد الله بن رُشيد**. وأخذ في رحلته عن جُملة، كالخطيب الرواية، **أبي عبد الله محمد بن محمد بن فُرتون، وناصر الدين منصور بن أحمد المشدالي**، والأستاذ **أبي عبد الله بن جعفر اليحصبي**، وقاضي الجماعة **ببجاية** الإمام **أبي عبد الله بن يحيى الزواوي**، والفقيه المحدث **أبي عبد الله محمد بن إبراهيم بن الحسن الشافعي**. وأجازه سوى من تقدَّم ذكره، من **أهل المشرق**، **عبد الغفار بن محمد الكلابي، وحسن بن عمر بن علي الكردي، وعَتِيق ابن عبد الرحمان بن أبي الفتح العمري، ومحمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة الكناني، وعمر بن أبي بكر الوادي آشي، وصالح بن عباس بن صالح بن أبي الفوارس الأسعد الصدفي، وأحمد بن محمد بن علي الكناني، ومحمد بن أحمد، وأحمد بن إسماعيل بن علي**

ابن محمد بن الحباب، وأم الخير ابنة شرف الدين بن الطباخ الصُّوفي. وقرأ ببلده **غرناطة** على الأستاذ **أبي جعفر الطبَّاع**، والشيخ **أبي الحسن معن بن مؤمن، وأبي محمد النبغدي، أبي الحسن البلوطي.**

أنشدنا ؛ قال: كتب إليَّ شيخنا **محمد بن عتيق بن رشيق ؛** في الاستدعاء الذي أجازني ؛ ولمن سمَّى فيه [1]:

أجــزتُ لهــم أبقاهــم الله كلمــا
روىت عن الأشياخ في سالــف الدهــر
وما سمعــت أُذُناي عن كــل عالِم
وما جــاد من نظمي وما راق من نثــر[2]
على شرط أصحاب الحديث وضَبْطهم
بَريٌّ من[3] التَّصحيــف عار من[4] النُّكــر
وجدِّي رشيق شاع في الغرب ذكره
وفي الشَّرق أيضا فادْر إن كنت لا تــدر[5]

---

[1] البحر الطويل.
[2] في النفح: ((نثري)).
[3] نفسه: ((عن)).
[4] نفسه: ((عن)).
[5] نفسه: ((لا تدري)).

ولي مولــدٌ من بعــد عشريــن حجــة

ثمــان على السِّــت المبيــن[1] ابتدا عمرِ[2]

وبالله توفيـــقي عليـــه توكــلي

لــه الحمد في الحالتين[3] في العُسْر واليُسْر

حدثني شيخنا **أبو بكر بن الحكيم**؛ قال: أصابتني حُمَّى، فلما انصرفت عني، تركت في شفتي بثوراً علي، فزارني الفقيه **أبو الحجاج السَّاحلي**، فأنشدني [4]:

حاشــاك أن تمــرض حاشــاك

قــد اشتــكى قلــبي لشَكْواكــا

إن كنت محموما ضعيف القوى

فإنَّــني أَحْسِــد حُمَّاكـــا

مــا رضيــت حُمَّاك إذ باشرت

جسمــك حــتى قَبَّلــت فاكــا

---

[1] في النفـح: ((المئيـن)).
[2] نفسـه: ((عمـري)).
[3] في النفـح: ((ي الحاليـن)).
[4] البحـر السريـع.

مولـده

عـام سبعـة وستيـن وستمايـة [1].

وفاتـه

تـوفي رحمـه الله **بالحمـراء** العليـة ؛ في السابـع والعشريـن لشهـر رمضـان مـن عـام اثنيـن وخمسيـن وسبعمايـة [2].

***

[1] الموافـق لـ 1261م.

[2] الموافـق لـ 1351م.

***

يحيى بن محمد

ابن يوسف الأنصاري؛ يُكَنّى أبا بكر، ويعرف بابن الصَّيرفي [1]؛ من أهل غرناطة.

حاله

كان نسيج وحده في البلاغة والجزالة، والتبريز في أسلوب التاريخ، والتملؤ من الأدب، والمعرفة باللغة والخبر. قال **أبو القاسم**: من أهل المعرفة بالأدب والعربية والفقه والتاريخ، ومن الكتاب المجيدين والشعراء المطبوعين المكثرين. كتب **بغرناطة** عن الأمير **أبي محمد تاشفين**[2]، وله فيه نظم حسن.

مشيخته

قرأ على شيوخ بلده، وأخذ عن العالم الحافظ **أبي بكر بن العربي ونمطه**.

---

[1] له ترجمة أيضاً في: المغرب في حلى المغرب، والبيان المغرب، والتكملة لكتاب الصلة، وبغية الوعاة، وجيش التوشيح، وإعمال الأعلام، وهدية العارفين.

[2] هو الأمير المرابطي أبو محمد تاشفين بـ علي بن يوسف بن تاشفين.

تواليفه

أَلَّف في **تاريخ الأندلس** كتاباً سماه ((**الأنوار الجلية في أخبار الدولة المرابطيَّة**))؛ ضمنه العُجاب إلى سنة ثلاثين وخمسماية [1]. ثم وصله إلى قرب وفاته، وكتاباً آخر سماه ((**تقصي الأنباء وسياسة الرؤساء**)).

شعره

قال: أنشدت **الأمير تاشفين**؛ في هلاك **ابن رذمير** [2]:

أشكو الغليل بحيث المشرب الخضر
حسبي وإلاَّ فوردٌ ما له صدرُ
تجهَّمت لي وجوه الصبر مُنْكرة
ولاحظتني عيونٌ حشوها حَذَر
إني لأجزع من ذاك الوعيد وفي
ملقى الأسنَّة منَّا معشرٌ صبر [3]

---

[1] **الموافق لـ 1135م.**
[2] **هو ألفونسو المحارب ملك أراغون. سبقت الإشارة إليه. وهذه القصيدة من البحر البسيط.**
[3] **جعلها د. طويل: ((صبروا)).**

فلت سلاحي الليالي أي ظالمـــة
ولو أعادت شبابي كنت أنتصـــر
مُشَيِّعاً كنت ما استصحبت من أمــل
كما يُشَيِّـــع سهم النَّـــازع الوتـــر
فهـــا أنا وعزيـــز فـــي نَامِسَـــة
تسود في عينه الأوضاح والغُرَر
يـــا حيّ عذرة فُتياكـــم بنازلـــة
لم تنفصل يمنٌ عنها ولا مضـــر
ما الحكم عندكم إذ نحن في حُرم
على جِنايـــة رامٍ سهمـــه النَّظـــر
أرعاني الشُّهـــب في أحشاء ليلتها
حمل من الصُّبـــح أرجوه وانتظر
يفترُّ عن بُرد من حولـــه لَهَـــبٌ
أو عن نبـــاتٍ أقـــاح أرضُه سَقَر
وبين أجفانه نهيـــف الأميـــر أبي
محمـــد تاشفيـــن أو هو القَـــدَر

سيفٌ به ثُلَّ عرش الروم واطَّادَتْ
قواعــد المُلْك واستولى به الظَّفر
وأدرك الدين بالثأر المنيم عــلى
رغمٍ وجاءت صروف الدهر تعتــذر
مــنىً تنــال وأيــامٌ مُفَضَّضــة
مُذْهَّبــات العشايــا لَيْلُهــا سَحَر
وفي الذُّؤابة من صنهاجة مَلِــكٌ
أغرُّ أبلــج يُسْتَسقى به المَطَــر
مؤيدٌ من أمير المسلمين له هوىً
ورأيٌ ومــن سيــرٍ لــه سيــر
أنحى على الجَور يمحو رســم أحرفــه
حتى استجار بأحداق المَهَى الحَــوَرُ
يا تاشفيــن أمــا تنفَــكُّ بــادرة
من رَاحَتَيْــك المنايا الحُمْر تَبْتَدر
وكم ترنَّــح في رَوْضٍ جَداولــه
بيضُ السيوف وملتفٌّ للقَنَى شجر

هي التَّرايـــك فوق الهام لا حَبَبٌ
والسَّابغات على الأعْطاف لا القَـــدَر
لك الكتايب ملءُ البيـــد غازيـــةٌ
إذا أتت زمرٌ منها مضـــت زُمَر
على ساكبها للنَّقْـــع أَرْدِيـــة مـــن
تحتهـــا جِلّـــق من تحتها زُبـــر
تدبٌّ منها إلى الأعـــداء سابلـــة
عقـــاربُ ما لها إلاَّ القَنَـــا إِبَـــر
بعثتهـــا أُسُـــداً شتى إذا مَرجـــت
جِنَّ الوغا انقَضَّ منها أنجمٌ زهر
يا أيها الملك الأعلى الذي سجدت
لسيفه الهام في الهيجاء والقُصُـــر
أَعِرْ حِرار ضُلُولعي بَرْدَ ما نهلت
خيلُ الزُّبير ونار الحرب تَسْتعـــر
حيث الغُبار دخانٌ والظُّبا لهـــبٌ
والأَسِنَّـــة في هـــام العِدا شُـــرر

والنَّقْع يطفو وبيضُ الهند راسية

إن الصواعــق يوم الغَيْــم تَنْكدر

أَعْطى الزبيرُ فتى العلياء صارمَه

لكن بسَعْدك ما لم يُعطَــه عُمــر

ولَّته أَظْهُرَها الأبطال خاضعــة

تَكْبُو وتصفعهــا الهندِيَّــة البُتُــر

بحر من الخلق المَسْرود مُلتَطــمٌ

يسيل من كل سيف نحوه نَصْــر

أَمَّ ابنُ الزبير ابن رُذمير بداهيةٍ

عضَّت ومسَّك من أظْفَاره ظَفَــر

لقد نفحت من التيجان في محــم

وأين من فَتَكات الضَّيْغــم النُّمــر

لقد نجوتَ طليق الركض في وَهَــن

من الأَسنَّــة حتى جاءك القــدر

خلعت دِرعاً واعتضت الظَّلام بهــا

وخاض بحرُ الوَغا مركوبَك الخطــر

ومنهـا :

ما بال إنجيلك المتروك ما ذمرت
نفوس قومك منه الآي والسُّــور
أهديتها غير مشكــور مُضمَّــرة
ملء الأعنَّة منها الزَّهو والأَســر
وظــل طفــلٌ من البولاد دانيــة
سمــراً[1] تُرضِعه اللَّبات والثَّغــر
وعابسُ المنايــا[2] وهي ضاحكــة
من خَــدِّه بثغــورٍ زانهــا أشــر
وكل حارسة في الرَّوع لابَسهــا
منسوجةٌ من عيون ما لها نظــر
أعدت للحرب إنذاراً سخوت بها
على الرِّجال التي منها لها وِزر
قضَتك من حِمير صيدٌ غطارفــة
فضُّ الرجاحة عوص الدهر ينحبر

---

[1] **جعلها د. طويل: ((سمراء)).**
[2] **جعلها د. طويل: ((وعابسٌ للمنايا)).**

ملثَّمون حياءً كلمـــا سَفَرت لهـــم

وجوه المنايا في الوَغا سَفـــروا

جادوا بطعنٍ كأسماع المحـــاص

إلى ضرب كما فَغَرت أفواهها الحُمُـــر

وحـــدْت عنها محيـــاً مُرَوَّعـــة

فضت بما مجَّ في أحشائك الذُّعر

فرَّت إلى حتفها من حتفها فمضت

والموت يطْرُدُها والموت ينتظـــر

قالوا نجا بذما[1] النَّفْس منك فمـــا

نجا وقـــد بقرته الحيـــة الذَّكـــر

توزَّعـــت نفساً على حِشيَّتها طنباً

[2] للوساوس يَحْدُو جيشُها السَّهـــر

نصرٌ عزيز وفتحٌ ليـــس يَعْدلـــه

فتحٌ وللـــه فيه الحمد والشكـــر

---

[1] جعلها د. طويل: ((بذماء))؛ بإضافته للهمزة.

[2] أضاف د. طويل هنا كلمة: ((من))؛ فأضحت: ((من للوساوس)).

فاهنأ به ابن أمير المسلميــن وَدُم
للمُلْــك ما قامت الآصال والبُكــر
واهنأْ بعيدك وافخر شانئيك بـــه
فإنها نُسْك الأسياف لا الجــزر
جاورتُ بحرك تغشاني مواهبُـــه
فمن بذاك ونَظْمي هــذه الــدُّرر[1]

وأنشد أيضاً من شعره قوله رحمة الله عليه[2]:

رَكِبت خَيْلها جيــوشُ الضَّـــلال
وسُــرَّت مــن رِماحهــا بذُبـــال
ملقيـــــات دُروعهـــا لا لوقـــت
فيه تَنْضُو الجلود رقش الصِّـــلال
حــثَّ في إثرهــا الأمير بعُقْبــا
ن جيـــادٌ هـــوت بأُسْــد رجـــال

[1] كتب في المخطوط ضمن اللوحة 417؛ تحت هذه القصية مباشرة ما يلي: ((انتهى السفر الحادي عشر والحمد لله رب العالمين؛ يتلوه اختصار السفر الأخير؛ وهو الثاني عشر المفتح بقولي: ومن ترجمة الشعراء من السفر الأخير؛ وهو الثاني عشر المفتح بالترجمة بعد؛ من ترجمة الكتاب والشعراء؛ وأنشد أيضاً من شعره قوله رحمة الله عليه)).
[2] البحر الخفيف.

في صُقَيل البُريك تُحْدِث للشمــ

ــس بعكس الشُّعاع حُمَّى اشتعال

لاث بالريــح عِمَّــةً من غُبــار

ومــشى للحــديــد في أَذْيــال

كلما جرَّهــا على الصَّلْــد أبقت

كخطوط الصِّــلال فوق الرمــال

لَبِست أمرهــا عــلى الرُّوم حتى

فجئتهــــا كعـــــادة الآجــــال

أَبْدَلــت هامهــا قِصــار قُــدُود

بطَــوال من الرِّمــاح الطــوال

والــذي فرَّ عن سيوفــك أَوْدَى

بقَنا الرُّعــب في ثنايــا الجبــال

كنت فيها وأنت في كل حــرب

مُغْمد النَّصل في طِلَى الأبطــال

يطلع البدر منك حاجِبَ شمــس

ويُرى الليــث في إهاب هِــلال

يا لصَنْهَاجــة وحولــك منهــم

خيرُ جيــش عليهــم خيــرُ وال

ملــكٌ ليــس يركــب الدهر إلاَّ

كلَّ عالي الركاب عالي القَــذال

ما عرا الجَدْبُ أو علا[1] الخَطْــبُ

ســال غَيْثــاً ولاح بَــدْرُ كمــال

وخفيــفٌ على أمــور خفــاف

وثقيـــلٌ عــلى أُمــور ثِقــال

لاعب المِعْطفين بالحمــد زَهْــواً

شيمة الرُّمح هــزَّةٌ في اعتــدال

مُسْتَــرِقٌّ النفــوس خوفاً وحسنا

إنما السيــف هَيْبَــةٌ في جمــال

شيــمٌ كالغمام يَنْشُــر في الــرو

ض بأندابــه صغــار الــــلآل

وسجايـــــا تفتَّحــت زهــرات

وخــلالٌ تســـدُّ كــل اختــلال

---

[1] أضاف د. طويل الهاء؛ فغدت: ((علاه)).

أنــت يـا تاشُفيــن واللـــه واقٍ
لك شخص العُلا ونفسُ الكمــال
ليس آمال من عــلى الأرض إلاً
أن تــرى وأنــت غايــة الآمال
وهنيــاًّ بــأن نَهضْــتَ وأقبلــ
ــت عزيــز النُّهوض والإقبــال
وعلى الكفر منــك حــرٌّ مُجيــر
وعلى الدِّيــن منــك بَرْدٌ ظِــلال
يا فتى والزمان نُعْــمى وبــؤسٌ
شرٌّ حــال أَفْضَت إلى خَيْر حال
وبمــا تجــزع النفــوس من الأم
ــر له فُرْجــةٌ كحــلّ العِقــال
رُبَّ أشيــاء ليــس يبلــغ منهــا
كُنْــه مــا في النُّفــوس بالأقوال

غير أن الكـــلام إن جـــلَّ قـــدراً

وعـــلا كنـــت فوقـــه في الفِعال

ومن شعره، وقد بيَّت العدو محلة الأمير **تاشفين**، ويذكر حسن ثباته، وقد أسلمه قومه، وهي من القصائد المفيدة المبدية في الإحسان المعيدة [1]:

يا أيهـــا الملـــك[2] الذي يتقنَّـــــع[3]

من منكـــم البطل الهمام الأَرْوع[4]

ومن الـــذي غدر العدوُّ به دجىً

فانفـــضَّ كلٌّ وهو لا يتزعـــزع

تمضي الفوارس والطعان يصدُّها

عنه ويزجرهـــا[5] الوفاء فترجـــع

---

[1] البحر الكامل.
[2] في جيش التوشيح: ((الملأ)).
[3] نفسه: ((يتوقع)).
[4] في جيش التوشيح، والحلل الموشية: ((الأروع)).
[5] في الإسكوريال: ((يذخرها))، وفي الحلل الموشية: ((ويدمرها))، وفي جيش التوشيح: ((ويدعوها)).

والليل من وضح التَّرايك والظُّبا[1]
صبــح على هام الكمـــاة مُمَنَّـــعُ[2]
عن أربعين ثَنَــتْ أَعنَّتــها دُجىً
ألفـــــان ألــفٌ حاســـر ومقَنَّـــع
لولا رجـــال كالجبال تعرَّضـــت
ما كان ذاك السيـــل مما يُــرْدع[3]
يتقحَّمـــون على الرمـــاح كأنهم
إبلٌ[4] عطـــاش والأسنـــة تكــرع[5]
ومن الدُّجى لهم[6] على قمم الرُّبى
وذؤابـــة بيـــن الظُّبـــا تتقطـــع
نصـــرت ظلام الكفر ظُلمة ليلة
لم يدر فيها الفجر أين المطلـــع

---

[1] في جيش التوشيح: ((بيتهم))؛ بينما ورد هذا الشطر في الحلل الموشية هكذا: ((والليل مرضج الترائك بينهم)).
[2] نفسهما: ((ملمع)).
[3] في الحلل: ((يودع)).
[4] نفسه: ((أبطل)).
[5] في الجيش، والحلل: ((مكرع)).
[6] في الجيش: ((لمم)).

لولا ثبوتــك تاشُفِيــن لغــادرت
أُخرى الليالي وهَيْبَــةٌ لا تُرقَــع
فثبتَّ والأقــدام تزلــق والرَّدى[1]
حول السُّرادق والأَسِنَّــة تقــرع
لا تعظُمَــنَّ[2] على الأمير فإنهــا
خِدَع الحروب وكل حرب تَخْدع[3]
ولكــل يــوم حَنْكــة وتمــرُّس
وتجــارب في مثل نفسك تَنْجــع
يا أشجع الشجعان[4] ليلــة أَمْسِــه
اليوم[5] أنت على التجــارب أشجع
أهديك من أدب الوَغا حكماً بهــا
كانت ملوك الحرب مثلك تولــع
لا أَنَّــــني أدري بهــــا لكنهــا
ذكرى تخُصُّ المؤمنيــن وتَنْفــع

---

[1] في جيش التوشيح: ((بالـردى)).
[2] في الحلل: ((لايعظمنّ))، وفي الجيش: ((ولا يعظمن)).
[3] في الحلل: ((يخدع)).
[4] في الحلل، الجيش: ((الأبطال)).
[5] في الجيش: ((واليوم)).

اختر من الخلق المضاعفــة التي
وصَّى بها صُنْــع السَّوابغ تُبَّــع[1]
والهنـــــد وانى الرفيــق[2] فإنــه
أمضى على حلْق الدلاص وأقطع
ومن الرواجل[3] ما إذا زعزعتــه
أعطاك هزَّة معطفيــه الأشجــع
ومن الجياد الجُــرْد كل مُضَمَّــر
تُشْجى بأَرْبُعــه الريــاح الأَربع
والصَّمَّة[4] البطل الذي لا يلتــوي
منه الصَّليــب ولا يلين الأَخْــدَع
وكذاك قــدرٌ في العدو حزامــة
فالنبــع بالنَّبــع المُثَقَّــف يقــرع

---

[1] أخذ هذا البيت من قول ابن ذويب الهذيلي:
((وعليهما مسرودتان قضاهما * دودُ أو صَنَع السَّوابغ تُبَّعُ)). لأن تبع الحميري اشتهر بصناعة الدروع.
[2] جعلها د. طويل: ((للرفيق)).
[3] في الإسكوريال: ((النعابل)).
[4] في الزيتونة: ((الصامت)).

خندقٌ عليك إذا اضطربت[1] محلَّة
سيَّــان تَتْبَــع ظافــراً[2] أو تُتْبَــع
واجعل ببابك[3] في الثّقات ومن له
قلبٌ على هول الحروب مُشَيَّــع
وتـــوقَّ من كِــذب الطلايع إنَّــه
لا رأى للمكذوب[4] فيهــا[5] يصنع
فإذا احْتَرست[6] بذاك لم يَكُ للعــدا
في فرصةٍ أو في انتهازٍ مطمــع
حارب بمن يخشى[7] عقابك بالذي
يخشى[8] ومن في جُود كفّك يَطْمع
قبل التَّناوش عبِّ جيشك مُفْحصا[9]
حيث التمكّن والمجــال الأوســع

[1] في الجيش: ((ضربت)).
[2] في الحلل، والجيش: ((ظاهراً)).
[3] حرفت في الإسكوريال؛ فكتبت: ((بناتك)).
[4] في الحلل: ((للكذاب)).
[5] في الجيش، والحلل: ((فيما)).
[6] سقطت هذه الكلمة في الإسكوريال؛ بينما وردت في الزيتونة.
[7] في الحلل: ((حارب بمن تخشى)).
[8] نفسه: ((تخشى ومن...)).
[9] في الجيش: ((مفسحاً))، وفي الحلل: ((مفصحاً)).

إياك تَعْبيــة الجيــوش مضيِّقــاً

والخيل تَفْحص بالرجال وتَمْرع[1]

حصِّن حواشيهــا وكن في قلبها

واجعل أمامك منهم من يُشْجــع

والبس لُبوســاً لا يكون مشهَّــراً

فيكــون نحــوك للعــدوِّ تطلــعٌ

واحتلَّ لتوقع في مُضايقة الوَغى

خِدَعــاً ترويهــا وأنــت مُوَسِّع[2]

واحذر[3] كمين الرُّوم عند لقائهــا

واقضِ[4] كمينك خَلْفهــا إذ تدفــع

لا تُبْقيــن[5] النهر خلفــك عندمــا

تلــقى العــدوَّ فأمــرُه[6] متوقَّــع

[1] في الجيـش: ((وتمـزع)).
[2] ورد هـذا البيـت في جيـش التوشيـح هكـذا:
((واخلُ التوقع في مُدافعـة الوَغى * خِدَعـاً توقى بها وأنت مُوَسّع)).
[3] في الإسكوريـال: ((واقـدر)).
[4] في الجيـش، والحلـل: ((واخفـض)).
[5] هكذا في الحلل الموشية؛ وكتبت في الإسكوريال، والزيتونـة، الحلل: ((لا تلقين)).
[6] في الحلـل: ((فنشـره)). وفي الجيـش: ((فشـرّه)).

واجعل[1] مناجَزة العـــدو عشيَّـــة
ووراء[2] الصدف[3] الذي هـــو أَمْنَع
واصْدِمْه أول وهلة لا تَرْتَـــدع
بعد التقدم فالنُّكـــول[4] يُضَعْضـــع
وإذا تكاثفـــت[5] الرجال بمعـــركٍ
ضَنْكٍ فأطـــراف الرِّماح توســـع
حتى إذا استَعْصت[6] عليك ولم يكن
إلاَّ شِمـــــاس دايـــم وتمنُّـــــع
ورأيت نار الحرب تُضرم بالظُّبا
ودخانها[7] فـــوق الأَسِنَّة يَسْطـــع[8]
ومضت تؤذّن بالصُّميل جيادهـــا
والهام تَسْجَد والصَّـــوارم تركـــع

---

[1] في الحلـل: ((اجعـل))؛ بـدون واو.
[2] في الجيـش، والحلـل: ((ووراءك)).
[3] في الجيـش: ((الهـدف.
[4] في الحلـل: ((فالنكـوس تضعضـع))، وفي الجيـش: ((فالنكـوص...)).
[5] في الجيـش: ((تكنَّفـه))، وفي الحلـل: ((تكنَّفـت)).
[6] في الحلـل: ((صعبـت)).
[7] في الجيـش، والحلـل: ((ودخانـه)).
[8] ورد هـذا الشطر في جيـش التوشيـح هكـذا: ((ودخانـه فـوق الدجنـة يطلـع)).
يطلـع)).

والرمح يُثــني معْطفيــه كأنــه

في الرّاح لا عِلْق الفوارس يكرع

والريح تنشــأُ سَجْسَجــاً هفَّافــة[1]

وهي السَّكينــة عن يمينك توضع

أقصر[2] الكمين على العدو فإنــه

يعطيــك من أكتافــه ما يمنــع

وإذا هَزمــتَ عِداك فاحذر كرَّها

واضْرب وجوه كُماتها إذ ترجع

وهي الحروب قوى النَّفوس وحزبها

من قــوَّة الأبــدان فيهــا أنفــع

ثم انْتَهض بجميع من[3] أَحْمدتــه[4]

حتى يكــون لك المحلُّ الأرفــع

---

[1] في الزيتونـة: ((حبابـة)).
[2] جعلهـا د. طويـل: ((أقص)).
[3] في الحلـل: ((مـا)).
[4] ورد هـذا الشطـر في جيش التوشيح هكذا: ((ثـم اتَّئِـدْ بجميـع مـن أحملتـه)).

وبذاك[1] تعتب إن تولَّت عصبــة
كانــت تُرفّــه الوغى[2] وتُرفّــع
من مَعْشَرٍ إعراض وجهك عنهم
فعلُ الجميــل وسُخطــك المتَوقَّع
يكبو[3] الجواد وكــل حَبْرٍ[4] عالــم
يهْفو وتَنْبُو المُرْهفــات القُطَّــع
أنَّى قَرَعْتُــم[5] يا بني صنهاجــة
وإليكــم في الــرَّوع كان المَفْزِع
مــا أنتــم إلا أســـودٌ حفيَّــةٌ[6]
كــلٌّ بكــل عظيمــة تُسْتَطلــع[7]
ما بال سيدكــم تورَّط[8] لم يكــن
لكم التفــات نحــوه وتجمُّـــع

---

[1] في الجيش: ((ونراك))، وفي الحلل: ((إياك)).
[2] جاء هذا الشطر في الحلل الموشية هكذا: ((كانت توفه للوعاد وتدفع))، وورد في جيش التوشيح كالآتي: ((كانت ترفع للدعاء وترفع)).
[3] نفسهما: ((تكبو الجياد)).
[4] في الجيش: ((حرّ)).
[5] في الحلل: ((فزعتم))، وفي الجيش: ((نزعتم)).
[6] في الجيش: ((حقيقة)).
[7] في الحلل: ((مستطلع))، وفي الجيش: ((يتطلع)).
[8] في الحلل: ((تظلّم)).

إنسان عيــن لم يصبــه[1] منكــم
جفْــنٌ وقلــبٌ أسلمتــه الأضلع
تلك التي جــرَّت عليكــم خُطَّــةً
شَنْعَــاء وهــي على رجال أَشْنع
أو ما ليوسف جَدِّه مِنــنٌ[2] عــلى
كلٍّ وفضــل سابــق لا يُرفــــع[3]
أمــا لوالــــده عــليّ[4] نعمــــة
وبكل جيــدٍ رِبْقــةٌ لا تُخلــــع
ولكم بمجلــس تاشفيــن كرامــةٌ
وشفيعُكــم فيمــا يشــاء مُشَفّــع
ألا رعيتــــم ذاك وأحسابكــــم
وأَنِفْتُــم مــن قالــــةٍ تُستشْنَــع

[1] ورد هذا البيت في الحلل هكذا:
((إنسان عين لم تصبه منكم * جفر وقلب أسلمته الأضلع))، وفي الجيش: ((...لم يصنه...)).
[2] نفسهما: ((منّ)).
[3] نفسهما: ((لا يُدْفَع)).
[4] في الجيش: ((عليكم)).

أبطأتـــم عـــن تاشفيـــن ولم يزل
إحســـانـــه لجميعكـــم[1] يتســـرَّع
رُدَّت مكارمـــه لكـــم وتوطَّـــأَت
أكنافُـــه إن الكريـــم سُمَيْـــــدع
خاف العِدى لكن عليكم مُشْفِقـــاً[2]
فهجعتـــم[3] وجفونـــه لا تَهْجـــــع
ومن العجايـــب أنه مـــع[4] سنّـــه
أَدْرَى وأشهر[5] في الخطوب[6] وأَضْلَع
ولقد[7] عفـــا والعفـــو منه سَجيَّـــةٌ
ولسطـــوةٍ لو شاء فيكـــم مَوْضع
يا تاشفيـــن أقـــم[8] لجيشك عُذْره
فالليل[9] والقَـــدَر الذي لا يُدفـــع

[1] في الحلل: ((بجميعكم)).
[2] نفسه: ((مشفق)).
[3] في الجيش: ((بحقوقكم)).
[4] نفسه: ((من)).
[5] في الجيش، والحلل: ((وأشهم)).
[6] في الحلل: ((في الحرب)).
[7] نفسه: ((وعفا)).
[8] ورد هذا الشطر في جيش التوشيح هكذا: ((يا تاشفين لهم بجيشك غدرة)) غدرة))
[9] في الحلل، والجيش: ((بالليل)).

هجم العــدو دُجىً فروع مُقبــلاً
ومضى يهيــم[1] وهو منك مروَّع
لا يــزدهي إلاَّ ســواك بها ولا
إلاَّ لغيــرك بالسِّنــان يُقَعْقــع
لما سَــدَدْت لــه الثَّنيَّــة لم يكن
إلا على ظهــر المَنيَّــة مَهْيــع
وكــذاك للعِيــر[2] إقــدام عــلى
أُسْد العَريــن الــوُرد مما يجزع
ولقد تقفاهــا الزبيــر وقد نجت
إلا فلولا وإنَّ[3] منــه المصــرع
وغداً يعاقــب والنفــوس حميَّــة
والسُّمر هيــمٌ والصَّوارم جُــوَّع
أَعْطِش سلاحك ثم أوردها الوغا
كيما يلذُّ لها ويصفــو المشــرع

[1] في الحلل، والجيش: ((يهينم)).
[2] في الزيتونـة: ((للعين)). وجعلها د. طويل: ((للعيرات)).
[3] حذف د. طويل الواو؛ فغدت: ((إنَّ)).

كم وقعةٍ لـــك في ديارهم انثنت
عنها أَعزَّتُهـــا تُـــذَل وتَخْضـــع
النَّعمـــة العظـــمى سلامتك التي
فيها من الظَّفَر الرّضى والمقْنَـــع
لا ضيَّع الرحمـــن سَعْيَـــك إنـــه
سعيٌ به الإســـلام ليـــس يُضَيَّع
نستحفظ[1] الرحمـــن منك وديعـــةً
فهـــو الحفيـــظ لكل ما يُسْتَوْدع

وفاته

بغرناطة في حدود السبعين وخمسماية [2].

***

[1] في الحلل: ((نستودع)).
[2] الموافق لـ 1174م. وورد في التكملة لكتاب الصلة أنه ((توفي بأريولة من أعمال مرسية سنة 557هـ؛ وهو ابن تسعين سنة أو نحوها. وفي بغية الوعاة: ((مات في حدود السبعين وخمسمائة، أو قبل ذلك؛ عن سن عالية)).

مـن ترجمـة الشعـراء مـن السفـر الأخيـر وهـو الثـاني عشـر المفتتـح بالترجمـة بعـد: [1]

***

يحيى بـن محمـد

ابـن أحمـد بـن عبـد السـلام التطيـلي الهـذلي [2]؛ أصلـه مـن تُطيلـة؛ وهـو غرنـاطي؛ يُكْنَى أبـا بكـر.

حالـه

قـال **أبـو القاسـم المَلاَّحي**: أديـب زمانـه، وواحـد أقرانـه، سيـال القريحـة، بـارع الأدب، رائـق الشعـر، عَلَـم في النحـو واللغـة والتاريـخ والعَـروض، وأخبـار الأمـم، لحـق بالفحـول المتقدّميـن، وأعجـزت براعتـه، براعـة المتأخريـن، وشعـره مدون، جـرى [3] في ذلـك كلـه طلـق الجُمـوح. ثـم انقبـض، وعكـف على قـراءة القـرآن، وقيـام الليـل، وسـرد

---

[1] ذكـر عنـان أنـه وجـد هـذا العنـوان فيرأس اللوحـة 418 مـن مخطـوط الإسكوريـال؛ في منتصف ترجمـة ابـن الصيـرفي؛ ولكنـه رأى نقلـه هنـا؛ بعـد اختتـام الترجمـة المذكـورة.

[2] لـه ترجمـة أيضاً في: التكملـة لكتـاب الصلـة؛ حيـث جـاء فيهـا أنـه: ((يحـيى ابـن عبـد اللـه بـن محمـد بـن عبـد السـلام الهـذلي))، ثـم بغيـة الوعـاة أيـن سـمي: ((يحـيى بـن عبـد اللـه بـن محمـد بـن أحمـد بـن عبـد السـلام التطيـلي الأصـل الغرنـاطي)).

[3] في بغيـة الوعـاة: ((جـريء)).

الصوم، وصُنع [1] المُعَشَّرات في شرف **النبي** عليه الصلاة والسلام. وأشعاره كثيرة من الزهد والتذكير للآخرة، والتَّجريد من الدنيا، حتى جُمع له من ذلك ديوان كبير.

شعره

من ذلك قوله من قصيدة [2]:

أذوب حيــاءً إن تذكرت زلَّــتي
وحلمك حتى ما أقــلُّ نواظــري
وأسكت مغلوبــاً وأطرق خَجْلَــة
على مثل أطــراف القنا والتَّواتُر
تعود بصفــحٍ إثر صفحٍ تكــرُّماً
على الذنب بعد الذنب يا خير غافــر
وتلحظُــني بالعفــو أثناء زلَّــتي
وتنظــر مــني في خلال جَرايِر

[1] في بغية الوعاة: ((والنظم في مديح النبي صلى الله عليه وسلم، والزهد، وأمور الآخرة...)).
[2] البحر الطويل.

وحقُّ هواك المُسْتَكِــنَّ بأَضْلُعي

ومالك عنــدي من خَفيِّ ضمائر

لما قُمْت بالمعشار من عُشر عشــرة

ولو جيتُ فيه بالنجوم الزَّواهــر

فيا أيها المولى الصَّفوح ومن به

تَنُوءُ احتمــالاتي بأعباء شاكــر

أَنِلــني من برْد اليقيــن صبابــةً

ألفُّ بهــا حدَّ الهوى والهواجــر

وخِلت الدُّجى عذراً هابت[1] سُرى العدا

إليَّ تُغَطّيــني بســود الغدائــر

وخافت على عيني من السُّهد والبكا

فذرَّت بقايا الكُحل من جَفْن ساهر

---

[1] جعلها د. طويل: ((أهاب)).

وقال راداً على **ابن رشد**؛ حين ردَّ على **أبي حامد** في كتابه المسمى ((**تهافت التهافت**)) [1]:

كلام ابن رشـــد لا يبين رشـــاده
هو اللَّيل يَعْشى الناظرين سواده
ولاسيمـــا نقض التهافـــت إنـــه
تضمَّـــن برساماً يعـــزُّ اعتقـــاده
كما لطـــرد[2] المحموم في هذيانه
يفـــوه بما يُمـــلي عليه احْتـــداده
أتى فيه بالبَهْـــت الصَّريح مغالطاً
فما غيـــر البحر الخضمِّ ثمـــاده
وحاول إخفاء الغزالـــة بالسُّهـــا
فأَخْفَـــق مسعـــاه ورُدَّ اعتقـــاده
دلايل تعطيك النَّقيضين بالسِّـــوى
وأكثـــر ما لا يستحيـــل عنـــاده

---

[1] **البحر الطويل.**
[2] **جعلها د. طويل: ((أطرد)).**

إذا أوضح المطلوب منها وضدَّه
يبين على قــربٍ وبان انفــراده
وأنت بعيــد الفكــر عن تُرَّهاته
فمعظمهــا رأيٌ يقــلُّ ســدادُه

ومن شعره:

إليك بسطت الكفّ في فحمــة الدجى
نداء[1] غريق في الذنوب عريــق
رجاك ضمــيري كي تخلّص جُمْلتي
فكم من فريــقٍ شافــعٍ لفريــق

مشيخته

أخذ عن أبيه **أبي عبد الله**، وحدَّث عن الأُستاذ **أبي الحسن جابر بن محمد التميمي**، وعن الأستاذ المقري ببلنسية **أبي محمد عبد الله بن سعدون التميمي الضرير**، عن **أبي داود** المقري. وقرأ أيضاً على الخطيب **أبي عبد الله**

[1] في بغية الوعاة: ((فداء)).

محمد بن عروس، وعلى القاضي العالم **أبي الوليد بن رشد**.

مولده

فجر يوم الثلاثاء الخامس والعشرين لمحرم تسعة وخمسين وخمسماية [1].

وفاته

بغرناطة عام تسعة وعشرين وستماية [2].

***

[1] **الموافق لـ 1163م.**
[2] **الموافق لـ 1231م.**

يحيى بن بقي[1]
من أهل وادي آش[2].

حاله

بارع الأدب، سيَّال القريحة، كثير الشعر جيده في جميع أنواعه. وكان مع ذلك موصوفاً بغفلة.

شعره[3]

بـــأبي غـــزال غازَلْتـــه مُقْلتي
بين العذَيـــب وبين شَـــطَّي بـــارق

[1] يكنى أبا بكر؛ وقد اختلف المختصون في اسم أبيه. وله ترجمة أيضاً في: الذخيرة، و القلائد العقيان، والتكملة لكتاب الصلة، والمغرب في حلى المغرب، والمطرب، وجيش التوشيح، ومعجم الأدباء، والمقتضب من كتاب تحفة القادم، والفلاكة والمفلوكون، ووفيان الأعيان، وخريدة القصر، ومعجم السفر، ونفح الطيب، وأزهار الرياض. وأخبار تراجم أندلسية.

[2] اختلفت المصادر أيضاً في اسم بلده: إذ ذُكِر في الذخيرة، والمغرب أنه من طليطلة؛ بينما نسب في وفيات الأعيان، ومعجم الأدباء إلى مدينة قرطبة؛ أما كتاب التكملة فقد جاء فيه انه من أهل قُرْتش التابعة لشقورة؛ بينما جعله كتاب المطرب من شعراء الجزيرة؛ وذكر في معجم السفر، وتراجم أندلسية أنه من سرقسطة؛ وفي المقتضب من تحفة القادم: من إشبيلية.

[3] البحر الكامل.

وسأَلت منه قُبْلة[1] تشــفي الجــوى

فأجــاب[2] عنهــا[3] بوعــد صــادق

وأتيت منزلــه وقد هَجع العِــدا

أُسْــري إليه كالخيــال الطَّــارق

بِتْنــا ونحن مــن الدُّجى في لُجَّة[4]

ومن النجوم الزُّهر تحت سُــرادق

عاطيتــه والليــل يسحب ذيلــه

صبــاً[5] كالمســك العتيق[6] لناشــق

حتى إذا ما مالت[7] به سنة الكرى

باعدتــه[8] شيئــاً[9] وكــان معانِــق

معانِــق

[1] في وفيـات الأعيـان: ((زيـارة)).
[2] نفسـه: ((فأجابـني)).
[3] نفسـه: ((منهـا)).
[4] نفسـه: ((خيمـة)).
[5] في المصـادر المترجمـة لـه المذكورة: ((صهبـاء)).
[6] في المطـرب، والوفيـات، والنفـح: ((الفتيـق))، وفي الذخيـرة: ((الـذكيّ)).
[7] في المصـادر المترجمـة لـه المذكـورة: ((حـتى إذا مالـت بـه..)).
[8] في القلائد، والمطـرب، والوفيـات، والفلاكـة، والنفـح: ((زحزحتـه)).
[9] في المطـرب: ((رفقـاً))، وفي الوفيـات: ((عيـن)).

أبعدتــــه[1] مـــن أضلـــع تشتاقـــه
كي لا ينـــام على وســـاد خافـــق
وضممتُـــه ضـــمَّ الكمِّي لسيفـــه
وذؤابتـــاه حمايـــــل في عاتـــق
لما رأيت الليـــل ولَّى[2] عمره
قد شـــاب في لِمَـــم لـــه ومَفـــارِق
ودَّعـــت من أهوى وقلت تأَسُفـــاً[3]
أَعْـــزِز عـــلي بأن أراك مُفـــارق

وفاته

تـوفي بمدينة **وادي آش** ؛ سنة أربعين وخمسماية [4].

***

[1] في المطرب، والمغرب، والفلاكـة: ((باعدتـه عن...))، وفي الذخيـرة: ((زحزحتـه عن...)).
[2] في الوفيـات: ((آخِرَ)).
[3] في معجـم الأدبـاء: ((مُشَيِّعـاً)).
[4] الموافـق لـ 1145م. وفي التكملـة لكتـاب الصلـة: ((تـوفي سنـة خمس وأربعيـن وخمسمائـة))٥.

يحيى بن عبد الجليل

ابن عبد الرحمن بن مُجْبِر[1] الفهري[2]؛ فرنشي[3]، وقال صفوان: إنه بَلِّيي[4]؛ يكنى أبا بكر.

حاله

قال **ابن عبد الملك**: كان في وقته شاعر **المغرب**، لم يكن يجري أحد مجراه، من فحول الشعراء. يعترف له بذلك أكابر الأدباء، وتشهد له بقوة عارضته وسلامة طبعه، قصائده التي صارت مثالاً، وبعدت على قربها منالاً. وشعره كثير مدوَّن، ويشتمل على أكثر من سبعة[5] آلاف بيت وأربعمائة بيت. امتدح الأُمراء والرؤساءَ، وكتب عن بعضهم، وحظِي عندهم حُظوة تامة، واتصل بالأمير **أبي عبد الله بن سعد**[6]، وله فيه أمداح كثيرة. وبعد موته

---

[1] صوبها د. طويل حسب ما ورد في المصادر التي خصته بترجمة؛ فكتبها: ((ابن مجبر))؛ بالباء الموحدة التحتية. وهذ باستثناء كتاب كشف الظنون؛ الذي كتب فيه: ((ابن مجير))؛ بالياء المثناة التحتية.

[2] له ترجمة أيضاً في: التكملة لكتاب الصلة، والبيان المغرب، وبغية الملتمس، ووفيات الأعيان، وزاد المسافر، والحلل الموشية، وكشف الظنون، ونفح الطيب.

[3] في التكملة: ((فُرْتَشي))؛ بالتاء المثناة الفوقية.

[4] نفسه، وزاد المسافر: ((بلشي))؛ نسبة إلى بلش.

[5] في النفح: ((تسعة)).

[6] هو الأمير محمد بن سعد بن مردنيش؛ أمير بلنسية. سبق التعريف به.

موته انتقل إلى **إشبيلية**، وبملازمته للأمير المذكور، وكونه في جملته، استحق الذكر فيمن حل **بغرناطة**. ومن أثرته لدى ملوك[1] **مراكش**، أنه أنشد **يوسف بن عبد المؤمن**؛ يهنّيه بفتح؛ من قصيدة[2]:

إنَّ خير الفتوح ما جاءت[3] عفْـواً

مثل ما يخطب البليغ[4] ارتجـالا

قالوا: وكان **أبو العباس الجراوي** الأعمى الشاعر حاضراً، فقطع عليه، لحسادة وجدها؛ فقال يا سيدنا اهتدم فيه بيت **ابن وضّاح**:

خيـرُ شـراب ما جـاء[5] عفـواً

كأنـه خطبـة ارتجـال[6]

فبدر **المنصور**؛ وهو حينئذ وزير أبيه، وسنه في حدود العشرين من عمره؛ فقال: إنْ كان قد اهتدمه؛ فقد

[1] في الحقيقة: هم خلفاء؛ وسماهم ملوكاً من باب التعميم والمجاز.
[2] البحر الخفيف.
[3] في النفح: ((جاء)).
[4] نفسه: ((الخطيب)).
[5] نفسه: ((كان)).
[6] نفسه: ((ارتجالا)).

استحقَّه؛ لنقله إياه من معنى خسيس إلى معنى شريف؛ فسُرَّ أبوه لجوابه، وعجب منه الحاضرون.

ومرَّ **المنصور** أيام إمرته **بلوقية** [1]؛ من أرض **شِلب**، ووقف على قبر **أبي محمد بن حزم**؛ وقال: عجباً لهذا الموضع، يخرج منه مثل هذا العالم. ثم قال: كل العلماء عيال على **ابن حزم**. ثم رفع رأسه، وقال: كما أن الشعراء عيال عليك يا **أبا بكر**؛ يخاطب **ابن مجير** [2].

شعره

من شعره يصف الخيل [العتاق] [3] من قصيدة في مدح **المنصور** [4]:

---

[1] علق عنان على هذا بقوله: ((هكذا وردت في الإسكوريال، والزيتونة؛ وهو إما تحريف، وإما أن ابن الخطيب قد وهم في ذكر اسم الموضع الذي دفن فيه العلامة ابن حزم. فهذا الموضع هو قرية أسرته المسماة منت ليشم، وبالإسبانية Casa Montejo؛ من أعمال مدينة لبلة بولاية الغرت؛ وليس من أعمال شلب التي تبعد عنها غرباً بمسافة كبيرة)). هذا وكتب في النفح: ((أونية))؛ وهي بلدة تبعد عن لبلة بستة فراسخ؛ وتسمى بالإسبانية Huelva.

[2] في مصادر أخرى ذكرت سابقاً: ((ابن مجبر)). بالباء الموحدة التحتية.

[3] سقطت هذه الكلمة في الإسكوريال؛ ووردت في الزيتونة.

[4] أي الخليفة الموحدي المنصور يعقوب بن يوسف. وهذه القصيدة من البحر الطويل.

له خُطَّـــت[1] الخيـــلُ العِتاق كأنها

نشاوى تهادت[2] تطلب العَرْف[3] والقصفا[4]

عرايسُ أَغْنَتها الحجول عن الحُلا

فلم تَبْغ خُلخالاً ولا التمست وقفـــا

فمن يَفُق[5] كالطِّرس تحسب أنــــه

وإن جـــرَّدوه في ملاءتـــه التفَّـــا

وأبلُق أعطى الليل نصف إهابــــه

وغار عليه الصبح فاحتبـــس النّصفـــا

وورد تغشى جلده شفـــق الدُّجى

فإذا حازه حلَّى[6] له الذَّيل والعُرْفـــا

وأشقرُ مجَّ الراح صِرفاً أديمــــه

وأصفر لم يسمح بها جلده صرفـــا

[1] ورد هذا الشطر في النفح هكذا: ((لـه حَلْبَـةُ الخيـل العتـاق كأنهـا)).
[2] نفسـه: ((تهـاوت)).
[3] نفسـه: ((العزف)).
[4] ورد هذا الشطر في الزيتونـة هكذ: ((تطارحت تطلب القصـف والقذا)).
[5] في النفـح: ((يَقَـق))؛ أي أبيـض ناصـع.
[6] نفسـه: ((دلَّى)).

وأشهب فِضِّي الأديم مُدنَّر
عليه خُطوط غير مُفْهمةٍ حَرْفا

كما خطر[1] الزاهي بمُهْرق كاتبٍ
يجرُّ[2] عليه ذيله وهو ما جرفا[3]

تهبُّ على الأعداء منها عواصف
تنسف[4] أرض المشركين بها نَسْفا

ترى كل طرف[5] كالغزال فتمتري
أطِيباً[6] ترى تحت العَجاجة أم طَرْفا

وقد كان في البَيْداءِ يألف سِربه
فربَّته مُهراً وهي تَحْسَبه خَشَفا

تناوله لفظُ الجواد لأنه
متى[7] ما أردت الجَرْي أعطاكه ضعفا

---

[1] في النفح: ((خَطَّط)).
[2] نفسه: ((فجَرَّ)).
[3] جعلها د. طويل: ((جفا)).
[4] في النفح: ((ستنسف)).
[5] أي ترى كل كريم وأصيل من الخيل.
[6] في النفح: ((أظبياً)).
[7] نفسه: ((على)).

ولما اتخذ **المنصور** ستارة المقصورة بجامعه [1]، وكانت مدبرة على انتصابها، إذا استقر **المنصور** ووزراؤه بمصلاه، واختفائها إذا انفصلوا عنها، أنشد في ذلك الشعراءُ، فقال [2] من قصيدة أولها:

أعلمتـــني أُلـــقي عصا التّسيـــار
في بلــــــدة ليســـت بدار قـــرار

ومنها في وصف المقصورة:

طوراً تكون بمن حَوَتْه محيطـــةٌ
فكأنهـــــا ســـورٌ من الأســـوار
وتكـــون حينـــاً[3] عنهـــم مخُبـــوَّة[4]
فكأنهـــا ســـرٌّ مـــن الأســـــرار
وكأنما[5] علمت مقاديـــر الـــورَى
فتصرَّفـــت لهـــم عـــلى مقـــدار

---

[1] في النفـح: ((ولمـا اتخذ المنصـور مقصـورة الجامـع بمراكـش)).
[2] نفسـه: ((فقـال ابـن مجبـر مـن قصيـدة أولـهـا:)).
[3] في الحلـل الموشيـة: ((طـوراً)).
[4] في النفـح: ((محبـوة)).
[5] نفسـه: ((وكأنـهـا)).

فإذا أحسَّـــت بالإمـــام[1] يزورهـــا

في قومـــه قامـــــت إلى الزوَّار

ويكفي من شعر **ابن مُجير**[2] هذا القدر العجيب رحمه الله.

من روى عنه

حدَّث عنه **أبو بكر محمد بن محمد بن جمهور، وأبو الحسن بن الفضل، وأبو عبد الله ابن عيَّاش، وأبو علي الشَّلوبين، وأبو القاسم بن أحمد بن حسان، وأبو المتوكل الهيثم**، وجماعة.

وفاته

توفي **بمراكش**؛ سنة ثمان وثمانين وخمسماية [3]، وسنه ثلاث وخمسون سنة.

***

---

[1] في الحلل الموشية: بالأمير)).

[2] في المصادر: ((ابن مجبر)). باستثناء كشف الظنون؛ الذي كتب فيه ((ابن مجير))؛ بالياء المثناة التحتية.

[3] الموافق لـ 1192م. وفي وفيات الأعيان: توفي سنة 587هـ. وفي التكملة: توفي سنة 588هـ، وقيل: 587هـ.

يوسف بن محمد

ابن محمد اليحصبي اللوشي؛ أبو عمر [1].

حاله

من كتاب **ابن مسعدة** [2]، خطيب الإمامة السَّعيدة **النَّصرية الغالبية**، وصاحب قلمها الأعلى. كان شيخاً جليلاً، فقيهاً، بارع الكتابة، ماهر الخطة، خطيباً مِصْقعاً، منقطع القرين في عصره، منفرداً عن النظير في مصره، عزيزاً، أنوفاً، فاضلاً، صالحاً، خيِّراً، شريف النفس، منقبضاً، وقوراً، صموتاً، حسن المعاشرة، طيب المحادثة.

مشيخته

حدَّث عن والده الشيخ الراوية **أبي عبد الله**، وعن الأستاد **ابن يربوع**. ولقي **بإشبيلية** الأستاذ **أبا الحسن الدبَّاج**، ورئيس النحاة **أبا علي الشُّلوبين**، وغيرهم.

---

[1] ذكر في اللمحة البدرية؛ أن يوسف بن محمد بن محمد اليحصبي؛ كان كاتباً لسلطان الأندلس الغالب بالله أبي عبد الله محمد بن يوسف.

[2] يسمى كتاب أحمد بن محمد بن سعد بن مسعدة: ((تاريخ قومه وقرابته)). وورت ترجمة ابن مسعدة في الإحاطة.

شعـره

ومـن شعـره ؛ وإن كـان غيـر كثيـر، قولـه [1]:

شرِّد النوم عن جفونك وانظــر
كلمـــةً توقــظ النفــوس النّيامـــا
فحـــرام عـــلى امرىءٍ يشاهــد
حكمـــة اللـــه أن يلـــذَّ المنامـــا

وقولـه [2]:

ليـــس للمـــرء اختيار في الـــذي
يتمـــنَّى مـــن حِـــراك وسكـــون
إنمـــا الأمـــر لـــــربٍّ واحـــــد
إن يشاء[3] قال لـــه كـــن فيكـــون

[1] البحـر الخفيـف.
[2] بحـر الرمـل.
[3] حـذف د. طويـل: الهمـزة؛ فغدت: ((يَشـا)).

وفاته

توفي في المحرم من عام ستين وستماية [1]، ودفن بمقبرة **باب إلبيرة**. وحضر جنازته الخاصة والعامة، السلطان فما دونه، وكل ترحم عليه، وتفجع له. حدثني حافده شيخنا، قال: أخرج **الغالب بالله،** يوم وفاته، جبَّة له، لبسته مرفوعة، من ملف أبيض اللون، مخشوشنة، زعم أنها من قديم مكسبه من ثمن مغنم ناله، قبل تصيُّر الملك إليه، أمر بِبَيْعها، وتجهيزِه من ثمنها؛ ففعل، وفي هذا ما لا مزيد عليه من الصّحة والسلامة، وجميل العهد، رحم الله جميعهم.

***

[1] **الموافق لـ 1261م.**

يوسف بن علي

الطرطوشي؛ يكنى أبا الحجاج [1].

حاله

من **العايد**: كان رحمه الله من أهل الفضل والتواضع، وحسن العشرة، مليح الدعابة، عذب الفكاهة، مُدِلاً على الأدب جدّه وهزله، حسن الخط، سلس الكتابة، جيّد الشعر، له مشاركة في الفقه، وقيام على الفرايض. كتب بالدار السلطانية، وامتدح الملوك بها، ثم توجه إلى العدوة، فصحب خُطة القضاء، عمره، مشكور السيرة، محفوفاً بالمَبَرَّة.

وجرى ذكره في **الإكليل** بما نصه: روض أدب لا تعرف الدواة [2] أزهاره، ومجموع فضل لا تَخْفى آثاره، كان في فنون الأدب، مطلق الأَعنَّة، وفي معاركه ماضي الظُّبا والأسنة. فإن هزل، وإلى تلك الطريقة اعتزل، أبرم في الغزال [3] ما غزل، وبذل من دنان راحته ما بذل [1]. وإن

---

[1] له ترجمة أيضاً في: الدرر الكامنة، ونفح الطيب.
[2] في النفح: ((الذواء))؛ أي الذبول.
[3] نفسه: ((الغزل)).

صرف إلى المُعْرب [2] غَرْبَ [3] لسانه، وأعاره لمحة من إحسانه، أطاعه عاصيه، واستجمعت لديه أقاصيه. وَرَد على الحضرة **الأندلسية**، والدنيا شابَّة، وريح القبول هابَّة، فاجتلى محاسن أوطانها، وكتب عن سلطانها. ثم كرَّ إلى وطنه [4] وعطف، وأسرع اللحاق كالبارق إذا خطف، وتوفي عن سن عالية، وبرود من العمر بالية [5].

ومن شعره أيام حلوله بهذه البلاد، قوله، يمدح الوزير **ابن الحكيم**، ويلم بذكر السَّلم في أيامه [6]:

رضاكم إن مننتم خيرُ مرهــوب
وما سوى هجركم عندي بموهوب
لكم كما شيتــم العُتْبى وعَتْبكُــم
مقابل الرضا من غيــر تثريــب

---

[1] في النفح: ((وبزل من دنان راحه ما بزل)).
[2] نفسه: ((المغرب)).
[3] أي صرامة لسانه.
[4] في النفح: ((أوطانه)).
[5] نفسه: ((غالية)).
[6] البحر البسيط.

مُنُّــوا بلحظ رضىً لي ساعــة

فعسى أنال منه لدهري طبَّ مطبوب

فكم أثارت لي الأيام وابتسمــت

ثغور سعــدي بتقريب فتقريـــب

قد كنَّ بيضاً رعابيبـــاً بقربكــم

والآن يوصفْــن بالسُّود الغرابيب

آهاً لدهــر تقــضَّى لي بباكــم

مرتّــــبٌ للأمـــاني أيَّ ترتيــب

ما كان إلاَّ كأحلام سررت بهـــا

فواصلت حال تقْويض بتَطنيــب

يا ليت شعري هل تقضى بعودته

فأقدر الحُســن منه بعد تَجْريـــب

ومنها:

يا أيها السيــد الأعلى الــذي يــده

حازت ندى السُّحب مسكوباً بمسْكوب

فلو سالنـــا بـــلاد اللـــه عن كرم

فيها لكفَّيــه والأنواءُ منســوب

لقُلْن إن كان جودٌ لا يضاف لذي الـــ

ـــوزارتيـــن فجودٌ غير محسوب

فالعُود جنـــسٌ ولكن في إضافته

للهند يختصُّ عود الهند بالطِّيـــب

من سيِّد لا يُوفِّي الحمدُ واجبـــه

ولو تواصـــل مكتوباً بمكتـــوب

له المحامد لا تُحصى ولا عجب

فرمل عالج شيئٌ غير محســـوب

تناول الشَّـــرف الأقصى بعزمة ذي

ظن نبيل الأمـــاني غير مكذوب

وواصل المجـــد من آياته شرفـــاً

بمجـــده وصلُ أنبـــوب بأُنبـــوب

وجاء مكتسبـــاً أعـــلى ذخائـــره

والمجد ما بين موروث ومكْسُوب

رِدْءُ الخليفة لا يرتاح من نصب

في بذل نصح لحفظ[1] مَنْصـــوب

---

[1] **أضـاف د. طويـل كلمـة: ((قائـم))؛ فأضحـت: ((لحفـظ قائـم منصـوب)).**

موفّق الرأي مأمـــون النَّقيبة في
تدبير ذي حُنْكة صحَّت وتدريب
تهابه النفس إذ ترجوه من شرف
فشأْنه بين مَرْهــوب ومَرْغــوب

ومنهـا :

يا أَوْحد العصر في فضل وفي كرم
خصالُ قاطع دهره[1] في التَّجاريب
أَعِدْ فُديت لأمري مُنْعماً نظــراً
يَنَلْ به همٌّ حالي بعض تشبيـــب
لولا ارتكاب حسُودي لأمر[2] في ضرري
ما كان ظهــر النَّــوى عندي بمركــوب
هذا زماني ومنك الأَمن حاربني
حتى أراني في حـــالات محروب
فامنُنْ بتفريج كَرْبي بالرضا فإذا
رَضِيــت لــم أك مــن شيءٍ بمكْــروب

---

[1] حذف د. طويل الهاء؛ فغدت: ((دهر)).
[2] جعلها د. طويل: ((حسودِ الأمْر)).

إن لم أَذُق من رضاكم ما أَلذُّ به
فلا حيـــاة بمأْكــول ومشـــروب

ومن شعره [1]:

بذكـــــرك تُشــرح أي العــلا
وتسنـــد أخبـــاره في الصحـــيح
بأُفقــك يشــرق بَــدْرُ السَّنــــا
وباسمــك يحسُن نظــمُ المديــح
ومـــا يحســــن العِقْـــد إلا إذا
تحلَّــت بـــه ذاتُ وجــه مليــح

وفاته

كان حياً عام أحد وأربعين وسبعماية [2].

***

[1] البحر المتقارب.
[2] الموافق لـ 1340م.

***

يحيى بن محمد

ابن عبد العزيز بن علي الأنصاري؛ يكنى أبا بكر، ويعرف بالعشّاب، ويعرف بالبُرشاني.[1]

حاله

كان هذا الشيخ من أهل الخير كثير التؤدة والصمت، معرضاً عمّا لا يعنيه. رحل إلى الحج، وأقام هنالك سنين، وقفل منها فخطب **بأُرْجبة**[2]. وأخذ ببلاد **المشرق** عن **قطب الدين القَسْطّلاني، وأبي الفضل بن خطيب المري، وزين الدين أبي بكر محمد بن إسماعيل الأنماطي**. ولقي **أبا علي ابن الأحوص بالأندلس**؛ ولم يأخذ عنه. أنشدني شيخنا **أبو البركات**، قال: أنشدني الشيخ **أبو بكر البُرشاني**،

---

[1] نسبة إلى بلدة برشانة Purchena؛ المتواجدة في إقليم ألمرية؛ وبالقرب من نهر المنصورة؛ إلى الجنوب منه، وشمال ألمرية، وغرب بلدة المنصورة.

[2] أرجبة Orjiva؛ بلدة صغيرة تابعة لأعمال غرناطة؛ وتتواجد إلى الجنوب منها؛ وشمال متريل.

قـد لقيتـه **بأُرجبـة**. قـال: أنشدنـا الإمـام **أبـو عبـد اللـه بـن النعمـان** عـن **قطـب الديـن** [1]:

إذا كان أُنسي في لزومي وحدتي
وقلـــبي من كـــل البريَّـــة خـــال
فما ضرَّني من كان لي الدهر[2] قاليـــاً
وما سرَّني من كـــان فيَّ مُـــوال

***

[1] البحـر الطويـل.
[2] جعلهـا د. طويـل: ((للدهـر)).

ومن العمال

***

يوسف بن رضوان

ابن يوسف بن رضوان بن يوسف بن رضوان بن يوسف
ابن رضوان بن محمد بن خير بن أسامة الأنصاري النّجاري.

قال القاضي المؤرخ **أبو الحسن بن الحسن** مليه: والذي رفع إليَّ هذا النسب للركانة: هو صاحبنا الفقيه **أبو القاسم** ولده، ورَفْع هذا النسب بحاله من التكرار دليل على أصالته.

حاله

من أهل الخير والخُصوصية، وحُسن الرُّواء والوقار، والحياء، والمودة. نبيه القدر، معروف الأمانة، صدرٌ في أهل العقد والحل ببلده، بيته بيت صون وخير واستعمال، ولو لم يكن من بركات هذا الرجل، وآثار فضله، إلاّ ابنه صدر الفضلاء، وبقية الخواص **أبو القاسم**، لكفاه. تولى قيادة الديوان **بمالقة** بلده، أرفع الخطط الشرعية العملية، فحمدت سيرته.

وفاته

بمالقة في ......[1] وعلى قبره مكتوب من نظم ولده[2]:

إلاهي خـــدِّي في التراب تذلـــلاً
بسطتُ عسى رحماك يحيى بها الـــروح
وجاوزت أجداث الممالك خاضعاً
وقلبي مصدوع ودمـــعي مسفوح
ووجَّهت وجهي نحو جُودك ضارعاً
لعلَّ الرضا من جنب حلمك ممنـــوح
أتيت فقيـــراً والذنب تـــؤدُني
وفي القلـــب من خوف الجرايـــم تبريـــح
ولم أعتمـــد إلا الرَّجـــا[3] وسيلـــة
وإخلاص إيمان به الصـــدر مَشْرُوح
وأنت غنيٌّ عن عـــذابي وعالـــم
بفقري وباب العفو عندك مفتوح

---

[1] **فراغ في هذا الحيز.**
[2] **البحر الطويل.**
[3] **أضاف د. طويل الهمزة؛ فأضحت: ((الرجاء)).**

فهب لي عفواً من لدنك ورحمـــةً
يكون بها من ربْقة الذنب تسْريح
وصلّ على المختار ما هَمع الحيا
وما طلعت شمس وما هَبَّتْ الريح
***

***

يحيى بن إبراهيم

ابن يحيى البرغواطي [1].

من أهل **أَنْفا** ؛ من بيت عمال يعرفون **ببني الترجمان** أولي [شهرة] [2] وشدَّة على الناس وضغط. وكان من الحظوة وضدها بباب سلطانهم، ديدن الجُباة. غُرِّب [3] عنهم وانقطع إلى لقاء الصالحين، وصحبة الفقراء المتجردين، وقدم على **الأندلس** عابداً، كثير العمل، على حداثة سنه، ونزل **برباط السُّودان**، من خارج **مالقة**، واشتهر، وانثال عليه الناس. ثم راض طول ذلك الاجتهاد، وأنس بمداخلة الناس.

---

[1] لـه ترجمـة أيضاً في نفـح الطيـب.
[2] وردت هـذه الكلمـة في الزيتونـة؛ بينمـا سقطت في الإسكوريـال.
[3] في النفـح: ((عزف)).

حاله

هذا الرجل نسيج وحده في الكفاية، وطلاقة اللسان، مدل على أغراض الصوفية، حافظ لكل غريبة من غرايب طريقتهم، متكلّم [1] في مشكلات أقوالهم، قايم على كثير من أخبارهم، يستظهر حفظ **جزأي إسماعيل الهروي** المسمى ((**بمنازل السايرين إلى الحق**))، والقصيدة الكبيرة **لابن الفارض**. عديم النظير في ذلك كله، مليح الملبس، مترفّع عن الكُدية، عزيز النفس، قليل الإطراءِ، حسن الحديث، عذب التَّجاوز فيه، على سنن من السَّذاجة والسَّلامة والرجولة والحمل، صاحب شهرة قرعت به أبواب الملوك بالعُدوتين. وعلى ذلك فمغضوض منه، محمول عليه، لما جبل عليه من رفض الاضطّلاع [2]، وترك السَّمت، واضطراح [3] التغافل، وولوعه بالنقد والمخالفة في كل ما يطرق سمعه، مرشّحاً ذلك بالجد [4] المبرم، ذاهباً

---

[1] في النفح: ((يتكلم في مشكلاتهم)).
[2] نفسه: ((الاصطلاح)).
[3] نفسه: ((واطّراح)).
[4] نفسه: ((بالجدل)).

أقصى مذاهب القِحة، كثير الفَلَتات. نالته بسبب هذه البليَّة محن كثيرة، أفلت منها بجريعة الذقن، ووسم بالوهن [1] في دينه، مع صحة العقل[2]. وكان الآن عامراً للرباط المنسوب إلى اللَّجام، على رسوم الشياخة، وعدم التابع، مهجور الفِناءِ.

مشيخته

زعم أنه حجَّ، ولقي جلَّة، منهم الشيخ **أبو الطاهر بن صفوان المالقي**، ولقاؤه إياه، وصحبته، معروف **بالأندلس**، وغير ذلك مما يدَّعيه متعدد الأسماء.

تواليفه

قيَّد الكثير من الأجزاء، منها في **نِسْبة الذنب إلى الذاكر**، جزءٌ نبيل غريب المأْخذ، وفيما [3] شْكَل من كتاب **أبي محمد بن الشيخ**. وصنف كتاباً كبير الحجم **في الاعتقاد**، [4] جلَب فيه كثيراً من الأقوال والحكايات [5]،

---

[1] في النفح: ((بالرهق)).
[2] في الإسكوريال: ((العقد)).
[3] في النفح: ((ومنها فيما أشكل)).
[4] نفسه: ((الاعتقادات)).
[5] نفسه: ((كثيراً من الحكايات)).

رأيت عليه بخط شيخنا **عبد الله**[1] **بن المقّري** ما يدل على استحسانه، وطلب مني الكَتْب عليه بمثل ذلك، فكتبت له ببعض ورقاته[2]، إثارة لضجره، واستدعاءً لفكاهة انزعاجه، ما نصه: وقفت من الكتاب المنسوب **لأبي**[3] **زكريا البرغواطي**، على برسام[4] محموم، واختلاط مَذْموم[5]، وانتساب **زنْج** في **روم**، وكان حقه أن يتهيَّب طريقاً لم يسلكها، ويتجنب غفلة[6] لم يملكها، إذ المذكور، لم يتلق شيئاً من علم الأُصول، ولا نظر في الإعراب في فصل من الفصول. إنما هي قِحة[7] وخلاف، وتهاوُن بالمعارف واستخفاف. غير أنه يحفظ في طريق القوم كل نادرة، وفيه رجولة[8] ظاهرة، وعنده طلاقة لسان، وكفاية قلما تتأتى لإنسان. فإلى الله نَسَل[9] أن يعرِّفنا

---

[1] في النفح: ((أبي عبد الله المقري)).
[2] نفسه: ((أوراقه)).
[3] نفسه: ((لصاحبنا أبي زكريا...)).
[4] أي بهذيان محموم.
[5] في الإسكوريال: ((موم))؛ وصوبت من الزيتونة.
[6] في النفح: ((عقيلة)).
[7] أي جفاء.
[8] في النفح: ((رجولية)).
[9] نفسه: ((نضرع)).

بمقادير[1] الأشياء، ويجعلنا بمعْزِل عن الأغبياء. وقد قلت مرتجلاً عند[2] أول نظرة، واجتزأت[3] بقليل من كثرة [4] :
كثرة [4] :

كـــل جـــار لغايـــة مرجـــــوة
فهو عنـــدي لم يعـــد حدَّ[5] الفتـــوَّةْ
وأراك اقتحمـــــت ليـــلاً بهيمـــاً[6]
مُولجاً منـــك ناقـــــةً في كوَّبـــهْ[7]
لا اتّباعـــاً ولا اختراعـــاً أرتنـــا[8]
إذ نظرنـــا عروســـك المجلَّـــوهْ
كـــل ما قلتُـــه فقـــد قالـــه النـــا
س مقـــــالاً آيـــاتـــــه متلُـــــوَّةْ
لم تزد غير أن أبَحْت حمى الإعـــ
ـــراب في كـــل لفظـــة مقـــروَّةْ

[1] في النفح: ((مقادير))؛ بحذف الباء.
[2] قس النفح: ((من)).
[3] نفسه: ((واجتزاء)).
[4] البحر الخفيف.
[5] في النفح: ((حقّ)).
[6] في الإسكوريال: ((بهجا))؛ وصوبت من الزيتونة.
[7] في النفح: ((كُوَّةْ)).
[8] نفسه: ((أتتنا)).

نسل[1] اللـــه فكـــرة تلـــزم العقـــ
ـــل إلى حِشْمة تحوطها[2] المُـــرُوَّةْ
وعزيز عـــلي أن كـــب[3] يحـــيى
ثم لـــم نأخـــذ[4] الكتـــاب بقـــــوَّةْ[5]

ومن البرسام الذي يجري على لسانه بين الجدّ والقِحة، والجهالة والمجانة، قوله لبعض خدام باب السلطان، وقد ضُويق في شيءٍ أَضْجَره منقولاً من خطه، بعد ردٍّ كثير منه إلى الإعراب: ((الله نور السموات من غير نار، ولا غيرها، والسلطان ظلاله وسرُاجه في الأرض، ولكل منهما فراشٌ مما يليق به، ويُتهافت عليه، فهو تعالى مُحْرقٌ فراشه بذاته، مغرقُهم بصفاته، وسراجِه وظلّه. وهو السلطان محرق فراشه بناره، مُغْرقهم بزَيْته ونواله. ففِراشُ

[1] في النفح: ((نسأل)).
[2] هكذا في الزيتونة؛ وفي الإسكوريال والنفح: ((تحوط)).
[3] في النفح: ((أن كنت)).
[4] نفسه: ((تأخذِ)).
[5] يشير إلى قوله تعال: (يَا يَحْيَى خُذِ الكِتَابَ بِقُوّةٍ وَآتَيْنَاهُ الحُكْمَ صَبِيّاً). سورة مريم؛ الآية: 12.

الله، ينقسم إلى حامِدين[1]، ومُسبّحين، ومُسْتغفرين، وأُمناءَ وشاخِصين. وفراشُ السلطان ينقسمون إلى أقسام، لا ينفك أحدهم عنها. وهم وزغة ابن وزغة، وكلب ابن كلب، وكلب مطلقاً، وعارٌ ابن عار، وملعون ابن ملعون، وقط [ابن قط][2]، ومُحق. فأما الوزغة، فهو المحرق في زيت نواله، المشغول بذلك عما يليق بصاحب النّعمة من النصح، وبذل الجهد. والكلب ابن الكلب، هو الكيّسُ المتحرّز في تهافته، من إحراق وإغراق، يعطي بعض الحق، ويأخذ بعضه. وأما الكلب مطلقاً، فهو الواجد والمشرّد[3] للسفهاء عن الباب المعظَّم لقليل النّعمة. وأما العارُ ابن عار فهو المتعاطي في تهافته ما فوق الطَّوق، ولهذا امتاز هذا الإسم بالرياسة عند العامة، إذ مرَّ بهم جِلْفٌ أو مُتَعاط، يقولون، هذا العار بن عار، يحسب نفسه رئيساً، وذلك بقرب المناسبة، فهو موضوع لبعض الرياسة، كما أن الكلب ابن الكلب لبعض الكياسة. وأما

[1] حرفت في الإسكوريال؛ فكتبت: ((حافين)).
[2] سقطت هذه العبارة في الإسكوريال؛ بينما وردت في الزيتونة
[3] في الزيتونة: ((المجدد)).

الملعون ابن المعلون، فهو الغالط المُعاند، المشارك لربّه، المنعم عليه في كبريائه وسلطانه. وأما القطٌّ فهو الفقير مثلي، المُسْتَغْنى عنه، بكونه لا تُخصُّ به رتبة، فتارة في حِجْر الملك، وتارة في السّنداس، وتارة في أعلى المراتب، وتارة محسنٌ، وتارة مسيىءٌ، تُغْفر سيئاته الكثيرة بأدنى حسنة، إذ هو من الطوافين، مُتطير بقَتْله وإهانته، تيَّاه في بعض الأحيان لعزَّة يجدها في نفسه، من حرمة أبقاها الشارع له، وكل ذلك لا يخفى. وأما الفِراش المُحق، فهو عند الدُّول نوعان، تارة يكون ظاهراً وحظُّه مسح المصباح، وإصلاح فتيله، وتصفية زيته، وستر دخانه، ومُسايسة ما أَعْوَز من المطلوب منه. ووجود هذا شديد الملازمة ظاهراً. وأما المُحِقُّ الباطن، فهو المشار إليه في دولته بالصلاح والزهد والورع، فتستقبله الخَلْقُ لتعظيمه، وتركه لما هو بسبيله، فيكون وسيلةً بينهم وبين ربّهم، وخليفته الذي هو مصباحهم. فإذا أراد الله بهلاك الدولة، وإطفاء مصباحها تولّى ذلك أهل البطالة والجهالة، فكان الأمر كما رأيتم، والكلُّ يعمل على شاكلته)).

وأفضى به الهوى، وتسور حمى السياسة، والإغياءُ في ميدان القِحة إلى مصرع السوءِ، فجُلِد جَلْداً عنيفاً بين يدي السلطان؛ كان سبب وفاته في المُطْبِق. وذلك في شهر المحرم من عام ثمانية وستين وسبعماية [1]. وقانا الله المَعرَّات، وجَنَّبنا سُبل المضرَّات، وفي كثرة تبجُّحه باصطلاح المنطق قيل [2]:

لقد كان يحيى منطقيـــاً مُجـــادلاً
تجـــارى في سبل[3] الهوى وتهوَّرا
غدا مطلق التقوى وراح مكَّمـــا
وأصبح من فوق الجدار مُســـوَّرا
فما نال من معنى اصطلاح أداره
سوى أن بَدا في نفسه وتصـــوَّرا

تجاوز الله عنا وعنه......

***

---

[1] الموافق لـ 1366م.
[2] البحر الطويل.
[3] جعلها د. طويل: ((سيل)).

بقيـة السفـر الثـاني عشـر مـن كتـاب الإحاطـة[1] مشتملـة عـلى ترجمـة ابـن الخطيـب مكتوبـة بقلمـه

[1] علـق عنـان؛ فقـال: ((يبـدأ السفـر الثـاني عشـر باللوحـة 418 إسكوريـال؛ مبتدئـاً بترجمـة "يحـيى بـن محمـد بـن عبـد السـلام النطـلي الهـذلي"؛ وتنتـهي تراجمـه في اللوحـة424 بترجمـة "يحـيى بـن إبراهيـم البرغـواطي"؛ محتويـاً عـلى ثمـان تراجـم فقـط. وبـه يختـم "كتـاب الإحاطـة" في بدايـة اللوحـة 425 إسكوريـال؛ ثـم تبـدأ ترجمـة ترجمـة ابـن الخطيـب لنفسـه في اللوحـة، وتنتـهي في اللوحـة 499 إسكوريـال)).

بسم الله الرحمن الرحيم
وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه
وسلم تسليما.

يقول مؤلف هذا الديوان تغمد الله خطله، في ساعات أضاعها، وشهوة من شهوات اللسان أطاعها، وأوقات للاشتغال بما لا يعنيه، استبدل بهما اللهو لما باعها: أما بعد حمد الله الذي يغفر الخطية، ويحث من النفس اللجوج المطية، فيحرك ركابها البطّية [1]، والصلاة على سيدنا ومولانا **محمد**، مُيَسِّر سبل الخير القاصدة [2] الوطيَّة [3]، والرضا عن آله وصحبه، منتهى القصد [4] ومناخ الطيّة [5]. فإني لّما فرغت من تأليف هذا الكتاب الذي حمل عليه فضل النشاط، مع الالتزام لمراعاة السياسة السلطانية والارتباط، والتفت إليه، فراقني منه صوان درر، ومطلع غرر، قد تخلدت مآثرهم بعد ذهاب

---

[1] **أي البطيئـة: كتبت في النص بالأسلوب المغربي الذي يخفف الهمزة.**
[2] **في الزيتونـة: ((النـادرة)).**
[3] **أي الميسـرة.**
[4] **في النفـح: ((الفضـل)).**
[5] **أي النيـة والقصـد.**

أعيانهم، وانتشرت مفاخرهم، بعد انطواء زمانهم، نافستهم في اقتحام تلك الأبواب، ولباس تلك الأثواب، وقنعت باجتماع الشمل بهم ولو في الكتاب. وحرصت على أن أنال منهم قربا، وأخذت من [1] أعقابهم أدباً وحباً، وكما قال: ساقي القوم آخرهم شرباً. فأجريت نفسي مجراهم في التعريف، وحذوت بها حذوهم، في باب النسب والتصريف، بقصد التشريف. والله لا يعدمني وإياهم واقفا يترحم، وركاب الاستغفار بمنكبيه يزحم، عندما ارتفعت وظايف الأعمال؛ وانقطعت من التكسبات حبال الآمال، ولم يبق إلا رحمة الله، التي تنتاش [2] النفوس وتخلصها، وتعينها بميسم السعادة وتخصصها. جعلنا الله ممن حسن ذكره، ووقف على التماس ما لديه فكره، بمنه.

المؤلف

محمد بن عبد الله بن سعيد بن عبد الله بن سعيد ابن علي بن أحمد السلماني. قرطبي الأصل ثم **طليطليه**،

[1] وردت كلمة ((من)) في الزيتونة؛ وسقطت في الإسكوريال، والنفح.
[2] أي تنقذ.

ثـم **لوشيه**. ثـم **غرناطيه**. يكنى **أبا عبد الله**، ويلقب مـن الألقاب **المشرقية بلسان الدين.**

أوليتي

يعرف بيتنا في القديم **ببني وزير**، ثم حديثنا [1] **بلوشة**؛ **ببني الخطيب**. انتقلوا مع أعلام الجالية **القرطبية**: **كيحيى بن يحيى الليثي**، وأمثاله؛ عند **وقعة الربض** الشهيرة [2] إلى **طليطلة**، ثم تسربوا محومين على وطنهم، قبل استيلاء **الطاغية** عليها، فاستقر منهم بالموسطة **الأندلسية**، جملة من النبهاء، تضمن منهم ذكر خلف [3]: **كعبد الرحمن** قاضي **كورة باغة، وسعيد** المستوطن **بلوشة**، الخطيب بها، المقرون اسمه بالتسويد عند أهلها، جاريا مجرى التسميه بالمركب. تضمن ذلك **تاريخ الغافقي**

---

[1] **في النفح: ((حديثاً)).**

[2] **حدثت هذه الوقعة؛ عندما حرض علماء قرطبة أهلها على الثورة ضد الأمير الحكم بن هشام؛ في سنة 202هـ/818م. وانطلقت هذه الثورة الشعبية في الربض الجنوبي من قرطبة؛ في المنطقة التي تسمى شقندة. وانتهت هذه الثورة بتغلب الحكم على الخارجين عنه؛ فنكل بمعظمهم، وشرد آخرين في مختلف الأقطار.**

[3] **في النفح: ((خلق)).**

وغيره. وتناسل عقبهم بها، وسكن بعضهم **بمنتفريو**[1]، مملكين أياها، مخططين قبل[2] التحصين والمنعة فنسبوا إليها. وكان **سعيد** هذا؛ من أهل العلم، والخير والصلاح، والدين والفضل، [وزكاء الطعمة][3]. وقفني الشيخ المسن الوزير **أبو الحكم بن محمد المنتفريدي**[4] رحمه الله، وهو بقية هذا البيت وإخباريه، على جدار برج ببعض ربى أملاكنا **بلوشة**، تطأه الطريق المارة من **إغرناطة** إلى **إشبيلية**، وقال كان جدك يُرْبع[5] بهذا المكان فصولاً من العام[6]، ويجهر بقراءة القرآن؛ فيستوقف الرِّفْق[7] المدلجة، المدلجة، الحنين إلى نغمته، والخشوع لصدقه، فتعرس رحالها لصق جداره، وتريح ظهرها موهناً، إلى أن يأتي على ورده.

---

[1] **هكذا في الإسكوريال، والزيتونة؛ بينما سميت في النفح: ((منتقرير)). ولكن عنان يرى أنه تحريف؛ ويرجح اسم: ((منتفرية)) Montefrio؛ ومعناها: الجبل البارد.**

[2] **في النفح: ((مختطين جبل التحصن)).**

[3] **في الزيتونة: ((زكاء النعمة))، وفي النفح: ((ذكاء الفطنة)).**

[4] **في النفح: ((المنتقيري)).**

[5] **حرفت في النفح؛ فكتبت: (يذبع)).**

[6] **حرفت في النفح؛ فكتبت: ((العلم)).**

[7] **نفسه: ((الرفاق)).**

وتوفي وقد أصيب بأهله وحرمته [1]، عندما تغلب العدو على بلده عنوة في خبر طويل. وقفت على مكتوبات من **المتوكل على الله، محمد بن يوسف بن هود**؛ أمير المسلمين **بالأندلس**، [القائم بها بدعوة الأئمة من **ولد العباس**، رضي الله عنهم، ومن ولده **أبي بكر الواثق بالله** ولي عهده]، في غرض إعانته، والشفاعة إلى الملكة زوج سلطان **قشتالة**، بما يدل على [نباهة قديم] [2]؛ ويفيد إثارة عبرة، واستقالة عثرة.

وتخلف ولده **عبد الله**، جاريا مجراه في التجلة [3]، والتمعش من حر النشب، والتزيي بالانقباض، والتحلي بالنزاهة إلى أن توفي، وتخلف ولده **سعيد** جدنا الأقرب؛ وكان صدراً خيراً، مستولياً على خلال حميدة، من خط وتلاوة وفقه، وحساب، وأدب نافس جيرته من **بني الطنجالي الهامشيين**، وتحول إلى **غرناطة**؛ عندما شعر بعملهم على الثورة، واستطلاعهم إلى النزوة؛ التي

---

[1] في النفح: ((وحرمه)).
[2] في الزيتونة: ((على نباهة قديمة)). وفي النفح: ((على نباهة قديمة)).
[3] في النفح: ((التجلّد)).

خضدت الشوكة، واستأصلت منهم الشأفة؛ وصاهر بها الأعيان من **بني أضحى بن عبد اللطيف الهمداني**، أشراف **جند حمص**، الداخلين إلى **الجزيرة**، في **طليعة بلج بن بشر القشيري**، ولحقه من جراء منافسيه، لما جهروا السلطان بالخلعان، اعتقال أعتبه السلطان بعده وأحظاه على تفئته، وولاه الأعمال النبيهة، والخطط الرفيعة. حدثني من أثقه [1]، قال: عزم السلطان أن يقعد جدك أستاذاً لولده؛ فأنفت من ذلك أم الولد، إشفاقاً عليه من فظاظة كانت فيه. ثم صاهر القواد من **بني الجعدالة** على أم أبي، وتمت [2] إلى زوج السلطان ببنوة الخؤولة، فنبه القدر، وانفسحت الحظوة، [وانتاب البيت] [3] الرؤساء والقرابة. وكان على قوة شكيمته، وصلابة مكسرة، مؤثراً للخمول محباً في الخير. حدثني أبي عن أمه، قالت: قلما تهنأنا نحن وأبوك طعاماً [حافلا] [4]

---

[1] في النفح: ((أثق به)).
[2] نفسه: ((ومتّتْ)).
[3] نفسه: ((وانثال على البيت)).
[4] هذه الإضافة من النفح.

لإيثاره به من كان يَكْمِن [1] بمسجد جواره، من أهل الحاجة، وأحلاف الضرورة، يهجم علينا منهم بكل وارش [2]، يجعل يده ثُني يده، ويشركه في أكليته، ملتذاً بموقعها من فؤاده. توفي في ربيع الآخر من عام ثلاث [3] وثمانين وستماية [4]، صهرته الشمس مستسقيا في بعض المحول، وقد استغرق في ضراعته، فدلت الحتف على نفسه. وتخلف والدي ، نابتاً في الترف نبت العليق، يكنفه رعي أيِّم [5] تجر ذيل النعمة، وتحنو منه على واحد تحذر عليه [الحولى من ولد الذر] [6]، ففاته لترفه حظ كبير من من الاجتهاد. وعلى ذلك؛ فقرأ على الخطيب **أبي الحسن البلوطي**، والمقرئ **أبي عبد الله بن مستقور** [7]، **وأبي إسحاق بن زورال**، وخاتمة الجلة **أبي جعفر بن الزبير**،

---

[1] في الزيتونة: ((يكون)).
[2] في الإسكوريال: ((مارش))، وفي النفح: ((وارد))؛ وهو تحريف؛ والوارش معناه: من يدخل لتناول طعام دون دعوة.
[3] صوبها د. طويل؛ فجعلها: ((ثلاثة)).
[4] الموافق لـ 1284م
[5] في الزيتونة: ((ثم))، وفي النفح: ((أم)). والأيم: هي المرة التي فقدت زوجها.
[6] في النفح: ((تحذر عليه النسيم إذا سرى؛ ففاته..)).
[7] في الإسكوريال، والزيتونة: ((مسمغور))، وفي النفح: ((سمعون))؛ والتصويب لعنان.

وكان يفضله، وشارك أهل عصره في الرواية المستدعاه عن أعلام **المشرق**، **كجار الله أبي اليمن**، وغيره. وانتقل إلى **لوشة** بلد سلفه؛ مقيما للرسم، مخصوصاً بلقب الوزارة، مرتباً بعادة الترف؛ إلى أن قصدها السلطان **أبو الوليد**، متخطيا إلى الحضرة، هاويا ملك البيضة، وأجزل نزله، وعضد أمره، وأدخله بلده، لدواع يطول استقصاؤها. ولما تم له الأمر، صحبه إلى دار ملكه، مستأثراً بشِقْصٍ[1] عريض من دنياه. وكان من رجال الكمال، طلق الوجه، أنيق المجلس، حلو النادرة، مستوليا على كثير من الخَصْل، متجنداً مع الظرف. تضمن **كتاب التاج المحلى، والإحاطة** جزءاً[2] رائعاً[3] من شعره، وفقد في الكائنة العظمى **بطريف**، يوم الاثنين السابع[4] من جمادى الأولى؛ عام أحد وأربعين وسبعمائة[5]، ثابت

---

[1] أي بنصيب)).
[2] هذه الكلمة أضافها عنان. بينما كتب في الإسكوريال: ((هذه))، وفي الزيتونة: ((هذا)).
[3] في النفح: ((رائقاً)).
[4] نفسه: ((سابع)).
[5] الموافق لـ 1340م.

الجأش غير جزوع ولا هيابة. حدث [1] الخطيب بالمسجد الجامع من **غرناطة**، الفقيه **أبو عبد الله بن اللوشي**؛ قال: كبا بأخيك الطّرف يومئذ؛ وقد غشى العدو، وجنحت إلى إردافه؛ فانحدر إليه والدك وصرفني، وقال: أنا أولى به؛ فكان آخر العهد بهما. وخلفني عالي الدرجة، شهير الخطة، مشمولاً بالقبول، مكنوفاً بالعناية: ﴿ **وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لاَ تُحْصُوهَا**﴾[2]. فقلدني السلطان كتابة سره، ولّما يجتمع الشباب، ويستكمل السن، معززة بالقيادة، ورسوم الوزارة، واستعملني في السفارة إلى الملوك، واستنابني بدار ملكه، ورمى إلى يدي بخاتمه وسيفه، وائتمنني على صيوان ذخيرته [3]، وبيت ماله، وسجوف حرمه، ومعقل امتناعه، ومن فصول منشوره: ((وأطلقنا يده على كل ما جعل الله لنا النظر فيه)). ولما هلك، قدس الله روحه، ضاعف ولده، مولاي رضي الله عنه، حظوتي، وأعلى

---

[1] في النفح: ((حدثني)).

[2] الآية كاملة هكذا: (وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدّوا نِعْمَةَ اللّهِ لاَ تُحْصُوهَا إنّ الإنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفّارٌ). سورة إبراهيم؛ الآية: 34.

[3] في الزيتونة: ((خزانته))، وفي النفح: ((حضرته)).

مجلسي، وقصر المشورة على نصحي، إلى أن كانت عليه الكائنة؛ [فاقتدى فيَّ، أخوه المتغلب على الأمر [1]؛ فسجل الاختصاص، وعقد القلادة، ثم قطع الإبقاء، وعقد الاختصاص، وحل القلادة، لّما حمله أولوا [2] الشحناء، من أعوان ثورته على القبض عليّ فكان ذلك] [3]. وقبض عليّ، ونكث ما أبرم من أماني، واعتقلت بحال ترفيه. وبعد أن كبست المنازل والدور، واستكثر من الحرس، وختم على الأعلاق، وأُبْرد [4] إلى ما نأى، فاستؤصلت نعمة لم تكن **بالأندلس** من ذوات النظائر [ولا ربات] [5] الأمثال، في تبحر الغلة، وفراهة الحيوان، وغبطة العقار، ونظافة الآلات، ورفعة الثياب، واستجادة العدة، ووفور الكتب، إلى الآنية والخرثى، والفرش، والماعون، والزجاج، والمحكم، والطيب،

---

[1] **في النفح: ((الأمر به)).**
[2] **نفسه: ((أهل الشحناء من أهل أعوان...)).**
[3] **علق عنان هنا فقال: ((جمعنا بين الخاصرتين بين ما ورد في المخطوطين، وفي النفح. وذلك بعد تصويب العبارة الأولى "فاقتدى في" وهي التي وردت محرفة في المخطوطين: فاعتدى على")).**
[4] **أي أرسل بالبريد.**
[5] **هذه الإضافة من النفح.**

والذخيرة، والمضارب، والأقبية [1]. واكتسحت السائمة، وثيران الحرث، وظهر الحمولة، وقوام الفلاحة، وأذواد الخيل، فأخذ الجميع البيع، وتناهبتها الأسواق، وصاحبها البخس، ورزأتها الخونة، وشمل الخاصة والأقارب الطلب، واستخلصت [2] القرى والجنات، وأعملت الحيل، ودست الإخافة، وطوقت الذنوب، وأمد الله بالصبر [3]، وأنزل السكينة، وانصرف اللسان إلى ذكر الله [تعالى] [4]، وتعلقت الآمال به، وطبقت [نكبة] [5] مصحفية [6]، مطلوبها مطلوبها الذات، وسبب إفاتتها المال، حسبما قلت عند إقالة العثرة، والخلاص من الهفوة [7]:

---

[1] في النفح: ((والأبنية)).
[2] أي ضمت إلى الأملاك التي تخص السلطان.
[3] في النفح: ((بالعون)).
[4] أضيفت هذه الكلمة من النفح.
[5] أضيفت هذه الكلمة من النفح.
[6] يشير هنا إلى نكبة حاجب المستنصر الأموي؛ جعفر بن محمد المصحفي؛ الذي نكبه المنصور محمد بن أبي عامر.
[7] البحر الطويل.

تخلَّصْــت منها نكبـــة مصحفيَّـــة
لفقــداني المنصور من آل عامـــر

ووصلت الشفاعة فيّ مكتتبة بخط ملك **المغرب**، وجعل خلاصي شرطاً في العقدة، ومسالمة الدولة؛ فانتقلت صحبة سلطاني المكفور الحق إلى **المغرب**. وبالغ ملكه في بري، واغياً في حُلَّة رعيي، منزلا رحبا، وعيشا حفضا، وإقطاعا جما، وجراية ما وراءها مرمى؛ وجعلني بمجلسه صدرا. ثم أعسف قصدي في تهنيء[1] الخلوة **بمدينة سلا**، منوه الصكوك، مهنأ القرار، متفقدا باللُّهى والخلع، مخول العقار، موفور الحاشية، مخلى بيني وبين إصلاح معادي، إلى أن رد الله تعالى على السلطان أمير المسلمين **أبي عبد الله** ابن أمير المسلمين **أبي الحجاج** ملكه، وصير إليه حقه، وصرف إليه كرسيه؛ فطالبني بوعد ضربته وعهد[2] في القدوم عليه بولده أحكمته؛ ولم يوسعني عذراً، ولا فسح في الترك مجالا. فقدمت

[1] في النفح: ((تهيؤ)).
[2] نفسه: ((وعمل)).

عليه بولده، في اليوم الأغر المحجل، وقد ساءه بإمساكه رهينة ظنّه [1]، ونغص مسرة الفتح بعده، على حال من التقشف، والرغبة [2] عما بيده، وعزف عن الطمع في الكسب [3] وزهد في الرِّفد [4]، حسبما قلت في بعض المقطوعات في مخاطبته؛ شكر الله عني فضله [5]:

الــوا لخدمتــه دعــاك محمــد
فكرهتهــا[6] وزهدت في التنويــه
فأجبتــه أنــا والمهيمــن كــاره
في خدمــة المــولى محب فيــه

عاهدت الله على ذلك، وشرحت صدري إلى الوفاء به، وجنحت إلى الانفصال لبيت الله الحرام نشيدة أملي، ومرمى نيتي، فعلق بي علوق الكرمة، وصارفني بدار العبرة، وخرج لي عن الضرورة، وأراني أن مؤازرته

[1] في النفح: ضدّه)).
[2] نفسه: ((والزهد فيما بيده)).
[3] نفسه: ((ملكه)).
[4] نفسه: ((رفده)).
[5] البحر الكامل.
[6] في النفح: ((فأنفتها)).

أبر القربة، وراكنني إلى عهد بخطه، فسح لعامين أمد الثواء، واقتدى بشعيب صلوات الله عليه، في خطب [1] الزيادة، وعلى تلك النسبة وأشهد من حضر من العلية. ثم رمى إلي بعد ذلك مقاليد رأيه، وحكم عذلي [2] في اختبارات عقله، وغطى على جفائي بحلمه، وحثا في [وجوه] [3] شهواته بتراب زجري، ووقف القبول على وعظي، واستنزل [4] هواي في التحول، نابيا [5] عن قصدي، واعترب بقبول نصحي. فاستعنت الله عليه، وعاملت وجهه فيه، من غير تلبس بخديعة [6]، ولا تشبث تشبث بولاية مقتصرا على الكفاية، حذرا من النقد، خامل المركب ، معتمدا على المنسأة [7]، مستمتعا بخلق النعل، راضيا بغير النبيه من الثوب، مشفقا من موافقة الغرور، هاجرا للزخرف، صادعا بالحق في أسواق

---

[1] في النفح: ((طلب)).
[2] نفسه: ((عقلي)).
[3] وردت هذه الكلمة في النفح؛ بينما سقطت في المخطزطين.
[4] في النفح: ((وصرف)).
[5] نفسه: ((ثانياً وقصدي)).
[6] نفسه: ((بجراية)).
[7] أي العصا.

الباطل، كافا عن السخال[1]، براثن السباع، مفوتا للأصول في سبيل الصدقة. ثم صرفت الفكر إلى بناء الزاوية والمدرسة والتربة، بكر الحسنات بهذه الخطة، بل **بالجزيرة** فيما سلف من المدة، فتأتى بمنة الله من صلاح السلطان، وعفاف الحاشية، ونشر الأمن، وروم الثغور، وتثمير الجباية، وإنصاف الحماة والمقاتلة، ومقارعة الملوك المجاورة، في إيثار المصلحة الدينية، والصدع فوق المنابر، ضمانا عن السلطان بترياق سُمّ الثورة، وإصلاح بواطن الخاصة والعامة، ما الله المجازي عليه، والمعوض من سهر خلعته على أعطافه، وكد أعملته من جرايه وخطر اقتحمته من أجله، لا للثّريد الأعفر، ولا للجُرُد تمرح في الأرسان، ولا للبِدَر تثقل الأكتاد[2]، فهو الذي لا يضيع عمل عامل من ذكر وأنثى[3]، سبحانه إليه الرُّجْعَى،

---

[1] **السخال: أولاد الشاة.**

[2] **الأكتاد: مجمع الكتفين.**

[3] **إشارة إلى قوله تعالى: (فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لاَ أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ثَوَاباً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ). سورة آل عمران؛ الآية: 195.**

والآخرة والأولى. ومع ذلك فقد (عادت هيف إلى أديانها) [1] من الاستهداف للشرور، والاستعراض للمحذور، والنظر الشزر، المنبعث من خزر العيون، شيمة من ابتلاه الله بسياسة الدهاء، ورعاية [2]، سخطة أرزاق السماء، وقتلة الأنبياء، وعبدة الأهواء، ممن لا يجعل لله إرادة نافذة، ولا مشيئة سابغة، ولا يقبل معذرة، ولا يجمل في الطلب، ولا يتلبس مع الله بأدب، ربنا لا تسلط علينا بذنوبنا من لا يرحمنا [3]. والحال إلى هذا العهد [وهو أول عام أحد وسبعين وسبعمائة] [4]؛ على ما ذكرته، أداله الله بحال السلامة، وبفيأة العافية، والتمتع بالعبادة؛ وربّك يخلق ما يشاء ويختار. وقال الشاعر [5]:

---

[1] روى المثل هكذا: ((ذهبت هيفٌ إلى أديانها))؛ والهيف هي الرّيح الحارة؛ وتسمى أيضاً السموم. ويقصد بأديانها: عاداتها. ويضرب هذا المثل على تفرق الناس؛ واختلاف اهتماماتهم؛ كل واحد لشأنه؛ وكل إنسان بعادته التي اعتاد عليها. وقد اشرنا إليه من قبل.

[2] في الزيتونة: ((ورياسة)).

[3] إشارة إلى قوله تعالى: (وَمَا أَفَاءَ اللّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلاَ رِكَابٍ وَلَكِنّ اللّهَ يُسَلّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللّهُ عَلَى كُلّ شَيْءٍ قَدِيرٌ). سورة الحشر؛ الآية: 6.

[4] الموافق لـ 1369م.

[5] مجزوء الكامل.

وعلي أن أسعى وليـــ ـــس علي إدراك النجـــاح

ولله فينا سرّ[1] غيب؛ نحن صائرون إليه[2]، ألحفنا الله بلباس التقوى، وختم لنا بالسعادة، وجعلنا في الآخرة من الفائزين. نَفَثْتُ عن بَثٍّ، وتَأَوَّهْتُ عن حُمَّى؛ لِيُعْلم[3] بعد المنقلب قصدي، ويَدُلُّ مُكْتَتبي على عِقْدي.

ذكر بعض ما صدر لي من التشريعات الملوكية. أيام تأبّشي بهذه الغرور

من ذلك ظهير من مولاي السلطان **أبي عبد الله**، عندما صار له أمر والده المقدس **أبي الحجاج**، رحمة الله عليه، وقد ثبت في **المحمدين**، في اسم السلطان أيده الله، فلينظره هنالك من تشوف لاحتفاله واحتفايه، وظاهر برّه واعتنايه. وكتب إليَّ مخبراً بما فتح الله عليه، قبل الوصول إليه:

---

[1] في النفح: ((علم غيب)).
[2] هكذا في النفح؛ بينما كتب في الإسكوريال، والزيتونة: ((سائرون)).
[3] في النفح: ((ليظهر)).

((من أمير المسلمين **عبد الله محمد** بن مولانا أمير المسلمين **أبي الحجاج** بن مولانا أمير المسلمين **أبي الوليد ابن نصر**، أيّد الله أوامرهم، ونصر أجنادهم المظفرة وعساكرهم، وخلد مفاخرهم الكريمة ومآثرهم)).

((إلى وليّنا في الله تعالى، الذي نعلم ماله في الإخلاص لجانبنا من حسن المذاهب، ونعتد به اعتداداً يتكفل بنجاح القاصد المآرب، وخلاصتنا الذي نثني على مجده البعيد الغايات، في الشاهد والغايب، الفقيه، الوزير الجليل، الصدر الأوحد المثيل، العالم العلم الأوحد، الرفيع الشهير، الحسيب الأصيل، الماجد الأثيل الخطير، الخطيب البليغ الكبير، الأوحد، الحافل الفاضل الكامل، إمام البلغاء، وصدر الخطباء، وعلم العلماء، وكبير الرؤساء، الحبيب المخلص الأود الأصفى؛ **أبي عبد الله** ابن الوزير الفقيه الجليل، الأعز الأرفع، الماجد الأسمى، الصدر الحافل، الفضل الكامل، الأعلى الكبير، الخطير الأثير، الأرضى، المعظم الموقر، المبرور المقدس، المرحوم

الشهيد، **أبي محمد بن الخطيب**، وصل الله سعده، وحرس مجده؛ سلام عليكم، ورحمة الله وبركاته.

أما بعد حمد الله، ولي الحمد وأهله، وناصر الحق، ومطلع أنواره، من آفاق رحمته وفضله، وقاهر كل باغ، وخاذله ومذله، والصلاة على سيدنا ومولانا **محمد**، صفوة أنبيائه، وخاتم رسله، المبتعث بالهدى ودين الحق، ليظهره على الدين كله [1]، نبي الرحمة، الذي ببركة محبته، نلنا الأمنية، في جمع الدين ونظم شمله، وبفضيلة جاهه، عدنا إلى أرفع رتبة ملكنا، وأعلى محله. والرضا عن آله وصحبه، المقتدين بهديه في أمرهم كله. فكتبناه إليكم، كتب الله لكم، عزا لا يبلى جديده، وسعدا لا ينقطع مزيده. من **حمرائنا بغرناطة** حرسها الله ومهدها، ولا متعرف بفضل الله سبحانه إلا ما عود من ألطافه الخفية، وأسدى من صنائعه السّنيّة، وعنايته التي كفلت ببلوغ

---

[1] **إشارة إلى قوله تعالى: (هُوَ الذِي أرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الحَقّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدّينِ كُلّهِ وَكَفَى بِاللّهِ شَهِيداً). سورة الفتح: الآية: 28. ووردت آية كريمة أخرى جاء فيها: (هُوَ الذِي أرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الحَقّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدّينِ كُلّهِ وَلَوْ كَرِهَ المُشْرِكُونَ). سورة الصف؛ الآية: 9.**

الأمنية. والحمد لله كثيرا، كما ينبغي لجلاله، ويليق بصفات كماله. وعندنا من إجلالكم ما يليق بكمالكم، ومن المعرفة بمقداركم ما يعرب عن حسن اعتقادنا، في كريم نجاركم، ومن قدر أحسابكم، ما يلزم بسببه تعظيم جنابكم. وإلى هذا وصل الله سعدكم، وحفظ مجدكم، فإننا بحسب الودّ الذي [1] نصل لمعاليكم، والحب الذي نضاعفه فيكم، خاطبناكم بهذا المكتوب، بشرح ما من الله علينا، من الفتح العظيم، الذي أشرقت به أقطار هذه البلاد، وما من به من العودة، إلى ملكنا المتوارث عن كرام الآباء والأجداد، وما أنعم به من قهر ذوي الشقاق والعناد. وذلك أنا أعزكم الله طال علينا المقام **برندة**، ولم نزل نوجه إلى أهل الحصون، التي بغربي **مالقة** وغيرهم، نقص عليهم، ما ألزمهم الله من الوفاء ببيعتنا، ونحذرهم عار [2] النكث لطاعتنا، إلى أن آن أوان الفرح، ونفذ قضاء الله وقدره، بالعودة إلى ما كنا تغلبنا [3] عليه. فاقتضى

---

[1] هذه الكلمة وردت في الزيتونة؛ وسقطت في الإسكوريال.
[2] في نفاضة الجراب: ((عقبة))، وفي الإسكوريال: ((عادة))؛ وهو تحريف.
[3] في: الإسكوريال: ((تغلب لنا)).

نظرنا أن خرجنا إلى **مالقة** في مائتي فارس، فما وصلنا واديها، وعلم بها أهلها إلاّ وخرج لنا جميعهم، ملبين بالبيعة، فرحين[1] بقدومنا. وفي الحين بادرنا لقتال القصبة، حتى استخلصت، وأنزل من فيها بنواحيها. وليوم آخر، وصلتنا بيعات أهل الجهات التي تواليها، من **أنتقيرة**، **ولوشة**، **وبلش**، **وصالحة**، **وقمارش**، **والحمة**، وسائر الحصون الغربية، فلما وصل الخبر إلى الغادر الخاسر، خاف وذعر، ورأى أن لا ملجأ له، إلاّ أن يفر، فجمع شرذمته، وألف حاشيته، وخرج عن **الحمراء** ليلاً، في ليلة الخميس الماضي، قريبا من التاريخ، هاربا إلى أرض الكفار. وفي صبيحة الليلة، وجه إلينا أهل حضرتنا، وتوجهت الأجناد إلى بيعتنا، وانصرفنا إلى دار ملكنا، وحللناها يوم السبت الماضي، من غير حرب ولا قتال، بل بفضل الله تعالى، ذي العظمة والجلال. وعرفناكم بذلك، لتأخذوا بحظكم من هذه المسرة الكبرى[2]، إذ أنتم

[1] في الزيتونة: ((فارحين)).
[2] في نفاضة الجراب: ((العظمى)).

الحبيب الذي لا يشك فيه، والخلاصة [1] الذي نعلم صدق خلوصه وتصافيه، والله يصل سعودكم، ويحفظ وجودكم، والسلام الكريم عليكم ورحمة الله وبركاته. وكتب في يوم الأربعاء الرابع والعشرين لجمادى الثانية، من عام ثلاثة وستين وسبعمائة)) [2].

وعند استقراري لديه، وقدومي عليه، أصدر لي هذا الظهير الكريم، بما يظهر من فصوله:

((هذا ظهير كريم، أقام مراسم الوفاء، وأحيا معالم الحق الفسيحة الأرجاء، وقلص ظلال الجود المتكاثفة الأفياء، وجلى بأنوار الحق، ظلم الظلم والاعتداء، وأدى الأمانة إلى أهلها، إذ كانت متعينة الأداء. أمر بتسويغ إنعامه، وإبرام أحكامه، أمير المسلمين، **عبد الله محمد** بن مولانا أمير المسلمين **أبي الحجاج** بن مولانا أمير المسلمين **أبي الوليد بن نصر**، أعلى الله مقامه، وشكر إنعامه. لولي مقامه، ومحل إجلاله وإعظامه، كبير دولته، وفخر مملكته، ومشيد سلطانه، وعين زمانه، ظهيره الذي ببركاته

[1] **هكذا في الإسكوريال، والنفاضة.**
[2] **الموافق لـ 1361م.**

أنجحت مقاصده، وحامل لواء وزارته، الذي بيمن رأيه، عذبت مصادره وموارده، الفقيه الأجل، الوزير المثيل الماجد الأثيل، الحسيب الأصيل، العالم العلم، الطاهر الظاهر، العظيم المفاخر، الكريم المآثر، إمام البلاغة، وفارس البراعة واليراعة، فخر الرياسة، ومدبر فلك السياسة، الخطيب [1] الحافل، الصدر الفاضل الشمايل، الحبيب [2] الخالص [3] الأود الأصفى، **أبي عبد الله محمد بن الوزير** الجليل الأوحد الأعلى، الصدر الكبير الخطير الشهير الأسنى، الحافل الفاضل، الظاهر الطاهر، السامي الأرقى، المعظم الموقر، الشهيد المقدس السعيد، **أبي محمد ابن الخطيب**، وصل الله سعادته، وحرس مجادته، وحفظ رتبته الرفيعة، ومكانته، وبلغه أمله الأرضى وإرادته. لما كان أبقاه الله مدبر ملك المولى أبيه، وظهيره الذي لم يزل يدنيه ويصطفيه، وعماده الذي ألقى إليه مقاليد الملك، حين علم أنه صدر الأولياء، وواسطة السلك، ووزيره

---

[1] في الزيتونة الحسيب.
[2] في الإسكوريال: ((الحسيب)).
[3] نفسه: ((الخلاصة)).

الذي اعتمده بإدارة أمره، وركن إلى مناصحته في سره وجهره، وقلده نجاد الوزارتين، وحلاه بحلى الرياستين، فاكتفى منه عن الأثر بالعين، ونشر له لواء الولايتين، فتلقاه بيمينه، وقام مضطلعا بأمره، قيام الأسد دون عرينه. وحين انعقد هذا الأمر العلي، قام بسياسة ملكه أحسن قيام، وأوفاه، وأداره فأصاب في إدارته، مرمى السداد الذي لم يوافقه إلاّ أياه. واستولى في هذه الميادين على غاية الكمال، واضطلع بالرياسة والسياسة، اضطلاع أفذاذ [1] الرجال. ولم يزل يدفع عن حماه، ويذب عن حوزته بما يحبه الله ويرضاه، حتى انتظمت بالسعود أفلاكه المنيفة وأملاكه، ودارت بالتأيد أفلاكه.

ولما كان الشقي الغادر، الذي اغتصب الحق، وطهر منه الطرق، قد جار على جانب المعتمد به في ماله، وتعدى بالبغي على حاله، ظلما وعدوانا، وجورا وطغيانا، لم يقدم أيده الله عملا، عند العودة إلى ملكه المؤيد، وسلطانه الأسعد، وفخره المجدد المؤيد، وأخذ الله

[1] في الإسكوريال، والزيتونة: ((أفراد))؛ فصوبها عنان.

تعالى له، من الظالم أعظم ثأر، وأمده بأعلامه، وإظهاره بأعظم الأنصار، على أن صرف عليه جميع أملاكه، التي خلصت له بالشرع موجباتها، ووضعت في سبيل الاستحقاق بيناتها، مما كان الغادر قد غصبه له وانتهبه، وقطع بالباطل عنه سببه، ومكنه أيده الله منها باحتيازها، وتولى لنفسه إحرازها، وعاد بهذا التسويغ الملكي، يوم عودتها إليه خيرا من أمسه، هنأه الله الانتفاع بها في العمر الطويل، وحفظها عليه وعلى عقبه، يتملكها الجيل منهم بعد الجيل. وهي كذا وكذا، بداخل الحضرة وخارجها، وكذا وكذا من البلاد. سوغ إليه أيده الله ذلك، تسويغا شرعيا، ورفع به عنه فيه الأغراض، رفعا كليا أبديا، وتبرأ من حق يتعلق به، أو شبهة تتطرق بسببه. فليتصرف أعزه الله في ذلك بما شاء من أنواع التصرفات، على ما توجبه السنة الواضحة الآيات، من غير حجر إليه، ولا تعقب لما لديه. وشمل حكم هذا التسويغ الجسيم، والإنعام العميم، جميع ما يستغل على الأرض والجنات والكروم، والثمرات من العايد المستقبلة عليها،

والغلات، شمولا تاما، مطلقا عاما، وأن يكون هذا ثابتا صحيحا، ومن الشك مزيحا، وحكمه على الأيام، واتصال الشهور والأعوام، متصل الدوام. كتبنا خط يدنا شاهدا بإمضائه، وسجلنا الحكم باستقلاله واقتضايه [1]. فليعلم ذلك من يقف عليه، ويعتبر ما لديه. وذلك في اليوم الثاني لرمضان المعظم من عام ثلاثة وستين وسبعماية [2].. صح هذا)).

ولما قضى الله بالانصراف [3] إلى **العدوة** الغربية [4]، صدرت عن سلطانها أمير المسلمين **أبي سالم** [5] منشورات رفيعة؛ منها، وقد تشوفت إلى مطالعة **بلاده الغربية**، وجهاتها **المراكشية**، بقصد [6] لقاء أهل الصلاح والعبادة، وزيارة ملاحد السادة، ما نصه:

---

[1] في الزيتونة: ((واكتفايه)).
[2] الموافق لـ 1361م.
[3] في الزيتونة: ((بالعود)).
[4] يقصد: العدوة المغربية.
[5] هو السلطان أبو سالم إبراهيم بن أبي الحسن المريني.
[6] حرفت في الإسكوريال؛ فكتبت: ((نقتصد)).

((هذا ظهير كريم أشاد بالتنويه الفسيح المجال، والإكرام السابغ الأذيال [1] وأعاد النعم بعد إبدائها عميمة النوال، ووارفة الظلال وألقى في يد المعتمد به، صحيفة الاعتناء حميدة المقال، مقتضبة ديوان الآمال، ورفع له لواء الفخر العزيز المنال، على النظراء والأمثال، حكم بإعماله، وإمضاء أمره الكريم وامتثاله، **عبد الله المستعين بالله إبراهيم** ابن مولانا أمير المسلمين، المجاهد في سبيل الله رب العالمين، **أبي الحسن** ابن مولانا أمير المسلمين المجاهد في سبيل رب العالمين **أبي يوسف بن عبد الحق**. أيد الله أمره، وأعز نصره، للشيخ الفقيه الأجل، الأعز الأسنى، الوزير الأمجد الأنوه المحترم، الملحوظ، الأثير الأكمل، السري الحظي الذكي الأخلص، **أبي عبد الله** بن الشيخ الوزير، الفقيه الأجل، الأعز الأسنى الأمجد، الحسيب الأصيل، الأنوه الأنزه، الأثير الأكمل، المبرور المرحوم **أبي محمد بن الخطيب**. وصل الله حظوته، ووالي عزته. جدد له الحظوة التي يضفى لباسها، وصحح بنظر

[1] في الزيتونة: ((الإقبال)).

البر والإكرام قيامها، وشدد بمباني الحفاية التي مهد أساسها ولما وفد على بابه الكريم، عايذا بجواره، وملقيا في ساحة العز المشيد عصا تسيار، ومجريا في ميدان الثنا جياد أفكاره ، ومعتمدا على نظرنا الجميل في بلوغ آماله، وحصول أوطاره، فسحنا له في ميدان البر والترحيب فبلغ مداه، وأنس في حضرتنا الكريمة، أنوار العناية، التي كانت هداه، وأحللناه من بساطنا المحل الذي اشتمل به العز وارتداه، وكمل له الأمل ووفاه. وأذنا له، تفننا في إسداء النعم الثرة، وتلقي وفادته بوجوه القبول والمبرة، في زيارة التربة المقدسة **بشالة** [1] المعظمة، حيث ضريح مولانا المقدس ومن معه من أسلافنا الكرام، نور الله مثواهم، وجعل في الجنة مأواهم: وهذا الغرض الجميل، وإن عد من أنواع التكريم والإحسان العميم، فهو السعي الذي تصرف إليه وجوه [القبول] [2] والرضا والاهتمام،

---

[1] شالة: موقع أثري روماني؛ يقع في آخر مدينة الرباط، ويوجد بها أيضاً بعض قبور بني مرين؛ ويتوسطها قبر السلطان أبي الحسن المريني؛ والد السلطان أبي سالم.

[2] سقطت هذه الكلمة في الإسكوريال.

والرغبة التي [1] يصفى لها موارد الإسعاف عذوبة الحمام، والتقرب الذي تؤثره [مهاد البر المستدام] [2] ولفاعله مزية الاعتناء والتقديم، وجزاء [3] القيام بخدمة سلفنا الكريم، وقد أذنا له في مشاهدة تلك الجهات من حضرتنا العلية، إلى **مراكش** المحروسة، للقاء الأعلام، واجتلاء المعاهد الكرام، والآثار الباقية على الأيام، كيف أحب، وعلى ما شاء من إراحة أو إلمام، مصحبا بمن ينوه به في طريقة من الخدام، تنويها للكرامة وتعديدا، وتجديدا للعناية وتأكيدا. فليعلم بذلك، ماله في بابنا الكريم من الاعتناء، وما اعتدنا لمحبي أسلافنا الكرام من الجزاء، ويجري في جميع مآربه وأحواله على النهج السواء، مراعى حال إيابه إلى مقره من حضرتنا العلية، ومحله من بساطنا الأشف، وعرضه أعمال القايمين ببره، وأكرمنا بين أيدينا، فيجني المبادرة إلى تفويه آمال، وثمرة أعماله، ويقابل القايم بمبرته. والله المستعان، وكتب **بالمدينة البيضاء**، مهدها الله،

[1] في الإسكوريال: ((الذي)).
[2] ترك في موضع هذه العبارة بياض مخروم في الإسكوريال؛ ونقلها عنان من الزيتونه.
[3] في الزيتونة: ((حق)).

في الحادي والعشرين لربيع الثاني عام أحد وستين وسبعماية [1]، وليعتمد لوزيرنا الشيخ الأجل الحظي الأكمل **أبو الحسن علي العباس**، أكرمه الله، على أن يدخله إلى الساكن العلية بقصبة **مراكش** حرسها الله، ليشاهد الآثار السلطانية، التي انظمت في سلكنا، وعفى عليها جديد ملكنا. فليعلم ذلك. وليعمل به ، والله المستعان ، وكتب في التاريخ المؤرخ به)).

وجر هذا إنعام دنيا عريضة، تفتقت فيها المواهب، ووضحت من اشتهارها المذاهب، شكر الله نعمته، ووالى على تربته رحمته.

وصدر لي عن المتصير إليه أمره ما نصه، وهو بعض من جملة، ونوع من أجناس مبرة :

((هذا ظهير كريم نظم العناية ووصلها، وأجمل الرعاية وفصلها، وأحرز مواهب السعادة وحصلها، أمر بإبرامه، والوقوف عند أحكامه، **عبد الله المتوكل على الله محمد**، أمير المسلمين، المجاهد في سبيل رب العالمين

---

[1] **الموافق لـ 1359م.**

ابن مولانا الأمير **عبد الرحمن** ابن مولانا أمير المسلمين، المجاهد في سبيل رب العالمين، **أبي الحسن** ابن مولانا أمير المسلمين المجاهد في سبيل رب العالمين **أبي سعيد** ابن مولانا أمير المسلمين المجاهد في سبيل رب العالمين **أبي يوسف بن عبد الحق**، أيده الله ونصره، وسنَى له الفتح المبين ويسره، للشيخ الفقيه الأجل، الأسنى الأعز، الأحظى الأرفع، الأمجد الأسنى، الأنوه الأرقى ، العالم العلم، الرئيس الأعرف، المتفنن الأبرع، المصنف المفيد، الصدر الأحفل، الأفضل الأكمل، **أبي عبد الله**، ابن الشيخ الفقيه الوزير الأجل، الأسنى الأغر، الأرفع الأمجد، الوجيه الأنوه، الأحفل، الأفضل، الحسيب الأصيل الأكمل، المبرور المرحوم **أبي محمد بن الخطيب**، أيده الله بوجه القبول والإقبال، وأضفى عليه ملابس الإنعام والإفضال، ورعى له خدمة السلف الرفيع الرفيع الجلال، وما تقرر من مقاصده الحسنة في خدمة أمرنا العال. وأمر في جملة ما سوغ من الآلاء الوارفة الظلال، الفسيحة المجال، بأن يجدد له حكم ما بيده من الأوامر المتقدم

تاريخها، المتضمنة تمشية [خمسمائة من الفضة العشرية] [1]؛ في كل شهر، عن مرتب له ولولده الذي لنظره، من مجبي **مدينة سلا** حرسها الله، في كل شهر، من حيث جرت العادة أن يتمشى له، ورفع الاعتراض ببابها فيما يجلب من الأدم والأقوات؛ على اختلافها، من حيوان وسواه، وفيما يستفيده خدامه بخارجها وأحوازها من: عنب، وقطن، وكتان، وفاكهة، وخضر، وغير ذلك؛ فلا يطلب في شيء من ذلك بمغرم ولا وظيف، ولا يتوجه فيه إليه بتكليف. يتصل له حكم في كل عام، تجديداً تاماً، واحتراماً عاماً؛ أعلن بتجديد الحظوة واتصالها، وإتمام النعمة وإكمالها، من تواريخ الأوامر المذكورة إلى الآن، ومن الآن إلى ما يأتي على الدوام، واتصال الأيام، وأن يحمل جانبه فيمن يشركه أو يخدمه محمل الرعي، والمحاشاة من السخرة، متى عرضته، والوظائف إذا افترضت، حتى يتصل له تالد العناية بالطارف، وتتضاعف أسباب المنن والعوارف، بفضل

---

[1] **في النفح: ((تمشية خمسمائة دينار من الفضة العشرية)). وقد يكون هذا من باب التحريف؛ لأن الدينار في العادة يكون من ذهب.**

الله، وتحرر له الأزواج التي يحرثها، تبالغت من كل وجيبة ويحاش من كل مغرم أو ضريبة، بالتحرير التام، بحول الله وعونه، ومن وقف على هذا الظهير الكريم، فليعمل بمقتضاه، وليمض ما أمضاه، إن شاء الله. وكتب في العاشر لشهر ربيع الآخر من عام ثلاثة وستين وسبعماية [1]. وكتب في التاريخ)).

وهذا ومثله، لولا أنه أحظوظ [ربما انتفع العقب بوَضَمِها] [2]، ورمى غرض الإغفال بسهمها؛ لم يعن بها، من يرى أن لا جدوى إلاّ في التقوى، وأن يد الله من هذه الأسباب الضعيفة أقوى.

وأما ما رفع إلي من الموضوعات العلمية والوسائل [3] الأدبية والرسائل الإخوانية؛ لما أقامني الملك صنماً يعبد وجَبَلاً [4] إليه يستند صادرة عن الأعلام، وحملة الأقلام، ورؤساء النثار والنظام [5]، فجم يضيق عنه الإحصاء،

---

[1] الموافق لـ 1361م.
[2] في الزيتونة: ((بنا انتفى رسمها)).
[3] نفسه: ((الرسائل)).
[4] في الإسكوريال: ((خبالا))؛ وصوبت من الزيتونة.
[5] أي: النثر والشعر.

ويعجز عن ضم نشره الاستقصاء. فربما تضمن هذا الكتاب ـ كتاب الإحاطة ـ هذا منه كثيراً، منظوماً ونثيراً [1]، جرى في أثناء الأسماء، وانتمى إلى الإجادة أكبر الانتماء. غفر الله لي ولقائله، فما كان أولاني وأياه، بستر وزره [2]، وإغراء الإضراب بغروره، فأهون بما لا ينفع، وإن ارتفع الكلم الطيب [3] لا يدفع [4] اللهم تجاوز عنا بكرمك وفضلك.

المشيخة

قرأت كتاب الله عز وجل على المكتب، نسيج وحده، في تحمل المنزل حق حمله، تقوى وصلاحاً، وخصوصية وإتقاناً، ونغمة، وعناية وحفظاً، وتبحراً في هذا الفن، واضطلاعاً بضرايبه، واستيعابا لسقطات الأعلام، الأستاذ الصالح، **أبي عبد الله بن عبد الولى**

---

[1] **في النفح: ((ومنظوماً أثيراً، ودراً نثيراً، جرى في أثناء الأسماء)).**

[2] **نفسه: ((زوره)).**

[3] **إشارة إلى قوله تعالى: (مَنْ كَانَ يُرِيدُ العِزّةَ فَلِلّهِ العِزّةُ جَمِيعاً إِلَيْهِ يَصْعَدُ الكَلِمُ الطّيّبُ وَالعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالذِينَ يَمْكُرُونَ السّيّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورُ). سورة فاطر؛ الآية: 10.**

[4] **في الزيتونة: ((يرجع))، وفي النفح: ((يرفع)).**

العواد، كتبا ثم حفظا، ثم تجويدا إلى مَقْرئ **أبي عمرو**، رحمة الله عليهما. ثم نقلني إلى أستاذ الجماعة، ومطية الفنون، ومفيد الطلبة، الشيخ الخطيب **أبي الحسن القيجاطي** [1]، فقرأت عليه القرآن والعربية، وهو أول من انتفعت به. وقرأت على الحسيب الصدر **أبي القاسم بن جزي**، ولازمت قراءة العربية والفقه، والتفسير، على الشيخ الأستاذ الخطيب **أبي عبد الله بن الفخار البيري**، الإمام المجمع على إمامته في فن العربية، المفتوح عليه من الله فيه، حفظا واضطلاعا، ونقلا وتوجيها، بما لا مطمع فيه لسواه. وقرأت على قاضي الجماعة الصدر المتفنن **أبي عبد الله بن بكر**، رحمه الله. وتأدبت بالشيخ الرئيس صاحب القلم الأعلى الصالح الفاضل، **أبي الحسن بن الجياب**. ورويت عن كثير ممن جمعهم الزمان بهذا القطر من أهل الرواية، كالمحدث **أبي عبد الله بن جابر**، وأخيه **أبي جعفر**، والقاضي الشهير بقية السلف، شيخنا **أبي البركات بن الحاج**، والشيخ المحدث الصالح **أبي محمد بن**

---

[1] **في النفح: ((علي القيجاطي)).**

سلمون، وأخيه القاضي أبي القاسم بن سلمون ، وأبي عمرو بن الأستاذ **أبي جعفر بن الزبير**، وله رواية عالية. والأستاذ اللغوي **أبي عبد الله بن بيبش**، والمحدث الكاتب **أبي الحسين التلمساني**، والشيخ الحاج **أبي القاسم بن البناء**، والعدل **أبي محمد الزرقون** [1]، يحمل عن الإمام **ابن دقيق العيد**، والقايد الكاتب **ابن ذي الوزارتين أبي عبد الله** [2] **بن الحكيم**، والقاضي المحدث الأديب، جملة الظرف، **أبي بكر بن شبرين**، والشيخ **أبي عبد الله بن عبد الملك**، والخطيب **أبي جعفر الطنجالي**، والقاضي **أبي بكر بن منظور**، والراوية **أبي عبد الله بن حزب الله**، كلهم من **مالقة**. والقاضي **أبي عبد الله المقري التلمساني**، والشريف **أبي علي حسن بن يوسف**، والخطيب الرئيس **أبي عبد الله بن مرزوق** كلهم من **تلمسان**. والمحدث الفاضل الحسيب **أبو** [3] **العباس بن يربوع السبتي**، والرئيس **أبي محمد الحضرمي السبتي** [4]، والشيخ المقري **أبي محمد**

---

[1] في النفح: ((السعدي)).
[2] نفسه: ((أبي بكر)).
[3] صوبها د. طويل؛ فجعلها: ((أبي)).
[4] في النفح: ((السبتين)).

ابن أيوب المالقي آخر الرواة عن **ابن أبي الأحوص**، **وأبي عثمان بن ليون** من **ألمرية**، والقاضي **أبي الحجاج المنتشافري** [1] من أهل **رندة**، وطائفة كبيرة من المعاصرين، ومن أهل **العدوة الغربية والمشرق** [2]، الكثير بالإجازة، وأخذت الطب والتعاليم [3]، وصناعة التعديل عن الإمام **أبي زكريا بن هذيل**، ولازمته. هذا على سبيل الإلمام [4]. ولو تفرغت لذكرهم [5]، لخرج هذا التقييد عما وضع له.

التواليف

من ذلك: ((**اللمحة البدرية في الدولة النصرية**)). و((**الحلل المرقومة**)). و((**مثلى الطريقة**)). و((**السحر والشعر**)). و((**ريحانة** [6] **الكتاب**))؛ في أسفار ثمانية. و((**كتاب المحبة**))؛ في سفرين. و((**الصيب والجهام**))؛ مجموع شعري. و((**معيار الاختيار**)). و((**مفاضلة [بين]** [7]

---

[1] في النفح: ((المنتشاقري)).
[2] نفسه: ((والمشرق وإفريقية)).
[3] نفسه: ((والتعاليم والمنطق)).
[4] نفسه: ((الإلماع)).
[5] نفسه: ((لذكر أفذاذهم)).
[6] في الإسكوريال: ((وريحان))؛ فصوبها عنان.
[7] سقطت هذه الكلمة في المخطوطين؛ فأضافها عنان.

مالقة وسلا)). و((**رسالة الطاعون**)). و((**المسايل الطبية**))؛ سفر. و((**الرجز في عمل التِّرياق**)). و((**اليوسفي في الطب**))؛ في سفرين. و((**التاج المحلى**))؛ في سفر. و((**نفاضة الجراب**))؛ في أربعة أسفار. و((**البيزرة**))؛ في سفر. و((**البيطرة**))؛ في سفر؛ جامع لما يرجع إليها من محاسن الخيل وغير ذلك. و((**رسالة تكوين** [1] **الجنين**)). و((**الوصول لحفظ الصحة في الفصول**)). و((**رجز الطب**)). و((**رجز الأغذية**)). و((**رجز السياسة**)). و((**كتاب الوزارة**)). و((**مقامة السياسة**)). و((**كتاب الإحاطة**))؛ هذا في خمسة عشر سفراً. إلى ما صدر مني في هذا العهد القريب؛ وهي: ((**الغيرة على أهل الحيرة**)). و((**حمل الجمهور على السنن المشهور**)). و((**الزبدة الممخوضة والرميمة**)). و((**الرد على [أهل الإباحة]** [2])). و((**سد الذريعة في تفضيل الشريعة**)). و((**تقرير الشبه وتحرير المُشَبّه** [3])). و((**استنزال اللطف الموجود في سر** [4]

---

[1] في النفح: ((تكوّن)).
[2] في الإسكوريال: ((الإباحية)).
[3] في النفح: ((الشبه)).
[4] في الإسكوريال: ((أمر)).

الوجود)). ومن التواليف الصادرة قديماً: **((بستان الدول))**؛ وهو موضوع غريب ما سمع بمثله؛ قل أن شذ عنه فن من الفنون؛ يشتمل على شجرات عشر؛ أولها شجرة **السلطان**، ثم شجرة **الوزارة**، [ثم شجرة **الكتابة**، ثم شجرة **القضاء والصلاة**، ثم شجرة **الشرطة والحسبة**] [1]، ثم شجرة **العمل**، ثم شجرة **الجهاد**؛ وهو فرعان: أسطول وخيول، ثم شجرة ما يضطر باب الملك إليه من: **الأطباء والمنجمين [والبيازرة والبياطرة والفلاحين] والندماء والشطرنجيين والشعراء والمغنين**، ثم شجرة **الرعايا**. وتقسيم هذا غريب، يرجع إلى: شعب وأصول، وجراثيم وعمد، وقشر ولحاء، وغصون وأوراق، وزهرات مثمرات وغير مثمرات [2]؛ مكتوب على كل جزء من هذه الأجزاء، اسم الفن المراد به؛ وبرنامجة صورة بستان؛ كمل منه نحو ثلاثين جزءاً تُقارب الأسفار؛ ثم قطع عنه الحادث على الدولة. **وأبيات الأبيات**. **وفتات الخوان ولقط الصوان**؛ في سفر؛ يتضمن المقطوعات.

---

[1] ما بين حاصرتين أضيف من نفح الطيب.
[2] في النفح: ((مثمرة وغير مثمرة)).

و((**عايد الصلة**))؛ في سفرين؛ وصلت به ((**صلة**)) الأستاذ **أبي جعفر بن الزبير**. و((**تخليص الذهب في اختيار عيون الكتب الأدبيات**)). و((**جيش التوشيح**)). و((**طرفة العصر في دولة بني نصر**))، ثلاثة أسفار. إلى غير ذلك. حتى في الموسيقا وسواها. هذرٌ كُثِّف به الحجاب، ولعب بالنفس الإعجاب وضاع الزمان، ولا تسل بين الرد والقبول. والنفي والإيجاب. ولله در القائل[1]:

والكون أشراك نفوس الورى
طوبى لنفس حرة فازت
إن لم تحز معرفة الله قد
أورطها الشيء الذي حازت

وكل ميسر لما خلق له، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.] هذا [2]، وقد ذكرت مؤلفات **ابن الخطيب**، التي أوردها في ختام ترجمته لنفسه، بصور مختلفة، وفقا

---

[1] **هذان البيتان لابن الخطيب؛ وهما من البحر السريع.**
[2] **حدث اضطراب هنا؛ في سياق الكلام؛ وقد اعتقد د. طويل أن الناسخ هو صاحب الفقرة الموالية؛ غير أن تعرض عنان لمخطوط الإسكوريال؛ يفيد أنه هو صاحب المداخلة، وليس الناسخ. المهم أن حديث ابن الخطيب يبدأ من عبارة ((وديوان شعري في سفرين سميته...))؛ التي ستأتي لاحقاً.**

لتواريخ كتابتها، وقد أورد لنا **المقري** منها صورة رتبت على نمط آخر، وبها زيادات لم ترد في نسخة **الإسكوريال** مما يدل على أن نسخة الإحاطة التي وردت بها، قد كتبت في وقت لاحق. وقد رأينا أن ننقلها فيما يلي:

التواليف: ((**التاج المحلى في مساجلة القدح المعلى**)). و((**الكتيبة الكامنة في أدباء المائة الثامنة**)). و((**الإكليل الزاهر فيما فضل عند نظم التاج من الجواهر**)). ثم ((**النّفاية**[1] **بعد الكفاية**))، هذا في نحو **القلايد والمطمحين لأبي نصر الفتح ابن محمد**. و((**طرفة العصر في دولة بني نصر**))؛ في أسفار ثلاثة. و((**بستان الدول**))؛ موضوع غريب ما سمع مثله... (إلخ الأوصاف التي وردت في البيان السابق). وديوان[2] شعري في سفرين، سميته ((**الصيب والجهام والماضي والكهام**)). والنثر في غرض السلطانيات كثير. والكتاب المسمى بـ((**اليوسفي في صناعة الطب**)) في سفرين كبيرين، كتاب ممتع. و((عايد الصلة))؛ وصلت به **صلة الأستاذ أبي جعفر بن الزبير**؛

[1] **في النفح: ((النقاية)).**
[2] **من هنا ينطلق حديث ابن الخطيب. ويبدو التكرار في النص.**

في سفرين. و**((كتاب الإحاطة بما تيسر من تاريخ غرناطة))**؛ كتاب كبير في أسفار تسعة [1]، هذا متصل بآخرها. و((**تخليص الذهب في اختيار عيون الكتب الأدبيات الثلاثة**)). و((**جيش التوشيح**))؛ في سفرين. ومن بعد الانتقال إلى **الأندلس**، وما وقع من كياد الدولة: ((**نفاضة الجراب في علالة الاغتراب**))؛ موضوع جليل في أربعة أسفار. و((كتاب عمل من طب لمن حب))؛ ومنزلته في الصناعة الطبية، بمنزلة **كتاب أبي عمرو بن الحاجب المختصر في الطريقة الفقهية**، لا نظير له. ومن الأراجيز، المسماة برقم الحلل في نظم الدول. والأرجوزة المسماة بـ((**الحلل المرقومة في اللمع المنظومة**؛ ألفية من ألف بيت في أصول الفقه. والأرجوزة المسماة بـ((**المعلومة**))؛ معارضة للمقدمة المسماة **بالمجهولة**، في العلاج من الرأس إلى القدم، إذا أضيفت إلى رجز الرئيس **أبي علي**، كملت بها الصناعة كمالاً لا يشينه نقص. والأرجوزة المسماة بـ((**المعتمدة في الأغذية المفردة**)).

---

[1] ذكر من قبل أنه في 15 سفراً.

و((**الأرجوزة في السياسة المدنية**)). إلى ما يشذ عن الوصف، كـ((**الرجز في عمل الترياق الفاروقي**)). و((**الكلام على الطاعون المعاصر**)). و((**الإشارة**)). و((**قطع السلوك**)). و((**مثلى الطريقة في ذم الوثيقة**)). حتى في: **الموسيقى والبيطرة والبيزرة**. هَذَرٌ به كُثِّفَ الحجاب، ولعِب بالنفس الإعجاب، ولله در القائل: الشعر السابق ذكره].

الشعر

من ذلك قولي في الجناب الكريم النبوي، شرفه الله، وهو من أوليات نظمي في ذلك الغرض [1]:

هل كنــت تعلم في هبــوب الريــح
نفســا يؤجـــج لاعــج التبريــح
أهدتك من مشــج[2] الحجاز تحيــة
غاضــت[3] عــرض الفجــاج الفيــح

---

[1] البحر الكامل.
[2] في النفح: ((شيح)).
[3] نفسه: ((فاحت)).

باالله قــل لي كيــف نيران الهــوى
مــا بيــن ريــح بالفــلاة وشيــح
وخضيبــة المنقــار تحســب أنهــا
نهلــت بمــورد دمــعي المسفــوح
باحت بما تخفي وناحت في الدجــا
فرأيــت في الآفــاق دعــوة نــوح
نطقــت بما يخفيــه قلــبي أدمــعي
ولطالمــا صمتــت عــن التصريــح
عجبــا لأجفــاني حملــن شهــادة
عن خافــت بين الضلــوع جريــح
ولقلمــا[1] كتبــت رواه مدامــعي
فــي طُرَّتيهــا[2] حليــة التجــريــح
أجاد[3] الحمى بعدي وأجرع الحــمى
جــود تكــل بــه متــون الــريــح

[1] في الإسكوريـال، والزيتونـة: ((ولقبـل مـا))؛ وصوبـت مـن لنفـح.
[2] في النفـح: ((صفحتيهـا)).
[3] نفســه: ((جـاد))؛ وهـو أسلـم.

هــن المنـــازل ما فــؤادي بعدهـــا
ســـال ولا وجــدي بهـــا بمـــريـــح
حســـبي ولوعا أن أزور بفكـــرتي
زوارهـــا والجســـــم رهـــن نـــزوح
فأبـــث فيهـــا من حديـــث صبابتي
وأحـــث فيهـــا من جنـــاح جنـــوحي
ودُجُنَّـــة كادت تضل بني[1] الشـــرى
لـــولا وميضـــا بـــارق وصفيـــــح
وعشـــت[2] كواكـــب جوها فكأنهـــا
ورق تقلبهـــــا بنـــــان شحيـــــح
صابرت منها لجـــة مهما ارتمـــت
وطمـــت رميـــت عبابهـــا بسبـــوح
حـــتى إذا الكـــف الخضيب بأفقهـــا
مسحـــت بوجـــه للصبـــاح صبيـــح

[1] في الزيتونـة: ((تكـل بهـا))، وفي النفـح: ((بهـا)).
[2] في النفـح: ((رعشـتْ)).

شمت المنى وحمدت إدلاج السرى
وزجرت للآمال كل سنيح
فكأنما ليلي نسيب قصيدتي
والصبح فيه تخلص[1] لمديح
لما حططت لخير من وطيء الثرى
بعنان كل مولد وصريح
رحمى إله العرش بين عباده[2]
وأمينه الأرضى على ما يوحي
والآية الكبرى التي أنوارها
ضاءت أشعتها بصفحة يوح[3]
رَبُّ المقام[4] الصدق والآي التي
راقت بها أوراق كل صحيح
كيف[5] الأنام إذا تفاقم معضل
مثلوا بساحة بابه المفتوح

---

1 في النفح: ((تخلّصي)).
2 ورد هذا الشطر في الإسكوريال هكذا: ((رحما إلاه العرش بين حياره)).
3 يوح: أحد أسماء الشمس.
4 في النفح: ((المقال)).
5 نفسه: ((كَهْفُ)).

يـــردون منـــه على مثبـــة راحـــم
جم الهبـــات عن الذنـــوب صفـــوح
لهـــفي على عمـــر مضى أنضيتـــه
فـــي ملعـــب للترهـــات فسيـــــح
يا زاجـــر الوجنـــاء يعتسف الفـــلا
والليـــل يعثـــر في فضـــول مســـوح
يصل السرى سبقا إلى خير الـــورى
والـــركـــب بيـــن موسـد وطريـــح
لي في حـــمى ذاك الضريح لبانـــة
إن أصبحـــت لُبْـــنى أنا ابن ذريـــح
وبمهبـــط الـــروح الأميـــن أمانـــة
اليمـــن فيهـــا والأمـــــان لـــروحي
يا صفـــوة اللـــه المكيـــن مكانـــه
يـــا خيـــر مؤتمـــن وخيـــر نصيـــح
أقرضت فيك اللـــه صدق محبـــتي
أيكـــون تجـــري فيك غيـــر ربيـــح[1]

[1] في الإسكوريـال: ((نجيـح)).

حاشـــا وكلا أنت[1] تخيب وسائـــلي
أو أن رأى مسعـــاي غيـــر نجيـــح[2]
إن عـــاق عنك قبيح ما كسبت يدي
يومـــا فوجـــه العفـــو غيـــر قبيـــح
وأخجلتا[3] من جلبـــة[4] الفكـــر الـــتي
أغريتهـــــا بغـــرامي المشـــــروح
قصـــرت خطاها بعد ما ضمرتهـــا
من كـــل موفـــور الجمـــام جمـــوح
مدحتـــك آيـــات الكتاب فما عـــسى
يثـــني عـــلى علياك نظـــم مديـــح[5]
وإذا كتـــاب اللـــه أثـــنى مفصحـــا
كان القصـــور قصـــار كل فصيـــح

---

1 في النفـح: ((أن))؛ وهـو أسلـم.
2 سقـط هـذا البيـت في الإسكوريـال، والزيتونـة؛ بينمـا ورد في النفـح.
3 في الزيتونـة، والنفـح: ((وأخجلـتي)).
4 في النفـح: ((حَلَبَـة)).
5 نفسـه: ((مديـحي)).

صلى اللـــه عليـــك[1] ما هبت صبـــا
فهفت بغصن في الريـــاض مـــروح
واستأثـــر الرحمـــن جـــل جلالـــه
عـــن خلقـــه بخـــفي ســـر الـــروح

وأنشدت السلطان ملك **المغرب**، ليلة الميلاد الأعظم من عام ثلاثة وستين وسبعمائة [2]؛ هذه القصيدة [3]:

تـــألق نجديـــا فأذكـــرني نجـــدا
وهاج بي الشوق المبرح والوجدا
وميض رأى برد الغمامة معقـــلا[4]
فمد يدا بالتـــبر أعلمـــت البـــردا
تبســـم في مَجْرِيَّـــة[5] قد تجهمـــت
فما بذلت وصلا ولا ضربت وعدا

---

[1] في النفـح: ((صـلى عليـك اللـه))؛ وهـذا أسلـم.
[2] الموافـق لـ 1361م.
[3] البحـر الطويـل.
[4] في النفـح: ((مُغْفـلا)).
[5] نفسـه: ((بحريّـة)).

وراود منها فاركـــا قد تنعمـــت

فأهـــوى لها نصلا وهددها رعـــدا

فَخِلْتها[1] الحمراء من شفق الضحى

نضاها وحل المزن من جيدها عقدا

لك اللـــه من برق كـــأن وميضه

يد الساهر المقرور قد قدحت زندا

تعلـــم من سكانه شيـــم النـــدى

فغادر أجراع الحمى روضة تندى

وتـــوج من نوارها قُنَـــنَ[2] الربـــا

وختم من أزهارها القضب الملدا

لسرعان ما كانت مناسف للصبا

فقد ضحكت زهرا وقد خجلت وردا

بلاد عهدنا في قرارتهـــا الصبـــا

يقل لذاك العهد أن يألف العهـــدا

---

[1] في النفـح: ((فَحُلَّتُهـا))؛ وهـو أسلـم.
[2] أي قمـم الـربى.

إذا ما النسيم اعتل في عرصاتها

تناول فيها البان والشيح والرنـــدا

فكم في مجاني وردها من علاقة

إذا ما استثيرت أرضها أنبتت وجدا

إذا استشعرتها النفس عاهدت الجوى

إذا ما التحمتها العين عاقدت السهدا

ومن عاشق حر إذا ما استمالـــه

حديث الهوى العذري صيره عبدا

ومن ذابل يحكي المحبيـــن رقـــة

فيثني إذا ما هب عرف الصبا قدا

سقى الله نجدا ما نضحت بذكرها

على كبدي إلا وجدت لها بـــردا

وآنس قلـــبي فهو للعهد حافـــظ

وقل على الأيام من يحفظ العهـــدا

صبـــور وإن لم يبـــق إلا ذبالـــة

إذا استقبلت مسرى الصبا اشتعلت وقدا

صبور إذا الشوق استجاد كتيبـــة
تجوس خلال الصبر كان لها بندا
وقد كنت جلدا قبل أن يذهب النوى
ذمائي وأن يستأصل العظم والجلدا
أأجحد حق الحب والدمع شاهــد
وقد وقع التسجيل من بعد ما أدى
تناثــر في إثر الحُمُــول فريـــده
فلله عينا من رأى الجوهر الفردا
جرى يَقَقاً في ملعب الجدّ[1] أشهبا
وأجهده ركض الأسى فجرى وردا
ومرتحل أجريـــت دمعي خلفــه
ليرجعه فاستــن في إثره قصـــدا
وقلت لقلـــبي طـــر إليه برقعتي
فكان حماما في المسير بها هـــدا

---

[1] **في النفـح: ((الخـدِّ)).**

سرقت صواع العزم يوم فراقـــه
فلج ولم يرقب صواعــا[1] ولا ودا
وكحلت عيني من غبار طريقـــه
فأعقبهـــا دمعـــا وأورثها سهـــدا
إلى اللـــه كم أهدي بنجد وحاجر
وأكنى بدعد في غرامي أو سعدى
وما هو إلا الشـــوق ثار كمينـــه
فأذهل نفسا لم تبن عنده قصـــدا
وما بي إلا أن سرى الركب موهنـــا
وأعمل في رمل الحمى النص والوخدا
وجاشت جنود الصبر والبين والأسى
لدي فكان الصبر أضعفها جنـــدا
ورمت نهوضا واعتزمت مودعا
فصدني المقدور عن وجهتي صدا
رقيـــق بدت للمشتريـــن عيوبـــه
لم تلتفت دعواه فاستوجب الـــردا

[1] في النفـح: ((سـواعـاً)).

تخلف عني ركـــب طيبة عانيـــا
أما آن للعاني المعنى بأن يفـــدى
مخلف سِرْبي[1] قد أصيب جناحـــه
وطرن فلم يسطع مراحا ولا مغدى
نشدتك يا ركب الحجاز تضاءلت
لك الأرض مهما استعرض السهب وامتدا
وجم لك المرعى وأذعنت الصوى
ولم تفتقــد ظلا ظليـــلا ولا وردا
إذا أنت شافهـــت الديار بطيبـــة
وجئت بها القبر المقدس واللحـــدا
وآنست نـــورا من جناب محمـــد
يجلي القلوب الغلْقَ[2] والأعين الرمدا
فنب عن بعيد الدار في ذلك الحمى
وأذر به دمعـــا وعفـــر به خـــدا

---

[1] في النفـح: ((سِـرْبٍ)).
[2] نفسـه: ((الغُلْـفَ)).

وقل يا رسول الله عبد تقاصرت

خطـــاه وأضحى من أحبته فـــردا

ولم يستطع من بعد ما بعد المدى

سوى لوعة تعتاد أو مدحة تهدى

تداركه يا غـــوث العباد برحمـــة

فجودك ما أجدى وكفك ما أنـــدى

أجار بك اللـــه العباد من الردى

وبوأهـــم ظلا من الأمن ممتـــدا

حمى دينك الدنيا وأقطعك الرضا

وتوجك العليـــا وألبسك الحمـــدا

وطهر منك القلـــب لما استخصه

فجللـــه نـــورا وأوسعـــه رشـــدا

دعاه فما ولى هداه فمـــا غـــوى

سقاه فما يظما جـــلاه فما يصدى[1]

تقدمت مختـــارا تأخرت مبعثـــا

فقد شملت عليؤك القبل والبعـــدا

---

[1] **هنـا تبـدأ بقيـة القصيـدة الـواردة في الإسكوريـال؛ (لوحـة 438).**

وعلة هذا الكـــون أنت وكل مـــا
أعاد وأنت[1] القصد فيه وما أبـــدا
وهل هو إلا مظهـــر أنت ســـره
ليمتاز في الخلق المكب من الأهْـــدا
ففي عالم الأسرار ذاتك تجتـــلى
ملامـــح نور لاح للطور فانهـــدا
وفي عالم الحسن[2] اغتديت مبـــوأ
لتشفي من استشفى وتهدي من استهدا
فما كنت لـــولا أن بُثَّتْ[3] هدايـــة
من الله مثل الخلق رسما ولا حدا
فما[4] عسى يثـــني عليك مقصـــر
ولم يأل فيك الله[5] شكرا ولا حمدا

---

[1] في النفح: ((فأنت)).
[2] نفسه: ((الحِسِّ)).
[3] نفسه: ((ثبَتَّ)).
[4] نفسه: ((فماذا))؛ وهو اسلم.
[5] نفسه: ((الذِّكْرُ مَدْحاً ولا حَمْداً)).

بماذا عسى يجزيك هاو على شفا
من النار قد أسْكَنَتْه[1] بعدها الخلدا
[عليك صلاة الله يا خير مرسـل
وأكرم هاد أوضح الحق والرشدا][2]
عليك صلاة الله يا كاشف العمى
ومذهب ليل الشرك[3] وهو قد أربدا
إلى كم أراني في البطالة كانعـا
وعمري قد ولى ووزري قد عدا
تقضى زماني في لعل وفي عسى
فلا عزمة تمضي ولا لوعة تهدا
حسام جبـان كلما شيـم نصلـه
تراجع بعد العزم والتزم الغمـدا
ألا ليت شعري هل أراني ناهـدا
أقود القلاص البدن والضامر النهدا

[1] في النفح: ((أوْرَدَتْه)).
[2] سقط هذا البيت في النفح؛ بينما ورد في الإسكوريال.
[3] في النفح: ((الـرَّوْع)).

رضيع لبان الصدق فوق شَمْلــه[1]
مضمرة وسدت من كورها[2] مهدا
فتهدي بأشواقي السرة إذا ســرت
وتحدي بأشعار[3] الركاب إذا تحدا
إلى أن أحط الرحل في تربك الذي
تضــوع نــدا ما رأينـــا له نــدا
وأطفيء في تلك الموارد غلـــتي
وأحسب قربا مهجة شكت البعــدا
بمولدك[4] اهتز الوجود فأشرقــت
قصور ببصرى ضاءت الهضب والوهدا
ومن رعبه الأوثان خرت مهابـــة
ومن هوله إيوان كسرى قد انهدا
وغاض له الوادي وصبح عـــزه
بيوتا لنار الفرس أعدمها الوقــدا

[1] في النفـح: ((فـوق شِمِلَّـةٍ)). أي فـوق ناقـة السريعـة.
[2] الكـور: الرحـل.
[3] في النفـح: ((بأشعـاري)).
[4] نفسـه: ((لمولـدك)).

رعى الله منها ليلة أطلع الهــدى
على الأرض من آفاقها القمر السعدا
وأقرض ملكــا قام فينــا بحقهــا
لقد أحرز الفخر المؤثل والمجــدا
وحيــا على شــط الخليج محلة
يحالف من ينتابها العيشة الرغدا
وجاد الغمــام العد فيهــا خلائفا
مآثرهم لا تعرف الحصر والعدا
عليا وعثمان[1] ويعقــوب لا عــدا
رضى الله ذاك النجل والأب والجدا
حموا وهم في حومة البأس والندى
فكانوا الغيوث المستهلة والأســدا
ولـلــه ما قــد خلفــوا من خليفة
حوى الإرث عنهم والوصية والعهدا
إذا ما أراد الصعب أغرى بنيلــه
صدور العوالي والمطهمة الجردا

[1] في النفـح: ((وعثمانـاً)).

فكم معتــد أردى وكم تائه هــدا
وكم حكمـــة أخفى وكم نعمة أبدا
أبا سالـــم دين الإلـــه بك اعتلى
أبا سالـــم ظل الإلـــه بك امتـــدا
فدم من دفـــاع اللـــه تحت وقاية
كفاك بها أن تسحب الحلق السردا
ودونكهـــا مـــني نتيجـــة فكـــرة
إذا استرشحت للنظم كانت صفا صلدا
ولو تركت مني الليـــالي صبابة
لأجهدتهـــا ركضا وأرهقتها شدا
ولكنه جهد الممقـــل [على الثوى][1]
وقد أوضح الأعذارمن بلغ الجهدا

ومن ذلك قصيدة أنشدتها مولاي السلطان **الغني بالله** بمحضري بالمشور الحافل، المتخذ بعد الرجوع إلى **الأندلس**، في بعض ليالي المولد الكريم، المنوه بوليمتها،

[1] **في النفح: ((المُقِلِّ بَلَغْتُهُ)).**

وهي خاتمة النظم في هذا الغرض المقتضى الإلمام، بمدح السلطان، صرف الله وجوهنا إليه [1]:

ما على القلب من بعدكم[2] من جناح
أن يــرى طائــرا بغير جنــاح
وعلى الشوق أن يشب إذا هــب
بأنفاسكــم نسيــــم الصبــــاح
جيــرة الحي والحديــث شجون[3]
والليــالي تليــن بعد الجمــاح
أتــرون السلــو خامــر قلــبي
بعذلكــم[4] لا وفالــق الإصبــاح
ولو أني أعطى اقتراحي على الـــ
ــأيام ما كان بعدكــم باقتــراح[5]

---

[1] البحر الخفيف.
[2] في النفح: ((ما على القلب بعدكم..))؛ وهو أسلم.
[3] اقتباس من المثل السائر: ((الحديث ذو شجون))؛ ومعناه للحديث أغراضه وفنونه. وسبقت الإشارة إليه.
[4] في النفح: ((بَعْدكم))؛ وهذا أسلم.
[5] نفسه: ((باقتراحي)).

ضايقتني فيكم صروف الليـــالي
واستـــدارت علي دور الوشـــاح
وسقتـــني كأس الفـــراق دهاقـــا[1]
في اغتباق مواصل باصطبـــاح[2]
واستباحت من جـــدتي وقبـــائي[3]
حرمـــا لـــم أخلـــه بالمستبـــاح
قصفت صعدة انتصاري وفلـــت
غرب عزمي المعد يـــوم كفـــاح[4]
لم تدع لي من السلاح سوى مغـــ
ـــفـــر شيب أهوى به من سلاح
عاجلتي به وفي الوقـــت فضـــل
لاهتزازي إلى الهوى وارتيـــاح
فكـــأن الشبـــاب طيـــف خيـــال
أو وميـــض قمـــاً[5] عقيب التمـــاح

[1] أي كـأس الفـراق ممتلئـة.
[2] في النفـح: ((واصطبـاح)).
[3] نفسـه: ((وفتـائي)).
[4] جعلهـا د. طويـل: ((كفـاحي)).
[5] سقطـت هـذه الكلمـة في الزيتونـة.

ليل أنس دَجَى[1] وأقصـــره ليـــل
جاذبـــت بـــرده يميـــن صبـــاح
صاح والوجد مشرب والورى صفـــ
ـــان من مُنتشر[2] وآخـــر صـــاح
يا ترى والنفوس أسرى الأماني[3]
ما لها عن وثاقهـــا من ســـراح
هل يبـــاح الـــورود بعـــد ذيـــاد[4]
أو يتـــاح اللقـــاء بعـــد انتـــزاح
وإذا أعـــوز الجســـوم التـــلاقي
نـــاب عنـــه تعـــارف الأرواح[5]
جاء عهد الهوى من السحب هام
مستهل الوميض ضافي المنـــاح

---

[1] في الزيتونـة: ((مـضى)).
[2] في النفـح: ((مُنْتَشٍ)).
[3] نفسـه: ((أمـانٍ)).
[4] في الزيتونـة، والنفـح: ((ديـار)).
[5] هنـا ينتـهي مـا ورد في النفـح؛ حيـث كتـب فيـه: ((وهي طويلـة لـم يحضـرني يحضـرني منـهـا الآن سـوى مـا ذكرتـه)).

كلمـــا أخضـــل الربـــوع بكـــاء
ضحكــت فوقها ثغــور الأقـــاح[1]
عـــادني من تذكـــر العيد عيـــد
كان مِــنِّي للعين عيد الأضــــاح[2]
سفحـــت فيـــه الدمـــوع دمـــا
فهي فوق الخـــدود ذات انسيـــاح
وركاب ســـروا وقد شمل الليـــ
ـــل بمسح الدجى جميع النَّـــواح[3]
وكـــأن الظـــلام عسكـــر زنـــج
ونجوم الـــدجى نصول الرمـــاح
حملـــت منهـــم ظهور المطايـــا
أي جد بحـــت وعـــزم صـــراح
ستروا الوجد وهو نار وكان الـــ
ـــستر يجدي لولا هبوب الرياح

---

[1] **جعلها د. طويل: ((الأقاحي)).**
[2] **جعلها د. طويل: ((الأضاحي)).**
[3] **جعلها د. طويل: ((النواحي)).**

خلفوني من بعدهم يائس الطـــر
ف ثقيل الخطـــا مهيـــض الجناح
وجدوها مثل القـــسي ضمـــورا
قد بـــرت منهـــم سهـــام قـــداح
وطووا طوع باعث الوجد والشو
ق إلى الأبطحي غيـــر البطـــاح
مصطفى الكون من ظهور النبييـــ
ـــن هداة الأنـــام سبـــل الفـــلاح
حجة الله حكمـــة الله ســـر الـــ
ـــلـــه في كـــل غايـــة وافتتـــاح
حاشر الخلق عاقب الرسل المثـــ
ـــبـــت باللـــه بعدهـــم والمَـــاح[1]
صاحب المعجزات لا يتمارى الـــ
ـــعقل في آيها الحسان إلى الصحاح
من جمـــاد يقـــرا وقمـــر يشـــق
والمـــاء مـــن بنـــان الـــــراح

---

[1] جعلها د. طويل: ((والمـاحي)).

دعـــوة الأنبيــــاء منتظـــر الكـــو

ن ودعـــوى البشيـــر باستفتـــاح

مظهر الوحي مطلع الحق مَعنَى الـــ

ـــخلـــق فتح المهيمـــن الفتـــاح

أي غيث من رحمة اللـــه هـــام

وســـراج يهـــديـــه وضَّـــــاح

ما الذي يشرح امرؤ في رســـول

عاجـــل اللـــه صدره بانشـــراح

شقه الروح ثم طهـــر منـــه الـــ

ـــقلـــب من بعد بالبرود القـــراح

مدحتك الرسل يـــا[1] خاتم الرســـ

ـــل فمـــن لي بعدهـــا بامتـــداح

ولعجـــز النفوس عن درك الحـــ

ـــق وإيقافها وقـــوف افتضـــاح

صلـــوات الإلـــه يا نكتة الكـــو

ن على مجدك اللبـــاب القـــراح

---

[1] أضـاف د. طويـل الهمـزة؛ فأضحـت: ((أيـا)).

عـــدد القطـــر والرمـــال ومـــا

عاقـــب دهـــر غـــدوه بـــرواح

وجزاك الإلـــه أفضـــل ما يجـــ

ـــزى كـــرام الأيمـــة النصـــاح

أسفي كم أرى طريـــد ذنـــوب

أوبقتـــني فليـــس لي من بـــراح

قد غزتني الخطوب غزو الأعادي

وبرتني الهمـــوم بـــري القـــداح

سبق الحكم واستقل وهـــل يمـــ

ـــحى قضا[1] قد خُطَّ في الألـــواح

لا لدينـــا جنحـــت ألـــغُّ[2] فيهـــا

لا لديـــن خلصـــت لا لصـــلاح

قاطعا في الغـــرور برهة عمري

خســـرت صفقتي وخاب قـــداح[3]

---

[1] جعلها د. طويل: ((قضاء))؛ بالهمزة.
[2] جعلها د. طويل: ((ألهو)).
[3] جعلها د. طويل: ((قداحي)).

طمـــع الشيب باللجـــام المحـــلى

حين أبديـــت أن يـــرد جمـــاح[1]

فأبـــت نفسي اللجـــوج وجـــدت

في سمـــو إلى الهوى وطمـــاح

يا طبيـــب الذنوب تدبيرك النـــا

جـــع في علتي ضمين النجـــاح

يا مجلي العمى وكافي الـــدواهي

ومداوي المرضى وآسي الجراح

ســـد باب القبـــول دوني وما لي

يا غيـــاثي ســـواك من مفتـــاح

خصـــك الله بالكمال وزنـــد الـــ

ـــكـــون لم تقترن بكف اقتـــداح

قبـــل أن يوجد الوجود وأن يتـــ

ـــحـــف بالنور ظلمة الأشبـــاح

وأضاءت من بعد ميـــلادك الأر

ض وهزت له اهتـــزاز ارتيـــاح

---

[1] جعلهـا د. طويـل: ((جمـاحي)).

فسرى الخصب الجسوم الهزالى
وجرى الرسل في الضروع الشحاح
ولقــد روعيــت لديــه حقــوق
اقطعتهــا العدى جنــاب اطراح
لمعــالي محمــد بن أبي الحجــ
ــاجي ليث العــدا وغيث السماح
ناصر الحق مرسل النفع سحبــا
بين سمر القنــا وبيض الصفــاح
ومريــد الجياد أرض الأعــادي
وهــي مختالــة لفرط المــراح
يتلاعبــن بالظــلال عرابــــا
غذيــت في الفــلا لبان اللقــاح
يا سراج النادي وحتف الأعادي
وعماد الملــك الكريــم المنــاح
جمــع اللــه من حــلى آل عبــا
س لعليــاك في سبيــل امتــداح

بيــن رأي موفــق واعتـــزام
مستعيــن وصـــارم سفـــاح
وخفضت الجناح في الأرض حتى
لم تدع فوق ظهرها من جنـــاح
أنت مصباحها ونـــور دجاهـــا
دافـــع اللـــه عنك من مصبـــاح
محص الله منـــك ياقوتـــة الملــ
ـــك وينبوع العـــدل والإصـــلاح
بخطـــوب أرت حديـــث سليمـــا
ن وجاءت بالحـــادث المجتـــاح
بيدي فاقـــد الحجا هلهـــل النســ
ـــج أخي جـــرأة ورب اجتـــراح
نـــال منها عقـــبى مسيلمة الكـــذ
اب إذ عانـــد الهـــوى وسجـــاح
ثـــم ردَّ الأمـــور ردا جميـــلا
لكـــن[1] من بعد فرقـــة وانتـــزاح

[1] جعلها د. طويل: ((لك)).

فأجره في الورى الجميل وعامل
منه كنــز الغنى ومثوى الريـــاح
واشتر الحمـــد بالمواهب واعقـــد
عقدهـــا في مطنـــة الأريـــــاح
بركـــات السمـــاء تبتـــدر الأر
ض إذا استودعت بدور السمـــاح
وتهنـــــأ[1] بدنيـــــا سعيـــــــدا
جاء للمعلـــوات وفـــق اقتـــراح
وتمتـــع منـــه بهالـــــة ملـــــك
أطلعت منـــك أي بـــدر ليـــاح
منشور[2] الرأي مجمع الحفل مثوى
كل ذي ذمـــر[3] وسيـــد جحجـــاح
ومقـــام السلام في مـــدة السلـــ
ـــم وغـــاب الأسود يـــوم الكفاح

[1] تصرف د. طويل؛ فأضاف هنا كلمة ((منه))؛ فغدت: ((وتهنأ منه...)).
[2] جعلها د. طويل: ((مَشْورُ)).
[3] حذف د. طويل كلمة: ((ذي))؛ فغدت: ((كلِّ ذمْرٍ..)).

ملتـــقى حكمـــة وملعـــب إلهـــا

ـــم ومغـــنى السرور والأفـــراح

أين كسرى وأين إيوان كســـرى

لا يُغَلَّس[1] الخضم بالضحضـــاح[2]

أيـــن نور الأبدان من عنصر النا

ر إذا مـــا اعتبرتـــه يـــا صـــاح

بنيـــة كان فضلهـــا لـــك مذخـــو

راً كزهـــر الرياض في الأدواح

حين طاب الزمان واعتدل الفصـــ

ـــل استجدت وبـــادرت بافتتـــاح

هاكهـــا قد تتوجـــت بالمعـــاني

واكتست حلـــة اللغات الفصـــاح

حين غاض الشباب وارتجع الفكـــ

ـــر وضاق الخطو العريض الساح

[1] جعلها د. طويل: ((يُغَلُّ)).

[2] أي بالماء اليسير.

جهد قلـــبٍ لَفَّقْتُـــه[1] بعـــد جهـــاد
نقطـــة مـــن قليبـــه الممتـــــاح
ومعـــاني البيـــان من عـــذاري
لا يُبِحْنَ[2] للشيـــوخ عقـــد نكـــاح
والشيخ[3] سوى الرجوع إلى اللـــه
ونجـــوى أهل التقى والصـــلاح
ولـــزوم الباب الذي يجبر الكســـ
ـــر ووصـــل السؤال والإلحلـــح
وعلى ذلك[4] فهي ساحـــرة الأحـــ
ـــداق تـــري بـــكل خـــود رداح
تنفث السحر في الجفون وتهـــدي
طرر الحسن في الوجوه المـــلاح
دمت في عـــزة ورفعـــة قـــدر
بيـــن مغـــدى موفـــق ومـــراح

---

[1] جعلها د. طويل: ((لفقتُ)).
[2] جعلها د. طويل: ((لا يُبحْ)).
[3] تصرف د. طويل؛ فجعلها: ((مَعَ شيخ..)).
[4] جعلها د. طويل: ((ذاك)).

ما تولــت دهــم الدجنـــة غـــدوا

وجرت خلفهـــن شهب الصبـــاح

ومـن غـرض الأمـداح قـولي في امتـداح سلطـان **المغـرب أبـي عنـان**، لمـا توجهـت إليـه رسـولا ، محمـلاً مصالـح البـلاد والعبـاد واستـدعى الشعـر مـني فقلـت [1]:

أبدى لداعي الفـــوز وجه منيـــب

وأفـــاق من عـــذل ومن تأنيـــب

كلف الجنان إذا جرى ذكر الحمى

والبـــان حن له حنيـــن النيـــب[2]

والنفس لا تنفـــك تكلف بالهـــوى

والشيب يلحظهـــا بعيـــن رقيـــب

رحل الصبـــا فطرحت في أعقابه

ما كان من غـــزل ومن تشبيـــب

---

[1] البحـر الكامـل.
[2] أي النـوق المسنـة.

أترى التغزل عـــد أن ظعن الصبا

شأني الغـــداة أو النسيب نسيـــب[1]

أنى لمثـــلي بالهوى من بعد مـــا

للوخـــط في الفودين أي دبيـــب

لبس البيـــاض وحل ذروة منبـــر

مني ووالى الوعظ فعل خطيـــب

قد كان يستـــرني ظلام شبيبـــتي

والآن يفضحني صباح مشيـــب[2]

وإذا الجديـــدان[3] استجـــدا أبليـــا

من لبسته[4] الأعمـــار كل قشيـــب

سلني عن الدهر الخؤون وأهلـــه

تسل المهلب[5] عن حروب شبيـــب[6]

---

1 في النفـح: ((نسيـبي)).
2 نفسـه: ((مشيـبي)).
3 الجديـدان هنـا همـا: الليـل والنـهـار.
4 في النفـح: ((مـن لبسـة))؛ وهـو أسلـم.
5 هـو المهلـب بـن أبي صفـرة؛ أحـد قـادة جيـش عبـد الملـك بـن مـروان. عـرف بحربـه للخـوارج.
6 شيـب: هـو أحـد زعمـاء الخـوارج

متقلــب الحـــالات فاخبر تقلـــه
مهمـــا أعـــدت يـــدا إلى تقليـــب
فكل الأمور إذا اعتـــرتك لربهـــا
ما ضاق لطف الرب عن مربوب
قد يخبأ المحبوب في مكروههـــا
من يخبأ المكروه في المحبـــوب
واصبر على مضض الليلالي إنها
لحوامـــل سيلدن كـــل عجيـــب
واقنـــع بحـــظ لم تنلـــه بحيلـــة
مـــا كل رام سهمـــه بمصيـــب
يقع الحريص على الردى ولكم غدا
تـــرك التسبـــب أنفع التسبيـــب
مـــن رام نيـــل الشيء قبل أوانه
رام انتقـــال بلملـــم[1] وعسيـــب
فإذا جعلت الصبر مفزع معضل
عاجلـــت علتـــه بطـــب طبيـــب

[1] في النفـح: ((يَلَمْلَم)).

وإذا استغنت عن الزمان بفارس[1]

لبى نداءك منــه خيــر مجيــب

بخليفــة اللــه الــذي في كفــه

غيث يروض ساح كل جديــب

المنتــقى من طينة المجد الــذي

ما كــان يــوم صرفه بمشــوب

يرمي الصعاب[2] بسعده[3] فيقودهــا

ذللا على حسب الهوى المرغوب

ويرى الحقائق من وراء حجابها

لا فرق بيــن شهــادة ومغيــب

من آل عبد الحق حيث توشحــت

شعب العــلى وربت بــأي كثيب

أسد الشرى سرج الورى فمقامهم

للــه بين محــارب وحـــــروب

---

[1] هو السلطان أبو عنان فارس بن أبي الحسن المريني.
[2] في الإسكوريال: ((الصفات))؛ وصوبت من النفح.
[3] في النفح: ((بصعبه)).

أما دعى الداعي وثوب صارخـــا
ثابـــوا وأمـــوا حومة التثويـــب
شهب ثواقب والسماء[1] عجاجـــة
مأثورهـــا[2] قـــد صح بالتجريـــب
ما شئـــت في آفاقها من رامـــح
يبـــدو وكـــف بالنجيع خضيـــب
عجبـــت سيوفهم لشـــدة بأسهـــم
فتبسمـــت والجـــو في تقطيـــب
نظموا بلبـــات العلا واستوسقـــوا
كالرمـــح أنبوبـــا على أنبـــوب
تروي العوالي [في المعالي][3] عنهم
أثر الندى المولـــود والمكســـوب
عن[4] كل موثـــوق بـــه استنـــاده
بالقطع أو بالوضع غير معيـــب

---

[1] في النفـح: ((في سمـاء)).
[2] في الإسكوريـال: ((تأثيرهـا))؛ وصوبـت مـن النفـح.
[3] في النفـح: ((والمعـالي)).
[4] نفسـه: ((مـن)).

فأبـــو عنـــان عـــن علي نصـــه[1]

للنقل عن عثمـــان عن يعقـــوب

جاءوا كما اتسق الحساب أصالة

وغـــدوا فذلـــك[2] ذلك المكتـــوب

متجسدا من جوهر النور الـــذي

لم ترم يوما شمســـه بغـــروب

متألقـــا من مطلـــع الحق الـــذي

هـــو نور أبصـــار وسر قـــوب

قل للزمـــان وقد تبســـم ضاحكا

من بعد طول[3] تجهـــم وقطـــوب

هي دعـــوة الحق التي أوضاعها

جمعت من الآثـــار كل غريـــب

هي دعوة العدل الذي شمل الورى

فالشـــاة لا تخشى اعتداء الذئـــب

---

[1] **في الإسكوريـال: ((غضـة)).**

[2] **في النفـح: ((فذالـك))؛ بالألـف بعد الـذال؛ ومعناهـا: محصـلات الحسـاب؛ ومفردهـا فذلكـة.**

[3] **سقطـت هـذه الكلمـة في الإسكوريـال؛ بينمـا وردت في النفـح.**

لو أن كسرى الفرس أدرك فارسا

ألـــقى إليه بتاجـــه المعصـــوب

لمـــا حللت بأرضـــه متمليـــــا[1]

ما شيـــت من بر ومن ترحيـــب

شمـــل الرضا فكأن كل أقاحـــة

تـــومي بثغـــر للســـلام شنـــيب

وأتيـــت في بحر القرى أم القرى

حتى حططت بمرفـــإ التقريـــب

فرأيت أمر اللـــه من ظل التُّـــقَى[2]

والعدل تحت سرادق مضـــروب

ورأيت سيف الله مطرور الشَّبـــا[3]

يمضي القضاء بحده المرهـــوب

وشهـــدت نور الحق ليس بآفـــل

والديـــن والدنيـــا على ترتيـــب

---

[1] في النفـح: ((مستمليـاً)).
[2] ورد هـذا الشطر في النفـح هكـذا: ((فرأيـت أمـن الله في ظـل التُّـقى)).
[3] أي الرمـاح.

ووردت بحـــر العلم يقذف موجه

للناس من درر الهدى بضـــروب

لله مـــن شيـــم كأزهـــار الـــربى

غب انثيال العارض المسكـــوب

وجمال مـــرأى في رداء مهابـــة

كالسيف مصقول الفرند مهيـــب

يا جنـــة فارقـــت من غرفاتهـــا

دار القـــرار بما اقتضته ذنـــوب[1]

أسفي على ما ضاع من حظي بها

لا تنقضـــي ترحاتـــه ونحيـــب[2]

إن أشرقت شمس شرقت بعبرتي

وتفيض في وقت الغروب غروب[3]

حتى لقد علمت ساجعة الضـــحى

شجوي وجناحة الأصيل شحوب[4]

---

[1] في النفـح: ((ذنـوبي)).
[2] نفسـه: ((نحيبي)).
[3] نفسـه: ((غروبي)).
[4] نفسـه: ((شحـوبي)).

وشهادة الإخلاص توجب رجعتي

لنعيمهـــا من غيـــر مس لغـــوب

يا ناصر الديـــن الحنيف وأهلـــه

إنضـــاء مسغبـــة وفل خطـــوب

حقـــق ظنـــون بنيه فيك فإنهـــم

يتعللـــون بوعـــدك المرقـــوب

ضاقت مذاهب نصرهم فتعلقـــوا

بجانـــب عـــز من علاك رحيب

ودجا ظـــلام الكفـــر في آفاقهـــم

أوليـــس صبحـــك منهم بقريـــب[1]

فانظر بعين العز من ثغـــر غـــدا

حذر العدا يرنو بطـــرف مريب

نادتك أندلـــس ومجدك ضامـــن

أن لا تخيب[2] لديك في[3] مطلـــوب

---

[1] إشارة إلى قوله تعالى: (قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَلاَ يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلاَّ امْرَأَتَكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ). سورة هود؛ الآية: 81.

[2] في النفح: ((يخيب)).

[3] نفسه: ((ذو)).

غضب العدو بلادها وحسامــك
الماضي الشبا مسترجع المغصوب
أرها[1] السوابح في المجاز حقيقة
من كــل قعــدة محرب وجيــب
يتأود الأســل[2] المثقــف فوقهــا
وتجيب صاهلــة رغاء نجيــب
والنصر يضحــك كل مبسم غرة
والفتــح[3] معقــود بكــل سبيــب
والــروم فــارم بكل نجم ثاقــب
يــذكي بأربعهــا شواظ لهيــب
بذمايل[4] السلب التي تركت بــني
زيــان بيــن مجــدل وسليــب
وأضف إلى لام الوغى ألف القنا
تظهر لديــك علامــة التغليــب

---

[1] في النفـح: ((أرْض)).
[2] نفســه: ((الأَثْـل)).
[3] نفســه: ((واليُمْنُ)).
[4] نفســه: ((بذوابـل)).

إن كنت تعجم بالعزايـــم عودهـــا
عود الصليب اليوم غير صليـــب
ولك الكتايب كالخمايل أطلعـــت
زهر الأسنـــة فوق كل قضيـــب
فمرنح العطفيـــن لا من نشـــوة
ومـــورد الخديـــن غير مريـــب
يبدو ســـداد الـــرأي في راياتهـــا
وأمورها تجـــري على تجريـــب
وترى الطيور عصايبا من فوقها
لحلول يوم في الضلال عصيـــب
هذبتهـــا بالعرض يذكـــر يومـــه
عرض الورى للموعد المكتـــوب
وهي الكتايب إن تنسي عرضها
كانـــت مدونـــة بـــلا تهذيـــب[1]

[1] أي تهذيب المدونـة للبرادعي.

حتى إذا فرض الجــلاد جــلاده[1]
ورأيت ريح النصر ذات هبوب
قدمت سالبـــة العـــدو[2] وبعدهـــا
أخرى بعز النصر ذات وجـــوب
وإذا توسط نصل[3] سيفـــك عندها
جزأي قياســـك فزت بالمطلـــوب
وتبـــرأ الشيطـــان لما أن عـــلا
حزب الهدى من حزبه المغلوب
الأرض إرث والمطامـــع جمـــة
كل يهـــش إلى التماس نصيـــب
وخلايـــف التقـــوى هم وراثهـــا
وإليكهـــا[4] بالحـــظ والتعصيـــب
لكأنني بك قد تركـــت ربوعهـــا
قفرا بكـــر الغـــزو والتعقيـــب[5]

[1] في النفـح: ((جدالـه)).
[2] سقطت هذه الكلمـة في الإسكوريـال؛ ووردت في النفـح.
[3] في النفـح: ((وصـل)).
[4] نفسـه: ((فإليكهـا)).
[5] أي العـودة مـرة أخـرى.

وأقمـــت فيهـــا مأتمـــا لكنـــه

عـــرس لنســـر بالفـــلاة وذيـــب

وتركـــت مفلتهـــا بقلب واجـــب

رهبا وخـــد بـــالأسى منـــدوب[1]

تبكي نوادبهـــا وينقلـــن الخطـــا

من شلو طاغيـــة لشلو صليـــب[2]

جعل الإله البيـــت منك مثابـــة

للعاكفيـــن وأنـــت خيـــر مثيـــب

فإذا ذكرت كأن هبـــات الصبـــا

قضت بمدرجهـــا لطيمة[3] طيـــب

لولا ارتباط الكون بالمعنى الذي

قصر الحجا عن سره المحجوب

قلنـــا لعلمـــك الـــذي شرفتـــه

حسد البسيـــط مزية التركيـــب

---

[1] أي مجـروح.
[2] في النفـح: ((سليـب)).
[3] اللطيمـة: القافلـة الـتي تحمـل الطيـب. أو وعـاء الطيـب.

ولأجل قطرك شمسها ونجومهـــا

عدلت[1] عن التشريـــق للتغريـــب

تبـــدو بمطلـــع أفقهـــا فضيـــة

وتغيب عنـــك[2] وهي في تذهيـــب

مولاي أشـــواقي إليك تهـــزني

والنار تفضح عرف عود الطيب

بحلى علاك أطلتهـــا وأطبتهـــا

ولكم مطيب وهو غيـــر[3] مطيـــب

طالبت أفكاري بفـــرض بديههـــا

فوفت بشرط الفـــور والترتيـــب

مُتَبَـــتِّيءٌ[4] أنَّا في حُلا تلك العُـــلا

لكن شعري فيك شعـــر حبيـــب

الطبـــع[5] فحل والقريحـــة حـــرة

فاقبلـــه بيـــن نجيبـــه ونجيـــب

---

[1] في الإسكوريـال: ((عذلـت))؛ وصوبـت مـن النفـح.
[2] في النفـح: ((عنـدك))؛ وهـو أسلـم.
[3] نفسـه: ((خيـر))؛ وصوبـت مـن النفـح.
[4] في النفـح: ((متنـبئ)).
[5] نفسـه: ((والطبـع)).

لكنــني سهلتهـــا وأدلتهـــا

من كـــل وحـــشي بكل ربيـــب[1]

هابت مقامك فاطبيـــت صعابهـــا

حتى غـــدت ذللا على التدريـــب

إن كنت قد قاربـــت في تعديلهـــا[2]

لا بد في التعديـــل من تقريـــب[3]

عذري لتقصيري وعجزي ناسخ

ويجل منك العفـــو عن تثريـــب

من لم يـــدن للـــه فيـــك بقربـــة

هو من جناب اللـــه غير قريـــب

واللـــه ما أخفيـــت حبك خيفـــة

إلا وأنفـــاسي علي تـــشي بـــي[4]

وقولي في امتداح سلطاني؛ لما احتفل لإعذار ولده، واستركب الفرسان لمزاملة الهدف الخشبي المتخذ في الجو المسمى بالطبلة؛ وأرسل جوارح الأكلب الضخام، المجتلبة

---

[1] أي بكل مألوف.

[2] في الإسكوريال: ((تعذيلها)). وصوبت من النفح.

[3] التقريب، مع التعديل. مصطلحان في علمي الحساب والفلك

[4] سقط هذا البيت في النفح.؛ بينما ورد في الإسكوريال.

من أرض ألان؛ خلف فحول البقر الطاغية الشرس؛ تمسكها من آذانها وأجنابها حتى تتمكن منها الرجال، وغير ذلك من أوضاع الإعذار وجزئياته. وهي آخر الشعر في هذا الغرض لخجل السلطان من تنزلي إلى ذلك، وترفيهي عنه تجلة. أجله الله، وكرمه لديه:

شحطت وَفَوْدُ[1] الليل بأن به الوخط[2]

وعسكـــره الزنـــجي هم به القبط

أتاه وليد الصبـــح من بعد كبــــرة

أيولد أجْنَى[3] ناحل الجسم مشمـــط

كأن النجـــوم الزهرأعشار سورة

ومن خطرات الرجم أثناءها مـــط

وقد وردت نهر المجرة سحــــرة

غوائـــص فيه مثلما تفعل البـــط

[1] شحطت: نأيت. وَالفَوْد: معظم شعر الرأس.
[2] أي الشيب.
[3] أي أحدب.

وقد جعلـــت تفلي بأنمله الدجى[1]

وترسل[2] منها في غدائره مشـــط

يحف[3] عباب الليل عنها جواهـــر[4]

فيكثر فيها النهب للحين واللقـــط

فعادت[5] خيالا مثلهـــا غير أنـــه

من البث والشكوى يبين له لغـــط

سرت سلخ شهر في تلفت مقلـــة

على كثب[6] الأحلام تسمو وتنحط[7]

لي الله من نفس شعاع ومهجـــة

إذا قدحت لم يخب من زندها سقط

ونقطة قلب أصبحت منشأ الهوى

وعن نقطة مفروضة ينشأ الخـــط

---

[1] في النفـح: ((الفـلا)).
[2] نفســه: ((ويرسـل)).
[3] نفســه: ((يشـف)).
[4] نفســه: ((جواهـراً)).
[5] نفســه: ((فسـارت)).
[6] نفســه: ((قتـب)).
[7] نفســه: ((وتنحطـو)).

فأقسم لولا زاجر الشيب والنـــهى
ونفس لغير الله ما خضعت قــط
لريع لها الأحراس مني بطـــارق
مفارقـــه شمـــط وأسيافه شمـــط
تناقله كومـــاء[1] ساميـــة الـــذرى
ويقذفه شهم من النيـــق منحـــط
ولولا النهى لم تَسْتَبِنْ[2] سبل الهدى
وكاد ويزان الحق يدركه الغمـــط
ولولا عوادي الشيب لم يبرح الهوى
يهيجـــه نوء على الرمل مختـــط
ولولا أميـــر المسلميـــن محمـــد
لهالت بحار الروع واحتجب الشط
ينوب عن الإصباح إن مطل الدجى
ويضمن سقيا السرح إن عظم القحط

---

[1] **الكومـاء هي النـاقـة؛ ذات السنـام المرتفـع.**
[2] **في النفـح: ((تَسْتَهِنْ)).**

تقر له الأمـــلاك بالشيـــم العـــلا

إذا بذل المعروف أو نصب القسط

أرادوه فاتدوا وجـــاروه فانثنـــوا

وساموه في مرقى الجلالة فانحط[1]

تثرُّ[2] عـــلى المـــداح غر خـــلاله

وما رسموا فوق الطروس وما خط[3]

تعلم منه الدهر حاليه في الورى

فآونـــة يسخـــو وآونـــة يســـط[4]

وتجمَّع[5] بين القبض والبسط كفـــه

بحكمة من في كفه القبـــض والبسط

خلايـــق قد طابت مذاقا ونفحـــة

كما مزجـــت بالبارد العذب أسْقَط[6]

---

[1] في النفح: ((فانحطوا)).
[2] نفسه: ((ثُيرُّ)).
[3] نفسه: ((خطوا)).
[4] نفسه: ((يسطو)).
[5] نفسه: ((ويجمع)).
[6] نفسه: ((اسْفَنْط))؛ وهو اسم لنوع من الخمر.

أسِبْــطَ الإمام الغالـــبي محمــد
ويا فخر ملك كنت أنت له سبــط
وقتك أواقي اللـــه من كل غائــل
فأي سلاح ما المجن وما اللمــط[1]
لقد زلزلــت منك العزايــم دولة
أناخت على الإسلام تجني وتشتط
أيالــة غدر ضعضع[2] الله ركنهــا
ونادى بأهلهــا[3] التَّبــار فلم يبــط[4]
على قدر جلى بك اللـــه بؤسهــا
ولا يكمل البحران أو ينضج الخلط
وكانــوا نعيــم الجنتيــن تفيــأوا[5]
ولما يقع منها النزول أو الهبــط

---

[1] أي الدرق اللمطية.
[2] في النفح: ((ضَيَّع)).
[3] نفسه: ((بأهليها)).
[4] نفسه: ((فلم يبطوا)).
[5] إشارة إلى قوله تعالى: (لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ). سورة سبأ؛ الآية: 15.

فقد عوضوا بالأثل والخمط بعدها

وهيهات أين الأثل منهم[1] أو الخمط

فمن طايح فوق العراء مجــدل

ومن راسف في القيد أرهقه الضغط

انمت على مهد الأمان عيونهــا

فيسمع من بعد السهاد لها غــط

وصم صدى الدنيا فلما رحمتهــا

تزاحـــم مرتـــاد عليها ومختــط[2]

وألْحَــف[3] منك اللـــه أمة أحمــد

أمانا كما يضفوا على الغادة المرط

وأحكمت عقد السلم لم تأل بعــده

وجاء فصح العقد واستوثق الربط

وأيقــن مرتـــاب وأصحب نافــر

وأذعن معتاص وأقصر مشتــط

---

[1] في النفـح: ((منهـا)).
[2] نفسـه: ((ومُحْتـطٌّ))؛ بالحـاء المهملـة.
[3] نفسـه: ((وأتْحَـفَ)).

ولـــه مبنـــاك الـــذي معجزاتـــه
أبت[1] أن توافيها الشفاه أو الخـــط
وأنست غريب الدار مسقط رأسه
ومن دون فرخيه القتادة والخرط[2]
تناسبت الأوضاع فيه[3] وأحكمـــت
على قدر حتى الأرائك والبســـط
فجاء على وفق العلا رائق الحلى
كما سمط المنظوم أو نظم السمط
ولــــه إعذار دعوت له الــــورى
فهبوا لداعيه المهيب وإن شطـــوا
تقودهم الزلفى ويدعوهم الرضــــا
ويحدوهم الخصب المضاعف والغبط

---

[1] في النفـح: ((سَمَـتْ)).
[2] القتـادة: شجـرة صلبـة البنـاء؛ لهـا شـوك حـاد كالإبـر. والخـرط: نـزع الشـوك مـن غصـن الشجـرة. ويقـال في المثـل: ((مـن دونـه خـرط القتـاد))؛ أي مـن دونـه عنـاء وصعوبـة كبيـرة كصعوبـة نـزع الشـوك مـن شجـر القتـاد.
[3] في النفـح: ((فيـك)).

وأغريت بالبهـــم العلاج تحفيـــا

فلم يدخر الشيء الغريب ولا السمط[1]

أتت صوراً[2] معلولة عن مزاجها

وأصل اختلاف الصورة المزج والخلط

قضيت بها دين الزمان ولم يزل

ألدَّ[3] كذوب الوعد يلوي ويشتـــط

وأرسلت يوم السبق كل طمـــرة

كما ترسل[4] الملمومة النار والنفـــط

رنت عن كحيل كالغزال إذا رنا

وأوفت بهاد كالظليـــم إذا يعـــط[5]

وقامت على منحوتة من زبرجـــد

تخط على الصم الصلاب إذا تخطو

---

[1] أي الخفيف الجسم.
[2] في النفح: ((صورة)).
[3] نفسه: ((أكدَّ)).
[4] نفسه: ((قذف)).
[5] نفسه: ((يعطوا)).

وكل عتيق من تماثيــل[1] رومـــة
تأنق في استخطاطه القس والقمط
وطاعتـــه نحر السكاك أعانهــا
على الكون عرق واشج ولحا سبط
تلقف حيات العــصى إذا هــوت
فثعبانهـــا لا يستتــم[2] له ســـرط
أزرت بها بحر الهـــواء سفينـــة
على الجود[3] لا الجودي كان لها حط
وطارت مقدام الصوار[4] بجــارح
يصاب منه الصمـــاح أو الإبـــط
وجيء بشبل الملك ينجد عزمـــه
عليه الحفاظ الجعد والخلق السبط
سمحت به لم ترع فرط ضنانـــة
وفي مثلها من سنة يترك الفـــرط

---

[1] في النفـح: ((ثماثـل)).
[2] نفسـه: ((يستقيـم)).
[3] نفسـه: ((الجـوِّ)).
[4] أي قطيـع البقـر.

فأقـــدم مختـــارا وحكـــم عاذرا

ولم يشتمل مسك عليه ولا ضبط

ولو غير ذات الله رامته تضَنَّضَتْ[1]

قتلى[2] كالأفاعي الرقط أو دونها الرقط

وأسد نزال من ذؤابـــة خـــزرج

بهاليـــل لا روم القديم ولا قبـــط

جلادهم مثـــنى إذا اشتجر الوغى

كأن رعـــاء بالعضاة لها خبـــط

كتائـــب أمثـــال الكتـــاب تتاليـــا

فمن بيضها شكل ومن سمرها نقط

دليلهـــم القـــرآن يا حبذا الهـــدى

ورهطهم الأنصار يا حبذا الرهط

وبيض كأمثال البروق غمامهـــا

إذا وشحت سحب القتام دم عبط

---

[1] **في النفـح: ((نضنضـت)).**
[2] **نفسـه: ((قنـاً)).**

ولكنــه حكــم يطـــــاع وسنـــة

وأعمال بر لا يليــق بها الحبــط

وربـــة نقــص للكمـــال مآلـــه

ولا غرو فالأقلام يصلحها القــط

فهنيته صنعـــا ودمـــت مملـــكا

عزيزا تشيد المعلـــوات وتختــط

ودون الذي يهدي ثناؤك في الورى

من الطيب ما تهدي الأُلوَّة والقسط[1]

رضيت ومن لم يرض بالله حاكما

ضلالا فلله الرضا وله السخــط

حياتك للإســـلام شـــرط حياتـــه

ولا يوجد المشروط إن عدم الشرط

ومـن أغـراض النسيب قـولي فـي الأوليـات والله ولـي المغفـرة [2]:

---

[1] الألـوَّة: ضـرب مـن البخـور. والقسـط: عـود هنـدي.
[2] البحـر الطويـل.

تعلقته من دوحة الجود والبـــأس

قضيبا لعوبـــا بالرجاء وباليـــاس

[دروبا بتصريف][1] اليراعة والقنا

طروبا بحمل المشرفية والكـــأس

يُذَكِّر[2] فيه الصبح عند انصداعـــه

جمـــال رواء في تأرج أنفـــاس

ويبـــدو لعيني شعـــره وجبينـــه

إذا ما سفحت الحبر في صفح قرطاس

أجال من الشوق المبرح غـــارة

على أرْبُعٍ من حنين صبري أدراسي

فظاهرت من سرد السقام ملامـــة

وأوجفت من شفـــر الدموع بأمراس[3]

لك الله من ربى طواك على الظما

ومن أمل لم أجن منه سوى يأس

---

[1] في النفـح: ((ضروبـا بضـرب اليراعـة)).
[2] نفسـه: ((يُذَكِّرْنِيـه)).
[3] في الإسكوريـال: ((أفـراس)).

ومن قمر سعد عشـــوت لنـــوره

فسعر أحشائي وصعـــد أنفـــاس[1]

إذا ما شرعت اللحظ نحوي عابسا

أقول القلب[2] ضاع ما بين جلاس[3]

أيا عبد شمس الحسن هل لك قدرة

على سطوة السفاح من آل عباس

سجمت على هول الغرام بمهجة

تعامت فلم تدر النعيم من اليـــاس

توهج نار الخـــد نار جوانـــحي

ويعيـــث وسواس الحلى بوسواس

يا قلب صبرا في الغرام وحسبة

لمن تشكى بالداء والممرض الآس

ومطلولة الأعطاف جرت ذيولها

على مسكة من مسكة الغاسق القاسي

---

[1] جعلها د. طويل: ((أنفاسي)).
[2] في الزيتونة: ((لقلبي)).
[3] جعلها د. طويل: ((جلاسي)).

يحدق من أجفانه نرجس الـــربى
وهـــدد مـــن آذانـــه ورق الآس
لعمرك ما رأى[1] وقد ثقف النهى
إذا التبـــس الحق المبين باليـــاس
أتلـــك شمال أم شمـــول مـــدارة
على كل غصن في الحديقة مياس
لقد ضعضت حلمي ولم أر نسمة
تضعضع من هباتهـــا جبـــل راس
رعى الله أجراع الحمى دار صبوتي
ومربع ألامـــي ومعهـــد إينـــاس
فما كان فيه الوصل إلا علالـــة
كنقبـــة مرتـــاح ونهبة خـــلاس
وقالـــوا أبعت العيش بعد فراقنـــا[2]
فلففـــت أدراني حياء على الراس

[1] في الزيتونـة: ((تـرى)).
[2] نفسـه: ((افتراقنـا)).

ثقوا بوفائي ما استقلت جوارحي
ورعي ذمامي ما تماسك إحساس
ولا تعذروني إن نسيت عهودكم
وإن رفع اللـــه الجناح عن الناس
فـــؤادي غني بالوفـــاء وربمـــا
تسجل في صبري وثيقة إفـــلاس
لي الله من قلـــب خفوق معـــذب
يرى أن ما بالموت في الحب من باس
تجول بنات الفكـــر حول خيالـــه
كما حف جوال الفراش بنبـــراس
أفوض للرحمن أمري في الهوى
وأعلق كفي من حماه بأمـــراس
وآمـــل لطف اللـــه فيـــه فإنـــه
أبـــر بميثـــاق وأوفى بقسطـــاس

وقلت في النسيب كذلك [1]:

أما وخيـــال في المنـــام يـــزور
وإن كان عنـــدي أن ذلـــك زور
لقد ضقت ذرعا بالشوق[2] بعد بعدكم
عـــلى أني للنائبـــات صبـــور
أدافع في شوقي ووجدي كتايبـــا
تزلـــزل رضوى عندها وثبيـــر[3]
سرايـــا إذا ما الليـــل مد رواقـــه
على ساحة الصبر الجميل ثغيـــر
برى جسدي فيكم غرام ولوعـــة
إذا سكـــن الليـــل البهيـــم تثـــور
ولا أنيني[4] ما اهتدى نحو مضجعي
خيالكـــم بالليـــل حيـــن يـــزور

---

[1] البحر الطويل.
[2] جعلها د. طويل: ((بالشوى)).
[3] رضوى: جبل بالمدينة المنورة. أما جبل ثبير؛ فهو بمكة المكرمة.
[4] تصرف د. طويل فجعلها: ((ولا أنني إذ ما اهتدى...))

ولو سئت في طي الكتاب لزرتكم

ولم تدر عــني أحرف وسطــور

تذكرت عهدا طال بعد انصرامه

عليه الأسى وانجاب وهو قصير

وقد طلعــت للراح في ظلماتــه

نجــوم تــوالى حثهــن بــدور

وتبنيتم الوصل في روضة الرضا

بليـــلا وأكــواس السرور تــدور

وعهدا بعين الدمع[1] للدمع بعــده

مــوارد في آمـــاقنـــا وبحـــور

عهود منى غص الزمان بحسنها

فغـــار عليهـــا والزمان غيـــور

فها أنا أستقري الرياح إذا سرت

ليخبـــرني بالظاعنيـــن خبيـــر

وإن خط وجدي من دموعي رسالة

على صفـــح خدي فالنسيم سفير

---

[1] عين الدمع: ضاحية، ومنتزه جميل بغرناطة. سبقت الإشارة إليه.

يا[1] رحلة الصيف التي بجوانحي
لهـــل لهب لا ينقــضي وسعيـــر
أحول منك الشهر حولا على الورى
وأصبحت الأيـــام وهي شهـــور
ويا قلب لا تطرح سلاحك رهبة
فهـــل هـــي إلا أنـــة وزفيـــــر
جنيت النوى لا عن ملال ولا قلى
فمثلي بموصـــل الملام جديـــر
وجردت عني لبسة الوصل طايعا
وكـــم شرق بالمـــاء وهو نميـــر
أأحمد إن جل الذي بي من الجوى
وأصبحت مالي في هواك نصير
فلست من اللطف الخفي بيائـــس
فكم من بكـــاء كان عنه ســـرور
أتاني كتـــاب منك لا بل حديقـــة
تفياتهـــا والهجـــر منـــك هجيـــر

[1] جعلها د. طويل: ((أيـا)).

وأرسلت دمع العين حين قرأتـــه
فمنها أمـــامي روضـــة وغديـــر
تكلفت فيك الصبر والصبر معوز
وهونت فيك الخطب وهو عسير
ولذت إلى الآمـــال وهي سفاهة
وملت إلى الأطماع وهي غرور
سألقي إلى أيدي الزمان مقادتي
فيعـــدل فـــي أحكامـــه ويجـــور
وإن الـــذي بالبعد أجرى قضاءه
على جمع شملي كيف شاء قدير
فتدرك آمـــال وتقـــضى مـــآرب
لدينـــا وتشـــفى باللقـــاء صـــدور

وقلت؛ وهي من القصائد التي تشتمل على أغراض غريبة [1]:

---

[1] **البحر الطويل.**

عسى خطرة بالركب يا حادي العيس
على الهضبة الشماء من قصر باديس[1]
لنظفــر من ذاك الــزلال بعِلَّــة[2]
وننعم في تلك الظلال بتعريــس
حسبت بها ركبي فواقــا وإنمــا
عقدت على قلبي بها عقد تحبيس
وقد[3] رسخت آي الجوى في جوانحي
كما رسخ الإنجيل في قلب قسيس
بميــدن جفــني للسهــاد كتيبــة
تغير على سرح الكرى في كراديس
ومــا بي إلاّ نفحــة حاجريــة
سرت والدجى ما بين وهن وتغليس

---

[1] **قصر باديس بن حبوس بن زيري الصنهاجي؛ ملك غرناطة أيام الطوائف. له ترجمة في الإحاطة.**

[2] **في نثير فرائد الجمان: ((بعذبه)).**

[3] **في النفح، والأزهار: ((لقد)).**

ألا نفس يا ريح من جانب اللوى[1]

يُنفس[2] من نار الجوى بعض تنفيس

ويا قلـــب لا تلق السلاح فربمـــا

تعذر في الدهر اضطراد المقاييس

وقد تعتـــب الأيـــام بعد عتابهـــا

وقد يعقب اللـــه النعيم من البؤس

ولا تخش[3] لج الدمع يا خطرة الكرى

على[4] الجفن بل قيسى على صرح بلقيس

تقول سليمى ما لجسمك شاحبـــا

مقالـــة تأنيـــب يشـــاب بتأنيـــس

وقد كنت تعطو كلما هبت الصبا

بريـــان في ماء الشبيبة مغموس

---

[1] في النفـح، والأزهـار: ((الحـمى)).
[2] نفسهمـا: ((تنفـس)).
[3] في النثيـر، والأزهـار: ((ولا تخـشَيْ)).
[4] في النفـح، والأزهـار: ((إلى)).

ومن رابح الأيام[1] يا ابنة[2] عامــــر
يجوب[3] الفلا فلت[4] يداه بتفليـــس
فلا تحسبي والصدق خير سجية
ظهور النوى إلا بطون النواميس

ومنهـا:

وقفـــراء[5] أما ركبهـــا فمضلـــل
ومربعها من آنس غير مأنـــوس
خبطنـــا[6] بها من هضبة للقـــرارة
ضلالا وملنا من كناس إلى خيس
وقد غمـــر الآل الرـــال كأنمـــا
تخبط منه في ضباب الداميـــس[7]

[1] أي مـن غالـب الأيـام.
[2] في الأزهـار: ((يـا بنـت)).
[3] في النثيـر، والنفـح: ((بجَـوْبِ)).
[4] في النفـح، والأزهـار: ((راحـت))، وفي النثيـر: ((جـاءت)).
[5] في الإسكوريـال: ((وخرقـاء)).
[6] في النفـح: ((سحبنـا))، وفي الأزهـار والنثيـر: ((سنحنـا)).
[7] سقط هذا البيت في النفح، والأزهار والنثير؛ بينما ورد في الإسكوريال، والزيتونة.

إذا ما نهضنا من[1] مقيل غزالــة

نزلنــا فعرسنا بساحــة عريــس

أدرنا بها كأسا دهاقا من السرى

أملنا بها عند الصباح من الروس

وحانة خمــار هدانــا لقصدهــا

شميم الحميا واصطكاك النواقيس

تطلــع ربانيهــا مــن جــداره[2]

يهينــم في جنح الظلام بتقديــس

بكرنــا[3] وقلنــا إذ نزلنا بحانــة[4]

عن الصافنات الجرد والضمر العيس

أيا عابــد الناسوت إنا عصابــة[5]

أتينــا لتثليــث بــلى ولتسديــس

وما قصدنــا إلا المقــام بحانــة

وكم ألبــس الحق المبين بتلبيــس

---

[1] في النفـح، والأزهـار، والنثيـر: ((عـن)).
[2] في النثيـر: ((مـن جـراره)).
[3] في الإسكوريـال، والزيتونـة، والنثيـر: ((فكدنـا)).
[4] في النفـح، والنثيـر: ((بساحـه))؛ وفي الأزهـار: ((بساحـةٍ)).
[5] حـرف في النفـح؛ فكتـب: ((صبابـة)).

فأنزلنـــا قــوراء فـــي[1] جنباتهـــا

محاريب شتى لاختلاف النواميس

بدرنا بها طيـــن الختام بسجـــدة

أردنا بها تجديد حســـرة إبليـــس[2]

وطاف[3] العذارى بالمداكم كأنهـــا[4]

قطا تتهادى في رياش الطواميس

وصرفنا[5] فيـــه نضـــاراً بمثلـــه

كأنا ملأنا[6] الكأس ليلا[7] من الكيس

وقمنا نشاوى عندما مَتَعَ الضُّحى

كما نهضت غلب الأسود من الخيس

فقال لبئـــس المسلمون ضيوفنـــا

أما وأبيك الحَبْر[8] ما نحن بالبيس

---

1 في النفـح: ((علـى)).

2 إشـارة إلى قولـه تعـالى: (وَإِذْ قُلْنَـا لِلْمَلاَئِكَـةِ اسْجُـدُوا لآدَمَ فَسَجَـدُوا إلاَّ إبْلِيـسَ قَـالَ أَأَسْجُـدُ لِمَـنْ خَلَقْـتَ طِينـاً). سـورة الإسـراء؛ الآيـة: 61.

3 في الأزهـار، والنفـح، والنثيـر: ((ودار)).

4 في النثيـر: ((كأنمـا)).

5 أي بادلنـا مـالاً بمـال.

6 في النثيـر: ((مـلاة)).

7 في الإسكوريـال: ((يومـا)).

8 في النثيـر: ((أمـا وإليـك الخيـر..)).

وهل في بني مثـــواك إلا مبـــرز
بحلبة شورى أو بحلقه تدريـــس
يحدق[1] تحت النقع مقلة ضاحـــك
إذا التقت[2] الأبطال عن مقل شوس
إذا هـــز عســـال اليراعة فاتكـــا
أسال نجيع الحبر فوق القراطيس
سبينا عقار الروم في عقر حانها[3]
بحيلة[4] تمويـــه وخدعـــة تدليـــس
لئن أنكرت شكلي ففضلي واضح
وهل جائز في العقل إنكار محسوس
رسبت[5] بأقصى الغرب ثغر[6] مظنة[7]
وكم درة علياء في قاع قامـــوس

---

[1] في النفـح، والأزهـار، والنثيـر: ((يُقلّـبُ)).
[2] نفسهمـا: ((التّقـتَ)).
[3] في الزيتونـة: ((خانهـا))، وفي النفـح: ((دارهـا))، وفي الأزهـار: ((خاننـا)).
((خاننـا)).
[4] في النفـح: ((بحلْيَـة)).
[5] في النثيـر: ((رسيـت)).
[6] نفسـه: ((ذخـر)).
[7] في النفـح: ((مضلـة))، وفي الأزهـار: ((مضنـة)).

وأغريت[1] سوسي بالعذيب وهاجر[2]
على وطن داني الجوار من السُّوس[3]

وقلت في أسلوب مهيار رحمه الله [4]:

جُزْ على جَرْع الحمى[5] لا محالهْ
وتعــرض لرايـــد الرحّالـــهْ

وافض في تلاح نجد[6] وقــد جـــ
ـــمَّ بها الحمض واذكر[7] زابقا له

وأدر في قـــرارة المـــاء قـــد دا
رت على بدرها من الريع هالـــهْ

ربما يعجز القـــوي عن الأمـــ
ـــر فيرضي الضعيف فيها احتيالهْ

فإذا ما استجدت من خبـــر الحـــ
ـــمى يقينـــا أو التمحت جلالـــهْ

---

[1] في النثير: ((وأغربت)).
[2] في النفح، والأزهار، والنثير: ((وبارق)).
[3] أي من الطبيعة والأصل.
[4] البحر الخفيف.
[5] جعلها د. طويل: (للحمى)).
[6] جعلها د. طويل: ((وأفضْ في تلال نجد)).
[7] جعلها د. طويل: ((واذكرن)).

فاعقل الحرف في ظلال من البا

ن على الوحش في الهجير ممالهْ

وادخـــل الحي عندما روح الـــرا

عي وضم المسا[1] فيـــه رعالـــهْ

لا تجـــاوز أطنـــــاب خيمـــــة

ظميـــا فهاتيـــك القلـــوب حبالـــه

ولتقل إن أتتك تسأل عـــن حـــا

لي تعوضتهـــا بحالـــك حالـــه

ليـــس إلا امتعاضـــة لغريـــب

أثخنتـــه جفونـــــك القتالـــــهْ

سال[2] المـــاء والمـــزادة مـــلأى

ثم مـــا نال غيـــر نفس مسالـــه

كيف لو جاء سائلا منك رســـلا

أو أتى يحتـــدي جواب رسالـــه

---

[1] **أضـاف د. طويـل: الهمـزة؛ فغدت: ((المسـاء)).**
[2] **جعلهـا د. طويـل: ((سَيَّـلَ)).**

قسمـــــا أنـــه أخي ضنيـــــن
وهب البـــأس شأنـــه والبسالـــه
بكت الورق شجـــوه حين ناجـــا
هـــا وأبدى له الأصيل اعتلالـــه
نـــازح زار مـــن تبالـــة نجـــدا
أيـــن مـــا بينـــه وبيـــن تبالـــه
أيها السابق العنيف تـــرى المهـــ
ـــر يســـقى يمينـــه وشمالـــــه
يـــرد الحـــوض حوله كل أشقى
كل حولـــه[1] يلقى عليـــه مسالـــه
فكـــراه إذا استحـــــم غـــرار
وقـــــراه إذا ألـــــم عجالـــــه
فالسُّكـــان[2] راحـــة والأمـــــاني
لليـــــالي شرابـــــة أكالـــــه

---

[1] جعلها د. طويل: ((حَوْل)).
[2] جعلها د. طويل: ((فإذا السكنى)).

لا تحلـــوا دم الغريـــب المعـــنى

وعلى اللـــه في الجزاء الحوالـــه

وكسا من نمارق السندس المخــ

ــضرِّ ذهنـــا بالحيـــا[1] ورسالـــه

يا لقومي من ذكر تلك المغــاني

ما لقلـــبي يهـــوى أنيـــن[2] مالـــه

علــق البـــث والصبابـــة فيهـــا

ويلي البحـــر عندهـــا والملالـــه

كان لا يرتضي الحياض لـــورد

فهـــــو اليـــوم قانـــــع ببلالـــــه

همـــة تزحـــم السمـــاك وقلـــب

آثر اللبـــث في حضيض الإقالـــه

كـــان أولى لـــه الإبايـــة والعــ

ــز فيا بئس ما ارتضى لولى آله[3]

---

[1] حعلها د. طويل: ((... ذهنا يحيى به ورسالهْ)).
[2] أضاف د. طويل: الياء؛ فأضحت: ((أنيني)).
[3] جعلها د. طويل: ((..ارتضى لو إبالهْ)).

والهوى مركب الهـــوان إذا همـــ
ـــلج في ملعب الصبا والجهالـــه
ما الذي يجلب العـــذول لسمعي
مـــن حديـــث خبـــا إلي خبالـــه
لا أبـــالي بمـــا يقـــول فهـــلا
أقصـــر العذل جاهدا لا أبا لـــه
أنا ما بي ســـوى لحـــاظ فتـــاة
ختلتـــني وأدبـــــرت مختالـــه
بســـت أقحوانـــة وتثنـــت بانـــة
ثـــــم لاحظتـــــني غزالـــــه
ورمتـــني فقـــل لعـــراف نجـــد
إن تخلصـــت[1] فدونـــك مالـــه
إخبـــر الخابـــط المـــدوم نشكـــو
أظهـــر العيس جملـــة وفصالـــه

[1] أضـاف د. طويـل هنـا كلمـة: ((إذ))؛ فأضحـت: ((إن تخلصـت إذ...)).

إنني قد نزعت عن نتــن الغَــ
ـــيّ ويا طالما انتحلــت محالــه

ومن الفخر والتأبين، قلت متشبعا، علم الله بألا أملك، وإنما هي أغراض الشعراء يتفنن فيها، والله ولي التجاوز عن التجاوز [1]:

لنـــا في الفخـــر سيمـــة[2] مطلـــة
تقـــوم عـــلى دعاويهـــا الأدلـــهْ
وشمـــس الحق منظـــور سناهـــا
عـــلى الشبـــه المخيلـــة المخلـــهْ
بنى سلمـــان سل عنهم ستـــدري
على الأجيـــال منهـــم كل جلـــهْ
يمانيـــة المناســـب[3] والمواضي
مفاخرهـــــا رســـوم مستقلـــــهْ

---

[1] **البحر الوافر.**
[2] **جعلها د. طويل: ((سمات)).**
[3] **جعلها د. طويل: ((المناسي)).**

فمن نـــار الــوغى في كـــل واد

ومن نـــار القرى في كل حلـــهْ

ومن وصل الخطاب من كل نـــاد

ومن فضـــل الثنـــاء بكل ملـــهْ

تهـــش لنا البـــدور بكـــل خـــدر

وتهوانـــا الشموس بكـــل كلـــهْ

ويمرضنا العفـــاف فكـــم عليـــل

وما غيـــر الهـــوى والكتم علـــهْ

تحـــج بيـــوتنـــا القصـــاد دأبـــا

فـــلا تنفـــط طايفـــة مهلَّـــــهْ

بحيث البيض ضامنة المســـاعي

وحيـــث السمـــرمثمـــرة مغلـــهْ

فعنـــد السلـــم محرمة عكـــوف

وعنـــد الحـــرب فاتكـــة محلـــهْ

وحيث الجـــرد للغارات تـــردي

فتركهـــا[1] جواســـر مشمعلـــــةْ

ولم أر مثلنـــا في الدهـــر قومـــا

ريـــاح الجـــو تلحف بـــالأجلـــةْ

وتضطّبن الصواعق في غمـــود

وتقتنـــص البـــوارق بالأهلـــــةْ

فتطعمـــا المجـــاني والـــرواسي

وتسقينـــا الغيـــوث المستهلـــــةْ

وتفترش البطـــاح لنا الحشايـــا

وللـــرايـــات أروقـــة مظلـــــةْ

وتعـــرف من أغرتنـــا الديـــاجي

لعـــز اللـــه خاضعـــــة أذلـــــةْ

أبـــا عبـــد اللـــه[2] فدتـــك نفـــس

على ما حـــزت من فضل مدلـــةْ

---

[1] **جعلها د. طويل: ((فتتركها)).**
[2] **جعلها د. طويل: ((عبد الإلـه)).**

دعوتــك مستجــدا عهــد أنــس

أبلتـــــه الليـــالي المستملـــــهْ

وقد ضعـــن الصبـــا إلا ادكـــار

وقد ذهـــب الهـــوى إلا تعلـــهْ

فساعدني عليـــه مـــن اغتـــراب

له في مهجـــتي وخـــز الأخلـــهْ

وماحلني بفخـــرك في صريـــح

فكـــم تـــاج هنـــاك وكم تجلـــهْ

ودمـــت مجمعـــا شمـــل المعالي

ومقتـــاد أمـــن الدنـــا شملـــهْ[1]

وقلت أرثي ثلاثة من الإخوان تقاربت وفياتهم، جمع الله الشمل بهم في دار الرضوان والمغفرة بمنه [2]:

أسايلكـــم هل من خبير سلـــوان[3]

ففي ليل همي ضاع أو سيل أجفاني

---

[1] جعل د. طويل هذا الشطر هكذا: ((ومقتاداً أم الدنيا شملَّه)).

[2] البحر الطويل.

[3] أضاف د. طويل الواو؛ فغدت: ((وسلوان)).

وهل عندكـــم علم بصبري إنني

فقدت جميل الصبر أوجع فقــدان

يقول خفض بعض ما بك من جوى

هان[1] على المرتاح ما لقي العـــان

تضيق علي الأرض وهي فسيحة

كما خلق[2] فوق الخصر معقد هيمان

وما يفتأ الشوق المقيـــم بأضلعي

إذا مرت[3] عن طوق الصبابة أفنان

وليس مشيبـــا ما ترون بمفرقي

ولكن خطــوب جمة ذات ألـــوان

وأرق عيني الأسى يبعث الأسى

مطوقة نامت على غصن البـــان

لمن دمن يشكو العفاء رسومهـــا

كحظ زبور في مصاحف رهبان

---

[1] جعلها د. طويل: ((يهون)).
[2] جعلها د. طويل: ((حال)).
[3] جعلها د. طويل: ((مرّ)).

وقفت بهـــا أذري النجيع كأنمـــا
تقري وشك البيـــن مني بقربان
ديار الأولى كانوا إذا أفق دجـــا
كواكب يجلو نورها ليل أشجـــان
هوت من سمائي بعد ما كن زينة
ولهفي عليها من ثلاثة شهبـــان
رماني بيعقوب الزمـــان وبعـــده
رماني بدرهـــم[1] يا لك سهمـــان
وإن كان ما بين الخطوب تفاضل
فلا تنل فقدي بأحمد[2] بن سليمـــان
كفاني أن أدرجت محض مسرتي
وجملة أنسي بين لحـــد وأكفـــان
ووالـلـــه ما أنساني الدهـــر أولا
بثأر ولا أنسيـــت بالثالث الشـــان

[1] جعلها د. طويل: ((بدرهامٍ)).
[2] تصرف د. طويل؛ فجعلها: ((فلا نـال فقدي أحمد بن...)).

تخونهم صرف الردى فتحرمــوا
كما انتثــرت يوما قلادة عقيــان
فمن سابق ولى على إثر سابــق
كما استبقــت غر الجيــاد بميدان
بنفسي من حييتــه فاستحــف بي
ولــو أنه رد التحيــــة أحيــان
وعهدي بـــه مهما دعوت وبينـــه
وبيني العلى والنيــل والخيل لبان
دنا منـــزلا مني وشـــط مـــزاره
فيا من لقلبي منه بالساخط الداني
ألا ليت عمري لم يفدني زمانـــه
مودة خـــل سار عـــني وخـــلان
فلو شعرت نفسي فإنني[1] لشاعــر
به يـــوم أرداني لشمـــرت أردان
هو الموت يختار الخيار وينتقي
جنى لبني الدنيا كما يفعل الجان

---

[1] جعلها د. طويل: ((فإني)).

فلا تُقْنِ ما يفنى تعش وادع الحشا[1]
أبى الدهر أن يلقى على الدهر ألفان
صديق الفتى إن خفق الحق روحه
فكم نسبة ما بين روح وجثمـــان
وما حال زند لم يؤيــد بساعــد
وما حال طرف قد أصيب بإنسان
وهبني أمنت الحادثات ولم يرع
جناني وخلاني الزمان وخـــلان
أليس إلى التحليـــل كل مركـــب
مقدمة لم يختف عندهـــا اثنـــان
يدبر لي الدهر المكيدة في المـــنى
فإن قلت قضاني الخفوق تقاضان
وليـــل بقبـــابي محلـــة قلعـــة
أهدرتـــه في ترض على منـــان
أيعقوب ما حزني عليك بمنقـــض
ولا أنس إنسان مصابك أنســـان

[1] أضـاف د. طويـل الـلام؛ فغدت: ((للحشـا)).

ولا حالي الحالي على البعد غرني
ولا عيشي الهاني على النأي ألهان
فمن لي بدمع في المحاجر مهتـد
عليك وقلب في الحناجر حيـران
نسبت إلى ماء السماء مدامـعي
فأورت لي[1] فيها شقايـق نعمـان
إذا ما حدت ريح الزفير سحابها
ثقالا سقى منها المعاهد عهـدان
وقد دان قبل اليوم دمعي خالصا
ولكن أمهلني[2] على الدمع إدمـان
لقد كنت لي ركنا شديدا وساعـدا
مديدا ومذخورا لسري وإعـلان
كسا لحدك الريحان والروح والرحا
فقد كنت روحي في الحياة وريحان

[1] أضاف د. طويل الواو؛ فأضحت: ((ولي)).
[2] جعلها د. طويل: ((أملَّني)).

وجادت على مثواك مزنة رحمة
يحييك منها كل أوطــف هتـــان
وما كـــان إبراهيـــم إلا حديقـــة
من الفضل تؤتي أكلها كل إنسان
أمين على السر المصون محافظ
على كتمه إن ضاق صدر بكتمان
لئن بليت تلك المحاسن في الثرى
فحزني شديد ما استمر الجديـــدان
قراه عليهـــا من نعيم ونضـــرة
ولهفي عليه من شباب وريعـــان
ذكتـــك والأيـــام[1] سلـــم وشملنـــا
جميع وطرف الدهر ليس بيقظان
وللنرجس المطلول تحديق أعين
وللآســـة النحـــاتي ربـــذ آذان[2]

[1] جعلها د. طويل: ((وللأيـام)).
[2] تصرف د. طويل؛ فجعل هذا الشطر كما يلي: ((وللآسة التي بها ربْذ آذان)).

وللشمس ميل للغـــروب مرنـــح

ترى رجح[1] الدنير في كف ميزان

بساط طواه الدهـــر إلا تذكـــرا

كما تنقـــع الرمضـــاء غلة ظنان

وإن ذكر الإخوان من مثل أحمد

ألا كل مرعى تعده غير سعـــدان[2]

ذخيرة أيـــامي ووسطى قـــلادتي

ونكتة إخلاصي وحكمة ديـــوان

وثران ضللت[3] الفضل يوم استفادة

هداني إلى نهج السبيـــل وهادان

شهيد ذرت عيني عليه نجيعهـــا

كأنهـــم واروه ما بيـــن أجفـــاني

---

[1] جعلها د. طويل: ((راجح)).

[2] مأخوذ من المثل القائل: ((مَرْعًى ولا كالسعدان)). أي مرعى؛ ولكنه لا يتساوَى مع نبات السعدان الجيد للرعي. ويضرب هذا المثل؛ للشيء المفضل على أقرانه وأمثاله، وأول من قال هذا المثل هي الخنساء؛ حين وقفت على هند بنت عتبة؛ وهي ترثي أهل بيتها. فقالت الخنساء: ((مرعى ولا كالسعدان))؛ ثم أنشدت:

أبكي أبا عمرو بعين غزيرة * قليل إذا تغفي العيون رقودها

وصخراً ومن ذا مثل صخر إذا بدا * بساحته الأبطال قباً يقودها

[3] حذف د. طويل؛ أحد اللامات؛ فغدت: ((ضلَّت)).

أخـــلاء كانوا في الشدائد عــدة
إذا أثمرت هوج الخطوب بخطبان

[1]شلهـــم شوى الـــردى فتجملـــوا
وحلوا جوار اللـــه أكرم ضيفان

يحق لهم أن يغبطـــوا إذ تنقلـــوا
إلى العالم الباقي والعالـــم[2] الفـــان

وما أكتب اللقـــا[3] وإن بعد المـــدا
ويا قرب ما بين المعجل وألـــوان

سكنتـــم فحركتـــم جحيم جوانحي
وغبتم فأحضرتم لواعج أحـــزان

ويممتـــم دار النعيـــــم وإنـــني
لأشقى فيا بؤسي بسكان نعمـــان

ولو أنني أعطيـــت نفسي حقهـــا
فما أنا للعهـــد الكريـــم بخـــوان

---

[1] أضاف د. طويل هنا كلمة ((قد))؛ فأضحت: ((قد شلَّهم)).
[2] جعلها د. طويل: ((وللعالم)).
[3] جعلها د. طويل: ((اللُّقيا)).

ولا عار في ورد الحمـــام فإنـــه

سبيل الورى ما بين شيب وشبان

لعمرك ما يصفو الزمان لـــوارد

وإن طال ما أحمى لظى الحرب صفان

وقس آتيا من أمره بالذي مضى

فرب قياس كان إجلاء[1] لبرهـــان

أما تركت كسرى كسيرا صروفه

ولان على صولاتـــه ملـــك اللان

ومد إلى سيـــف أكـــف اعتدايـــه

فأخرجه بالرغم من غمد غمدان

وهل دافعت خطبـــا توابع تبـــع

وهل درأت كربا سياسة ساســـان

وكان قياد الصعب صعبا ممنعا

فألقى إلى الدنيا مقـــادة إذعـــان

جلت لبني العباس وجه عبوسها

وقبل أمدت سرب أبناء مـــروان

---

[1] **جعلها د. طويل: ((أجْلى)).**

وكم أخلفت شتى المنا من خليفة

وأذوت رياح الدهر إذواء تيجان

وغادرت القصــــر المشيد بنـــاؤه

بسنداد قفرا بلقعـــا بعـــد عمران

ولم تبق يوما للخورنـــق رونقـــا

ولا شعبت بالقتل من شعب بوان

وكم من أبي سامه العسر دهـــره

فأبدى له بعد الرضا وجه غضبان

ومحتقر ماضي الذبابين في الوغى

سطا منه بالأنف الحمي ذبابان

وأي ســـرور لم يعـــد بمســـاءة

وأي كمال لم يعاقـــب بنقصـــان

ومن باع ما يبقى بفـــان فإنمـــا

تعجل في دنياه صفقـــة خســـران

خذوها على بعد النوى من مسهد

حليف أسى ما في الجوانح لهفان

ووالله ما وفيت حق مودة
ولكنه وسعي ومبلغ إمكان
ومهما تساوى طيب ومقصر
بحال فحكم النطق والصمت سيان
ولا لوم لي في العجز عن نيل فايت
فإن الذي أعيا البرية أعيان

ومن الاسترجاع والاعتبار، والتحرز لورطة الغفلة، وما توفيقي إلاّ بالله، قلت من الشعر المتقدم عن هذا الوقت [1]:

جهاد هوى لكن بغير ثواب
وشكوى جوى لكن بغير جواب
وعمر تولى في لعل وفي عسى
ودهر تقضى في نوى وعتاب
أما آن للمنبت في سبل الهوى
بأن يهتدي يوما سبيل صواب

---

[1] البحر الطويل.

تأملتهـــا خلفي مراحـــل جبتهـــا
ينهـــاز فيها الأربعيـــن حســـاب
جرى بي طرف اللهو حتى شكا الوجى
وأقفـــر من زاد النشاط جـــراب
وما حصلت نفسي عليها بكامـــل
ولا ظفرت كفي ببعض طـــلاب
نصيبي منها حسرة كونها مضت
بغيـــر زكـــاة وهي مثل نصاب
وما راعني والدهر رب وقائـــع
سجـــال على أبنائـــه وغـــلاب
سوى شعرات لحن من فوق مفرقي
قذفن لشيطان الصبـــا بشهـــاب
أبحـــن ذماري وانتهبـــن شبيبتي
أهـــن نصول أم نصول خطـــاب
وقد كنت يهدى المروض[1] طيب شمائلي
ويمرح غصن البـــان بين ثيـــاب

---

[1] **جعلها د. طويل: ((الروض)).**

فمذ كتب الوخـــط الملم بعارضي

حروفا أتى منها بمحض عتـــاب

نسخت بما قد خطه مسند الهـــوى

وكم سنـــة منسوخـــة بكتـــاب

سلامي على تلـــك المعاهد[1] إنها

مرابـــع ألافي[2] وعهـــد صحـــاب

ويا آلـــة[3] العهد انعمي فلطالمـــا

سكبت[4] على مثواك ماء شبـــاب

كأني بـــذات الضَّـــال[5] مـــن فَتًى

تذكر فيها اللهـــو بعـــد ذهـــاب

تقول اذكري[6] بعد ما بان حيرتي

وصوح روضى واقشعر جنـــاب

---

[1] في الزيتونـة: ((المرابـع)).

[2] نفسـه: ((إلـفي)).

[3] نفسـه: ((ويـا بانـة)).

[4] في الإسكوريـال: ((بكـت)).

[5] في الزيتونـة: ((الـدال)). وقـد تصرف د. طويـل هنـا؛ فأضـاف كلمـة: ((هاتيـك))؛ فأضـحى الشطر هكـذا: ((كأني بـذات الضَّـال هاتيـك مـن فـتًى)).

[6] جعلهـا د. طويـل: ((اذكـريـني)).

وأصبحت من بعد الأوانس كالدمى

يهول حـــداة العيس جوب يبـــاب

تغار الرياح الساجيات[1] بطارقي

فما أن تديم الركض حول هضاب

فإن سجـــع الركبـــان في بمدحة

حثّ[2] في وجوه المادحين تـــراب

ألـــم تعلمـــوا أن الوفـــاء سجيتي

إذا شحطت[3] داري وشط ركـــاب

سقاك كدمعي[4] أو لحودي وابـــل

يقلد نحـــر الحوض در حبـــاب

ولا برحت تهفو لعهدك الصَّبَـــا[5]

ويسحب فيه المزن فضل سحاب

[1] في الزيتونـة: ((السافرات)).
[2] جعلها د. طويل: ((حَثى)).
[3] في الزيتونـة: ((اشتطت)).
[4] جعلها د. طويل: ((كدمـع)).
[5] جعلها د. طويل: ((للصبـا)).

سوايَ يردع[1] الدهر أو يستفــزّه
بيــوم فــراق أو بيــوم إيــاب
وغيري يثنى الحوض ثني عنانه
إلى نيــل رفــد والتماس ثــواب
تمــلأت بالدنيا النيــة خبــرة[2]
فأعظم ما بالناس أيْسَــر مــا بِ
وأيقنــت أن اللـــه يمنع جاهــدا
ويرزق أقوامــا بغيــر حســاب
فيا ذل أذن ضمها أذن حاجــب
ويا هون وجه خلف ســدة بــاب
وقد كان همي أن تعاني مطيتي
ببعض نبات الليل خوض عبــاب
وأضحي ومحراب الدجا متهجدي
وأمسي ومـــاء الرافديــن شراب

---

[1] جعلهـا د. ((سـوايَ يعـادي)).
[2] في الزيتونـة: ((حيـرة)).

وتضحك من بغــداد بيض قبابها

إذا ما تــراءت بالســواد قبــاب

ولكن قضاء يغلب العزم حكمــه

ويضرب من دون الحجا بحجاب

يقولون لي حتى م[1] تنــدب فاســا

فقلــت وحسن العهد ليــس يعاب

إذا أنا لم آســف على زمن مضى

وعهد تقضى في صبــا وتصاب

فلا نظمــت در القريض قريحتي

ولا كانــت الآداب أكبــر دأب[2]

وقلت أبياتاً تبرز بها يد من طاق خشبي، لتمام ساعة من الليل، في نهاية الإحكام وحسن الشكل، ينصب مكانها بين يدي السلطان ليلة اتخاذ لمولد الكريم، فكان منها عند تمام الساعة الرابعة قولي [3]:

---

[1] **في الزيتونة: ((على م)).**
[2] **كتبها د. طويل. ((دابي)).**
[3] **البحر الكامل.**

سبق القضـــاء وأبرم[1] المحتـــوم

والغيـــب عنـــا ســـره مكتـــوم

حال الزمان إذا اعتبرت غريبـــة

والحال في التحقيـــق ليس تدوم

والليـــل سلـــك درة ساعاتـــــه

إن حل معقـــده هوى المنظـــوم

أكـــرم برابعـــة تولـــت بعدمـــا

ثبتت لها في الصالحات رســـوم

ولقد سهرت مفكرا والبـــدر في

بحر السمـــاء مع النجوم يعـــوم

فحسبت شكل البدر أبيض هائمـــا

فوقي يحلـــق طيـــره ويحـــوم

ومنهـا:

حجـــر رمـــاه المنجنيق فشأنـــه

متطـــأطئ متدافـــــع ملمـــوم

---

[1] في الزيتونـة: ((أبـرز)).

ومــن النجوم أسنــة لجيوشهــا

مــن كل مطلــع علي هجــوم

رجعت إلى حربي وعمري معقل

ومخلصي مــن نابهــا معــدوم

بدرت لها شرفات أسناني تــهي

وقــواي تفقــد رجعــة وتقــوم

فصرخت يا ويلي أصيبت غرتي

مــاذا عسى هذا البنــاء يــدوم

وإذا رمى فلك البــروج مدينــة

بالمنجنيــق فسورهــا المهــدوم

ما دون وجــه الحق إن حققتــه

يفــنى ويبــقى الواحــد القيــوم

المقطوعات المشتملة على الأغراض العديدة

منها في غرض التورية [1]:

ناديت دمعي إذ جد الرحيل بهـــم
والقلب من فرق التوديع قد وجبا
سقطت يا دمع من عيني غداة نأى
عني الحبيب ولم تقض الذي وجبا

وقلت في التورية أيضا [2]:

كتبت بدمع عيني صفح خــدي
وقد منع الكرى هجر الخليــل
ورأيت[3] الحاضرين فقلت هــذا
كتاب العيــن ينسب للخليــل

---

[1] البحر البسيط.
[2] البحر الوافر.
[3] في النفح، والأزهار، والنثير: ((وراءَ)).

وقلت في التورية أيضا [1]:

ولما رأت عزمي حثيثا على السرى
وقد رابها صبري على موقف البين
أتت بصحاح[2] الجوهري دموعها
فعارضت من دمعي بمختصر العين[3]

وقلت في التورية أيضا [4]:

مضجعي فيك عن قتادة يـــروي
وروى عن أبي الزناد فـــؤادي
وكذا النوم شاعـــر[5] فيك أمسى
من دمعي يهيـــم في كـــل واد

---

[1] البحر الطويل.
[2] في الزيتونة، والإسكوريال، والنثير: ((بكتاب))؛ وصححت من النفح.
[3] ألف كتاب العين الخليل بن أحمد الفراهيدي؛ وصاحب مختصر العين هو أبو بكر محمد بن الحسن الزبيدي.
[4] البحر الخفيف.
[5] في النثير: ((شاعراً)).

وقلت في التورية أيضا [1]:

حين ساروا عني وقد خنقتني
عبرات قد أعربت عن ولوع[2]
صحت من فيض العذيب فلما
لم أجد ناصرا فلعت دمـــوع[3]

وقلت في التورية أيضا [4]:

قـــال لي والدمـــوع تنهل سحبـــا
في عراض من الخدود محـــول
بك ما بي فقلـــت مـــولاي عافـــا
ك المعافي من عبرتي ونحـــولِ[5]
أنا جفني القريح يروى عن الأعـــ
ـــمش[6] والجفن منك عن مكحول[7]

---

[1] البحر الخفيف.
[2] في النفح، والأزهار: ((ولوعي)).
[3] ورد هذا البيت في النفح، والأزهار هكذا:
((صحتُ من ينصر الغريب فلما * لم أجد ناصراً فلعت دموعي)).
[4] البحر الخفيف.
[5] في النفح: ((من عبرةٍ ونحول)).
[6] الأعمش هو التابعي الراوية للحديث سليمان بن مهران (ت: 148هـ).
[7] هو الفقيه الحافظ مكحول بن أبي مسلم (ت: 112هـ).

وقلت في التورية أيضا [1]:

مكناسة جمعت بها زمـــر العـــدا
فمـــدا بريـــد فيـــه ألـــف بريـــد

من واصـــل الجوع لا لرياضـــة
أو لابس الصـــوف غير مريـــد

فإذا سلكـــت طريقهـــا متصوفـــا
فابن السلـــوك بها على التجريـــد

وقلت في التورية أيضا ولها حكاية [2]:

قلت لما استقـــل مولاي زرعي
ورأى غلـــة الطعـــــام قليلـــــة

دمنتي لانتجاعي الحرث كلـــت
فـــهي اليـــوم دمنـــة وكليلـــــة

---

[1] **البحـر الكامـل.**
[2] **البحـر الخفيـف.**

وقلت في التورية أيضا، وقد أهدى الوزير **عمر بن عبد الله** فرسا [به جراد في عرقوبه]: [1]

أشكو إلى الله [الصبر من] أبناء يعقوب[2]
والوعد ما بين مرموق ومرقوب
زرعت عرقوب أرضي من شعيركم
جاء الجراد فأفنى زرع عرقوب

وقلت أيضا، وقد جلس السلطان للسلام في يوم شديد البرد [3]:

جلـــس المولى لتسليـــم الورى
ولفضل[4] البرد في الجو احتكـــام
فـــإذا مـــا سألـــوا عن يومنـــا
قلت هـــذا اليـــوم برد وســـلام

---

[1] جاءت هذه العبارة في الزيتونة هكذا: ((به حدو في أحد عرقوبيه)).
[2] حذف د. طويل ما ورد بين حاصرتين؛ واكتفى بما يلي: ((أشكو إلى الله من أبناء يعقوب)).
[3] بحر الرمل.
[4] في النفح، والأزهار: ((ولفصل))؛ بالصاد المهملة.

وقلت في التورية أيضا في سنة قحط [1]:

سألنا ربيع العام للعـــام رحمـــة

فضن ولم يسمـــح بـــذرة إنعـــام

وقلنا وقد رد الحيـــاء وجوهنـــا[2]

قليل الحياء والله أصبحت من عام[3]

وقلت في التورية أيضا وضمنته مثلا [4]:

لمـــا رأوا كلـــفي بـــه وردوا[5]

قـــدر الذي في فيه من حـــب

قالوا الفتى حلـــو فقلـــت نعم[6]

طلعـــت حلاوته على القلـــب[7]

---

[1] البحـر الطويـل.
[2] ورد هـذا الشطـر في الإسكوريـال هكـذا: ((فقلـت وقـد رد الوجـوه ولـم يبـل)).
[3] كتـب د. طويـل هـذا الشطـر هكـذا: ((قليل الحيا والله أصبح من عام)).
[4] البحـر الكامـل.
[5] في النفـح: ((ودروا مقـدار ما لي فيـه مـن حبٍّ)).
[6] نفسـه: ((لهـم)).
[7] نفسـه: ((علـى قلـبي)).

وقلـت فـي ذلـك والله ولـي التجـاوز [1]:

أنا كافر وســـواي فيه بعـــاذل
لا يستبين الصـــدق في آياتـــه
ومصدق بصحيفـــة الخد الذي
قد أعجب الكفار حسن نباتـــه

وقلـت فـي التوريـة أيضـا [2]:

بأبي ظـــبي[3] غـــزاني مستبيحا شرح[4] صدري
فأنا اليوم شهيـــد الـــ ـــحب من غزوة بـــدر

وقلـت في التوريـة أيضـا علـى طريقـة المشارقـة [5]:

أشكو لمبسمه الحزين[6] وقد حمى
عـــني لمـــاه المشتهى ورحيقـــه
يا ريقـــة حيرتـــني ومطلتـــني
مـــا أنـــت إلا بـــارد يا ريقـــه

---

[1] **البحـر الكامـل.**
[2] **مجـزوء الكامـل.**
[3] **في النفـح، والأزهـار: ((بـدْرٌ)).**
[4] **في الأزهـار ((سـرح)).**
[5] **البحـر الكامـل.**
[6] **في النفـح، والأزهـار: ((الحريـق)).**

وقلت في التورية فيمن ركب البحر وماد [1]:

ركــب السفينة واستقــل بأفقهــا
فكأنما ركــب الهــلال الفرقــد
وشكــوا إليــه بميــده[2] فأجبتهــم
لا غرو أن ماد القضيب الأملــد

وقلت في التورية أيضا [3]:

يا مالــكي بخــلال تهدي إلى الفكر خيره[4]
أضرمت قلبي نــارا يا مالك بــن نويــره[5]

وقلت في التورية على عرف العامة [6]:

قلــت وقد ألبــس جسمي الضنــا
صبغــة سقــم أبــدا لا تحــول[7]

---

[1] البحر الكامل.
[2] في الأزهار: ((إليّ بميدهم)).
[3] بحر المجتث.
[4] في النفح، والنثير هكذا: ((إلى القلب حيرة)).
[5] هو من رؤساء بني يربوع؛ بطن من بني تميم. اشتهر أمره في حروب حروب الردّة (ت: 112هـ)
[6] البحر السريع.
[7] في النثير: ((لا يحول)).

يا من رآني أشفــق[1] لما حلّ بي

ويلبس مخيوط[2] على ذي النحول

وقلت في التورية، وقد دلك السلطان يديه بالحناء [3]:

إن شمس الدين مخبر الملوك

درة العقــد ووسطى السلــوك

دلــك الكــف بحنــاء فقلنــا

أنت شمس الدين عند الدلــوك

وقلت من التورية في رثاء رجل اسمه الحسن [4]:

أشكو إلى الله من بثي ومن شجني

لم أجــن من شجني ســوى محــن[5]

أصابت الحسن العين التي رشقــت

وعادة العين لا تصمي سوى الحسن

وقلت من التورية الغربية، عندما خرج السلطان من **المدينة البيضاء** [**بفاس**][6] طالبا حقه يريد **الحمراء بغرناطة**[7]:

---

[1] في النثير: ((أعجب)).
[2] في الزيتونة: ((مخيط)). وفي النثير: ((يلبس محبوكٌ على ذا النحول)).
[3] بحر المديد.
[4] البحر البسيط.
[5] جاء هذا الشطر في النفح هكذا: ((لم أجن من شجني شيئاً سوى محنِ))
[6] هذه الكلمة ساقطة في الإسكوريال
[7] البحر الطويل.

ولما حثثـت السير واللـه حاكـم
لملكك في الدنيا بعز وفي[1] الأخرى
حكى فرس الشطرنج طرفك لا يرى
ينقل مـن بيضـاء إلا إلى حمـرا[2]

وقلت في **قرية شخت** من **بادية المنكب**، وتمكنت فيها التورية من وجهين [3]:

بـات رفيـقي لهـم شخـب
بشيبتـه عافهـا العيـان
وقلـت مـا هـذه البـوادي
فقـال لي شخـت يا فـلان

وقلت في قريب منه [4]:

تعجلت وخط الشيب في زمن الصبا
لخوضي غمار الهم في طلب المجد

[1] في الزيتونة: ((بغزوة)).
[2] نفسه: ((الحمراء)).
[3] البحر المتقارب.
[4] البحر الطويل.

فمهما رأيتـــم شيبـــة فوق[1] مفرقي

فلا تنكروهـــا إنها شيبـــة الحمـــد

وقلـت مـن التورية بالفقه وقد صـدرت بهـا كتابا، مجيبـا بـه آخـر تقدمـه [2]:

يا من تقلد للعـــلاء سلوكـــا

والفضل أضحى[3] نهجه مسلوكا

كاتبتـــني متفضــــلا فملكتني

لا زلت منك مكاتبـــا مملوكـــا

وقلـت مـن أبيـات فـي التوريـة [4]:

وما كان إلا أن جنى الطرف نظـــرة

غدا القلب رهنا في عقوبة ذنبـــه

وما الحق أن يأتي امرؤ بجريـــرة

فيؤخـــذ في أوزارها جار جنبـــه

---

[1] في الأزهـار: ((في مفـارقي)).
[2] البحـر الكامـل.
[3] في النفـح: ((صَيَّـره)).
[4] البحـر الطويـل.

وقلت في التورية [1]:

ما للسها[2] بادي النحــول كأنـــه
متستـــر تبـــدو مخايـــل خوفـــه

قالوا عليـــك قلـــت هذا ممكـــن[3]
واللــــه أعلـــم[4] داؤه من جوفـــه

وقلت في التورية أيضاً [5]:

أجاد يراع الحسن خط عذاره
وأودعه السر المصون الذي تَدْرِ[6]

ولم يفتقر فيه لختم وطابـــع
فمبسمه أغناه عن طابع الســـر

---

[1] **البحر الكامل.**
[2] **في النفح: ((قالوا السها)).**
[3] **نفسه: ((أتراه يشكو قلت هذا ممكن)).**
[4] **نفسه: ((والله يعلم داره...)).**
[5] **البحر الطويل.**
[6] **في النفح، والأزهار: ((يدري)).**

وقلت في عين **قرية البذول** [1] وفيه التورية [2]:

قلت اعشقوا عيـن البـذول التي
في مثلهـا يرفض قول العذول

فقـلّ مـا أبصـرتـم منظـرا
أملح من منظر عيـن البـذول

وقلت أيضا في التورية [3]:

وظبي لأوضاع الجمال مـدرس
عليهم بأقسـام المحاسـن ماهـر

أرى جيده نص المحلى وقررت
ثناياه ما ضمت صحاح الجواهر

وقلت في التورية أيضاً، وفي إشارة إلى رجل يقصد الولائم من أجل بطنه، وشدة نهمه [4]:

أذمم ذوي التطفيـل مهما أتى
وإن تكـن أجملتهـم فاعنـه

---

[1] تقع هذه البلدة بالقرب من غرناطة؛ وفي الجهة الجنوبية منها.
[2] البحر السريع.
[3] البحر الطويل.
[4] البحر السريع.

يمشي على رجليه مع كونـــه[1]
من جنس من يمشي على بطنه

وقلت في التورية أيضا، والتورية طبية، وقد سهرت في طريق **المنكب برأس المزاد**، وقد صدعتني وعورته [2]:

عند رأس المـــزاد عادني السهـــ
ـــد ولم تغـــن حيلتي واجتهـــادي
حسبي اللـــه كيف يبرأ سريعـــا
سهـــر عن صــــداع رأس الـــزاد

وقلت في التورية **بكتاب مسلم**، من كتب الحديث [3]:

ذهب[4] الأُلَى كانوا نجـــو   ما للورى فالكون مظلم
وتذاكر[5] النـــاس الحديـــ   ـــث الحق وافتقد المعلم
أنا كـــاتب السلطان ما   طالعت كتاب مسلـــم[6]
إلا سخامـــا قادحـــا   في الدين والله المسلـــم

---

[1] في النفح: ((مع أنه)).
[2] البحر الخفيف.
[3] مجزوء الكامل.
[4] في النفح: ((أفل)).
[5] نفسه: ((وتناكر)).
[6] نفسه: ((طالعت قطُّ كتاب مسلم)).

وقلت في التورية النجومية في المدح [1]:

إن أبهم الخطب جلى في دجنتــه
رأيا يفــرق بين الغي والرشــد
وإن غَنا[2] الدهر أبدى من أسرته
وكفــه هدي حيران وري صــد
وإن نظــرت إلى لألاء غرتــه
يوم الهياج رأيت الشمس في الأسد

وقلت من التورية في المدح [3]:

تخونه صــرف الزمان وهل تــرى
دوامــا لحــال أو بقــاء على أمــر
هو الدهر ذو وجهيــن يوم وليلــة
ومن كان ذا وجهين معتب في غدر

---

[1] البحر البسيط.
[2] في النفح: ((عتـا)).
[3] البحر الطويل.

وقلت وقد جمدت رجلاي لشدة البرد **بتاجرة**، موريا بعرف العامة، إذ تقول لمن بولغ في نكاله، عملت أطرافه [1]:

لقد جمدت رجلاي تاجرة الردى
فخفضت من بأي لديه وإشـــراف
وما ارتجي من بقعة قد هجوتهـــا
لقد ظفرت بي فهي تعمل أطراف[2]

وقلت في التورية لمن يدعى **شمس الدين** [3]:

قل لشمس الدين وقيـــت الـــردى
لم يـــدع سقمـــك عنـــدي جلـــدا
رمـــدت عينـــك هـــذا عجيـــب[4]
أو عيـــن الشمس تشكو الرمـــدا

---

[1] **البحر الطويل.**
[2] **جعلها د. طويل: ((أطرافي)).**
[3] **بحر الرمل.**
[4] **في النفح: ((عجب))؛ وهو أسلم.**

وقلت في التورية في رجل أقسم أنه ذو مالية وأمانة، وطلب من السلطان خدمته [1]:

حلفــت لهــم بأنــك ذو يســار
وذو ثقـــة وبــر باليميــن
ليستندوا إليــك بحفــظ مــال
فتأكـــل باليســار وباليميــن

ومـــن المقطوعـــات أيضـــاً

في غرض المدح [2]:

طوى البعد عن شوق وحث ركابه
وأوشك في مغناك[3] حط رحاله

---

[1] البحـر الوافـر.
[2] البحـر الطويـل.
[3] في الزيتونـة: ((مغنـاه)).

ومما شجاه البعـــد عنك وشفــه

تبـــدى نحول السقم فوق هلاله

وكتبت في جواب للسلطان، وقد رحلت لتفقد الثغور، وكان من فصوله إلى تقرير التشوق إلى اللقاء [1]:

تخالف جنس الشوق والحكم واحد

وكـــل محـــب في الكمال مشتـــاق

فمعنى اشتياق الأرض للغيث حاجة

ومعنى اشتياق الغيث لأرض إشفاق

وخاطبت سلطان **المغرب** ابن السلطان **أبي الحسن**، ولها حكاية و**أبو الحسن** الصغير، رجل كبير من فقهايها[2]:

قل للذي ذكرى الهدى وعهـــوده

فبكى وأصبح مشفقـــا من فقـــدها

غصبت حقوق اللــــه جل جلالـــه

فقضى أبا الحسن الصغير بردهـــا

---

[1] البحر الطويل.

[2] البحر الكامل.

وقلت في غرض المدح، أشير إلى الكفتين، والعدد المستخرج منهما للمجهول:

لا عدل في الملك إلا وهو قد نصبه
وصير الخلــق في ميراثه[1] عصبــه
والكفتــان تــرى مــن كفــه درة[2]
تستخــرج العدد[3] المجهول للطلبــة

وقلت وقد مررت بين يدي السلطان، في يوم شديد الهاجرة، وهو ينظر من طاق بقبة قصره، وأنا أروم تفقد أملاكي بالفحص، وأنكر ذلك في شدة الحر[4]:

إذا كان فقي من نداك غمامــة
وحولي روح من رضاك وريحان
فإن سموم القيظ عندي نسمــة
وإن مشيم القفــر عندي بستــان

---

[1] في النفح: ((في ميزانه)).
[2] نفسه: ((درتا)).
[3] نفسه: ((أن تخرج العدد..)).
[4] البحر الطويل.

وقلت مشيرا إلى الحديث في البحر [1]:

رأيــت بكفــك اعتبـــارا
بأســا وندى ما أن يبــارى[2]
فقلت وقــد عجبــت منــه[3]
يا بحــر متى تعود نــارا[4]

وقلت وقد جعل السلطان في رأسه بيضة السلاح مصقولة [5]:

يــا إمامــا أطــال ربي عــلاه
وهمــاما بــالفخــر مــا أولاه
أنت كالرمح في اعتدال وطــول
وانتخــاب الحديــد في أعــلاه

---

[1] البحـر المتقـارب.
[2] ورد هذا البيت في النفـح والزيتونـة هكـذا:
((رأت بكفـك اعتبـارا * بأسس ونـدا مـا أن يبـارى)).
[3] في النفـح: ((منهـا)).
[4] ورد هذا الشطر في النفح هكـذا: ((يا بحـر مـتى تدعـو نـوارا)).
[5] البحـر الوافـر.

وقلت في غرض الافتخار [1]:

ما ضـــرني أن لـــم أجئ[2] متقدمـــا
بالسَّبَــق[3] يعرف آخر المضمـــار
ولئن غدا ربـــع البلاغـــة بلقعـــا
فلـــرب كنـــز في أســـاس جـــدار

وقلت وفيه الإشارة إلى الكاتب **ابن الكواكب** [4]:

بـــأوت عـــلى زمـــني همـــة
فأعتبني الزمـــان[5] العاتـــب
وشرفـــني اللـــه فـــي موطني
وفي بيتـــه يشـــرف الكاتب

---

[1] **البحـر الكامـل.**
[2] **في الزيتونــة: ((أجـز))، وفي الأزهـار: ((لـم أكـن)).**
[3] **في النفـح: ((السبـق))، وفي الأزهـار: ((فالسبـق)).**
[4] **في الإسكوريـال: ((ابـن الكواكـب)). والبيتـان مـن بحـر المتقـارب.**
[5] **في النفـح: ((الزمـن))؛ وهـو أسلـم.**

وقلت وهو من التخلص المخترع، وقد جرى بعض ما مدح به الملوك من **بني العباس** [1]:

أقــول والليل أعيــاني تطاولــه
وأوســع الذم والتعنيت أســوده

ما كان يجرأ ليلي أن يطاولــني
شعاركــم يا بني العباس أيــده

وقلت وهو من بديع التخلص [2]:

أقــول والصبح لا تبــدو مخايلــه
وقد تعجبت من سهــدي ومن أرق[3]

كأنمــا الليــل زنــجي ملابســه
قــد زينــت بلآلـيء أنجم الأفــق

ونــام سُكْــراً فلا شــيء يُنَبِّهُــه
لما يخــشى حراكا حمرة الشفــق

---

[1] **البحر البسيط.**
[2] **البحر البسيط.**
[3] **جعلها د. طويل: ((أرقي)).**

وقلت من أبيات أمدح السلطان **أبا الحجاج** رحمه الله [1]:

في مصر قلبي من خزائن يوسف
حب وعيــر مدامــعي تمتــاره
حليت شعــري باسمــه فكأنــه
في كــل قطــر جلُّــه[2] دينــاره

وخاطبت ولده رضي الله عنه، معترفا بحبي فيه، وكره الخدمة [3]:

قالوا لخدمتــه دعاك محمــد
فكرهتها وزهدت في التنويه
فأجبتــه أنا والمهيــن كــاره
في خدمة المولى محب فيــه

وراجعته عن كتاب كتب لي بخطه، من فصوله الإنحاء على رداءة الحبر [4]:

[1] البحر الكامل.
[2] في النفح: ((حلـه))؛ بالحاء المهملة.
[3] البحر الكامل.
[4] البحر الطويل.

إذا ما تجلى النور في جنح ظلمـــة
جلاهـــا كما تجلو الدجا غرة الفجر
فلا تنكـــرن الحبـــر إن حال لونـــه
فوجهك يجلو ظلمتي الليل والحبـــر

ومن مدح البلاد وفيه بيان سبب حبها قولي في **غرناطة**:

أحبـــك يا مغنى الجلال[1] بواجـــب
وأقطع في أوصافك الغُرِّ أوقـــات[2]
تقسم منك الترب قومي وجيـــرتي
ففي المظهر أحياء[3] وبالبطن أموات[4]

وفي سبتة المحروسة[5]:

حييـــت يا مختـــط سبت بن نـــوح
بكـــل مـــزن يغتـــدي أو يـــروح

---

[1] في الزيتونة، والأزهار: ((الجمال))، وفي النفح: ((أحيّيك يا معنى الكمال)).
[2] في النفح، والأزهار: ((أوقاتي)).
[3] نفسهما: ((أحيائي)).
[4] في المصدرين: ((ففي المظهر أحيائي وفي البطن أمواتي)).
[5] البحر السريع.

وحمـــل الريحـــان ريـــح الصبـــا

أمـــانـــة فيـــك إلـــى كـــل روح

ولينظر تمام هذه المقطوعة في اسم الخطيب **أبي عبد الله بن مرزوق** في حرف الميم. وقلت في **بنيونش**[1]؛ من أحواز خارج **سبتة** المذكورة [2]:

لله بنيونـــش تحـــكي منازلهـــا

كواكـــب أشرقت في جنح ظلمـــاء

صح النسيـــم فما يعتل من أحـــد

إلا النسيـــم وما يرتـــاع مـــن داء

ومـــن كرامتهـــا أن الشمـــال إذا

رامت زيارتها تمشي على المـــاء

وفـــي **مصـــر** وقـــد بنيـــت مزيـــة محببيهـــا عـــلى مـــن دونهـــم:

سلمت لمصر في الهوى من بلـــد

يهديه هـــواؤه لـــدي استنشاقـــه

[1] تسمى أيضاً بليونش؛ وهي ضاحية من ضواحي سبتة.
[2] البحر البسيط.

من ينكر دعواي فقـــل عني لـــه
تكفي امرأة العزيز من عشاقـــه

وفي غرناطة:

بلد تحـــف بـــه الريـــاض كأنـــه
وجه جميـــل والريـــاض عـــذاره
وكأنمـــا واديـــه معصـــم فضـــة[1]
ومن الجسور المحكمات ســـواره

وفي **رياض الكدية**، التي لولدي أسعده الله، ولا نظير لها في جلالة القدر [2]:

حـــدث عن الكدية من شيتـــه
يظـــن إخبـــارك تصحيفـــــا
فالعقـــل بالمعتـــاد مستأنـــس
إن ذكر الواصـــف موصوفـــا
والحـــق في أوصافهـــا أنهـــا
خرقـــاء حسن وجدت صوفـــا

---

[1] في مخطوطي: دار الكتاب، وجابنجوس: ((غادة)).
[2] البحر السريع.

وفي جنة أخيه المعروفة بجنان الورد [1]:

إذا أهــدي الإنسان وردة جنـــة

تهلل من بعــد العبــوس محيـــاه

وأمل أن يحيـــا لفصـــل يعيدهـــا

فكيف بمن في جنة الورد مثواه

وفي جنة أخيهما بالزاوية [2]:

إن كانـــت الجنـــة موجـــودة

في الأرض قلنا جنة الزاويـــة

يا بقعـــة فـــاز بها المشتـــري

فـــأم مـــن خلقهـــا هاويـــــة

ومن أغراض النسيب قلت من قصيدة:

تذكرت عهدا كان أحلى من الكرى

وأقصر من إلمام طيف خيالـــه

فيا ليت شعري من أتاح لي الجوى

وعذب بـــالي هل أمر ببالـــه

---

[1] **البحر الطويل.**

[2] **الزاوية: منتزه شهير في غرناطة. والأبيات من البحر السريع.**

وقلـت وهـو مـن التشبيه العقيـم [1] :

أمعللي بمطامــــع من دونهـــا
جوب النفوس مفاوز الأعمـــار
تزداد أشواقـــي إذا يوم خـــلا
كتضاعــف الأعداد بالأسعار

وقلـت مـن أغـراض المشارقة [2] :

رموا بالسلـــو حليف الغـــرام
وأدمعـــه كالحيــاء الهاطـــل
أعـــوذ بعـــزك يـــا سيـــدي
لذلِـــى مـــن دعـــوة الباطـــل

وقلـت مـن أبيـات :

عذبـــت قلبت بالهـــوى فقيامـــه
في نار جهرك دايما وقعـــوده

---

[1] البحـر الكامـل.
[2] البحـر المتقـارب.

ولقد عهدت القلب منك مُوجِــدا[1]

فعلام يقضى في العذاب[2] خلوده

وقلت في ذي ذؤابة سوداء:[3]

يا غــزالا ترك القلب المبــلى

حين ولي في ذفوف[4] وكآبـــه

كيف يخشى القلب مني خفقانا

ودواء المسك في تلك الذؤابـــه

وقلت في النسيب [5]:

من لي بذكـــرى كلما أوْجَبْتُهـــا[6]

تمحو سلوي واشتيـــاقي تثبــت

وسحاب دمع كلما استَمْطَرْتــه[7]

غير القتاد بمضجعي لا تنبــت[8]

---

[1] في النفح، والأزهار، والنثير: ((القلب وهو موحدٌ)).
[2] في الزيتونة: ((النار)).
[3] بحر الرمل.
[4] في الإسكوريال: ((ذفوق)). ويقصد السرعة.
[5] بحر الكامل.
[6] في النفح: ((أوجستها)).
[7] نفسه: ((أمطرته)).
[8] نفسه: ((لا ينبت)).

وقلت في النسيب أيضا [1]:

أضاف إلى الجفون[2] السود شعــرا
كجنح الليــل أو صبغ المــداد
فقلت أميــر هذا الحسن تزكــو الأ
جــور له بتكثيــر الســواد

وقلت في المعنى أيضا [3]:

من لي به أسمــر حلو اللمــا
أهيف ماضي السحر مرهوبه
كالنحل في رقة خصر وفي
لســع مــتى شــاء ومقلوبــه

وقلت في النسيب أيضا:

أنكرتــه[4] لما أطــل عارضــه
فقــال لي حيــن رابه نظــري

---

[1] البحر الوافر.
[2] في الزيتونة: ((العيون)).
[3] البحر السريع.
[4] في النفح: ((أنكرت))؛ وهو أسلم.

ألــم تقــل لي بأنـــني قمــر

فانظـــر إلىَّ وبر أرنب القمـــر

ومـن أغـراض التضميـن قلـت :

لا تهـــج بالذكـــر من خلـــدي[1]

نـــار شوق[2] شـــق محتملـــه

ويقـــول النـــاس فـــي مثـــل

لا تحـــرك مـــن دنـــا أجـــه

وقلـت مـن التضميـن [3]:

يا من بأكنـــاف فـــؤادي رُتَـــعْ[4]

قد ضاق بي في[5] حبك المتســـع

ما فيك لي جدوى ولا أرعـــوى

شـــح مطـــاع وهـــوى متبـــع

---

[1] في النفـح: ((في كبـدي)).
[2] نفسـه: ((وَجْـدِ)).
[3] البحـر السريـع.
[4] في النفـح: ((رَبَـعْ)).
[5] نفسـه: ((عـن)).

وقلت من التضمين [1]:

قال جوادي عندمـــا همزت همزا أعجزه
إلى متى تهمـــزني ويـــل لكـــل همـــزة

وقلت [2]:

أصبح الخـــد منك جنة عـــدن
مجتـــلى أعيـــن وشم أنـــوف
ظَلَّلْتَنَـــا[3] من الجفون سيـــوف
جنة الخلد تحت ظل السيـــوف

وقلت [4]:

محاسنك اغتـــدت جنات عـــدن
لمن يرتـــاد إحسانـــا وحسنـــا
فمهمـــا حلهـــا[5] إنســـان عيـــن
فلإنســـــان فيهـــا مـــا تمـــنى

---

[1] مجزوء الرجز)).
[2] البحر الخفيف.
[3] في الزيتونة: ((أصدقتنا)). وفي النفح: ((ظلَّلْته)).
[4] البحر الوافر.
[5] في الزيتونة: ((جلاها)).

وقلت في طول الليل [1]:

ســـاورت أسود من ظلام دجـــا
من باتـــه فإلى الجحيـــم دفـــع
أنا لا أقـــول سطـــا الصباح به
لكـــن طـــغى[2] ثعبانـــه فربـــع

وقلت [3]:

رفعـــت قصة اشتيـــاقي ليـــحي
فـــورّى[4] الوجه رافضـــا للفتـــوة
ورمى بالكتـــاب ضعف ابتسالٍ[5]
قلت يـــحي خذ الكتـــاب بقـــوة

وقلت [6]:

سار بي للأمير يشكو اعتراضا[7]
يوسف والشهود أبنـــاء جنســـه

---

[1] **البحر الكامل.**
[2] **في الزيتونة: ((سطا)).**
[3] **البحر الخفيف.**
[4] **في النفح: ((فزوى)).**
[5] **في الزيتونة: ((انفعال))، وفي النفح: ((اهتبال)).**
[6] **البحر الخفيف.**
[7] **في النفح: ((اعتراضي)).**

قـــال مـــا تقـــول قلت بديهـــا

لم أخف من عقابـــه أو حبســـه[1]

حصص الحق يا خوند فدعـــني

أنا راودت يوسفـــا عن نفســـه

وقلـت [2]:

يا كوكب الحسن يا معناه يا قمـــر

يا روضة المتناهي الريع يا ثمره

أمرتـــني بسلـــو عنـــك ممتنـــع

مأمور حسنك لما يقض ما أمره

وقلـت في ذلـك أيضـا [3]:

أفقـــد عَيْـــنَيَّ[4] لذيـــذ الوســـن

من لم أزل فيه خليع الرســـن

---

[1] في النفـح: ((لـم نَخـفْ مـن نكالـه أو لحبسـه)).
[2] البحـر البسيـط.
[3] البحـر السريـع.
[4] في النفـح: ((جفـنيَّ))؛ وذلـك بعد حـذف الهـاء.

عـــذاره المســـكي في خـــده

أنبتـــه اللـــه النبات الحســـن

وقلت في العين الذي **بحصن نارجة**، وهو ينفع من مرض الحصا [1]:

أنظر إليه شبيه معجزة العصـــا

ماؤه[2] بتنقيـــة المثانـــة خصصـــا

فإذا الطبيب سقاه أسرع نجحـــه

وتحدث بالماء[3] الزلال مع الحصا

وقلت في التضمين أيضا [4]:

يعاهدني دمعي على كتم ســـره

ويجري إذا ذكر جوى ويميـــن

وذلك لأني من نجيعي خضبتـــه

وليس لمخضوب البنان يميـــن

---

[1] **البحر الكامل.**
[2] **جعلها د. طويل: ((ماءً)).**
[3] **حذف د. طويل: الباء؛ فغدت: ((الماء)).**
[4] **البحر الطويل.**

ومن الأوصاف وما يرجع إليها

قلت في الليل [1]:

تَلَوَّى ظلام الليل بالصبح ظالمـــا
إلى أن تبدى الضوء واقشع الحلك
كما سرق العبد العبوس عمامـــة
فأخرجها من تحتـــه حاكم الفلـــك

وقلت في المعنى [2]:

أقول ووعد الصبح يمطله الدجـــا
إلـــى أن تبـــدى للعيـــون محيـــاه
كأن صبـــاح الطلـــق طفل مجرد
تلقفـــــه الثعبـــان ثـــــم تبنـــــاه

وقلت فيه [3]:

عبس الليـــل فلا صبح يـــرى
وهوى النجـــم وغاب الفرقـــد

---

[1] **البحر الطويل.**
[2] **البحر الطويل.**
[3] **بحر الرمل.**

وضحكنـــا وحلينـــا طـــرفـــا
أفلا يضحـــك هـــذا الأســـود

وقلـت فيـه [1]:

أيا ليـــل أفرطـــت في جفـــوتي
وعودتني منـــك شر الخـــلال
ومـــالي ذنـــب ولكن سخفـــت
بقـــرط الثريـــا وتاج الهـــلال

وقلـت فيـه [2]:

أرقت وجنـــح الليل قيد خطـــوة[3]
فلهفي على الجفن القريح المسهد
وما بليت نفس أمرت تنظر فيه[4]
بأوحش من عبد عبـــوس مقيـــد

---

[1] البحـر المتقـارب.
[2] البحـر الطويـل.
[3] جعلهـا د. طويـل: ((لخطـوة)).
[4] حـذف د. طويـل كلمـة: ((أمـرت))؛ فأضحـت: ((.. نفـسٌ تُنَظّـرُ فيـه)).

وقلت فيه [1]:

يا ليل طلــت ولم تجد بتبســم

وأريتني خلــق العبوس النـــادم

هلا رحمــت تغربي وتفــرقي

للـــه ما أقســاك يا ابن الخـــادم

وقلت فيه [2]:

حـــار الظـــلام عـــلي دورة كافر

فقصـــدت قصد عبـــادة وتـــلاوة

ولو أنـــني كابرتـــه لـــم أستطـــع

ما حال أبيض في بـــلاد قهـــاوة

وقلت فيه [3]:

بليـــل كانون عرفـــت الجـــوى

لولا ضيـــاء كف من ظلمـــه

طـــال به نفـــح نسيـــم الصبـــا

فاشتعـــل الإصباح في فحمـــه

---

[1] البحـر الكامـل.
[2] البحـر الكامـل.
[3] البحـر السريـع.

وقلت فيه [1]:

وكأن جنـــح الليل أسود ســـارق
سرق الصباح الطلق ثوبا أبيضا
ما زال يضرب بالبوارق ظهره
حتى أقر به فهـــا هو قد أضـــا

وقلت فيه [2]:

يا ليلة ساهــرت طالـــع أفقهـــا
حتى تمايـــل غاربا أو غاطســـا
والصبح من ريح الشمال بزكمة
تركتـــه من بعد استكان عاصفـــا

وقلت في ليلة انتخب لها الكثير من الفواكه [3]:

أيا ليلة بالخصـــب لم تألُ شهـــرة
كما اشتهرت في فضلها ليلة القـــدر

---

[1] **البحر الكامل.**
[2] **البحر الكامل.**
[3] **البحر الطويل.**

فأمن فيها اللـــوز من غمة النـــوى[1]
وأصبح فيها التين منشرح الصـــدر

وقلت في وصف السماء [2]:

تتعـــاور القطبـــان فها[3] رقعـــة
وكلاهمـــا فيها لعوب حـــاذق
الزهرة الزهـــراء قربان بهـــا
والبدر شاة والنجـــوم بيـــاذق

وقلت أصف فرسا أهديته [4]:

إذا ما ســـرى ليلا فبالنجم يهتـــدي
ومهما انتـــمى يوما فللبرق ينتـــم
يصيـــخ إذا أصغى بمسمع كاهـــن
ويرنـــو إذا أومى بطرف منجـــم
فبوأتـــه مـــن مهجـــــتي متبـــوأ
خفيا عـــلى ســـر الفـــؤاد المكتـــم

---

[1] في النفح: ((فآمن قلبُ اللَّوْز من علة النَّوَى)).
[2] البحر الكامل.
[3] جعلها د. طويل: ((فيها)).
[4] البحر الطويل.

فيا[1] عجبــا مني وفــرط تشيــعي

أهيم بوجدي فيه وهو ابن ملجــم

وقلت أصف سكين بَشر للسلطان **أبي سالم** ملك **المغرب** [2]:

أرى سيــف إبراهيم بيــني وبينه

مناسبــة عنــد اعتبار المناســب

أزيل حروف الخط عند التباسهــا

وتبشــر حدَّاهُ حروف الكتايــب

وقلت في سكين الأضاحي للسلطان **أبي الحجاج** [3]:

لي الفضل أن شاهدتني واختبرتــني

على كل مصقول الغرارين مرهف

كفــانيَ[4] فخــرا أن تــرانيَ قائمــا

بسنــة إبراهيــم في كفّ يوســف

[1] في النفـح: ((ويـا)).
[2] البحـر الطويـل.
[3] البحـر الطويـل.
[4] في النثيـر: ((وحسـبيَ فضـلاً أن تـراني قايمـا)).

وقلت كذلك [1]:

إن شهرت نصلي يدا يوســف

ريعــت لكفــي مهجة الليــث

ولحــت مثل البرق في كفــه

لا ينكــر البرق على الغيث

وقلت في برادة كان يشرب فيها السلطان [2]:

عَلَم الملــوك أعــني يوسف المولى الهُمامــا

الغمام لأرض[3] ســقى وأنا أســقي الغمامــا

وقلت في طَيْفُور طعام أهديته [4]:

تعلم طيفــوري خــلال سَمِيــهِ

وإن كان منسوبا إلى غير بسطام

فجاء فقير الوقــت لابس خرقــة

وليس براض غير صحبة صوام

---

[1] البحر السريع.

[2] مجزوء الرمل.

[3] جعلها د. طويل: ((الأرض))؛ بإضافة الألف.

[4] البحر الطويل.

فديتــك لا تردده عنــك مخيبــا

ودرســه[1] يا مــولاي قصة بلعــام

وقلت في روض [2]:

كأنمــا الــروض ملك   يبْــأى[3] بــه جلســاه

يرضى النديم فمهمــا   سقى الرياض كســاه

وقلت في مروحة سلطانية [4]:

كأني قرص[5] الشمس عند طلوعهــا

وقد قدمت من قبلها نسمة الفجــر

وإلا كما هبــت بمحتــدم الــوغى

صبا[6] النصر لكن من بنود نصــر

وقلت في بحريٍّ يلعب على الشريط، منوع الحركات [7]:

ويجــر تلاعــب في شريــط

وحِيَّ الفعل متصل الصمــوت

---

[1] جهلها د. طويل: ((ودَرْسُك)).
[2] بحر المجتث.
[3] في النفح: ((باهي)).
[4] البحر الطويل.
[5] في الأزهار: ((قوس)).
[6] نفسه: ((بنصر)).
[7] البحر المتقارب.

تدلى وارتقى وسمــــا وأهــوى

فأعجب في التماسك والثبــوت[1]

فقلنـــا[2] إن يكــن بشــراً سويـــا

ففيــه غريـــزة مـــن عنكبـــوت[3]

وقلت في بيضة سلاح مصقولة، اتخذت للسلطان [4]:

خصصت بالحسن وانفردت بـــه

فجـــل قـــدري وقـــل أشبـــاه[5]

كأنـــني كوكـــب الصباح بـــدا

عـــلى جبيـــن الغـــني باللـــه

وقلت في الدواة والقلم [6]:

ما رأت عيني عجيبـــا كيـــراعي في الـــدواة

غايصا يستخرج الـــد ر من بحـــر الظلمات

---

[1] هذا البيت مختل.
[2] جعلها د. طويل: ((فقل)).
[3] حذف د. طويل كلمة ((من))؛ فأضحت: ((ففيه غريزة عنكبوت)).
[4] بحر المنسرح.
[5] جعلها د. طويل: ((أشباهي)).
[6] مجزوء الرمل.

وقلت كذلك [1]:

أقلامنـــا الواسطيـــة ذوابــل خطيـــة
مصروفـــة لجهـــاد وحكمة وعطيـــة

وقلت في ملزم الكتب [2]:

يا حسنـــه من ملـــزم أثـــاره
لذوي الوراقة أحسن الآثـــار
وكأنما الكراس طرف أشهب
شدوا على شفتيه عود زيـــار[3]
وكأنما قلم الكتـــاب بصفحـــه
مكوى وذاك النفط نفط النـــار

وقلت في بيضة السلاح أيضا [4]:

إذا أنت لاحظت السلاح وجدتني
أطاولـــه عزا وأفضلـــه قـــدرا

---

[1] **بحر المجتث.**
[2] **بحر الكامل.**
[3] **الزِّيار: آلة من خشبتين؛ يستعملها البيطري تقييد الفرس؛ حتى يعالجه.**
[4] **البحر الطويل.**

ويلبســـني المولى الإمام محمـــد

فتبصر منه الشمس توجت البدر

وقلت في ذلك [1]:

لحسن بني نصر صنعت محمدا

فيهديك معنى العز فـــألي والنصر

علوت على بحر السماء حبابـــة

ولا غرو أن يعلوا الحباب على البحر

وقلت في مرآة اتخذت للسلطان أيضا [2]:

لمجـــدد الملك الرفيـــع محمـــد

أنشيت فأعجب من غرابة شان

تبدو مظاهـــري لأمور كأنـــني[3]

من باطن المولى الذي أنشـــان

وقلت في وصف قينة :

ومرضعة طفلا من العود ثديها

ولا در إلا الدر من أدب محـــض

---

[1] البحـر الطويـل.

[2] البحـر الكامـل.

[3] جعل د. طويل هذا الشطر هكذا: ((تبدو مظاهـري لها فكأنـني)).

إذا لمستـــه بالبنـــان تخالهـــا
طبيبا من الحذاق جس على نبض

وقلـت أيضـا فـي البـدر [1]:
أقول والبدر يسمو في السماء[2] صعدا
لصاحبي والدجا مستقبل الفجر
أنظره في كفة الميزان صاعــدة
كأنها ضجة بيضاء من حجــر
وقلـت متغـزلاً واللـه ولـي التجـاوز [3]:
قلم المحاسن خط نور عــذاره
أو مثل حلتــه يحاك بلا علـــم
لا تتقوا عينـــا تصيب جمالـــه
فاللـــه عوضه بنـــون والقلـــم

---

[1] في الإسكوريـال: ((البـدو)). وصححت مـن الزيتونـة. وهـذان البيتـان مـن البحـر البسيـط.
[2] حـذف د. طويـل الهمـزة؛ فغـدت: ((في السمـا)).
[3] البحـر الكامـل.

وقلت في معنى غريب:

ولــربَّ رزق[1] غدا[2] لقيت مواجها
كفـــــت أكفهــــم وقايـــة واق
جاورت والتفتــوا إلي فخلتهــم
جعلــوا ذوابلهــم[3] على الأعــناق

وقلت في رمانة [4]:

رمانة راق منها منظر عجيــب
تريك صورتهــا إبداع باريهــا
كأنمـــا حبهـــا در وظاهرهـــا
خد ومن شحمها قطــن يواريها

وقلت مرتجلاً لمن طلب ذلك على ضفة الوادي الكبير [5]:

ومنتقـــش المتـــن كالمبـــرد
إذا هب عـــرف النسيـــم النـــدي

---

[1] في الزيتونـة: ((ورق)).
[2] جعلها د. طويل: ((ولـربَّ رزق غدٍ...)).
[3] في الزيتونـة: ((دوابهـم)).
[4] البحـر البسيـط.
[5] البحـر المتقـارب.

تدافـــع مسترســـلا مايجـــا

كما اندفـــع الـــدرع من مـــزود

وقلـــت وقـــد استـــزاد الطلبـــة الحاضـــرون مـــن ذلـــك[1]:

وطموح العباب ضافي المقيـــل

حسر الروح عن حسام صقيـــل

كسبيك اللجيـــن ذهبـــه الصـــا

نع صبحانـــه بشمس الأصيـــل

واستـزادوا مـن ذلـك فقلـت [2]:

ومدرع ينساب في منبت الخوط[3]

تعيا[4] مثوى ظلـــه كل مغبـــوط

أقام شعاع الشمس يشغل فوقـــه

فسال له ذوب اللجين في[5] البوط

---

1 **البحـر الخفيـف.**

2 **البحـر الطويـل.**

3 **الخـوط: هـو الغصـن الناعـم.**

4 **تنصـرف د. طويـل؛ فجعلهـا: ((يداعـب)).**

5 **جعلهـا د. طويـل: ((مـن)).**

ثـم قلـت فـي ذلـك:

ثعبـــان نهــــر راعنـــا مـــده
لما أتـــى ينســـاب من حجـــره
فاهتزت الأغصــــان من فوقـــه
وصـاحـــت الأطيـــار في إثـــره

ثـم قلـت فـي ذلـك [1]:

أنظـــر إليه والأصيـــل مـــورس
والشمس ترسل من عنان مسيرها
وكأنما هـــو زئبـــق مترجـــرج
ألقت عليه الشمس من إكسيرهـــا

ومـن وصـف المواضيع قلـت فـي تاجـرة [2]:

بتاجـــرة ريـــح أزاحك بردهـــا
إله متى استرحمتـــه فهو يرحـــم
رأت عصبي غزلا وجسمي مرمة
فهـــا هي تســـدي كل يوم وتلحـــم

[1] البحـر الكامـل.
[2] البحـر الطويـل.

ومن ذلك أيضا [1]:

يا بقعـــة بالحمـــد معروفـــة

تحذِّرها[2] الشمس فلا تشـــرق

ترى عيـــون الماء عمشا بها

وأعيـــن النيـــران لا تنطـــق

ومن ذلك أيضا [3]:

جفاك الحيا من بقعة ظلت عندها

بلا جلـــد مما لقيـــت ولا جلـــد

فلو سامتها الشمس أرعد قرصها

ولثت فلم تسطع حراكا من البرد

وقلت أصف **جبل شُلَّير** [4]:

شليـــر لعمـــري أسا[5] الجـــوار

وســـد علي رحيـــب الفضـــا

---

[1] البحـر السريـع.
[2] في الزيتونـة: ((تزورهـا)).
[3] البحـر الطويـل.
[4] جبـل شلير Solaris؛ وهـو أعظـم جبـل يطـل علـى غرناطـة؛ ويسـمى أيضـاً بجبـل الثلـج؛ تعريـب اسـم Sierra Nevada سييـرا نيفـادا؛ لتراكـم الثلـوج علـى قمتـه صيفـاً وشتـاء.
[5] في النفـح: ((أسـاء)).

هو الشيخ أبرد شـــيء يــرى

إذا لبـــس البرنـــس الأبيضـــا

وقلت أخاطب بعض أصحابنا ممن يخضب بياض شيبه من بعد الانقاء [1]:

وكريمة شهد الخضاب شهـــادة

بفتوهـــا عنـــد الأداء مـــزورة

مـــرض الفـــؤاد وحم لأجلهـــا

فجعلـــت منها للعلاج مـــزورة

وقلت وقد استزاد الحاضرون من هذا المعنى [2]:

عهدي بهاتيك الكريمـــة مهـــرق

يقـــن تسرُّ[3] به العيـــون وتغبـــط

أغريـــت أجزاء المـــداد بظلهـــا

وكذا المداد على الطروس مسلط

---

[1] البحـر الكامـل.

[2] البحـر الكامـل.

[3] في الزيتونـة: ((تسعد)).

وقلت في ذلك [1]:

خضتها[2] بعد ما لاح المشيب وقـــد
جوزت في العقل كتم الصبح بالغبش

فاض البياض على رغم السواد بها
ويرشح الدمع تحت الكحل في العمش

وقلت عند الرجوع من الرحلة [3]:

رجعنا بفضل اللـــه بعد استـــدارة
وفينـــا بها الأنـــس كيل اختيـــاره

كما راجع البركان مفروض تقطة
من السطح منها كان بدء مـــداره

وقلت في الغرض المذكور [4]:

البصر[5] تنأى الشهب والشمس فتنة
تلألأ منا البـــر والبحر ذو المـــوج[6]

---

[1] البحر البسيط.
[2] أضاف د. طويل الواو؛ فأضحت: ((وخضتها)).
[3] البحر الطويل.
[4] البحر الطويل.
[5] جعلها د. طويل: ((إلى العين تنأى...)).
[6] في الإسكوريال: ((المدح)). وتصويت من الزيتونة.

رحلنـــا عن الأوج الرفيع نحلهـــا

من[1] أجل شـــتى ثم عدنـــا إلى الأوج

وقلت أخاطب شيخنا أبا الحسن بن الجياب [2]:

بين السهـــام وبين كتبـــك نسبـــة

مهما يصـــاب من العـــدو المقتل

وإذا أردت لهـــا زيـــادة نسبـــة

هذي وهـــذي في الكنانة تجعـــل

وقلت في البراغيث وفيها التجنيس [3]:

بتنـــا نكابد هـــم القحـــط ليلتنـــا

وأنجد السهد والكرب البراغيث[4]

وكنَّـــا نحمـــل[5] ما كنـــا نكابـــده

من المشقة لو أن البرى غيثـــا[6]

---

[1] جعلها د. طويل: ((لمن)).
[2] البحر الكامل.
[3] البحر البسيط.
[4] ورد هذا البيت في نفح الطيب هكذا:
((بتنـا نطارح هم القحط ليلتنا * وأيَّد الهمُّ والسهد البراغيثا)).
[5] في الأزهار: ((وكان يُحْمَل..)).
[6] البرى: التراب. غيثا: أصابه الغيث.

وقلت في ذلك [1]:

وقالوا بدت منكم على الجلد حمـــرة

فقلنـــا[2] براغيـــث لكم رقطونـــا[3]

عدت نحونا ليلا ومن بعد ذا امتدت[4]

كما رقصت في القلوب زرقطونا[5]

وقلت في معنى غريب [6]:

إن اللِّحاظَ هي السُّيوف حقيقة

ومن استراب فحجـــتي تكفيـــه

لم يدع غمد السيف جفنا باطلاً

إلاَّ تشبَّـــه اللحـــظ يغمـــد فيـــه

وقلت فيما يظهر منها:

هممـــت لأن أقبلهـــا بشيبـــتي

فأبدت عنـــد ذا سمة القنـــوط

---

[1] البحـر الطويـل.
[2] في النفـح: ((فقلـت)).
[3] أي نقشونـا؛ بالبقـع الحمـراء.
[4] في النفـح: ((اغتـدت)).
[5] نفسـه: ((..في القلـو بـزر قطُونـا)).
[6] البحـر الكامـل.

وقالـــت لي رأيتك في حياتي
جعلت بجسمي قطن الحنوطو

ومن الدعابة والفكاهة، قولي أخاطب رجلاً منتفخا بالجاه، يعطي أموره فوق حقها:

رفقا بنفســك سيــدي رفقــا
فالفضـــل أن تبرا وأن تبقى
أما مزاجــك فهــو معتــدل
لكن أظــن خيالــك استسقــا

وقلت في الغرض المذكور [1]:

رأيت بمخـــدومي انتفاخا فرابـــني
وباكرت دكان الطبيب كما وجب
فقـــال وقاك الله فيـــه فـــلا تخـــف
عليه فهذا النفـــخ ليس له سبـــب

[1] البحر الطويل.

وقلت على طريقة **المشارقة** [1]:

هَـــمَّ أن يَنْتِـــفَ ذَقْـــني   قلـــت[2] والاني بفضله
لـــم أكـــن أدخـــل إلا   أمرد[3] جنـــة وصلـــه

وقلت على طريقتهم أيضا [4]:

قلـــت لمـــا ســـألوني   بامتحاني واختبـــاري
أنـــا من عاري كأس   أنا من كـــاسي عـــار

وقلت على طريقتهم أيضا [5]:

وقالت حلقت الكس مني بنـــورة
فقلت لها استنصرت من ليس ينصر
ألا فاخبري[6] عني فديتك واصدقي
بحلق[7] ذاك الكـــس أني مقصـــر

---

[1] **مجزوء الرمل.**
[2] **سقطت هذه الكلمة في الإسكوريال؛ ووردت في الزيتونة.**
[3] **جعلها د. طويل: ((آملاً)).**
[4] **مجزوء الرمل.**
[5] **البحر الطويل.**
[6] **في النفح: ((فابلغي)).**
[7] **نفسه: ((محلّق)).**

وقلت في بعض الأصحاب، وقد أكثر من سرقة **كتب البرق الشامي للعماد الأصفهاني**، رحمه الله [1]:

خليلَيَّ إن يقض[2] اجتماع بخالد
فقولا له عني[3] ولن تعدوا الحقــا
سرقت العماد الأصفهاني[4] برقه
وكيف ترى في شاعر يسرق[5] البرقا

وقلت، وقد أرجف قوم من المرورين بظهور الخاتم [6]:

وقالوا قد[7] ظفرنا في الزمان بخاتم
قد اجتمعت أوصافه الغر في شخص
فقلت لهم إن صح ما قد ذكرتـــم
فلا بد أن يحتاج فيه إلى فـــص

---

[1] **البحر الطويل.**
[2] **في الأزهار: ((يُلْفَ)).**
[3] **نفسه: ((قولا)).**
[4] **نفسه: ((الأصبهانيَّ)).**
[5] **نفسه: ((سرق)).**
[6] **البحر الطويل.**
[7] **حذف د. طويل كلمة ((قد))؛ فغدت: ((وقالوا ظفرنا...)).**

وقلـت، ونستغفـر الله مـن السفاهـة [1]:

قالت بعقلك فاحتفظ كي لا تــرى
تبكي بضر ليس يعرف كاشفـــا
واعمل فديت حساب سحري وارعوي
فأنا الذي أخرجت على[2] سرّنا كاشفا

وقلـت مطاوعـا إخـوان الدعابـة [3]:

قالت إذا استخبرتها عن زوجها
هو يقـــرن الأزواج في الفـــدان
قلت ابلـــغي عني السلام تحيـــة
عند المـــجئ لزوجـــك القـــران

وقلـت وهـي نزعـة بيطاريـة [4]:

وذي زوجة تشكو فقلت له اسقها
دواء من الحـــب الملين للبطـــن

---

[1] البحـر الكامـل.
[2] حـذف د. طويـل كلمـة ((علـى))؛ فأضحـت: ((.. أخرجـت سرنـا..)).
[3] البحـر الكامـل.
[4] البحـر الطويـل.

فقالت أبت شرب الدواء بطبعها

فقلت أسقها إن عافت الشرب بالقرن

وقلت أخاطب بعض الطلبة، وكنية أبيه **أبو الربيع**، واتهمته بأكل الحشيش [1]:

إنني ابن سليمان وفي الفكر فترة

تخبـــر أن العقـــل جـــد مغيـــب

فقلـــت أظن السيـــد أعتم عمـــة

ولكنها في الأصل من كنية الأب

وقلت على طريق **المشارقة** والله ولي المغفرة [2]:

قـــال لي عندمـــا أتى بجـــدال

وشكوك على أصـــول الديـــن

ولســـاني يبـــدل الـــدال تـــا[3]

عاجزا[4] في الأمور عن تبييـــن

---

[1] **البحر الطويل.**
[2] **البحر الخفيف.**
[3] **في النفح: ((تاء)).**
[4] **نفسه: ((عاجزٌ)).**

التمس مخرجا يوافق قــولي
قلت أحسنــت يا حلاّل[1] التيــن

وقلت معارضا أبياتا مثلها لبعض المعاصرين [2]:

بعثــت لــه إذ اتبعنــا عصيــرا
هجــرنــا فــي تفقــده البيوتــا
لعلــك يا حبيــب القلــب تــأتي
فتأكــــل عندنــا عنبــا وتوتــا

وقلت أخاطب من أدل عليه، وما أولاني بذلك [3]:

إذا قمت قلــت[4] بعقيــب الكــرى
إلــهي أنــت إلـــه الـــورى
تباركــت أنشــأتهــم من تــراب
وأنشــأتني بينهــم مــن خـــرا

[1] في النفـح: ((جـلال))؛ بالجيـم المعجمـة التحتيـة.
[2] البحـر الوافـر.
[3] البحـر المتقـارب.
[4] في النفـح: ((قـل)).

وقلت وهي نزعة مشرقية [1]:

يا قايــدي نحو الغــرام بمقلــة

نفقــت حــلاوتهــا بكل فــؤادِ[2]

ماذا جنيت علي من مضض الهوى

اللــه ينصــف منــك يــا قَــوَّادِ[3]

وقلت فيمن رعى محبوبه عارضه في حال السكر، ولحية التيس دواء نافع للبطن [4]:

رعى عارضي ظبي شكى سقم بطنه

وقال ولم ترشد لحذق ولا كيــس

ألم تــر أني علــة البطن أشتــكي

وينفع من يشكو بها لحية التيــس

وقلت [5]:

حين لم أرج للخــلاص سبيــلا

دأبــه بالصــدود فــي عشاقــه

---

[1] البحر الكامل.
[2] في النفح: ((فؤادي)).
[3] نفسه: ((قوَّادي)).
[4] البحر الطويل.
[5] البحر الخفيف.

قيــض اللـــه لحيـــة لخلاصي

قبضـــت بالبنـــان فـــوق خناقـــه

وقلت في ذلك [1]:

لم أجـــد فيه ليـــن بث لقلـــبي

وقبـــولا لحجـــتي واعتـــذاري

ثقـــل اللـــه ظهـــــره بعيـــال

ســـود اللـــه وجهـــــه بعـــذار

وقلت في ذلك [2]:

ناديـــت مبتهلا وقد جن الـــدجى

لمـــا برمـــت بـــرده وبنهجـــه

يا رب واجعـــل لوعتي في قلبه

يا رب واجعل لمحتي في وجهه

وفي قريب من ذلك، والله العفو الغفور [3]:

لي حبيب لست أعصى أمـــره

لم أطـــق بعد وصـــال هجـــره

---

[1] **البحر الخفيف.**
[2] **البحر الكامل.**
[3] **بحر الرمل.**

يـــدعي أنـــي ثقيـــل مبـــــرم

أثقـــل اللـــه بعـــدلي ظهـــــره

وقلت في مجتمع فضلاء [1]:

أقـــول وقد جـــاء الغـــلام بمثردة

بأمثالهـــا يحـــيى السعيد وينعـــم

بنيـــت على زرد ولقمني الفـــتى

كذلـــك ماعـــون البـــناء يقلـــم

وقلت والله ولي التجاوز أداعب بعضهم [2]:

شيـــخ ربـــاط إن أتى شـــادن

خلوتـــه عند انســـدال الظـــلام

أدلـــى وقـــد أبصـــــره دلـــوه

وقـــال يا بشـــرى هذا غـــلام

وقلت مشيرا إلى بعض طبقات الغناء [3]:

ضرط الفقيه فقلت ذاك غريبـــة

ما كـــان ذلك منـــه بالمعلـــوم

---

[1] **البحر الطويل.**
[2] **البحر السريع.**
[3] **البحر الكامل.**

فرنـــا[1] إلي وقال قد أطرفتكــم[2]
من ضرطتي بغريبة المزمـــوم
وقلت أصف رجلا خبيثا غفر الله لي وله [3]:
وذي حيل يعي التقيـــة أمرهـــا[4]
مكايـــده في لجـــة الليل تسبـــح
يدب شبـــول الليث والليث ساهر
ويسرق ناب الكلب والكلب ينبح
وقلت في نزاعات المشارقة [5]:
أقول لعـــذالي لما نهاني
وقد وجـــد الملامة[6] إذ جفـــاني
علمـــت بأنـــه مـــر التجـــني
وفاتـــك أنـــه حلـــو اللســـان

---

[1] في النفـح: ((فدنـا)).
[2] نفسـه: ((أصرفتكـم)).
[3] البحـر الطويـل.
[4] في النفـح: ((أمـره)).
[5] البحـر الوافـر.
[6] في الأزهـار: ((المقالـة)).

ومن أغراض الإشارات الصوفية وغيرها من الوعظ والجد والحكم ولعل ذلك ماحيا لما تقدمه بفضل الله

قلت ربما ثبتت في **كتاب المحبة** [1] من تأليفي :

تعددت الألفــاظ واتحــد المعنى
وأصبح فــردا ما مرت به مثنى
وعادت لعين الجمع وهي كثيـــرة
محا كل فرق مجتلى وجهك الأسنى
تعبـــدت الأفكـــار آثارك العـــلا[2]
وقيدت الأبصار روضتك الغنـــا
وقصرت الألفاظ عن نيل غايـــة
ببعض الذي أبدته ذاتك من معنى

وقلت [3]:

لا ينكر لي[4] إن كنت قد أحببتكـــم
أو أنني استـــولى علي هواكـــم

---

[1] **هو كتاب روضة التعريف بالحب الشريف.**
[2] **جعلها د. طويل: ((العليا)).**
[3] **البحر الكامل.**
[4] **في النفح، والأزهار: ((لا تنكروا إن...)).**

طوعا وكرهـــا ما ترون فإنـــني
طفت الوجود فما وجدت سواكم

وقلت [1]:

والكـــون أشراك نفـــوس الورى
طـــوبى لنفـــس حـــرة فـــازت
إن لـــم تحـــز معرفة اللـــه قـــد
أورطها الـــشيء الـــذي حـــازت

وقلت أيضا في المشيب وما في معناه [2]:

أنى لمثـــلي بالهوى من بعد مـــا
للوخـــط بالفوديـــن[3] أي دبيـــــب
لبس البيـــاض وحـــل ذروة منبر
مني ووالى الوعظ فعل خطيـــب

[1] البحـر السريـع.
[2] البحـر الكامـل.
[3] في النفـح: ((في الفوديـن)).

وقلت في تعلل يناقض ذلك [1]:

قلت للشيــب لا يربــك جفــائي

في اختصاري لك البرور ومقتك

أنت بالعتــب يا مشيــبي أولـــى

جيتني فجــأة وفي غيــر وقتــك

فقلت [2]:

طال حــزني لنشــاط ذاهــب

كنــت أسقى دايمــا من خانِــهِ[3]

وشبــاب كان ينــدى نضــرة

نــزل الثلــج عــلى ريحانــه

ونظرت يوما إلى ولدي فأعجبتني شيبته فقلت [4]:

سرق الدهــر شبابي من يــدي

ففــــؤادي مشعــر بالكمـــد

---

[1] البحر الخفيف.

[2] بحر الرمل

[3] في النفح: ((حانِهِ)).

[4] بحر الرمل.

وحملـــت[1] الأمـــر إذ أبصرتـــه
بـــاع ما أفقـــدني من ولـــــدي

وقلـت وهـو الحـق [2]:

أنظر خضـــاب[3] الشيب قد نصـــلا
ورائـــد العيـــش بعـــده انفصـــلا
ومطلـــبي[4] والـــذي كلفـــت بـــــه
قد رمت تحصيله فمـــا حصـــلا
لا أمـــل مسعـــــف ولا عمـــــل
نحـــن[5] في ذا والموت قد وصـــل

وقلـت [6]:

قحطنـــا ثم صاب الغيث رحـــمى
فشكـــرا يـــا حمـــام إذا الغطتّـــا[7]

---

[1] في النفـح: ((وحمـدت)).
[2] بحـر المنسـرح.
[3] جعلهـا د. طويـل: ((لخضـاب))؛ بإضافـة الـلام.
[4] في الزيتونـة: ((وبقلـبي)).
[5] أضـاف د. طويـل الـواو؛ فغدت: ((ونحـن)).
[6] البحـر الوافـر.
[7] جعلهـا د. طويـل: ((غططتـا)).

ويا غيـــث الرضـــا عنا انسكابـــا

فأنـــت على الخبيـــر به سقطتـــا

وقلت لما أخذت في طريقة **أبي الفرج** [1]:

فعدت لتذكيـــر ولو كنت منصفـــا

لذكرت نفسي فهي أحـــوج للذكـــرى

إذا لم يكـــن مني لنفسي زجـــرا

فيا ليت شعري كيف نفعل[2] في أخرى*[3]

***

[1] في الزيتونـة: ((وقلت على طريقة أبي الفرج الجوني)). وهذان البيتـان مـن البحـر الطويـل.

[2] في الزيتونـة: ((أفعل)).

[3] * هنـا يكمل مخطوط الزيتونـة للإحاطـة؛ حيث ختـم بعد هذه المقطوعـة بقول الناسـخ: ((انتـهى كتـاب الإحاطـة بحمـد اللـه وعونـه؛ وصـلى اللـه على سيدنـا ومولانـا محمد الكريم ورسولـه الرحيـم؛ وأخصـه بأفضـل التسليـم؛ ورضي اللـه عن العليـة خير أصحابـه، وعـن الصفـوة الصايتـة أهل بيعتـه؛ وبـه نتوسـل أن يمـن علينـا بشفاعتـه؛ ولا حـول ولا قـوة إلاّ باللـه العلـي العظيـم)). جـاء هـذا في اللوحتيـن: 301 - 302.؛ ثـم كتـب: ((ووافـق الفـراغ منـه يـوم الثلاثـاء الثامـن والعشـرون مـن جمـادى الثانيـة عـام 1273)).

وقلت وأنا **بسلا** وقد أحسست غفلة، والحال كله كذلك[1]:

أيا أهل هذا القطر ساعده القطر
دهيت[2] فدلوني لمن يرفع الأمــر

تشاغلــت بالدنيا ونمت مفرطــا
وفي شغلي أو نومتي سرق العمر

وقلت في منكانة الرمل وهو بديع [3]:

منكانـــة الرمل فيها عبـــرة ونـــهى
وشاهـــد أن كـــلا منقـــض كمـــدا

لباب عمر الفتى يجـــري بجريتهـــا
كأنما العمـــر لما أطلقـــت فصـــدا

ولـم ارتجلت ذلك استزاد الحاضرون فقلت [4]:

تأمل الرمل في المنكان[5] منطلقــا
يجري وقدره عمرا منك منتهبـــا

---

[1] البحـر الطويـل.
[2] في النفـح: ((بُلِيتُ)).
[3] المنكانـة، أو المنقانـة: آلـة لتحديـد أوقـات النـهار؛ وهي ساعـة ذلـك الزمـن. والبيتـان مـن البحـر السريـع.
[4] البحـر البسيـط.
[5] في الأزهـار، والنفـح: ((المنقـان)).

والله لو كان وادي الرمل ينجده
ما طال[1] طايلــــه إلا وقد ذهـــب

وقلت في قريب منه [2]:

حَمَى الفلك الدوار جفني عن الكرى
لشتى هموم منه فكري يجنيهـــا
أراه رحى قين وعمري صفيحة
يكـــر عليها بالمـــدار فيفنيهـــا

وقلت في الوصايا [3]:

إذا ما النفس مالت نحو حســـن
فقد خطرت على خطر الولوع
فإن أحســـت بالمَيْـــل[4] أدركهـــا
فما بعد المميل سوى الوقـــوع

---

[1] في النفح: ((ما طال كامله))، وفي الأزهار: ((ما كان كامله)).
[2] البحر الطويل.
[3] البحر الوافر.
[4] جعلها د. طويل: ((ميله)).

وقلت في المعنى [1]:

إذا صرفت نحو وجـــه حســـن

طرفك واستهداك للحين الطمـــع

فلا تمل قلبك ما استطعت[2] لـــه

فالقلـــب كالحائط أن مال وقـــع

وقلت [3]:

أخي لا تقـــل كذبـــا إن نطقـــت

فللناس في الصدق فضل وضـــح

وخف إن كذبت طُروٌّ افتضـــاح

فما كذب الفجـــر إلا افتضـــــح

وقلت منحيا على عالم الكون والفساد [4]:

واللـــه لو كانت حياتي في يـــدي

مع جهـــل وعد الله أو لقيـــاه

[1] بحر الرجز.
[2] جعلها د. طويل: ((ما اسطعت)).
[3] البحر المتقارب.
[4] البحر الكامل.

في خفض عيش لا تكلف منة الـــ
ـــإنســـان مطعمـــه ولا سقيـــاه
ما كـــان هذا العالـــم الجم الأذى
ممـــا يؤمـــل عاقـــل بقيـــاه

وكتبت في بعض الحيطان لما اجتزت على مدينة **سبتة** [1]:

أقمنـــا برهـــة ثـــم ارتحلنـــا
كذلك الدهـــر حال بعد حـــال
وكـــل بدايـــة فـــإلى انتهـــاء
وكل إقامـــة فـــإلى ارتحـــال
ومن سام الزمـــان بعام أمـــر[2]
فقد وقف الرجاء على المحال

ولنختم غرض هذه المقطوعات بقولي، ولا حول ولا قوة إلا بالله[3]:

عـــد عن كيت وكيـــت ما عليها غيـــر ميـــت
كيف ترجو[4] حالة البقا ء[5] لمصبـــاح وزيـــت

---

[1] البحـر الوافـر.
[2] في النفـح: الزمـان دوامَ حـال)).
[3] مجـزوء الرمـل.
[4] في الأزهـار: ((تـرجى)).
[5] في النفـح، والأزهـار: ((البقيـا)).

ومن الموشحات التي انفرد باختراعها الأندلسيون، وقد طمس اليوم رسمها؛ قولي

رب ليــل ظفرت بالبــدر ونجــوم السمــا لم تــدر
حفــظ الله ليلنـــا ورعى أي شمل من الهوى جمعا
غفــل الدهــر والرقيــب معــا

ليت نهر السِّــر[1] لم يجــر حكم الله لي على الفجــر
علل النفس يا أخا الطرب[2] بحديث أحلى من الضَّرَبِ
في هــوى مــن وصالــه أرب[3]

كلما مــر ذكر من أدري[4] قلت يا برده على صـــدر
صاح لا تهتــم[5] بأمر غــد وأجــز صرفها يدا بيــد
بيــن نهـــر وبلبــل غــرد

---

[1] في النفح، والأزهار: ((نهر النهار)).
[2] نفسهما: ((العرب)).
[3] نفسهما: ((أربي)).
[4] نفسهما: ((تدري)).
[5] نفسهما: ((تهتمِمْ)).

وغصون تميل[1] من سكــر   أعلنت الغمــام[2] بالشكــر
يا مرادي ومنتهى أمــلي   هاتهــا عسجديــة الحلــل
حلــت الشمــس منــزل الحمــل

ورد[3] الربيــع في نشــر   والصبــا عنبرية النشــر
غرة الصبح هذه وضحت   وقيان الغصون قد صدحت
وكــأن الصبــا إذا نفحـــت

وسما[4] طيبها عن الحصــر   مدحة في علا بني نصــر
هم ملوك الورى بلا ثنيــا   مهدوا الدين زينوا الدنيــا
وحــمى اللــه منهــم العليـــا

فالإمام[5] المرفــع الخطــر   والغمام المبارك القطــر
إنمــا يوسف إمام هــدى   جاز في المعلوات كل مدى

---

[1] في الأزهـار: ((تميـد)).
[2] في النفـح، والأزهـار: ((يـا غمـام)).
[3] في النفـح: ((وبـرود))، وفي الأزهـار: ((وبنـود)).
[4] في الأزهـار، والنفـح: ((وهفـا)).
[5] نفسهمـا: ((بالإمـام)).

قــل لدهــر بملكـــه سعــــدا

افتخـــر واجبا[1] على الدهر كافتخار الربيع بالزهــر
يا عماد العــلاء والمجــد أطلع العيد طالع السعــد
ووفى الفتـــــح بـــه بالوعــــــد

وتجلت فيه على العصــر[2] غرر من طلايع النصــر
فتهنـــأ من حسنه البهـــج بحيـــاة النفوس والمهـــج
واستمعهـــا ودع مقـــال شـــجي
قسما بالهوى لذي حجــر ما لليـــل المشوق من فجر

***

ومـن ذلـك قـولي أيضـا [3]:

زمن الأنـــس كلما ولى رده معـــوز فاغتنم منك ريق العمروهو مستوفــز
أطرد الهم بابنـــة العنـــب وأحــل غيــم الثـــرى
عن شموس عكفن في حجب عـــن عيـــون الـــورى
هي كنز من خالص الذهب حـــل عنـــد العـــــرا

[1] **في النفـح، والأزهـار: ((جملـة)).**
[2] **نفسهمـا: ((القصـر)).**
[3] **سقطت خرجـة هذا الموشح في الأصل.**

كم فقير أتى على وعد فيه يستنجز   والوعيد الشديد معروف للذي يكنــز
أضحك الفجر مبسم الشرق   فاستــراب الظـــــلام
وانتضى الأفق صارم البرق   مـــن قـــراب الغمـــام
وتحلـــت ترايب الـــورق   در زهـــــر الكمـــــام

ولجيش الصباح في الأفق راية تركز   وخيول السحاب بالبرق أبد تنهمر[1]
وقـــدود الغصون ترتـــاح   للقـــــــاء النسيــــم
وشميـــم الريـــاض نفـــاح   كثنــــــاء الكريـــــم
ومحيـــا الصبـــاح يلتـــاح   في الجمـــال الوسيـــم

وخطيب الحمام في الغصن مسهب موجز   ينكر النوم فهو بالعتب مفصح ملغز
للهـــوى قدوة من النـــاس   ذات نهـــج قويـــــم
لا ترى في المدام من بأس   وارتشـــاف النديـــــم
بحديث الغـــرام والكـــأس   في الزمـــان القديـــم

طَوِّرْ وَاصْفَحْ كُلَّ ديوانٍ وبهِ طَرِّزْ   ما لا تُجِزْ في شريعة الظَّرْفِ غير ما جَوَّزْ
قف ركاب المدايح الغــر   بأهـــل بـــرِّ الهـــدى
يوسف الملك نخبة الأمـــر   غيـــث أفـــق النـــدى

---

[1] جعلها د. طويل: ((تنهز)).

من لأسلافــه بني نصــر   في جهـــاد العـــدى
***

وكتبت عن السلطان **أبي الحجاج** ابن السلطان **أبي الوليد بن نصر**، رحمه الله، إلى التربة المقدسة، تربة رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ وهي من أوليات ما صدر عني في هذه الأغراض [1]:

إذا فاتــني ظل الحمى ونعيمــه
فحَسْبُ[2] فــؤادي أن يهب نسيمه
ويقنعنـــي أنـــي بـــه متكيــف[3]
فزمزمه دمـــعي وجسمي حطيمه
يعود فؤادي ذكر من سكن الغضا
فيقعـــده فـــوق الغضا[4] ويقيمـــه
ولم أر يوما[5] كالنسيم إذا ســـرى
شفا سقم القلب المشوق سقيمـــه

---

[1] البحر الطويل.
[2] في ريحانة الكتاب، ونفاضة الجراب، وصبح الأعشى: ((كفاني وحسبي أن...)).
[3] في النفح: ((مُتكنِّفٌ)).
[4] في ريحانـة الكتـاب: ((القضـا)).
[5] في النفـح، وصبـح الأعشى: ((شيئـا)).

نعلـــل بالتذكار نفســا مشوقـــة

يديــر عليهــا كأســه ويديمــه[1]

وما شَفَّــني[2] بالغــور قد مُرَنَّــم[3]

ولا شاقني من [حش وجدة][4] ريمه

ولا سهــرت عيني لبرق ثنيـــة

من الثغر يبدو موهنــا فأشيمــه[5]

بـــراني شوق للنـــبي محمـــــد

يسوم فؤادي برحه[6] ما يسومــه

ألا يا رسول اللـــه ناداك ضارع

على البعد[7] محفوظ الوداد سليمــه

مشـــوق إذا ما الليل مد رواقــه

تحث[8] به تحــت الظلام همومــه

---

[1] في صبح الأعشى، والنفح: ((نديـر عليهـا كأسـه ونُديمـه)).
[2] في النفاضـة: ((ومـا هاجـني)).
[3] في النفـح: ((مُرَنَّـح))، وفي الصبـح: ((رنـد مُرَنَّـحٌ)).
[4] في الريحانـة، والنفاضـة، والصبـح، والنفـح: ((وحـش وجـرة)).
[5] في النفاضـة: ((فيشيمـه)).
[6] في الإسكوريال: ((بحـره))؛ وصححت من النفح. وفي الريحانة: ((بحـدِّه)).
[7] في النفـح: ((علـى النـأي)).
[8] في الريحانـة، والنفاضـة، والصبـح، النفـح: ((تـهـمُّ)).

إذا ما حديث عنك جاءت به الصبا
شجاه من الشوق الحديث[1] قديمه
أيجهـــر بالنجوى وأنت سميعهـــا
ويشرح ما يخفي وأنت عليمـــه[2]
وتعـــوزه السقيا[3] وأنـــت غياثـــه
وتتلفـــه البلوى[4] وأنـــت رحيمـــه
بنورك نور الله قد أشرق الهدى
فأقمـــاره وضـــاحـــة ونجومـــه
[لك[5] أنهل فضل الله بالأرض[6] ساكبا
فـــأنـــواؤه ملتفـــــة وغيومـــه][7]
ومن فوق أطباق السماء بك اقتـــدى
خليـــل الذي أوطاكها[8] وكليمـــه

---

[1] في النفاضـة، والنفـح: ((الحثيـث)).
[2] ورد هـذا البيـت في نفاضـة الجـراب هكـذا:
((أيجهر بالشكـوى وأنت سميعـه * أيعلـن بالنجـوى وأنـت عليمـه)).
[3] وفي النفاضـة: ((أتعـوزه السقيـا))
[4] في النفـح: ((وتتلفـه الشكـوى))، وفي النفاضـة: ((أتتلفـه البلـوى)).
[5] في الصبـح: ((بـك)).
[6] نفسـه: ((في الأرض)).
[7] سقـط هـذا البيـت في االإسكوريـال، والريحانـة؛ وورد في النفـح، والصبـح.
[8] في الإسكوريـال: ((أوطاكـه))، وفي الريحانـة: ((أوطـا لهـا)).

لك الخلق الأرضى الذي جل ذكره[1]
ومجدك[2] في الذكر الحكيم[3] عظيمه
يجل مدى علياك عن مدح مادح
فموسر در القــول فيك عديمــه
ولي يا رسول اللـــه فيك وراثة
ومجدك لا ينسى الزمام[4] كريمه
وعندي إلى أنصـــار دينك نسبة
هي الفخر لا يخشى انتقالا مقيمــه
وكـــان بـــودي أن أزور مبـــوأ
بك افتخـــرت أطلالـــه ورسومه
وقد يجهد الإنسان طرف اعتزامه
ويعـــوزه من بعـــد ذاك مرومـــه
وعذري في تسويف عزمي ظاهر
إذا ضاق عذر العزم عمن يلومه

[1] في النفاضـة، والصبـح: ((الـذي بـان فضلـه)).
[2] في الريحانـة، والصبـح: ((ومجـد)).
[3] في النفاضـة، والنفـح: ((العظيـم)).
[4] في الريحانـة، والنفاضـة، والصبـح، والنفـح: ((الذمـام)).

عَدَتْني بأقصى الغرب عن تُربك العدا[1]

جلالقـــة الثغر الغريـــب ورومه

أجاهـــد منهم في سبيلـــك أمـــة

هي البحر يعيي أمرها من يرومه

فلولا اعتناء منك يا ملجأ الورى[2]

لريع حمـــاه واستبيح حريمـــه

فلا تقطع الحبل الذي قـــد وصلته

فمجدك موفور النـــوال عميمـــه

وأنت لنا الغيث الذي نستـــدره

وأنت لنا الظل الـــذي نستديمـــه

ولما نـــأت داري وأعوز مطمعي

وأقلقني شـــوق يُشَبُّ[3] جحيمـــه

بعثت بهـــا جهد المقـــل معـــولا

على مجدك الأعلى الذي جل خيمه

---

[1] ورد هذا الشطر في النفاضة هكذا: ((وأسد جهـاد أذعنـت لسيوفهـم)).
[2] ورد هذا الشطر في النفاضة هكذا: ((فلولاهـم يا خير من سكن الحمى)).
[3] في الصبـح: ((تشـبّ)).

وكلت بها همي وصدق قريحتي[1]
فساعدهـــا[2] هاء الروي وميمـــه
فلا تنسني يا خير من وطىء الثرى
فمثلـــك لا ينسى لديـــه خديمـــه
عليك صلاة اللـــه ما ذَرَّ[3] شارق
وما راق من وجهه الصباح وسيمـــه

إلـى رسـول الحـق، إلـى كافـة الخلـق، وغمـام الرحمـة الصـادق البـرق، والحايز [4] فـي ميـدان اصطفـاء الرحمـن قصـب السبـق، خاتـم الأنبيـاء، وإمـام ملائكـة السمـاء، ومـن وجبـت لـه النبـوة، **وآدم** بيـن الطيـن والمـاء، شفيـع أربـاب الذنـوب، وطبيـب أدواء القلـوب، ووسيلـة [5] الخلـق إلـى عـلام الغيـوب، نـبي الهـدى الـذي طهـر قلبـه. وغفـر ذنبـه، وختـم بـه الرسالـة ربـه، وجـرى فـي النفـوس مجـرى الأنفـاس

---

[1] ورد هـذا الشطـر في النفاضة هكذا: ((وكلت بها همّي وأغريت همتي)).
[2] في الريحانـة: ((فساعد في هـاء..))، وفي النفاضـة: ((فساعدهـا هـاء للـروي..))، وفي النفـح: ((فساعدني هـاء)).
[3] في الريحانـة: ((مـا دَرَّ))؛ بالـدال المهملـة.
[4] في النفـح: ((الحائـز))؛ بـدون الـواو.
[5] نفســه: ((والوسيلـة إلى عـلاّم الخلـق...)).

حبه، المُشفَّع [1] يوم العرض، المحمود في ملإ السماوات [2] والأرض، صاحب اللواء المنشور [3]، والمؤتمن على سرّ الكتاب المسطور، ومخرج الناس من الظلمات إلى النور، المؤيد بكفاية الله وعصمته، [الموفور حظه من عنايته ونعمته] [4]. الظل الخفاق على أمته من لو حازت الشمس بعض كماله، ما عدمت إشراقا، أو كانت للآباء رحمة قلبه، ذابت نفوسهم [5] إشفاقا، فائدة [6] الكون ومعناه، ومعناه، وسرّ الوجود الذي بَهَرَ [7] الوجود سناه، وصفي حضرة القدس الذي لا ينام قلبه إذا نامت عيناه، البشير [8] الذي سبقت له البشرى، ورأى من آيات آيات ربه الكبرى، ونزل عليه [9]: ﴿سُبْحَانَ الذِي

[1] في النفح: ((الشفيع المُشَفَّعْ)).
[2] في الصبح، والنفح: ((السماء)).
[3] نفسهما: ((المنشور يوم النشور)).
[4] هذه العبارة ساقطة في الإسكوريال. بينما كتب في الصبح، والنفح: ((وحرمته)).
[5] سقطت هذه الكلمة في الإسكوريال.
[6] في الريحانة: ((فآيته الكون)).
[7] نفسه: ((يبهر)).
[8] في النفح: ((البيرق)).
[9] في الإسكوريال، والريحانة، والصبح: ((فيه)).

أسْـرَى﴾[1]. الأنــوار [2] مــن عنصــر [3] نوره مستمدة. [مستمدة. [والآثار [4] من آثاره مستجدة] [5]؛ من طوي بساط الوحي لفقده، وسد باب النبوة [6] والرسالة من بعده، وأوتي جوامع الكلم، فوقف [7] البلغاء حسرَى دون دون حده، الذي انتقل في الغرر الكريمة نوره، وأضاءت لميلاده [8] مصانع **الشأم** وقصوره، وطفقت الملائكة تُحيِّيه [9]، وفودها وتزوره. وأخبرت الكتب المنزلة على الأنبياء بأسمائه وصفاته، [فجاء بتصديق الخبر ظهوره] [10]؛ وأخذ عهد الإيمان[11] على من اتصلت بمبعثه منهم أيام حياته][12]؛ المفزع الأمنع يوم الفزع الأكبر،

---

[1] **الآية كاملة هكذا: (سُبحَانَ الذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ المَسْجِدِ الحَرَامِ إِلى المَسْجِدِ الأقصَا الذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ). سورة الإسراء؛ الآية: 1.**

[2] **في الصبح، والنفح: ((من الأنوار)).**

[3] **أي من أصل.**

[4] **في الريحانة، والصبح، والنفح: ((والآثار تخلق وآثاره مستجدة)).**

[5] **كتبت هذه العبارة في النفح كالآتي: ((والآثار تخلق وآثاره مستجدة)).**

[6] **في النفح، والصبح: ((باب الرسالة والنبوة)).**

[7] **في الريحانة، والصبح، والنفح: ((فوقفت)).**

[8] **في الإسكوريال: ((لنوره)).**

[9] **في النفح: ((تجيئه)).**

[10] **هذه العبارة ساقطة في النفح، والصبح.**

[11] **في الصبح: ((الأنبياء به)).**

[12] **هذه العبارة ساقطة في الإسكوريال .**

والسنـد[1] المعتمـد عليـه[2] في أهـوال المحشر، ذو[3] المعجزات [4] المعجزات [4] الـتي أثبتتها المشاهـدة والحس، وأقرّ بها الجن والإنس، من جماد يتكلم، وجذع لفراقه يتألـم، وقمر لـه ينشـق، وشجـر [5] يشهـد أن ما جاء به هـو الحـق، وشمس بدعائه عن مسيرها تحبس، وماء من أصابعه الكريمة [6] ينبجس [7]، وغمام باستسقائه يصوب، وركيّة [8] بصق في في أجاجها [9]، فأصبح ماؤها وهو العذب المشروب، المخصوص بمناقب الكمال، وكمال المناقب، المسمى بالحاشر [10] والعاقب [11]، ذو المجد البعيد المراقي[12] والمرقب[13]، أكرم من [رفعت إليه][14] وسيلة المعترف

[1] في الإسكوريـال: ((السيـد))؛ والتصويـب مـن النفـح.
[2] سقطت كلمـة: ((عليـه)) في الريحانـة.
[3] في الصبـح: ((ذي)).
[4] في الإسكوريـال: ((المشاهـد)).
[5] في الريحانـة، والنفـح: ((وحجـر)).
[6] كلمـة الكريمـة سقطت في الريحانـة، والصبـح، والنفـح.
[7] في الصبـح، والنفـح: ((يتبجَّس))، وفي الريحانـة: ((ينفجـر)).
[8] في الصبـح، والنفـح: ((وطـوىً)).
[9] أي مالحهـا.
[10] في الريحانـة: ((الحاسـر)).
[11] في الصبـح، والنفـح: ((العاقـب))؛ بـدون الـواو.
[12] نفسهمـا: ((المـرامي)).
[13] في الريحانـة: ((والمراتـب)).
[14] في الإسكوريـال والريحانـة: ((بعثـت إليـه)).

والمغترب[1]، سيد الرسل، **محمد بن عبد الله بن عبد المطلب**، الذي فاز بطاعته المحسنون، واستنقذ بشفاعته المذنبون، وسعد باتباعه الذين: ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[2]. صلى الله عليه وسلم، ما لمع برق، وهَمَعَ وَدْق[3]، وطلعت شمس، ونسخ اليوم أمس. من عتيق شفاعته، وعبد[4] طاعته المعتصم بسببه، المؤمن بالله ثم به، المستشفي بذكره كلما تألم، المفتح بالصلاة عليه[5] كلما تكلم؛ الذي[6] [إن ذكر][7] تمثل طلوعه بين أصحابه أصحابه وآله، وإن هب النسيم العاطر، وجد فيه طيب خلاله، وإن سمع الآذان تذكر صوت **بلاله**[8]، وإن ذكر

---

[1] في الريحانة، والصبح، والنفح: ((المتغرب)).
[2] وردت هكذا في سور وآيات عديدة؛ هي: سورة البقرة؛ الآيات: 38 - 62 - 112 - 262 - 274 - 277؛ وآل عمران؛ الآية: 170؛ والمائدة؛ الآية: 69؛ والأنعام؛ الآية: 48؛ والأعراف؛ الآية: 35؛ ويونس؛ الآية: 62؛ والزخرف؛ الآية: 13.
[3] أي وسقط المطر.
[4] في الريحانة: ((وعهد)).
[5] سقطت كلمة ((عليه)) في الريحانة.
[6] في الريحانة: ((الذي يمثل طلوعه...)).
[7] هذه العبارة ساقطة في الإسكوريال.
[8] هو مؤذن رسول الله، وخازن بيت مال المسلمين؛ أبو عبد الله بلال الحبشي. توفي بدمشق سنة 20هـ.

ذكر القرآن، استشعر [1] تردد **جبريل** بين معاهده وخلاله [2]، لاثم تربه، ومؤمل قربه، ورهين طاعته وحبه، المتوسل [3] به إلى رِضَى الله ربّه [4]، **يوسف بن إسماعيل بن نصر** [5]، كتبه إليك يا رسول الله، والدمع ماح، وخيل الوجد ذات جماح، عن شوق يزداد كلما نقص الصبر، وانكسار لا يتاح له إلاّ بدنو مزارك الجبر؛ [وكيف لا يُعيي [6] مشوقك الأمر وتوطأ على كبده الجمر] [7] الجمر] [7] وقد مطلت الأيام بالقدوم على تربتك [8] المقدسة المقدسة اللحد، ووعدت الآمال، ودانت بإخلاف الوعد، وانصرفت الرفاق والعين، بإثمد [9] ضريحك ما اكتحلت، والركائب إليك ما ارتحلت [10]، والعزائم قالت وما فعلت، والنواظر في تلك المشاهد الكريمة لم تسرح،

---

[1] ساقطة في الإسكوريال، والريحانة.
[2] في الريحانة: وجلاله))، وفي الصبح: ((وحلاله))؛ بالحاء المهملة.
[3] في الإسكوريال: ((المتوصل)).
[4] في الريحانة: ((وربه)). وهو خطأ.
[5] هو السلطان أبو الحجاج؛ سابع سلاطين بن الأحمر.
[6] في الصبح: ((يُعْنى مشوقك بالأمر، ويوطئ..)).
[7] هذه العبارة ساقطة في الإسكوريال. وفي الريحانة: ((الحجر))؛ وهو خطأ.
[8] في النفح: ((تربك)).
[9] في الريحانة: ((بإثر))؛ وفي الصبح، والنفح: ((بنور)).
[10] في الصبح، والنفح: ((رحلت)).

وظهور [1] الآمال عن ركوب[2] العجز لم تبرح، فيا لها [3] لها [3] معاهد فاز من حياها، ومشاهد ما أعطر رياها، بلاد بلاد نيطت بها عليك التمائم[4]، وأشرقت بنوك منها النجود والتهائم. ونزل في حجراتها عليك الملك، وانجلى بيضاء فرقانك فيها الحلك[5]، مدارس الآيات والسور، ومطالع المعجزات السافرة الغرر، حيث قضيت الفروض وختمت، وافتتحت [سور الوحي] [6] وختمت، وابتديت [7] الملة الحنيفة وتممت، ونسخت الآيات وأحكمت. أما والذي بعثك بالحق هاديا [وأطلعك للخلق نورا باديا] [8]؛ لا يطفي غلتي إلاّ شربك، ولا يسكن لوعتي إلا قربك، فما أسعد من أفاض من حرم الله إلى حرمك، وأصبح بعد أداء ما فرضت عن الله ضيف كرمك، وعفر الخد في معاهدك ومعاهد أسرتك، وتردد

[1] نفسهما: ((وطيور)).
[2] نفسهما: ((وُكُور))؛ أي أعشاش الطيور.
[3] في الريحانة، والصبح، والنفح: ((فيا لها من معاهد))؛ بإضافة كلمة ((من)).
[4] أي ما يعقد في العنق من خرز.
[5] أي الظلام الشديد.
[6] في النفح: ((سورة الرحمن)).
[7] في الريحانة: ((وأبدئت)).
[8] سقطت هذه العبارة في الإسكوريال.

ما بين دارَيْ بعثتك وهجرتك.[1] وإني لما عاقتني عن زيارتك العوائق وإن كان شغلي عنك بك، وصدتني[2] الأعداء فيك عن وصل سببي بسببك، وأصبحت بين[3] بحر تتلاطم أمواجه، وعدو تتكاثف أفواجه، ويحجب الشمس عند الظهيرة عجاجه، في طائفة من المؤمنين بك، وطنوا على الصبر نفوسهم، وجعلوا التوكل على الله وعليك لبوسهم[4]، ورفعوا إلى مصارحتك رؤوسهم، رؤوسهم، واستعذبوا في مرضاة الله[5] ومرضاتك[6] ومرضاتك[6] بوسهم[7]، يطيرون من هيعة إلى أخرى، أخرى، ويلتفتون[8] والمخاوف[9] عن[10] يمنى ويسرى، ويسرى، ويقارعون وهم الفئة القليلة، جموعاً كجموع

---

[1] أي: مكة والمدينة.
[2] في النفح، والصبح: ((وعدتني)).
[3] في الصبح: ((ما بين)).
[4] أي دروعهم.
[5] في النفح، والصبح: ((مرضاة الله تعالى...)).
[6] هذه الكلمة ساقطة في الإسكوريال.
[7] في الإسكوريال، والريحانة: ((نفوسهم))؛ واختار عنان ما ورد في النفح.
[8] نفسهما: ((وينفلتون))، وفي الصبح: ((ويتلفتون)).
[9] في الريحانة: ((والمحاربون)).
[10] سقطت كلمة ((عن)) في الصبح.

قيصر وكسرى، لا يبلغون من عدو[1] وهم[2] الذر من انتشاره عُشْرَ[3] معشاره، قد باعوا من الله تعالى [4] الحياة الحياة الدنيا؛ لأن تكون كلمة الله هي العليا. فيا له من سرب مروع، [وصريخ إلاّ منك [5] ممنوع] [6] ودعاء ودعاء إلى الله [7] وإليك مرفوع. وصبية حمر الحواصل، تخفق فوق أكارها [8] أجنحة المناصل، والصليب قد تمطى يَمدُّ [9] ذراعيه ورفعت الأطماع بضبعيه، وقد حجبت بالقتام السماء، وتلاطمت أمواج الحديد والبأس الشديد، فالتقى الماء؛ ولم يبق إلاّ الذّمَاء [10]. وعلى ذلك فما ضعفت البصائر، ولا ساءت الضنون، وما وعد به الشهداء تعتقده القلوب، حتى تكاد تشاهده [11] العيون،

[1] في الإسكوريال: ((عدد)).
[2] في الريحانة، والنفح: ((هو))، وفي الصبح: ((من عدوّ كالذّرّ عند انتشره...)).
[3] في الريحانة، والصبح: ((معشار)).
[4] سقطت كلمة ((تعالى)) في الريحانة.
[5] في الصبح: ((عنك))، وفي الريحانة: ((صريخ عنك...)).
[6] ما بين حاصرتين سقط في الإسكوريال.
[7] في الريحانة: ((إليك وإلى الله مرفوع)).
[8] في الريحانة، والصبح، والنفح: ((أوكارها)).
[9] في النفح: ((فمدّ))، وفي الصبح: ((ومدّ)).
[10] أي إلا بقية الروح في الجسد.
[11] في الصبح: ((تراه)).

إلى أن نلقاك [1] غداً إن شاء الله. وقد أبلينا العذر[2]، وأرغمنا الكفر، وأعملنا في سبيل الله وسبيلك البيضَ والسُّمْر[3]. استنبت رقعتي هذه لتطير إليك [من شوقي] [4] بجناح خافق، وتشعر [5] نيتي التي تصحبها برفيق برفيق مرافق، فتؤدِّي [6] عن عبدك وتبلغ، وتعفر الخد في تُرْبك [7] وتمرغ، وتطيب بريَّاها [8] معاهدك الطاهرة وبيوتك، وتقف وقوف الخشوع والخضوع [9] تجاه تابوتك، تابوتك، وتقول بلسان التملق عند التشبث بأسبابك والتعلق، منكسرة الطرف، حذرا بَهْرَجُها [10] من عدم الصرف. يا غياث الأمة، وغمام الرحمة، ارحم غربتي وانقطاعي، وتغمد بطولك قصر باعي، وقوّ علي هيبتك

---

[1] في الريحانـة: ((أتلقـاك)).
[2] أي أدَّينـا العُذْر وقدَّمنـاه.
[3] أي السيـوف والرمـاح.
[4] سقطت هـذه العبـارة في الإسكوريـال، والريحانـة.
[5] في النفـح، والصبـح: ((وتُسْعَد مـن نِيَّـتي...)).
[6] في الريحانـة: ((فيـؤدي)).
[7] في الصبـح: ((تربتـك)).
[8] في الريحانـة، والصبـح، والنفـح: ((بريَّـا))؛ وهـو أصـوب.
[9] في النفـح: ((الخضـوع، والخشـوع)).
[10] في الريحانـة: ((بمرجهـا)).

خَوَر [1] طباعي. فكم جزت من لج مهول، وجبت من حزون وسهول، وقابل بالقبول نيابتي، وعجل بالرضا إجابتي، ومعلوم من كمال تلك الشيم، وسَخا[2] تلك الدِّيَم، أن لا يخيب [3] قصد من حط بفنايها، ولا يظمأ وارد وارد أكب على إنائها [4]. اللهم يا من جعلته أول الأنبياء بالمعنى وآخرهم بالصورة، وأعطيته لواء الحمد، يسير **آدم** فمن دونه، تحت ظلاله المنشورة، وملكت أمته ما زوي له من زوايا البسيطة المعمورة، وجعلتني من أمته المجبولة على حبه المفطورة [5] [وشوَّقتني إلى معاهده المبرورة ومشاهده المزورة] [6] ووكلت لساني بالصلاة عليه، وقلبي وقلبي بالحنين إليه، ورغبتني في التماس [7] ما لديه، فلا تقطع عنه أسبابي، ولا تحرمني في [8] حبه أجر ثوابي، وتداركني بشفاعته يوم أخذ كتابي. هذه يا رسول الله

---

[1] أي ضعف طباعي.
[2] في النفح، والصبح: ((وسجايا تيك الديم)).
[3] في الصبح: ((تخيب)).
[4] في الريحانة: ((مائها)).
[5] في الإسكوريال، والريحانة: ((على حبه المؤملة لقربه المفطورة..)).
[6] ما بين حاصرتين ساقط في الإسكوريال.
[7] في النفح، والصبح: ((بالتماس)).
[8] نفسه: ((من حبه ثوابي)).

وسيلة ما بعدت داره، وشط مزاره، ولم يجعل بيده اختياره. فإن لم تكن[1] هذه[2] للقبول أهلا، فأنت للإغضاء والسمح[3]، أهل؛ وإن كانت ألفاظها وعرة، فجنابك للقاصدين سهل؛ وإذا[4] كان الحب يتوارث كما أخبرت، والعروق تدس حسبما إليه أشرت، فلي بانتسابي إلى **سعدٍ**[5] عميد أنصارك مزية، ووسيلة أثيرة حفيَّة[6]. حفيَّة[6]. فإن لم يكن لي عمل ترتضيه[7]، فلي نية فلا تنسني ومن بهذه **الجزيرة** [التي افتتحت][8] بسيف كلمتك، كلمتك، على خيار[9] أمتك؛ فإنما نحن بها[10] وديعة تحت بعض أفضالك[11]، نعوذ بوجه ربك من إغفالك، ونستنشق من ريح عنايتك نفحة، ونرتقب من مُحَيَّا[12]

---

[1] في الصبح: ((يكن)).
[2] كلمة ((هذه)) سقطت في الصبح، والنفح.
[3] في الصبح، والنفح: ((والسماح)).
[4] في النفح: ((وإن)).
[5] أي سعد بن عبادة رضي الله عنه.
[6] في الصبح: ((خفيَّة وإن...))؛ خفية بالخاء المعجمة الفوقية.
[7] في الريحانة: ((أرتضيه)).
[8] في النفح، والصبح: ((الجزيرة المفتتحة)).
[9] في الريحانة: ((خير)).
[10] سقطت كلمة ((بها)) في الريحانة.
[11] في الريحانة، والصبح، والنفح: ((أقفالك)).
[12] في الصبح: ((من نور مُحيّا)).

قبولك لمحة، ندافع بها عدوا طغى وبغى، وبلغ من مضايقتنا ما ابتغى. فمواقف التمحيص قد أعيت من كتب وأرخ[1]، والبحر قد أصمتت[2] [بواعث بواعث لحجه][3] من استصرخ، **والطاغية** في العدوان مستبصر، والعدو محلق، والولي مقصر[4]؛ وبجاهك نستدفع[5]؛ ما لا نطيق، وبعنايتك نعالج سقيم الدين فيفيق؛ [فلا تفردنا ولا تهملنا، وناد ربك فينا: ﴿**رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا**﴾[6]؛ وطوائف أمتك، حيث كانوا عناية منك تكفيهم][7] وربك يقول لك[8]، وقوله الحق: ﴿**وَمَا كَانَ**

---

[1] في النفح، والصبح: ((ورَّخ)).
[2] في النفح، والصبح: ((أصمت من استصرخ)).
[3] سقطت هذه العبارة في النفح.
[4] في النفح: ((تدفع))، وفي الريحانة: ((والمولى منصر)).
[5] في الإسكوريال: ((منصر))؛ وفي النفح، والصبح: ((ندفع)). واختار عنان ما ورد في النفح.
[6] الآية كاملة هكذا: (لاَ يُكَلِّفُ اللّهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْراً كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلاَ تُحَمِّلْنَا مَا لاَ طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلاَنَا فَانْصُرْنَا عَلَى القَوْمِ الكَافِرِينَ). سور البقرة؛ الآية: 286.
[7] ما بين حاصرتين ساقط في الإسكوريال.
[8] سقطت كلمة ((لك)) في الريحانة.

كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ﴾[1]. والصلاة والسلام عليك، يا خير من طاف وسعى، وأجاب داعيا إذا دعا، وصلى الله على جميع أحزابك وآلك، صلاة [2] تليق بجلالك، وتحق [3] لكمالك، وعلى ضجيعيك وصديقيك وحبيبيك ورفيقيك، خليفتك في أمتك [4]، وفاروقك المستخلف بعده على ملتك [5]، وصهرك ذي النورين، المخصوص ببرك ونحلتك [6]، وابن عمك، سيفك المسلول المسلول على حلتك [7]، بدر سمائك ووالد أهلتك. [والسلام الكريم عليك وعليهم ، كثيرا أثيرا] [8] ورحمة الله تعالى وبركاته. وكتب [9] بحضرة [10] **جزيرة الأندلس**

---

[1] **الآية كاملة هكذا: (وَمَا كَانَ اللّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ). سورة الأنفال؛ الآية: 33.**

[2] **في الإسكوريال: ((بما)). وفي الريحانة: ((ولآلك بما يليق...)).**

[3] **في الريحانة: ((ويحق)).**

[4] **في الإسكوريال، والريحانة: ((ملتك)).**

[5] **في النفح، والصبح: ((جلتك)).**

[6] **في الريحانة: ((وتجلَّتك)).**

[7] **سقطت هذه الكلمة في الإسكوريال.**

[8] **ما بين حاصرتين ساقط في الإسكوريال، والنفح.**

[9] **سقطت كلمة: ((وكتب)) في الصبح.**

[10] **في الريحانة: ((وكتب بجزيرة...)).**

الأندلس غرناطة؛ صانها الله تعالى [1] ووقاها، ودفع عنها عنها ببركتك كيد عداها.

[1] سقطت كلمة: ((تعالى)) في الريحانة.

وكتبت عن ولده أمير المسلمين أبي عبد الله [1] إلى ضريح رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ وضمنت ذلك ما فتح الله عليه من لفتوحات السنيّات، إليه وفي أوائل عام أحد وسبعين سبعمائة [2].

دعاك بأقصى المغربين غريـــب
وأنت على بعـــد المزار قريـــب

مدل بأسباب الرجـــاء وطرفـــه
غضيض عل حكم الحياء مهيب[3]

يكلف قرص البدر حمـــل تحيـــة
إذا ما هوى والشمس حين تغيب

ليرجع[4] من تلـــك المعالم غـــدوة
وقد ذاع من ورد[5] التحية طيـــب

[1] هو الغني بالله محمد بن أبي الحجاج يوسف؛ ثامن سلاطين ابن الأحمر.
[2] الموافق لـ 1369. وهذه القصيدة من البحر الطويل.
[3] في النفح: ((مريب)). وفي الريحانة: ((المحيا ويهيب)).
[4] في الريحانة: ((لنرجع))، وفي النفح: ((لترجع)).
[5] في النفح: ((ردِّ)).

ويستودع[1] الريح الشمال شمائـــلا
من الحب لم يعلـــم بهن رقيـــب
ويطلب في جيب الجيوب جوابها
إذا ما أطلـــت والصباح منيـــب[2]
[ويستفهم الكف الخضيب ودمعه
غراما بحناء النجيـــع خضيـــب
ويتبـــع آثـــار المـــطيّ تشيعـــا[3]
وقد زمزم الحادي وحن نجيـــب][4]
إذا أثر الأخفاف[5] لاحت محاربـــا
يخـــر عليهـــا راكعـــا وينـــيب
ويلقي ركاب الحج وهي قوافـــل
طـــلاح وقد لبى النـــداء[6] لبيـــب

---

[1] في الريحانـة: ((ونستـودع)).
[2] في النفـح: ((جنيـب)).
[3] في الريحانـة، والنفـح: ((مشيِّعـا)).
[4] هـذان البيتـان المحصـوران بيـن حاصرتيـن سقطـا في النفـح .
[5] في الإسكوريـال، والريحانـة: ((إذا آثـر الأحبـاب)).
[6] في الريحانـة: ((للنـداء)).

فـــلا قـــول إلا أنـــة وتـــوجـــع

ولا حـــول إلا زفـــرة ونحيـــب

غليـــل ولكن من قبـــولك منهـــل

عليل ولكن من رضـــاك طبيـــب

ألا ليت شعري والأماني ضلـــة[1]

وقد تخطىء الآمـــال ثم تصيـــب

أينجد نجـــد بعـــد شطِّ[2] مـــزاره

ويكتـــب[3] بعد البعـــد منه كتيـــب[4]

وهل ينقضي ديني[5] فيسمح طايعا[6]

وأدعو بحظي مسمعـــا فيجيـــب

ويا ليت شعري هل لحومي موردٌ

لديك وهل لي في رضاك نصيب

---

[1] في الإسكوريـال: ((ظلمـة)). وصححت مـن النفـح.
[2] في النفـح: ((شحـط)).
[3] هكـذا في الريحانـة، وفي النفـح: ((يَكْثـبُ)).
[4] في النفـح، والريحانـة: ((كثيـب)).
[5] نفسهمـا: ((هـل أقتـضي دهـري)).
[6] في الريحانـة: ((طالعـا)). وورد هـذا الشطـر في النفـح هكـذا: ((وتقـضي ديـوني بعـد مـا مطـل المـدى)).

ولكنك المولى الجـــواد وجـــاره
على أي حال كـــان ليس يخيـــب
وكيف يضيق الذرع يوما بقاصد[1]
وذاك الجنـــاب المستجار حبيـــب[2]
وما هـــاجني إلا تألـــق بـــارق
يلوح بفـــود الليـــل منه مشيـــب
ذكرت به ركب الحجاز وجيـــرة
أهاب بها نحو الحبيـــب مهيـــب
فبـــت وجفني من لآلـــئ دمعـــه
غـــني وصبري[3] للشجون سليـــب
تريحني[4] الذكرى ويهفو بي الهوى
كما مال غصن في الرياض رطيب
وأحضر تعليلا لشوقـــي بالمـــنى
ويطرق وجـــد غالـــب فأغيـــب

---

[1] في الإسكوريـال: ((بعاضـد)). والتصحيـح مـن النفـح.
[2] في النفـح: والريحانـة: ((رحيـب))..
[3] في الإسكوريـال: ((وسيـري)). وصوبـت مـن النفـح.
[4] في النفـح: ((تُرنّحـني)).

مُنايَ[1] لو أعطيـــت الأماني زورة
يبـــث غـــرام عندهـــا ووجيـــب
فقـــول حبيـــب إذ يقـــول تشوقا
عسى وطـــن يدنـــو إلي حبيـــب
تعجبت من سيفي [وقد سابق القضا][2]
وقلـــبي فلـــم يسكبه منه مذيـــب[3]
وأعجبُ[4] أن لا يورق الرمح في يدي
ومن فوقه غيث المشوب[5] سكيب
فيا سرح ذاك[6] الحي لو أخلف الحيا
لأغناك من صوب الدموع صبيب
ويا هاجر الجـــو الجديب تلبثـــا
فعهدي رطب الجانبين خصيـــب

---

[1] في النفـح: ((مـراميَ لـو أعـ،طي...)).
[2] هكـذا في الإسكوريـال؛ وفي النفـح: ((وقـد جـاور الغضى))، وفي الريحانـة: ((تعجبـت مـن سبـقي وقـد جـاوز الفضـا))، وفي النفـح: ((تعجبـت مـن سيـفي وقـد جـاور الغَظ)).
[3] في النفـح: ((بقلـبي فلـم يسبكـه منـه مذيـب)).
[4] في الريحانـة: ((وأعجبـت))، وفي النفـح: ((تعجبـت)).
[5] في النفـح، والريحانـة: ((المشـوق)).
[6] في الريحانـة: ((ذلـك)).

ويا قــادح الزند الشجاع[1] ترفقــا
عليــك فشوقي الخارجي شبيــب
أيا خاتم الرســل المكين مكانــه
حديث الغريب الدار فيك غريــب
فــؤادي على جمر البعاد مقلــب
يمــاح عليــه للدمــوع قليــب
فــوا اللــه ما يــزداد إلا تلهبــا[2]
أأبصرت[3] ماء ثــار عنه لهيــب
فليلتــه ليــل السليــم ويومــه[4]
إذا شد للشوق العصاب عصيــب
[هواي[5] هدى فيك اهتديت بنوره
ومنتسبي للصحــب منك نسيــب][6]

[1] في النفـح: ((الشّحـاح))، وفي الريحانـة: ((الشّجـاح)).
[2] في الريحانـة: ((تلهفـا)).
[3] نفسـه: ((لأبْصَـرْت)).
[4] في النفـح: ((ويومهـا)).
[5] في الريحانـة: ((هـداي هـوى...)).
[6] ورد هـذا البيـت في النفـح وساقـط في الإسكوريـال .

وحسبي على[1] أني لصبك منتـــم
وللخزرجييـــن الكـــرام نسيـــب
عدت عن مغانيك المشوقة للعـــدا
عقارب لا يخـــفى لهـــن دبيـــب
حراص على إطفاء نور قدحتـــه
فمستلـــب مـــن دونـــه[2] وسليـــب
تمر الرياح الغفل فوق كلومهـــم
فتعبـــق مـــن أنفاسهـــا وتطيـــب
بنصرك[3] عنك الشغل من غير منة
وهـــل يتساوى مشهـــد ومغيـــب
فإن صح منك الحظ طاوعت[4] المنى
ويبعد مرمى السهم وهو مصيـــب
ولولاك لم تُعْجم[5] من الروم عودها
فعود الصليب الأعجمي صليـــب

---

[1] في الريحانـة: ((عُـلا)).
[2] في الإسكوريـال، والريحانـة: ((دونهـا)).
[3] في النفـح: ((لنصـرك)).
[4] نفسـه: ((طاوعنـي)).
[5] نفسـه: ((يُعْجـم)).

وقد كانـــت الأحوال لولا مراغب

ضمنت ووعد بالظنـــون[1] تريـــب[2]

منابـــر عـــز أذن الفتـــح فوقهـــا

وأفصح للعَضْب[3] الطرير[4] خطيـــب

نقـــود[5] إلى هيجائها كل صائـــل

كما ريـــع[6] مكحول اللحاظ ربيب

ونجتاب من سرد[7] اليقين مدارعا

يكفتهـــا[8] مـــن يجتـــني ويثيـــب[9]

إذا اضطرّت[10] الخُطَى حول غديرها

يروقـــك منهـــا لجـــة وقضيـــب

---

[1] في النفـح: ((بالظهـور)).
[2] أي تبعث عن الريبـة والشـك.
[3] أي للسيـف.
[4] أي الليـن المطـاوع.
[5] في الريحانـة: ((تقـود)).
[6] في النفـح: ((ربـح)).
[7] في الريحانـة: ((سـود)).
[8] نفسـه: ((يكيّفهـا)).
[9] ورد هـذا البيـت في النفـح؛ بينمـا سقـط في الإسكوريـال.
[10] في النفـح: ((اضطـرب الخـطيّ)).

فعذرا وإغضاء ولا تنس صارخا
بعزك يرجو أن يجيب مجيـــب
وجاهك بعد اللـــه نرجـــو وإنـــه
لحـــظ مـــلي[1] بالوفـــاء رغيـــب
عليك صلاة الله ما طيب الفضـــا
عليـــك مطيـــل بالثنـــاء مطيـــب
وما اهتـــز قـــد للغصون مرنـــح
وما افتـــر ثغـــر للبروق شنيـــب

إلى حجة الله تعالى[2]، المؤيد[3] ببراهين أنواره، وفائدة الكون ونكتة أدواره، وصفوة نوع البشر ومنتهى أطواره. إلى المجتبي وموجود الوجود، لم يغن بمطلق الوجود[4] عديمه، والمصطفى[5] من ذرية آدم، قبل أن يكسو يكسو العظام أديمه، المحتوم في القدم، وظلمات العدم،

---

[1] في الريحانة: ((حلَّى)).
[2] أضيفت من النفح.
[3] في النفح: ((المؤيدة)).
[4] في الإسكوريال: ((الجود)).
[5] في النفح: ((المصطفى))؛ بدون الواو.

عند صدق القدم تقديمه وتفضيله [1]، إلى وديعة النور المنتقل في الجباه الكريمة والغرر، وغمام الرحمة الهامية الدرر. إلى مختار الله المخصص باجتبائه، وحبيبه الذي له المزية على أحبائه، من [2] ذرية أنبياء الله تعالى آبائه. إلى الذي شرح صدره وغسله، ثم بعثه واسطة بينه وبين العباد وأرسله، وأتم عليه إنعامه الذي أجزله، وأنزل عليه من النور والهدى [3] ما أنزله. إلى بشرى المسيح والذبيح، ومن لهم التجر الربيح، المنصور بالرعب والريح، المخصوص بالنسب الصريح. إلى الذي جعله في المحول غماما، وللأنبياء إماما، وشق صدره لتلقي روح أمره غلاما، وأعلم به في التورات والإنجيل إعلاما، وعلم المؤمنين صلاة عليه وسلاما. إلى الشفيع الذي لا ترد في العصاة شفاعته، والوجيه الذي قرنت بطاعة الله طاعته، والرؤوف الرحيم الذي خلصت إلى الله في أهل الجرائم ضراعته. صاحب الآيات التي لا يسع ردها، والمعجزات

---

[1] في النفح: ((تفضيله وتقديمه)).
[2] نفسه: ((وذرية)).
[3] نفسه: ((من الهدى والنور)).

التي أربى على الألف عدّها، من [1] قمر شُقَّ [2]، وجذع حن له وحق، وبنان يتفجر بالماء [فيقوم بريٍّ [3] الظمأ] وطعام يشبع الجمع الكثير يسيره، وغمام يظلل به مقامه ومسيره] [4]، خطيب المقام المحمود إذا كان العرض، وأول من تنشق [5] عنه الأرض [ووسيلة الله تعالى التي لولاها ما أقرض القرض] [6] ولا عرف النَّفْل والفَرْض، **محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف**، المحمود الخلال، من ذي الجلال، الشاهدة بصدقه صحف الأنبياء وكتب الإرسال، وآياته التي أثلجت [7] القلوب، ببرد اليقين السلسال. صلى الله عليه وسلم، ما ذرَّ شارق [8]، وأومض بارق، وفرق بين اليوم الشامس والليل الدامس فارق، صلاة تتأرج عن [9] شذا

---

[1] في النفح، والريحانة: ((فمن)).
[2] في الريحانة: ((يُشَقُّ)).
[3] ما بين حاصرتين ساقط في الإسكوريال، ووارد في النفح.
[4] في الريحانة: ((ومستقرّه)).
[5] في الريحانة: ((تشق)).
[6] سقطت هذه العبارة الواردة بين حاصرتين في الإسكوريال، ووردت في النفح.
[7] في الإسكوريال: ((انبلجت)).
[8] أي كل ما طلعت الشمس.
[9] في النفح: ((على)).

الدَّهر[1]، وتنبلج عن سناء [2] الكواكب الزهر، وتتردد بين بين السرّ والجهر، وتستغرق ساعات النهار [3]، وأيام الشهر، وتدوم بدوام الدهر، من عبد هداه، ومستقري مواقع نداه، ومزاحم أبناء أنصاره في منتداه، وبعض سهامه المُفَوَّقَة إلى نحور عداه. مؤمل العتق من النار بشفاعته، ومحرز طاعة الجبار بطاعته، الآمن باتصال رعيه من إهمال الله وإضاعته، متخذ الصلاة عليه وسائل نجاة، وذخائر في الشدائد مرتجاة [4] ومتاجر [5] بضائعها غير مزجاة، الذي ملأ بحبه جوانح صدره، وجعل فكره هالة لبدره، وأوجب حقه [6] على قدر العبد لا على قدره، **محمد بن يوسف بن نصر الأنصاري الخزرجي**، نسيب **سعد بن عبادة** من أصحابه، وبوارق سحابه، وسيوف نصرته، وأقطاب دار هجرته، ظلله الله يوم الفزع الأكبر، من رضاك عنه بظلال الأمان كما أنار قلبه من هدايتك

---

[1] هكذا في الريحانة أيضاً؛ بينما كتب في النفح: ((الزَّهر)).
[2] في النفح: ((سنى)).
[3] نفسه: ((اليوم)).
[4] في الريحانة: ((أيّ مرتجاة)).
[5] في النفح: ((متاجر))؛ بدون الواو.
[6] في الإسكوريال، والريحانة: ((قدْره)).

بأنوار الهدى والإيمان، وجعله من أهل السياحة في فضاء حبك والهيمان، كتبه إليك يا **رسول الله**، واليراع يقتضي [1] مقام الهيبة صفرة لونه، والمداد يكاد يحول سواد جونه، ورقَّة [2] الكتاب [3] يخفق فؤادها حرصا على حفظ اسمك الكريم وصونه، والدمع يقطر فتنقط به الحروف، وتفصل الأسطر، وتوهم المثول بمثواك المقدس، لا يمرّ بالخاطر سواه، ولا يخطر عن قلب بالبعد عنك قريح [4]، وجفن بالبكاء جريح، [وتأوه عن تبريح] [5]، كلما هبَّت [6] هبَّت [6] من أرضك نسيم ريح، وانكسار ليس له إلا جبرك، واغتراب لا يؤنس فيه إلا قربك، وإن لم يقض فقبرك. وكيف لا يسلم في مثلها الأسى، ويوحش الصباح والمسا، ويرجف جبل الصبر بعد ما رسى، لولا لعل وعسى. فقد سارت الركبان [7] إليك ولم يقض مسير،

---

[1] في النفح: ((تقتضي الهيبة صفرة لونه)).
[2] في الريحانة، والنفح: ((وورقة)).
[3] في الإسكوريال : ((الفؤاد)).
[4] أي جريح.
[5] سقطت هذه العبارة في الإسكوريال، ووردت في النفح.
[6] في النفح، والريحانة: ((هبَّ)).
[7] في الريحانة: ((الركاب)).

وحومت الأسراب عليك، والجناح كسير، ووعدت الآمال فأخلفت، وحلفت العزائم ولم تف بما حلفت، ولم تحصل النفس من تلك المعاهد ذات الشرف الأثيل، إلاّ على التمثيل، ولا من المعالم المتناهية [1] التنوير، إلاّ على التصوير، ومَهْبط [2] وحي الله ومتنزل أسمائه، ومتردد ملائكة سمائه، ومرافق [3] أوليائه وملاحد أصحاب [4] خيرة خيرة أنبيائه، رزقني الله الرضا بقضائه، والصبر على جاحم البعد ورمضائه.

من **حمراء غرناطة** [حرسها الله تعالى] دار ملك **الإسلام بالأندلس**، قاصية سُبُلك [5]، ومُسَلَّحة [6] رجلك، رجلك، يا **رسول الله** وخيلك، وأنأى [7] مطارح دعوتك دعوتك ومساحب ذيلك، حيث مصاف الجهاد في سبيل الله وسبيلك قد ظللها [8] القتام، وشهبان الأسنة أطْلَعها [9]

---

[1] في النفح، والريحانة: ((الملتمسة)).
[2] في الريحانة، والنفح: ((مهبط))؛ بدون الواو.
[3] في النفح: ((ومدافن)).
[4] هذه الكلمة ساقطة في الزيتونة .
[5] هكذا أيضاً في الريحانة؛ وفي النفح: سيْلك)).
[6] في النفح: ((مسحبة)).
[7] وردت في النفح؛ بينما ترك بياض مكانها في الإسكوريال.
[8] في الإسكوريال: ((ظلله))؛ وصوبت من النفح.

أطْلَعها [1] منه الإعتام، وأسواق بيع النفوس من الله، قد تعدد بها [2] الأيامى والأيتام، حيث الجراح قد تحلت بعسجد نجيعها النحور، والشهداء تحف بها الحور والأمم الغريبة قد قطعتها [3] عن المدد البحور، حيث المباسم المفترة، تجلوها المصارع البرة، فتحييها بالعراء [4] ثغور الأزاهر، وتندبها صوادح الأدواح برنات تلك المزاهر [5]، حيث [6] الإسلام من عدوه المكايد بمنزلة قطرة [7] من عارض غمام وحصاة من ثَبير [8] أو شِمام [9]، وقد سدّت سدّت الطريق، وأسلم [الفراق الفريق] [10]، وأُغِصَّ الريق ويئس من الساحل الغريق، إلا أن الإسلام بهذه الجهة

---

[1] في الريحانة: ((أطلعت)).
[2] في الريحانة: ((لها)).
[3] في النفح: ((قطعها)).
[4] في الريحانة: ((بالعدا)).
[5] نفسه: ((المزامر)). ويأتي بعد هذا: ((وتحلّي السحاب أشلاءها المعطلة المعطلة من طلّها بالجواهر.
[6] في النفح: ((وحيث)).
[7] سقطت في الإسكوريال، ووردت في النفح.
[8] في الإسكوريال، والريحانة: ((نثير)). ويبدو أن ثبيرا أصح؛ لأنه أحد جبال مكة. ويؤكد هذا ما سيلي في سياق النص.
[9] في الريحانة: ((سمام)). وشمام أيضاً جبل لباهلة. وهو مع ثبير أقرب للصحة للصحة
[10] في الإسكوريال: ((للفريق الغريق)). وفي الريحانة: ((وأسلم للفراق الغريق)).

المتمسكة بحبل الله وحبلك، المهتدية بأدلة سبلك، سالم والحمد لله من الانصداع، محروس بفضل الله من الابتداع، مقدود من جديد الملة، معدوم فيه وجود الطوائف المضلة، إلا ما يخص الكفر من هذه العلة، والاستظهار على جمع الكثرة من جموعه، بجمع القلة. ولهذه الأيام يا **رسول الله**، أقام الله أَوَدَه برا بوجهك الوجيه ورعيا، وإنجازا لوعدك [1] وسعياً [2] وهو الذي لا لا يخلف وعدا، ولا يخيب سعيا و وفتح لنا فتوحا [3] أشعرتنا برضاه عن وطننا الغريب، وبشرتنا منه تعالى بتغمد [4] التقصير ورفع التثريب، ونصرنا، وله المنة، على على عبدة الصليب، وجعل لألفنا الرُّدَيْنِيِّ [5] ولأُمِّنا [6] السَّرديّ، حكم التغليب. وإذا كانت الموالي التي طوقت [7] طوقت [7] الأعناق مننها، وقررت العوائد الحسنة [1] سيرها

---

[1] في الريحانة: ((بوعدك)).
[2] سقطت في النفح، ووردت في الإسكوريال.
[3] في الريحانة: ((فتوحات)).
[4] في النفح: ((بغفر)).
[5] أي الرمح المنسوب إلى ردينة؛ وهي امرأة من هجر؛ كانت تصنع الرماح مع زوجها المدعو سمهر.
[6] في النفح، والريحانة: ((لامنا السرديّ))؛ أي الدروع.
[7] في الريحانة: ((طرقت)).

سيرها وسننها، تبادر إليها نوابها الصرحاء [2]، وخدامها النصحاء بالبشائر والمسرات، التي تشاع في العشائر، وتجلو لديها نتائج أيديها، وغايات مبادئها، وتتاحفها وتهاديها، بمجاني جناتها وأزاهر غواديها، وتطرف محاضرها بطرف بواديها، فبابك يا **رسول الله** أولى بذلك وأحق، ولك الحق الحق، والحر منا عبدك المسترق، حسبما سجله الرق. وفي رضاك من كل من يلتمس رضاه المطمع، ومثواك المجمع، وملوك الإسلام في الحقيقة عبيد سُدَّتِك [3] المؤملة وخول مثابتك المحسنة بالحسنات المجمّلة [4]، وشهب تعشو [5] إلي بدورك المكملة، ومحض [6] سيوفك المقلدة في سبيل الله المحملة، وحرمة [7] مهادك، وسلاح جهادك، وبروق عهادك [8]، وإن مكفول احترامك الذي لا

---

[1] **في النفح: ((الحسان)).**
[2] **في الريحانة: ((الصرماء)).**
[3] **في الإسكوريال، والريحانة: ((سيرتك))، وصححت من النفح.**
[4] **في الريحانة: ((المحملة)).**
[5] **نفسه: ((تعشي)).**
[6] **في النفح: ((وبعض)).**
[7] **في الريحانة، والنفح: ((وحرسة)).**
[8] **أي مطرك.**

يخفر وربي إنعامك الذي لا يكفر [1]، وملتحف جاهك [2] جاهك [2] الذي [3] يمحى ذنبه بشفاعتك إن شاء الله ويُغْفر، يطالع روضة الجنة المفتحة أبوابها بمثواك، ويفاتح صوان القدس الذي أجنَّك [4] وحواك، وينشر بضائع الصلاة عليك بين يدي الضريح الذي يهواك [5]، ويعرض ويعرض جنى [6] ما غرست وبذرت، ومصداق ما بشرت به [لمَّا بشَّرت] [7] وأنذرت، وما انتهى إليه طلق جهادك، ومَصَبُّ عِهادك [8]، لتقر عين نصحك، الذي [9] أنام العيون العيون الساهرة هجوعها، وأشبع البطون ورواها ظمأها من [10] الله وجوعها. وإن كانت الأمور بمرأى من عين عنايتك، وغيبها متعرف بين إفصاحك وكتابتك [11]،

---

[1] أي لا يجْحَد.
[2] في الإسكوريال، والريحانة: ((جهادك))، والتصحيح من النفح.
[3] في الريحانة: ((الدين بمجاذيته بشفاعتك...)).
[4] أي سترك. وكتب في الريحانة: ((أحبَّك)).
[5] في النفح، والريحانة: ((طواك)).
[6] في الإسكوريال: ((شتى)).
[7] سقطت هذه العبارة في الإسكوريال؛ بينما وردت في النفح.
[8] في الريحانة: ((عمادك)).
[9] في النفح: ((التي)).
[10] نفسه: ((في)).
[11] في النفح، والريحانة: ((كنايتك)).

ومُجْمَلُهُ [1] يا **رسول الله**، صلى الله عليك، [وبلغ وسيلتي إليك][2] هو[3] أن الله سبحانه، لما عرَّفني لطفه الخفي في التمحيص، المقتضي عدم المحيص، ثم في التخصيص، المغني بعيانه عن التنصيص، ووفِّقْ [4] ببركتك ببركتك السارية رحماها [5] في القلوب، ووسايل محبتك العايدة بنيل المطلوب، إلى استفادة عظة واعتبار، واغتنام إقبال بعد إدبار، ومزيد استبصار، واستعانة بالله تعالى وانتصار [6]. فسكن هبوب الكفر بعد إعصار، وحل مخنق الإسلام بعد حصار، وجرت عن سنن السنة، بحسب الاستطاعة والمنة اليسيرة، وجبرت بجاهك القلوب الكسيرة، وسُهِّلَت [7] المآرب العسيرة، ورفع بيد العزّة الضيم، وكشف بنور البصيرة الغيم، وظهر القليل على الكثير، وباء الكفر بخطة التعثير، واستوى [8] الدين

---

[1] في الريحانة: ((ومحمَّلة)).
[2] هذه العبارة ساقطة في الإسكوريال.
[3] في الريحانة: ((وهو)).
[4] في النفح: ((وفِّقْ))؛ بدون واو، وفي الريحانة: ((ووافق)).
[5] في النفح: ((رحماتها)).
[6] في الريحانة: ((واستنصار)).
[7] في الإسكوريال: ((وسهوت)). وفي الريحانة: ((ويُسَّرَت)).
[8] في الإسكوريال: ((واستولى)).

الحنيف على المهاد الوثير، فاهْتبلْنا [1] يا **رسول الله** غـرَّة العـدوِّ [2] وانتهزناها، وشَمَمْنا [3] صوارم صوارم [عـزِّ الله] [4]، وهززناها، وأزحنا [5] علل الجيوش وجهزناها، فكان مما ساعد عليه القدر، والحظ [6] والحظ [6] المبتدر والورد الذي [حسن منه] [7] الصدر، أننا أننا عاجلنا **مدينة بُرغة** [8]، وقد جرَّعَت [9] الأختين: **مالقة مالقة ورُندة**، من ميادين دينك، وخزائن [10] ميادينك، أكواس [11] الفراق، وأذكرت [12] مثل من **بالعراق**، وسدت طرق التزاور على[13] الطرَّاق، وأسالت المسيل بالنَّجيع[14] المراق، في مراصد[1] المراد والمراق[2]، ومنعت

[1] هكذا في النفح؛ بينما ترك مكانها بياض في الإسكوريال.
[2] ترك مكانها بياض في الإسكوريال؛ بينما وردت في النفح.
[3] في الريحانة، والنفح: ((وشِمْنا)).
[4] في النفح: ((عزة الغدُوِّ)). وفي الريحانة: ((عزَّة العدوِّ)).
[5] في الريحانة: ((وأرحنا)).
[6] في النفح: ((الخطب)).
[7] نفسه: ((حصل بعده)).
[8] تقع هذه المدينة شرقي مدينة رندة. وتسمى الآن **Burgo**.
[9] في الريحانة: ((جدعت)).
[10] في النفح: ((مزابن)).
[11] نفسه: ((أكوس)).
[12] هكذا وردت في النفح؛ بينما ترك بياض في موضعا في الإسكوريال.
[13] في النفح: ((عن)).
[14] أي بالدم.

المراسلة مع هدْي[3] الحمام، لا بل مع طيف المنام عند الإلمام[4]، فيسر الله اقتحامها، وألحمت بيض الشِّفار في رؤوس[5] الكفار إلحامها، وأزال[6] بَشْرُ السُّيوف من بين تلك الحروف أقحامها؛ فانطلق المسرى، واستبشرت القواعد الحسرى، وعدمت بطريقها المخيف مصارع [الصَّرعى، ومثاقف][7] الأسرى، والحمد لله على فتحة الأسْنَى، ومنحه الأسرى، ولا إله إلاَّ هو[8] مُنْفِل **قيصر وكسرى**، وفاتح مغلقاتهما[9] المنيعة قسرا، واستولى الإسلام منها على قرار جنات، وأم بنات، وقاعدة حصون، وشجرة غصون، وطهرت[10] مساجدها المغتصبة المكرهة[11]، وفجع فيها[1] الفيل الأفيل **وأبرهة**[2]،

---

[1] ترك مكانها بياض في الإسكوريال؛ بينما وردت في النفح.
[2] في الريحانة: ((والمذاق)).
[3] في النفح: ((هدير)).
[4] في الريحانة: ((الإلهام))
[5] في النفح: ((زرق)).
[6] في الريحانة: ((وأزالت)).
[7] هذه العبارة ساقطة في الإسكوريال، وواردة في النفح. وفي الريحانة: ((ومثاقب)).
[8] في الريحانة: ((ولا إله إلاَّ الله، هو)).
[9] نفسه: ((مغلقاتها)).
[10] في الريحانة، والنفح: ((طهرت))؛ بدون واو.
[11] نفسه: ((المكرَّمة)).

وأطلقت بذكر الله الألسنة المدْرهة[3]، وفاز بسبق ميدانها الجياد[4] الفرهة هذا **وطاغية الروم** على توفُّر[5] جموعه، وهول مرئيه ومسموعه، قريب جواره، بحيث يتصل خواره،[6] ثم نازل[7] المسلمون بعدها شجا الإسلام، الذي أعيا النَّطاسي[8] علاجه، وكرك[9] هذا القطر الذي لا تُطاول[10] أعلامه ولا يصاول[11] أعلاجه، وركاب الغارات التي تطوي المراحل إلى مكايدة المسلمين طيّ البرود، وجحر الحيّات التي لا تخلع على اختلاف الفصول

---

[1] في النفح: ((بحفظها)).
[2] في الريحانة: ((الفيل إلاّ فيل أبرهة)).
[3] نفسه: ((المذرهة)).
[4] حرفت في الإسكوريال؛ فكتبت: ((الجيد))؛ وفي الريحانة: ((جياده))، وفي النفح: ((جيادك)).
[5] في الإسكوريال: ((أوفر))؛ وصوبت من النفح.
[6] كتب بعد هذا في النفح: ((وقد حرّك إليها الحنين حواره...)). وفي الريحانة: ((وقد عرّك إليها الحين حواره...)).
[7] في الإسكوريال: ((مازال)).
[8] ترك مكانها بياض في الإسكوريال.
[9] في الإسكوريال، والريحانة: ((وكر)).
[10] في الريحانة: ((يطاول)).
[11] هكذا أيضاً في الريحانة؛ بينما كتب في النفح: ((ولا تصاول))؛ بالتاء المثناة الفوقية.

جلود الزُّرود، ومنغِّص الورود في العذب المورود [1]، ومقض المضاجع، وحلم الهاجع، ومجهز الخطب الفاجىء الفاجع، ومستدرك فاتكه[2] الراجع، قبل هبوب الطائر الساجع، **حصن آشِر** [3] حماه الله دعاء لا خبرا كما جعله جعله للمتفكرين في قدرته معتبرا، فأحاطوا به إحاطة القلادة بالجيد، وأذلوا عزته بعزة ذي العرش المجيد، وحفت به الرايات [يسمها وسمك، ويلوح في صفحاتها اسم الله تعالى واسمك] [4]؛ فلا ترى إلاّ نفوسا تتزاحم على موارد [5] الشهادة أسرابها، وليوثا يصدق [طعانها في في الله وضِرابُها] [6]؛ وأرسل الله عليها رجزا **إسرائيليا** من من جراد السهام، تشذ آيته [7] عن الأفهام، وسدد إلى الجبل النفوس القابلة للاهتمام، من بعد الاستغلاق

---

[1] في الإسكوريال، والريحانة: ((البرود))؛ وصوبت من النفح.
[2] ترك بياض مكانها في الإسكوريال.
[3] هو أحد حصون إشبيلية. وقد افتتحه السلطان الغني بالله سنة 768هـ/1367م.
[4] سقطت هذه العبارة في الإسكوريال، ووردت في النفح.
[5] في النفح: ((مورد)).
[6] نفسه: ((يصدق في الله تعالى ضِرابُها)).
[7] نفسه: ((آياته)).

والاستبهام، وقد عبثت جوارح [1] صخوره في قنايص الهام، وأعيا صعبه على الجيش اللهام، فأخذ مسائغه [2] النَّقْضُ والنَّقْبُ [3]، ورغا فوق أهلة الصَّقْب [4]، ونصبت ونصبت المعارج والمراقي، وفُرعت [5] المناكب والتراقي، واغتنم الصادقون من [6] الله الحظ الباقي، وقال الشهيد [7] الشهيد [7] المسابق [8] يا فوز استباقي، ودخل البلد فالتحم [9] فالتحم [9] السيف، واستلب البحث والزيف، ثم استخلصت القصبة، فعلت أعلامك في أبراجها المُشَيّدة، وظفر ناشد دينك منها بالنَّشيدة [10]، وشكر الله في قصدها مساعي النصائح الرشيدة، وعمل ما يرضيك يا **رسول الله** في سد ثلمها وصون مستلهمها، ومداواة ألمها، حرصا على الاقتداء في مثلها بأعمالك والاهتداء

---

[1] في الإسكوريال: ((جوانح)).
[2] في الريحانة: ((مسايفه)).
[3] في الريحانة: (والنَّهْبُ)).
[4] في النفح: ((أهله السَّقب)).
[5] في النفح: ((وقرعت)).
[6] نفسه: ((مع)).
[7] في الإسكوريال: ((الشاهد)).
[8] في النفح: ((السابق)).
[9] في الريحانة: ((فألحم)).
[10] أي الضالة حين سعى لأي طلب.

بمشكاة كمالك، ورتب فيها الحماة تشجي العدو، وتوصل [1] في [مرضاة الله تعالى] [2] ومرضاتك الرَّواح والغُدُوِّ [3]. ثم كان الغزو إلى **مدينة أُطْرِيرة**[4] بنت حاضر الكفر **إشبيلية**، التي أظلتها بالجناح الساتر، وأقامتها [5] في في ضمان الأمان للحسام الباتر، وقد وتر الإسلام في [6] في [6] هذه الموسة [7] البائسة بوتر الواتر، وأحفظ منها بأذى [8] الوقاح المهاتر، لما جرته على أسراه [9] من عمل عمل الخاتل الخاتر؛ [حسب المنقول لا بل المتواتر] [10]؛ فطوى إليها المسلمون المدى النازح، ولم تشك المطي الرّوازح [11]، وصدق في الجد جدها المازح، وخفقت

---

[1] في النفح: ((وتصل)).
[2] أضيفت هذه العبارة من النفح.
[3] في النفح: ((بروِاحها الغدوّ)).
[4] تسمى بالإسبانية Utrera؛ وتقع جنوب شرقي إشبيلية. غزاها السلطان الغني بالله سنة 768هـ/1367م.
[5] في الريحانة، والنفح،: ((وأنامتها)).
[6] نفسهما: ((من)).
[7] أي المقصودة. والمراد بها مدينة أدريرة.
[8] في الريحانة: ((بادي)).
[9] نفسه: ((أسراره)).
[10] سقطت في الإسكوريال، ووردت في النفح.
[11] في الرّيحانة: ((الرَّوادح)).

فوق أوكارها أجنحة الأعلام وغشيها [1] أفواج [الملائكة الموسومة] [2] وظلال[3] الغمام، وصابت من السهام ودق ودق الهام[4]، وكاد يكفي السماء[5] على الأرض أرتجاج أطوادها [6] بكلمة الإسلام، وقد صم خاطب عروس الشهادة عن الملام، وسمح بالعزيز المصون مُبايع [7] الملك العلام، وتكلم لسان الحديد الصامت، وصمت إلاّ بذكر الله، لسان الكلام [8]، ووفت [9] الأوتار بالأوتار، ووصل بالخَطِيِّ [10] درع [11] الأبيض البتار، وسلطت النار على أربابها، وأذن الله في تبار تلك الأمة وتبابها [12]، فنزلوا [13] على [حكم السيف] [1] آلافا بعد

---

[1] في النفح، والريحانة: ((وغشيتها)).
[2] هكذا في النفح؛ وفي الإسكوريال، والريحانة: ((المسوَّمَة)).
[3] في الريحانة: ((وظلّل)).
[4] هكذا في النفح وفي الإسكوريال؛ بينما كتبت في هامشه: ((الرِّهام))، وفي الريحانة: ((الرغام)).
[5] في النفح: ((السهام)).
[6] في الريحانة: ((جوانحها)).
[7] نفسه: ((فبايع)).
[8] في الإسكوريال: ((الكمال))؛ والتصويب من النفح.
[9] في الريحانة: ((ووقت)).
[10] نفسه: ((بالخطا)).
[11] في الريحانة، والنفح: ((ذرع))؛ بالذال المعجمة.
[12] التَّبار، والتَّباب: معناهما الهلاك.
[13] في الريحانة: ((ونزلوا)).

بعد أن أتلفوا بالسلاح إتلافا واستوعبت[2] المقاتلة أكنافا[3] وقرنوا في الجدل[4] أكتافا أكتافا، وحملت العقائل والخرائد، والولدان والولائد، إركابا من فوق الظهور وإردافا، وأقلت منها أفلاك الحمول بدورا تضيء من ليالي المحاق أسدافا [5]، وامتلأت الأيدي من المواهب والغنائم، بما لا يصوره حلم النائم، وتركت العوافي تتداعى إلى تلك الولائم، وتَفْتَنُّ [6] من مطاعمها في الملائم، وشنت الغارات على **حمص** [7]، فجللت خارجها مغارا، وكست كبار **الروم** بها صغارا، وأحجرت أبطالها إحجارا [8]، واستاقت من النعم ما لا يقبل الحصر استبحارا، ولم يكن إلاّ أن عدل القسم، واستقل [بالقفول [9] العزيز] [10]

---

[1] في الإسكوريال: ((الحكم)).
[2] في النفح: ((واستوعب))، وفي الريحانة: ((واستدعيت)).
[3] في الريحانة: ((كثافا)).
[4] هكذا في الإسكوريال، وفي الريحانة: ((ونزلوا في الجول))؛ وفي النفح: ((الجذل))؛ وهو تحريف.
[5] أي أضواء.
[6] في الريحانة: ((وتتفنّك)).
[7] المقصود بحمص هنا: مدينة إشبيلية.
[8] هكذا أيضاً في الريحانة؛ بينما كتب في النفح: ((وأجحرت أبطالها إجحارا)).
[9] في الريحانة: ((بالقبول)).
[10] ما بين حاصرتين سقط في الإسكوريال، وورد في النفح.

الرسم، ووضح من التوفيق الوسم. فكانت الحركة إلى **جيان** [1]، قيعة [2] الظّل الأبرد، ونسيجة المنوال المفرد، [وكناس الغيد الخرد] [3] وكرسي الإمارة، وبحر العمارة، ومهوى هوى الغيث الهتون، وحِزْبُ[4] التين والزيتون، حيث خندق الجنة المعروف، تدنو لأهل النار مجانيه، وتشرق بشواطئ الأنهار إشراق الأزهار زهر [5] مبانيه، والقلعة التي تختمت بنان شرفاتها بخواتم النجوم، وهمت من دون سحابها البيض، سحايب الغيث السجوم [والعقيلة التي أبدى الإسلام يوم طلاقها، وهجوم فراقها سمة الوجوم، لذلك الهجوم] [6] فرمتها البلاد المسلمة بأفلاذ أكبادها الوادعة، وأجابت منادي دعوتك الصادقة الصادعة، وحبتها [7] بالفادحة الفادعة، فغصت الربى والوهاد، بالتكبير والتهليل، وتجاوبت الخيل بالصهيل،

---

[1] في النفح، والريحانة: ((إلى قاعدة جيان)).
[2] في الريحانة: ((قيمعة)).
[3] ما بين حاصرتين سقط في الإسكوريال، وورد في النفح.
[4] في النفح: ((حرب)).
[5] في الريحانة: ((وزهر)).
[6] ما بين حاصرتين ساقط في الإسكوريال، وورد في النفح.
[7] في الريحانة: ((وحيّتها بالفادحة البارعة)).

وانهالت الجموع المجاهدة [في الله تعالى][1] انهيال الكثيب المهيل، وفهمت نفوس[2] العباد المجاهدة في الله حق الجهاد، معاني التيسير من ربها والتسهيل، وسفرت الرايات عن المرأى الجميل، وأربت المحلات المسلمة[3] على على التأميل. ولما صبحتها النواحي[4] المقبلة الغرر، والأعلام المكتتبة الطرر، برز حاميتها مُصْحرين[5]، وللجوزة[6] المستباحة مستنصرين[7] فكاثرهم[8] من سرعان سرعان الأبطال، رجل الدَّبى[9]، ونبت[10] الوهاد والرُّبَى، فأقحموهم من وراء السور، وأسرعت أقلام الرماح في بسط عددهم المكسور، وتركت صرعاهم ولائم للنسور. ثم اقتحموا ربض المدينة الأعظم

---

[1] هذه العبارة واردة في النفح؛ بينما سقطت في الإسكوريال.
[2] في الريحانة: ((النفوس المجاهدة)).
[3] في الريحانة: ((المسلمات)).
[4] في الريحانة، والنفح: ((النواصي)).
[5] أي ظاهرين وبارزين.
[6] في الريحانة، والنفح: ((وللحوزة)).
[7] في الإسكوريال: ((منتصرين))؛ والتصحيح من النفح.
[8] في الريحانة: ((وكاثرهم)).
[9] أي أسراب الجراد.
[10] في الريحانة: ((وبنت)).

فافترعوه [1] وجدلوا من دافع عن أسواره وصرعوه، وأكواس [2] الحتوف جرعوه، ولم يتصل[3] أولى الناس بأخراهم ويحمدوا[4] بمخيم النصر العزيز سراهم، حتى خذل الكفار[5] الصبر، وأسلم الجلد، وأنزل[6] على المسلمين النصر، فدخل البلد، وطاح في السيل الجارف الوالد منه والولد، وأتهم [7] المطرف منه والمتلد، هولا بعيد بعيد الشناعة، وبغتا [8] كقيام الساعة، أعجل المجانيق عن الركوع، والسجود، والسلالم عن مطاولة [9] النجود، والأيدي عن ردم الخنادق والأغوار، والأكْبُش عن مناطحة الأسوار، والنفوط عن إصعاق الفُجّار [10]، وعمد الحديد، ومعاول [11] البأس الشديد، عن نقب

[1] في الإسكوريال، والريحانة: ((ففرعوه))؛ وصوبت من النفح.
[2] في النفح: ((وأكؤس)).
[3] سقطت هذه الكلمة في الإسكوريال.
[4] في الإسكوريال، والنفح: ((بحمد)). والريحانتة: ((وكمل)).
[5] في النفح: ((الكافر)).
[6] في الريحانة، والنفح: ((ونزل)).
[7] في الإسكوريال: ((وألهم)). وفي الريحانة: ((والتهم)).
[8] في الريحانة، والنفح: ((وبعثا)).
[9] في النفح: ((مطلولة)).
[10] في الريحانة: ((الكفار)).
[11] في الإسكوريال: ((معاون)). وفي الريحانة: ((ومعاوز)).

الأبراج، ونقض الأحجار، فهيلت الكثبان، [وأبيدت الشيب والشبان][1] وكسرت الصلبان، وفجع بهدم[2] الكنائس الرهبان وأهبطت النواقيس من مراقيها العالية، وصروحها المتعالية، وخلعت ألسنتها الكاذبة، ونقل ما استطاعته الأيدي المجاذبة[3]، وعجزت عن الأسلاب ذوات ذوات الظهور، وجلل الإسلام شعار العزّ[4] والظهور، بما بما خلت عن مثله سوالف الدهور[5] والأعوام والشهور، والشهور، وأعرست الشهداء بالحور، ومنُّوا[6] النفوس البيعة من الله بحلٍّ[7] الصدقات الصادقة[8] والمهور. ومن ومن بعد ذلك هدم السور، ومحيت من[9] مُخْتَطِّه[10] المحكم السطور، وكاد يسير ذلك الجبل الذي اقتعدته تلك

[1] وردت هذه العبارة في النفح، وسقطت في الإسكوريال.
[2] في الإسكوريال: ((بهدّ)). وفي الريحانة: ((بهذا)).
[3] في الريحانة: ((المتجاذبة)).
[4] في الريحانة: ((الغزو)).
[5] سقطت هذه الكلمة في الإسكوريال، ووردت في النفح هكذا؛ وفي الريحانة: ((سوالف الأعوام والشهور))..
[6] في الإسكوريال: ((ومن)). وفي الريحانة: ((الشهداء والنفوس...))، وفي النفح: ((الشهداء ومن النفوس...)).
[7] في الريحانة، والنفح: ((نحلّ)).
[8] سقطت هذه الكلمة في الإسكوريال، ووردت في النفح بدون كلمة ((الصادقة)).
[9] في النفح: ((عن)).
[10] نفسه: ((محيطه)).

المدينة، ويدك ذلك الطور. ومن بعد ما خرب الوجار، وعقرت [1] الأشجار، عُفِّر [2] المنار، وسلطت على بنات بنات التراب الماء[3] النَّار، وارتحل عنها المسلمون وقد عمتها المصائب، وأصمى لبَّتَها[4] السهم الصائب وظلَّلَتْها[5] القشاعم [6] العصايب. العصايب. فالذئاب في الليل البهيم تَعسل [7]، والضباع من الحدب البعيد تنسل، وقد ضاقت الجدل عن المخانق، وبيع العرض الثمين بالدانق، وسبكت إسورة الأسوار، وسويت الهضاب بالأغوار، واكتسحت الأحواز القاصية سرايا الغِوَّار [8]، وحجبت بالدخان مطامع الأنوار، الأنوار، وتخلفت قاعتها عبرة للمعتبرين، وعظة للناظرين، وآية للمستبصرين، ونادى لسان الحمية يا

---

[1] في النمفح: ((عقرت))؛ بدون واو.
[2] في الريحانة: ((وعقر))، وفي النفح: ((وعُفِّر))؛ بالواو.
[3] في الريحانة، والنفح: ((والماء))؛ بالواو.
[4] أصْمى: أصاب في مقتل. واللّبة: موضع القلادة في العنق.
[5] في النفح: ((وجلَّلَتْها)). وفي الريحانة: (وظلَّلَها)).
[6] أي المسنّون من النُّسور.
[7] الذئاب تعسل: عندما تضطرب في عدوها. وكتب في الريحانة: ((تعمل)). ((تعمل)).
[8] في النفح: ((المغوار)).

لثارات **الإسكندرية**، فأسمع آذان المقيمين والمسافرين، وأحق الله الحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ، وقطع دابر الكافرين[1]. ثم كانت الحركة إلى أختها الكبرى، ولُدَّتها الحزينة عليها العبرى، **مدينة أبدة**[2]، ذات[3] العمران المستبحر، والربض والربض الحزق[4] المُصْحر، والمباني الشمّ الأنوف، [وعقائل المصانع الجمة الحلي والشنوف وألعاب[5] الأنوف][6] وبلد[7] التَّجر، والعسكر المجر، وأفق الضلال الضلال الفاجر الكاذب[8] على الله الكذب الفجر. فخذل[9] الله حاميته[10] التي يعيي الحسبان عدُّها، وسَجَر[11] بحورها التي لا يرام مدها، وحقت عليها كلمة

---

[1] إحالة إلى قوله تعالى: (وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدّونَ أَنّ غَيْرَ ذَاتِ الشّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللّهُ أَنْ يُحِقّ الحَقّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الكَافِرِينَ). سورة الأنفال؛ الآية: 7.
[2] تسمى بالإسبانية: Ubeda؛ وموقعها في الشمال الشرقي من جيان.
[3] في الريحانة: ((دار)).
[4] في النفح: ((الخرق))، وفي: الحرى)).
[5] في النفح و الريحانة: ((الغاب)).
[6] ما بين الحاصرتين ساقط في الإسكوريال، ووارد في النفح.
[7] في النفح: ((بلدة)).
[8] في الريحانة: ((الكذب على الله الكاذب الفجْر)).
[9] نفسه: ((فجدَّل)).
[10] في النفح: ((حاميتها)).
[11] في الريحانة: ((وشجر)).

الله [1] التي لا يستطاع ردها. فدخلت لأول وهلة، واستوعب جمعها [2] والمنة لله، في نهلة، [ولم يَكُ[3] للسيف من عطف[4] عليها ولا مهلة][5]. ولمّا[6] تناوله العفاء العفاء والتخريب واستباحها[7] الفتح القريب، وأسند عن عواليها حديث النصر الحسن الغريب[8]، وأقعدت أبراجها من بعد القيام والانتصاب، وأضرعت مسايفها [9] لهول المصاب، انصرف عنها المسلمون بالفتح الذي عظم صيته، والعز الذي سما طرفه واشرأب ليته، والعزم [10] الذي حمد مسراه ومبيته، والحمد لله ناظم الأمر، وقد رأب شتيته، وجابر الكسر وقد أفات الجبر مفيته. ثم كان الغزو إلى أم البلاد، ومثوى الطارف والتلاد، **قرطبة** وما

[1] في الريحانة: ((كلمة الإسلام فلا يستطاع...)).
[2] في النفح: ((جمُّهها)).
[3] نفسه: ((ولم يكف)).
[4] في الريحانة: ((عضب)).
[5] هكذا في الإسكوريال؛ ووردت محرفة في النفح هكذا: (ولم يكفّ السيف من عليها ولا مهلة)). .
[6] في النفح، والريحانة: ((فلما)).
[7] في الريحانة: ((واجتاحها)).
[8] في النفح، والريحانة: ((القريب)).
[9] في الريحانة: ((مسايغها)).
[10] نفسه: ((والقصر)).

قرطبة [1]، المدينة التي على عمل أهلها في القديم، بهذا الإقليم، كان العمل، والكرسي الذي بعصاه [2] رعي المهل، والمصر الذي له في خطه المعمور الناقة والجمل، والأفق الذي هو لشمس الخلافة **العبشمية** [3]، الحمل فخيم فخيم الإسلام بعَقْرتها [4] المستباحة، وأجاز نهرها المعيي على السباحة، وعمّ دوحها الأشِبَ [5] بوارا، وأدار الكماة [6] بسورها سوارا، وأخذوا [7] بمخنقها حصارا، وأعمل النصل [8] بشجر نصلها [9] اجتناء ما شاء واهتصارا، واهتصارا، وجدل من أبطالها من لم يرض انجحارا [10]، فأعمل إلى المسلمين إصحارا [11]، حتى فرع [12] بعض جهاتها غلابا جهارا، ورفعت الأعلام إعلاما بعز

---

[1] في الريحانة: ((وما أدراك ما قرطبة)).
[2] نفسه: ((بفضله أرْعي..)).
[3] نسبة إلى عبد شمس؛ جدّ بني أمية.
[4] في النفح: ((بعقوتها))؛ أي بساحتها. وفي الريحانة: ((بعنوتها)).
[5] في الريحانة: ((الأشفّ)).
[6] في الإسكوريال، والريحانة: ((المحلات))؛ وصححت من النفح.
[7] في الإسكوريال، والريحانة، والنفح: ((وأخذ)).
[8] في المصادر السابقة: ((النصر)).
[9] في الإسكوريال: ((نصله)).
[10] في الريحانة: ((الحجار)).
[11] في الريحانة: ((إحصارا)).
[12] في النفح: ((فرغ)).

الإسلام [1] وإظهارا، فلولا استهلال الغوادي، وإن أتى الوادي، لأفضت إلى فتح [2] الفتوح تلك المبادي، ولقضى ولقضى فته [3] العاكف والبادي، فاقتضى الرأي ولذنب الزمان **الريحانة** في اغتصاب الكفر إياها متاب، تعمل ببشراة بفضل الله[4] أقتاد وأقتاب، و**{ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ}**[5]؛ أن يراض صعبها حتى يعود ذلولاً، وتعفى معاهدها الآهلة فتترك طلولاً. فإذا فجع الله بمارج النّار طوائفها المارجة، وأباد نجارجها [6] الطائرة والدارجة، خطب السيف منها **أمَّ خارجة** [7]. فعند ذلك أطلقنا بها ألسنة النار، ومفارق الهضاب الشُّمّ [8] قد شابت، والغلات

---

[1] في الإسكوريال: ((الله)).
[2] في الريحانة: ((فتوح)).
[3] في النفح: ((تفثه))، وفي الريحانة: ((تفئة)).
[4] بفضل الله هنا سقطت في الريحانة.
[5] الآية كاملة هكذا: [وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجاً وَذُرِّيَةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ). سورة الرعد؛ الآية: 38.
[6] هكذا أيضاً في الريحانة؛ وفي النفح: ((بخارجها)).
[7] هي عَمْرَة بنت سعد؛ كانت مزواجة؛ فتتزوج مجربة إياه؛ ثم تطلقه، وتتزوج آخر؛ حتى قيل أنها تزوجت ما يفوق الأربعين رجلا. وجراء ذلك ولدت ذرية كثيرة؛ وهم عامة قبائل العرب. فشبه ابن الخطيب قرطبة بخارجة؛ لتداول حملات المتغلبين عليها.
[8] في الريحانة، والنفح: ((بالهشيم)).

والغلات المُسْتَغَلَّة [1] قد دعاها [2] الفضل [3] فما ارتابت، وكأن صحيفة نهرها لما أضرمت النار حفافي [4] ظهرها ذابت، وحَيَّتهُ [5] فرّت أمام الحريق فانسابت، وتخلفت لغمائم الدخان عمائم تلويها برؤوس الجبال أيدي الرياح، وتنشرها [6] بعد الركود أياد الاجتياح. وأغريت[7] بأقطارها بأقطارها الشاسعة، وجهاتها الواسعة [جنود الجوع] [8] وتوعدت بالرجوع، فسلب [9] أهلها لتوقع الهجوم [10]، منزور الهجوع. فأعلامها خاشعة خاضعة، وولدانها لثدي البؤس راضعة، والله سبحانه، يوفد بخبر فتحها القريب ركاب البشرى، وينشر رحمته قبلنا نشرا، [ولهذا العهد يا **رسول الله** صلى الله عليك، وبلغ وسيلتي إليك،

---

[1] **في النفح، والريحانة: ((المستغلات)).**
[2] **نفسهما: ((قد دعا بها)).**
[3] **في النفح: ((القصل))؛ أي ما عزل من الحنطة من قشر. وفي الريحانة: الريحانة: ((أهل الفضل)).**
[4] **في الاسكوريال: ((حافي)). وفي الريحانة: ((خفافي))، وفي النفح: ((قي)).**
[5] **في الريحانة: ((وحيّة)).**
[6] **نفسه: ((وتنثرها)).**
[7] **نفسه: ((وأغرينا)).**
[8] **هذه العبارة ساقطة في الإسكوريال، وواردة في النفح.**
[9] **في الريحانة: ((فسلبت)).**
[10] **في الإسكوريال: ((الجوع)).**

بلغ [1] عن هذا القطر المرتدي بجاهك الذي لا يذل من ادرعه. ولا يضل بالسبيل [2] الذي يشرعه، إلى أن لاطفنا ملك **الروم** بأربعة من البلاد كان الكفر قد اغتصبها، ورفع التماثيل ببيوت الله ونصبها. فانجاب عنها بنورك الحلك ودار بدالتها إلى دعوتك الفلك، وعاد إلى مكاتبها ا لقرآن الذي نزل به على قَلْبِكَ الملك] [3] ثم تنوعت يا **رسول الله** لهذا العهد أحوال العدو تنوعا يوهم إفاقته من الغمرة [4]، وكادت فتنته تؤذن بخمود الجمرة، وتوقع الواقع، وحذر ذلك السم الناقع، وخيف الخرق الذي يحار فيه الراقع، فتعرفنا عوائد الله سبحانه ببركة هدايتك، وموصول عنايتك، فأنزل النصر والسكينة، ومكن العقائد المكينة، فثابت [5] العزائم وهبّت، واضطرت [6] عوائد الإقدام واستتبت، وما راع العدو إلا خيل الله تجوس

[1] في الريحانة: ((بلغ عزّ هذا...)).
[2] نفسه: ((ولا يضل من اهتدى بالسبيل الذي شرعه)).
[3] هذه الفقرة المحصوررة بين حاصرتين ساقطة في النفح؛ ووردت في الإسكوريال.
[4] أي من الشدَّة.
[5] أي عادت.
[6] في النفح: ((اطَّردت)).

خلاله، وشمس الحق تُقلِّص [1] ظلاله، وهُداك الذي أهديت [2] يُدحض ضلاله. ونازلنا حِصْنَيْ: **قنبيل والحواير** [3]، وهما معقلان متجاوران، يناجي منهما الساكن سرارا، وقد اتخذا بين النجوم قرارا، وفصل بينهما حسام النهر يروق غرارا، والتفّ معصمه في حلة الخصْب [4] ود جعل الجسر سوارا، فخذل الصليب بذلك الثغر من تولاه، وارتفعت أعلام الإسلام بأعلاه، وتبرجت عروس الفتح المبين [5] بمجلاه، والحمد لله على ما أولاه. ثم تحركنا على تَفيةِ [6] تعدي ثغر الموسطة على عدوه المساور في المضاجع، ومصبحة بالفاجىء الفاجع، فنازلن **حصن روطة**، الآخذ بالكظم، المعترض بالشجا اعتراض العظم، وقد شحنه العدو مددا بئيسا، ولم يأل اختياره رأيا ولا رئيسا [7] فأعيا داؤه، واستقلت بالمدافعة

---

[1] نفسه: ((توجب)).
[2] نفسه: ((هديت)).
[3] نفسه: ((الحائر)).
[4] نفسه: ((العصب)).
[5] أضيفت هذه الكلمة من النفح.
[6] في النفح: ((تفثة)).
[7] نفسه: ((تلبيسا)).

أعداؤه. ولما أتلع إليه جيد المنجنيق، وقد بَرْك [1] عليه برك الفنيق، وشد عصاب [2] العزم [3] الوثيق، لجأ أهله إلى التماس العهود والمواثيق، وقد غصوا بالريق، وكاد يذهب بأبصارهم لمعان البريق، فسكناه من حامية المجاهدين يمن يحمي ذماره، ويقرر اعتماره، واستولى أهل الثغور إلى هذا الحد، على معاقل كانت مستغلقة ففتحوها [4]، وشرعوا أرشية الرماح إلى قلب قلوبها ففتحوها. ولم تكد الجيوش المجاهدة تنفض عن الأعراف متراكم الغبار، وترخي عن [آباط خيلها] [5] شد حزم المغار، حتى عاودت عاودت النفوس شوقها، واستتبعت ذوقها، وخطبت التي لا فوقها، وذهبت به الآمال إلى الغاية القاصية، والمدارك المتصاعبة. على الأفكار المتعاصية. فقصدنا **الجزيرة الخضراء**، باب هذا الوطن، الذي منه طرق وادعه، ومطلع الحق الذي صدع الباطل صادعه، وثنية الفتح

---

[1] نفسه: ((بروك)).
[2] نفسه: ((عصام)).
[3] نفسه: ((المنع)).
[4] نفسه: ((فمتحوها)).
[5] حرفت في الإسكوريال؛ فكتبت: ((أياطلها)).

الـذي [1] بـرق منهـا لامعـه، ومسـرب [2] الهجـوم الـذي لـم تكـن لتعثر على غيره مطامعه، وفرضـة المجاز الـتي لا تنكـر، ومجمـع البحريـن في بعض مـا يذكـر، حيـث يتقـارب الشطـان [وتتقـاطـر ذوات الأشطـان [3]]، ويتـوازى الخطـان، ويكـاد [4] أن تلتقي حلقتـا البطـان. وقد كـان الكفـر قـد قـدر هـذه الفرضـة الـتي طرق منهـا حمـاه، ورمـاه الفتـح الأول بمـا رمـاه، وعلـم أن لا تتصـل أيـدي المسلميـن بإخوانهـم إلا مـن تلقائهـا، وأنـه لا يعـدم المكـروه مـع بقائهـا، فأجلـب عليهـا برجلـه، وخيلـه [5]، وسدّ أفـق البحـر مـن أساطيلـه، ومراكـب ومراكـب أباطيلـه، بقطـع ليلـه. وتـداعى المسلمـون بالعدوتيـن إلـى استنقاذهـا مـن لهواتـه، أو إمساكهـا مـن دون مهواتـه. فعجـز الحـول، ووقـع بملكـه إياهـا القـول، واجتازهـا [6] قهـرا، قهـرا، وقـد صابـرت الضيـق مـا ينهـاز ثلاثيـن شهـراً، وأطـرق

---

[1] في النفـح: ((الـتي)).
[2] نفسـه: ((ومشـرف)).
[3] سقطت هـذه العبـارة في النفـح، ووردت في الإسكوريـال.
[4] في النفـح: ((كـاد)).
[5] مأخـوذ مـن قولـه تعـالى: (وَاسْتَفْـزِزْ مَـنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُـمْ بِصَوْتِـكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِـمْ بِخَيْلِـكَ وَرَجِلِـكَ وَشَارِكْهُـمْ فِي الأَمْـوَالِ وَالأَوْلاَدِ وَعِدْهُـمْ وَمَـا يَعِدُهُـمُ الشَّيْطَـانُ إِلاَّ غُـرُوراً). سـورة الإسـراء؛ الآيـة: 64.
[6] في النفـح: ((واحتازهـا))؛ بالزيـن المعجمـة. أي ضمهـا إليـه.

الإسلام بعدها إطراق الواجم، واسودت الوجوه لخبرها الهاجم، وبكتها حتى دموع الغيث السَّاجم [1]، وانقطع المدد إلا من رحمة من ينفس الكروب، ويغري بالإدالة الشروق والغروب. ولما شككنا [2] بشَبا الله نحرها، وأغصصنا بجيوش الماء وجيوش الأرض، تكاثر نجوم السماء برها وبحرها، ونازلناها نذيقها شديد النزال، ونجحنا [3] بصدق الوعيد في غير [4] سبيل الاعتزال، رأينا بأوا لا يظاهر [5] إلاّ بالله ولا يطال، ومَنَعَةً [6] يتحاماها الأبطال، وجنابا روضه الغيث الهطال. أمّا أسوارها [7]، فهي التي أخذت النجد والغور. واسْتَعْدَتْ بجدال [8] الجلاد الجلاد عن البلاد، فارتكبت الدَّوْر تحوز بحرا من الاعتمار [9] ثانيا، وتشكك أن يكون الإنس لها بانيا. وأما

---

[1] أي المنصبّ.
[2] في النفح: ((شُكْنـا)).
[3] في النفح: ((ونَحَجُّهـا)).
[4] سقطت هذه الكلمـة في النفـح.
[5] البـأو: الكبريـاء. لا يظاهـر: لا يغالـب.
[6] في النفـح: ((مُمَنَّعـة)).
[7] نفسـه: ((أسواقهـا)).
[8] نفسـه: ((بخـلاء)).
[9] نفسـه: ((العمـارة)).

أبراجها فصفوف وصنوف، تزين صفحات المَسَايف [1] منها منها أنوف، وآذان لها من دوافع الصخر شُنُوف [2]. وأما خندقها فخر مجلوب، وسور مقلوب. وصدقها [3] المسلون القتال بحسب محلها من نفوسهم، واقتران اغتصابها ببؤسهم، وأفول شموسهم. فرشقوها من النبال بظلال تحجب الشمس فلا يشرق سناها، وعرجوا في المراقي البعيدة يفرعون مبناها، ونقبوها [4] أنقابا، وحصبوها[5] عقابا. ودخلوا مدينة **إلبِنَة** [6] بنتها غلابا، وأحسبوا السيوف السيوف استلالا، والأيدي اكتسابا، واستوعب القتل مقاتلتها السابغة الجُنَن [7]، البالغة المنن فأخذهم الهول المتفاقم، وجدلوا كأنهم الأرقام، لم تفلت منهم عين طرف، ولا لسان يلبي من يستطيع [8] الخبر أو يستشرف. ثم

---

[1] نفسه: ((السَّايف)).
[2] الشنوف: حلي تثبت في الأذن للزينة.
[3] في النفح: ((فصدقها)).
[4] نفسه: ((ونفوسها)).
[5] نفسه: ((وحصونها)).
[6] تسمى بالإسبانية LA Pena؛ ومعناها (الصخرة) وتطل على المحيط الأطلسي؛ بالقرب من طريف؛ وتقابل الجزايرة الخضراء؛ من الناحية الأخرى من المثلث الإسباني.
[7] الجُنَن: كل ما يقي الإنسان من سلاح.
[8] في النفح: ((يستطلع)).

ثـم سمـت الهمـم الإيمانية إلـى المدينـة الكبـرى، فـداروا سوارهـا [1] عـلى سورهـا، وتجاسـروا عـلى اقتحـام أوديـة الفنـاء مـن فـوق جسورهـا، ودفُّـوا [2] إليهـا بالضـروب مـن حيـل الحـروب بروجـا مشيـدة، ومجانيـق توثـق حبالهـا منهـا نشيـدة، وخفقـت بنصـر اللـه عذبـات الأعـلام، وأهـدت الملائكـة مـدَدَ الإسـلام [3]، فخـذل اللـه كفارهـا، وأكْهَـم [4] شفارهـا، وقلـم بيـد قدرتـه أظفارهـا، فالتمسـوا الأمـان للخـروج، ونزلـوا عـن [5] مـراقي العـروج، إلـى الأباطـح والمـروج، مـن سمائهـا ذات البـروج، فكـان بروزهـم إلـى العـراء مـن الأرض [6]، تذكـرة بيـوم العـرض، وقـد جلـل المقاتلـة الصِّفـار [7] [وتعلـق بالأمهـات النَّشْأُ الصِّغـار] [8] وبـودرت المدينـة بالتطهير، ونطقـت المآذن العاليـة بـالأذان الشهير،

---

[1] نفسـه: ((فـداروا سـواراً)).
[2] في النفـح: ((وأدنـوا)).
[3] نفسـه: ((السـلام)).
[4] أي أكَـلَّ عن الضـرب.
[5] في النفـح: ((علـى)).
[6] نفسـه: ((مـن العراء إلى الأرض)).
[7] نفسـه: ((الصِّغـار)).
[8] العبـارة الواقعـة بيـن الحاصرتيـن كتبـت في النفـح هكـذا: ((وتعلـق بالأمـان النسـاء والصغـار))؛ وهـو تحريـف.

والذكر الجهير، وطرحت كبار [1] التماثيل عن المسجد الكبير، وأزرى بألسنة النواقيس لسان التهليل والتكبير. وأنزلت عن الصروح أجرامها يعي الهندام مرامها، وألفي منبر الإسلام بها مجفوا، فأنست غربته، وأعيد إليه قربه وقربته، وتلا واعظ الجمع المشهود، قول منجز الوعود، ومورق العود: ﴿ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَٰكِن ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مِن شَيْءٍ لَّمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ * وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ * إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ النَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ﴾[2]؛ إلى آخرها، فكاد [3] الدمع الدمع يرق الآماق، والوجد يستأصل الأرماق، [وارتفعت الزَّعقات .. وعلت الشَّهْقات] [4] وجيء بأسرى المسلمين يرسفون في القيود الثقال، وينسلون من أجداث [5]

[1] حرفت في النفح؛ فكتبت: ((كفارها)).
[2] سورة هود؛ الآيات: 101 - 102 - 103.
[3] في النفح: ((فكان)).
[4] حرفت في النفح؛ فكتبت هكذا: ((وارتفعت الرغبات وعلت السبيات)).
[5] في النفح: ((أحداب)).

الاعتقال، ففكت عن سوقهم أساور [1] الحديد، وعن أعناقهم فلكات [2] البأس الشديد، وظللوا بجناح اللطف العريض المديد، وترتبت في المقاعد الحامية، وأزهرت بذكر الله المآذن السامية، فعادت [3] المدينة لأحسن أحوالها، وسكنت من بعد أهوالها، وعادت الجالية إلى أموالها، ورجع إلى القطر شبابه، ورد على دار هجرة [4] الإسلام بابه، واتصلت بأهل لا إله إلا الله أسبابه، فهي اليوم في بلاد الإسلام، قلادة النحر، وحاضرة البر والبحر، أبقى الله عليها، وعلى ما وراءها من بيوت أمتك، ودائع الله في ذمتك [ظلال عنايتك الواقية، وأمتعها إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها] [5]، بكلمة دينك الصالحة الباقية، وسدل عليها أستار عصمته الواقية.

وعدنا والصلاة عليك شعار البروز والقفول، وهجيري

---

[1] نفسه: ((أساود)).
[2] في الإسكوريال: ((ملكات)).
[3] في النفح: ((وعادت)).
[4] سقطت هذه الكلمة في النفح؛ ووردت في الإسكوريال.
[5] ما بين حاصرتين ورد في الإسكوريال، وسقط في النفح. وهذا القول إحالة إلى قوله تعالى: (إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ). سورة مريم؛ الآية: 40.

الشروق والأفول. والجهاد يا **رسول الله** الشأن المعتمد، ما امتد بالأجل الأمد، والمستعان الواحدالفرد الصَّمَد [1]. فوجبت مطالعة مقرك النبوي بأحوال هذه الأمة المكفولة في حجرك، المفضلة بإرادة تجرك، المهتدية بأنوار فجرك. وهل هو إلا ثمرة [2] سعيك ونتائج رعيك، وبركة حبك ورضاك، الكفيل برضا ربك، وغمام رعدك وإنجاز وعدك، وشعاع من نور سعدك، وبَذْرٌ [3] يجنى ريعه من بعدك، ونصر رايتك، وبرهان آيتك، وأثر حمايتك ورعايتك. واستنبت هذه الرسالة ماتحة [4] بحر الندى [5] الممنوح [6] ومفاتحة باب الهدى بفتح الفتوح، وفارعة [7] وفارعة [7] المظاهر والصروح، وملقية [8] الرحل بمتنزل الملائكة والروح، لتمد إلى قبولك [9] يد استمناح،

---

[1] **سقطت هنا بعض الأسطر وردت في النفح؛ بدأت بـ((ولهذا العهد يا رسول الله...)).**
[2] **في النفح، والريحانة: ((ثمرات)).**
[3] **في الريحانة: ((وبرّ رعى رعيه من بعدك)).**
[4] **في النفح: ((مائحة)).**
[5] **في الإسكوريال: ((الند)).**
[6] **في الريحانة: ((الممنوع، ومفاتحته بإبداء الهدى...)).**
[7] **نفسه: ((وقارعة)).**
[8] **نفسه: ((وباقية)).**
[9] **نفسه: ((قلبك)).**

وتطير [1] إليك من الشوق الحثيث بجناح، ثم تقف بموقف بموقف الانكسار، وإن كان تجرها آمنا من الخسار، وتقدم بأنس القُربة، وتحجم [2] بوحشة الغربة، وتتأخر بالهيبة، وتجهش لطول الغيبة، وتقول ارحم بعد داري، وضعف اقتداري، وانتزاح أوطاني، وخُلوَّ [3] أعطاني، وقلة زادي، زادي، وفراغ مزادي، وتقبل وسيلة[4] اعترافي، وتغمد هفوة[5] اقترافي، وعجل بالرضا انصراف متحملي لانصرافي [6]، فكم من جُبب من بحر زاخر، وقف بالركاب بالركاب ساخر، وحاشى لله أن يخيب قاصدك، وأن تتخطاني [7] مقاصدك. أو تطردني موائدك، أو تضيق عني عوائدك، ثم تمدُّ مُقْتضية [8] مزيد رحمتك مستدعية دعاء من حضر من أمتك. وأصحبتها يا **رسول الله**، عرضا من

---

[1] **نفسه: ((ويطير)).**
[2] **نفسه: ((ويحجم بوحشة الغربة، ويحبس لطول الغيبة...)).**
[3] **نفسه: ((وعلق)).**
[4] **في الإسكوريال: ((وسيرة))؛ وصوبت من النفح.**
[5] **في الريحانة: ((صفوة)).**
[6] **في الريحانة: ((لا انصرافي)).**
[7] **نفسه: ((يتخطاي معاضدك)).**
[8] **نفسه: ((تمد اليد مقتضبة من يد رحمتك)).**

النواقيس التي كانت بهذه البلاد المفتحة تُعَيّن [1] الإقامة والأذان، وتسمع الأسماع الضالة والآذان، مما قبل الحركة، وسالم المعركة، ومكن من نقله الأيدي المشتركة، واستحق بالقدوم عليك، والإسلام بين يديك، السابقة في الأزل البركة، وما سواها فكانت جبالاً عجز عن حملها [2] الهندام [3]، فنسخ وجودها الإعدام. وهي يا **رسول الله** جني من جناك، ورطب من أفنانك، وأثر ظهر عليها [4] من مسحة [5] حنانك هذه هي الحال [6] والانتحال [7]، والعائق أن تشد إليك الرِّحال، الرِّحال، ويُعْمَل [8] التِّرْحال، إلى أن نلقاك في عرصات [9] عرصات [9] القيامة شفيعا، ونحل بجاهك إن شاء الله محلا رفيعا، ونقدم في زمرة الشهداء الدامية كلومهم من

[1] في الإسكوريال: ((تغير))؛ وصوبت من النفح.
[2] في النفح: ((نقلها)).
[3] أي الآلات.
[4] في النفح: ((علينا)).
[5] نفسه: ((مسح)).
[6] في الريحانة: ((الحلل)).
[7] أضيفت هذه الكلمة من النفح.
[8] في الريحانة: ((ويعجل)).
[9] أضيفت هذه الكلمة من النفح. والعرصات هي ساحات الديار.

أجلك، الناهلة غللهم في سجلِّك [1] ونبتهل إلى الله الذي الذي أطلعك في سماء الهداية سراجا، وأعلى لك في السبع الطباق معراجا، وأم الأنبياء منك **بالنبي** الخاتم، وقفى على آثار نجومها المشرقة بقمرك العاتم، أن لا يقطع عن هذه الأمة الغريبة أسبابك، ولا يسد في وجوهها أبوابك، ويوفقها لاتباع هداك، ويثبت أقدامها على جهاد عداك. وكيف تعدم [2] ترفيها، أو تخشى [3] بخسا وأنت موفيها، أو يعذبها الله وأنت فيها. وصلاة الله وسلامه تحط بفنايك رحال طيبها، وتَهْدُر [4] في ناديك شقاشق خطيبها، ما أذكر الصباح الطلق هداك، والغمام السكب نداك، وما حنّ مشتاق يلثم [5] ضريحك، وفليت [6] نسمات نسمات الأسحار عما استَرَقَتْ [7] من ريحك [8].

***

[1] **في النفح: ((من سجلك)). أي من دلوك.**
[2] **في الريحانة: ((نعدم)).**
[3] **نفسه: ((نخشى)).**
[4] **نفسه: ((تبذر)).**
[5] **في النفح: ((إلى لثم))، وفي الريحانة: ((للثم)).**
[6] **نفسه: ((وبليت)).**
[7] **في الريحانة: ((أشرقت من ضريحك)).**
[8] **أضيفت في النفح والريحانة هذه العبارة: ((وكتب في كذا)).**

وصدر عني قبل هذه الرسالة عن السلطان[1] رضي الله عنه رسالة بهذه الفتوح إلى صاحب تونس[2] نصها[3]:

الخلافة التي ارتفع في[4] عقائد فضلها الأصيل القواعد الخلاف، واستقلت مباني فخرها الشائع، وعزها الذائع على ما أسسه الأسلاف، ووجب لحقها الجازم، وفرضها اللازم الاعتراف، ووسعت الآملين لها الجوانب الرحيبة والأكناف، وامتزاجنا بعلائها المنيف، وولائها الشريف، كما امتزج الماء والسُّلاف، وثناؤنا على مجدها الكريم، وفضلها العميم، كم تأرجت الرياض الأفواف، لما زارها الغمام الوكاف، ودعاؤنا بطول بقائها، واتصال علائها، يسمو به إلى قرع أبواب السماوات العلا[5] الاستشراف، وحرصنا على توفية حقوقها العظيمة، وفواضلها العميمة، لا تحصره الحدود، ولا تدركه

---

[1] هو سلطان الدولة النصرية الغني بالله.
[2] المقصود هنا هوالسلطان أبو إسحاق المستنصر إبراهيم بن أبي بكر الحفصي.
[3] ذكر في الريحانة أن ابن الخطيب كتب هده الرسالة في الثالث من شهر ربيع الآخر من عام 770هـ.
[4] في التعريف بابن خلدون، وصبح الأعشى: ((عن)).
[5] أضيفت هذه الكلمة من النفح.

الأوصاف، وإن عذر في التقصير، عن نيل ذلك المرام الكبير، الحق والإنصاف. خلافة وجهة تعظيمنا إذا توجهت الوجوه، ومن نؤثره إذا همنا [1] ما نرجوه ، وفديه ونبديه، إذا استمنح المحبوب، واستدفع [2] المكروه، السلطان [3] الخليفة، [الجليل الكبير الشهير، الإمام الهمام، الأعلى الأوحد، الأصعد، الأسعد، الأسمى، الأعدل، الأفضل، الأسنى، الأطهر، الأظهر، الأرضى، الأحفل، الأكمل، أمير المؤمنين **أبي إسحاق** ابن الخليفة الإمام البطل الهمام، عين الأعيان، وواحد الزمان، الكبير الشهير، الطاهر الظاهر، الأوحد الأعلى، الحسيب، الأصيل، الأسمى، العادل، الحافل، الفاضل، المعظم، الموقر الماجد، الكامل، الأرضى، المقدس، أمير المؤمنين **أبي يحيى أبي بكر**، ابن السلطان الكبير، الجليل، الرفيع، الماجد، الظاهر، الطاهر، المعظم، الموقر الأسمى، المقدس، المرحوم **أبي زكريا**، ابن الخليفة الإمام، المجاهد، الهمام،

---

[1] **في الريحانة: ((أهمنا)).**
[2] **نفسه: ((واسترفع)).**
[3] **أضيفت هذه الكلمة من النفح**

الكبير، الشهير الخطير، بطل الميدان، مفخر الزمان، الطاهر الظاهر، الأمضى المقدس ، الأرضى، أمير المؤمنين **أبي إسحاق**، ابن الخليفة الهمام، الإمام؛ ذي الشهرة الجامحة، والمفاخر الواضحة، علم الأعلام، فخر السيوف والأقلام، المعظم الممجد، المقدس، الأرضى، أمير المؤمنين **المستنصر بالله، أبي عبد الله بن أبي زكريا بن عبد الواحد بن أبي حفص**][1] أبقاه الله، ومقامه مقام **إبراهيم**، رزقا وأمانا، لا يخص جلب الثمرات إليه وقتا، ولا يعين زمانا، وكان على من يتخطف الناس من حوله، مؤيدا بالله معانا، معظم قدره العالي على الأقدار، ومقابل داعي حقه بالابتدار، المثنى على معاليه المخلدة الآثار، في أصونة النظام والنثار، ثناء الروضة المعطار على الأمطار، الداعي إلى الله، بدوام[2] بقائه في عزّة[3]

---

[1] **نُقِلتْ هذه الفقرة كاملة عن صبح الأعشى. لأن ما ورد في مخطوط الإسكوريال؛ غير وافي ؛ إذ اختصره الناسخ في: الخليفة الكذا أبي يحيى أبي بكر ابن السلطان أبي زكريا ابن الخليفة الكذا أبي إسحق ابن الخليفة المستنصر بالله عبد الله بن أبي زكريا بن عبد الواحد بن أبي حفص)).**

[2] **في التعريف، والصبح: ((بطول))، وفي الريحانة: ((إلى الله بقائه)).**

[3] **وفي التعريف، والصبح: ((عصمة)).**

منسدلة الأستار، وعصمة [1] ثابتة المركز، مستقيمة المدار، وأن يختم له بعد بلوغ غايات الآجال، ونهايات الأعمار، بالزلفى وعقب الدار.

سلام كريم، كما حملت نسمات الأسحار أحاديث الأزهار، وروت ثغور الأقاحي والبهار، عن مسلسلات الأنهار، وتجلى على منصة الاشتهار، وجه عروس النهار، يخص خلافتكم الكريمة النجار، العزيزة الجار، ورحمة الله وبركاته. أما بعد حمد الله الذي أخفى حكمته البالغة عن أذهان البشر، فعجزت عن قياسها، وجعل الأرواح كما ورد في الخبر [2] تحن إلى أجناسها، منجد هذه الملة من أوليائه الجلة، بمن يروض الآمال بعد شماسها، وييسر الأغراض قبل التماسها، ويعنى بتجديد المودات في ذاته، وابتغاء مرضاته، على حين إخلاق لباسها، الملك الحق، واصل الأسباب بحوله، بعد انتكاث [3] أمراسها، ومغني النفوس بطوله، بعد إفلاسها،

[1] نفسهما: ((وعزة)).
[2] في الصبح: ((الخبر أجنادا مجندة تحن...)).
[3] في الريحانة: ((انتكاب)).

حمدا يدر أخلاف النعم بعد إبساسها، وينشر[1] رمم الآمال من أرماسها ويقدس النفوس بصفات ملائكة السماوات بعد إبلاسها[2]. والصلاة[3] على سيدنا ومولانا محمد رسوله، سراج الهداية ونبراسها، عند اقتناء الأنوار واقتباسها، مطهر الأرض من أوضارها وأدناسها، ومصطفى الله من بين ناسها، وسيد الرسل الكرام، ما بين **شيثها وإلياسها**، الآتي[4] مهيمنا على آثارها في حين فترتها، ومن بعد نصرتها واستيناسنها[5]، مرغم الضراغم في أخياسها[6]، بعد افترارها وافتراسها، ومعفر أجرام الأصنام ومصمت أجراسها والرضا عن آله وأصحابه، وعترته وأحزابه، حماة شرعته البيضاء وحراسها، وملقحي غراسها، ليوث الوغى عند احتدام مراسها، ورهبان الدجى[7] تتكفل مناجاة[8] السميع العليم في

[1] نفسه: ((وينثر)).
[2] نفسه: ((إيلاسها)).
[3] في الصبح: ((والصلاة والسلام على سيدنا...))
[4] في الريحانة: ((والآتي)).
[5] نفسه: ((ومن بعد استياسها)).
[6] أي مرغم الأسود في غاباتها.
[7] في الصبح: الرجاء)).
[8] نفسه: ((بمناجاة)).

وحشة الليل البهيم بإيناسها، وتُفاوح نواسم الأسحار عند الاستغفار بطيب أنفاسها، والدعاء لخلافتكم العلية **المستنصرية** بالصنايع [1] التي تشعشع أيدي العزة القعساء من أكواسها، ولازالت العصمة [2] الإلهية كفيلة باحترامها باحترامها واحتراسها [3]، وأنباء الفتوح المؤيدة بالملائكة والروح، ريحان جلاسها، وآيات المفاخر التي ترك الأول للآخر، مكتتبة الأسطار [4] بأطراسها، وميادين الوجود مجالاً لجياد جودها وبأسها، والعز والعدل منسوبين لفسطاطها وقسطاسها، وصفيحة [5] النصر العزيز تفيض كفّها المؤيد بالله على رياسها، عند اهتياج أضدادها وشرَّة [6] انتكاسها [7] لانتهاب البلاد وانتهاسها [8]، وهبوب وهبوب رياح رياحها وتمرد مرداسها.

---

[1] في الصبح: ((بالسعادة)).
[2] في الريحانة: ((العزة)).
[3] نفسه: ((باحتراسها وانتراسها)).
[4] نفسه: ((على الأسطار)).
[5] نفسه: ((وصحيفة)).
[6] في الريحانة، والصبح: ((وسرَّة)).
[7] في الصبح: ((إنكاسها)).
[8] في الريحانة: ((انتهائها)).

فإنا كتبناه إليكم كتب الله لكم من كتائب نصره أمدادا تذعن أعناق الأنام[1]، لطاعة ملككم المنصور الأعلام، عند إحساسها، وأتاكم من آيات العنايات آية تضرب الصخرة الصماء ممن عصاها بعصاها، فتبادر بانبجاسها[2] من **حمراء غرناطة**، حرسها الله، وأيام الإسلام، بعناية الملك العلام، تحتفل وفود الملائكة الكرام لولائمها وأعراسها، وطواعين الطعان، في عدو الدين المعان، تجدد عهدها[3] بعام عمواسها [والحمد لله حمدا معادا يُقَيِّدُ[4] شوارد النعم][5] ويستدر مواهب الجود والكرم والكرم ويؤمن من انتكاب[6] الجدود وانتكاسها، ولي الآمال ومكاسها وخلافتكم هي المثابة التي يزهى الوجود بمحاسن مجدها. زهو الرياض بوردها وآسها، وتستمد أضواء الفضائل من مقباسها[7]، وتروي رواة الإفادة

---

[1] أي الخلق. وفي الريحانة: ((الأيام)).
[2] في الريحانة: ((بالجاسها)).
[3] نفسه: ((عريدها)).
[4] في الصبح: ((يعيد)).
[5] وردت هذه العبارة في الصبح كالآتي: ((والحمد لله حمدا يعيد شوارد النعم)).
[6] في الريحانة، والتعريف: ((انتكاث)).
[7] في الريحانة: ((مقياسها)).

والإبادة [1] [غريب الوجادة] [2] عن ضحاكها وعباسها، وإلى هذا أعلى الله معارج قدركم وقد فعل، وأنطق بحجج فخركم [3] من احتفى وانتعل. فإنه وصلنا كتابكم الذي حسبناه على صنائع الله لنا [4] تميمة، لا تَلْقَع [5] بعدها عين، وجعلناه على حلل مواهبه قلادة لا يحتاج معها زين، ودعوناه من جيب الكنانة [6] آية بيضاء الكتابة. الكتابة. لم يبق معها شك ولا مَيْن [7]، وقرأنا منه وثيقة ودّ، هضم فيها عن غريم الزمان دين، ورأينا منه إنشاء، خدم اليراع بين يديه وشاء، واحتزم [8] بهَيْمان عقدته مشاء، وسئل عن معانيه الاختراع، فقال: ﴿إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً﴾ [9]، فأهلاً به من عربيّ أبيّ [10] يصف السانح

---

[1] في الصبح: ((والإجادة)).
[2] أضيفت هذه العبارة من الصبح، والتعريف.
[3] في الريحانة: ((مجدكم)).
[4] هذه الإضافة من الصبح.
[5] في الريحانة: ((لا تلتمع)).
[6] في الصبح: ((الكناية)).
[7] أي: ولا كذب.
[8] في الصبح: ((واخترع)).
[9] سورة الواقعة؛ الآية: 35.
[10] في الصبح: ((أتى)).

والبانة، ويبين فيحسن [1] الإبانة. أدى الأمانة، وسئل عن حَيِّه فانتمى [2] إلى **كنانة**، وأفصح وهو لا ينبس، وتهللت وتهللت قسماته. وليل [3] حبره يعبس وكأن خاتمة المقفل على صوانه، المتحف بباكر الورد في غير أوانه رعف من مسك عنوانه. ولله من قلم دبج تلك الحلل، ونقع بمجاج الدواة المستمدة من عين الحياة الغلل. فلقد تخارق في الجود، مقتديا بالخلافة التي خلد فخرها في الوجود، فجاد بسر البيان ولبلبه، وسمح في سبيل الكرم حتى بماء شبابه، وجمح لفرط بشاشته وفهامته، بعد شهادة السيف بشهامته، فمشى من الترحيب في الطرس الرحيب على أم هامته. وأكرم به من حكيم أفصح بملغوز الإكسير، في اللفظ اليسير، وشرح بلسان الخبير، سر صناعة التدبير، كأنما خدم الملكة الساحرة بتلك البلاد، قبل اشْتجار [4] الجلاد فآثرته بالطارف، من سحرها والتلاد، أو عثر [5]

---

[1] نفسه: ((فبحسن)).
[2] في الريحانة: ((فانتهى)).
[3] في الإسكوريال: ((لعل))؛ التصحيح من التعريف، والصبح.
[4] في الريحانة: ((استنجاز)).
[5] في الريحانة: ((غيَّر)).

بالمعلقة، وتيك [1] القديمة المطلقة، بدفينة [2] دار، أو كنز تحت جدار، أو ظفر لباني الحنايا، قبل أن تقطع [3] به عن أمانيه المنايا، ببديعة [4]، أو خلف **جرجير الروم**، قبل منازلة القروم [5] على وديعة، أو أسَهَمة [6] **ابن أبي سرح سرح** في نشب للفتح وسرح، أو ختم [7] له **رَوْح بن حاتم حاتم** ببلوغ المطلب، أو غلب الحظوظ بخدمة **آل الأغلب**، أو خصه **زيادة الله** بمزيد، أو شارك **الشيعة** في أمر **أبي زيد** [8]، أو سار على منهاج في منصحة **بني صنهاج**، وفضح بتخليد أمداحهم، كل هاج. وأعجب له، وقد عزز منه مثنى البيان بثالث، فجلب سحر الأسماع، واسترقاق الطباع بين مثان للإبداع [9] ومثالث. كيف اقتدر على هذا المحيد [10]، وناصح مع التثليث مقام التوحيد،

---

[1] نفسه: ((وتلك)).
[2] نفسه: ((من قنية دار)).
[3] نفسه: ((تنقطع)).
[4] نفسه: ((ببديعه)).
[5] في الصبح: ((القدوم)).
[6] في التعريف: ((أسلمه)).
[7] في الصبح: ((حتم)).
[8] في الريحانة، والصبح: ((أبي يزيد))؛ وهذا أصوب.
[9] نفسهما: ((مثاني الإبداع)).
[10] في الصبح: ((المجيد)).

نستغفر الله ولي العون، على الصَّمْت [1] والصَّوْن. فالقلم فالقلم هو الموحد قبل الكون، والمتصف بصفات السادة، أولي العبادة، بضمور الجسم وصفرة اللون. وإنما هي كرامة فاروقية، وأثارة [2] من حديث سارية وبقية، سفر وجهها في الأعقاب، بعد طول الانتقاب، وتداول الأحقاب، ولسان مناب عن كريم جناب، وإصابة السهم لسواه محسوبة، وإلى الرمي الذي يسدّده [3] منسوبة ولا تنكر على الغمام بارقة، ولا على المتحققين [4] بمقام التوحيد كرامة خارقة، فما شاءه [5] الفضل من غرائب بر بر وجد، ومحاريب خلق كريم ركع الشكر فيها وسجد، حديقة بيان استثارت نواسم الإبداع [6] من مَهَبِّها، واستزارت [7] غمائم الطباع، من مصبها فآتت أكلها مرتين

---

[1] في الريحانة: ((الصُّمَّة)).
[2] أي: وبقية. وفي الريحانة: ((وإشارة)).
[3] في الصبح، والتعريف، والريحانة: ((سدَّده)).
[4] في الريحانة: ((المحققين)).
[5] نفسه: ((شاء)).
[6] نفسه: ((الإيداع)).
[7] نفسه: ((واستنارت)).

مرتين بإذن ربها [1]، لا بل كتيبة عز طاعنت بقنا الألفات سطورها، فلا يرومها النقد ولا يطورها ونزعت عن قسي النونات خطوطها، واصطفت من بياض الطرس، وسواد النفس [2] بُلْقٌ [3] تحوطها. فما كأس المدير على الغدير، بين بين **الخورنق، والسدير** [4]، تقامر [5] بنرد الحباب، عقول

---

[1] **إحالة إلى قوله تعالى: (وَمَثَل الذِينَ يُنْفِقُونَ أمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللّهِ وَتَثْبيتاً مِنْ أنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنّةٍ بِرَبْوَةٍ أصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلّ وَاللّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ). سورة البقرة؛ الآية: 265. وقوله سبحانه وتعالى: (تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلّ حِينٍ بِإذْنِ رَبّهَا وَيَضْرِبُ اللّهُ الأمْثَالَ لِلنّاسِ لَعَلّهُمْ يَتَذَكّرُونَ). سورة إبراهيم؛ الآية: 25.**

[2] **هذا أيضاً في الريحانة؛ بينما كتب في الصبح: ((النقس))؛ بالقاف المثناة الفوقية. والنقس: هو الحبر.**

[3] **في الريحانة: ((فلق)).**

[4] **الخورنق تعريب خورنقاه؛ وهو موضع الأكل والشرب؛ أما السَّدير فتعريبه: سادل؛ أي ثلاث قباب ضمن قبة واحدة بشكل متداخل. هما قصران؛ شيدهما النعمان بن امرئ القيس؛ بالقرب من الحيرة في العراق؛ وذلك بطلب من يزد جرد بن سابور؛ كسرى فارس؛ لكي يستجمم فيهما ولده العليل. ويقال أن الذي بناهما يسمى سنمار؛ خلال عشرين سنة. وذكر الأخباريون أن النعمان كافأ سنمار شرَّ مكافأة؛ حيث ألق به من قمة القصر فقتله؛ لكي يدفن معه سرّ البناء، وحتى لا يبني مثلهما. وقد أضحت حكاية سنمار مع النعمان مثلاً سائراً بين العرب؛ فيقولون: ((جزاني جزاء سنمار)). وقال الشاعر عبد العُزَّى بن امرئ القيس الكبي:**

جزاني جزاه الله شرّ جزائه   جزاء سنمار وما كان من ذنب
سوى رصَّه البنيان عشرين حجة   يعلي عليه بالقراميد والسكب
فلما انتهى البنيان يوما تمامه   وآض كمثل الطود والباذخ الصعب
وظن سنمار به كل حبوة   وفاز لديه بالمودة والقرب
رمى بسنمار على حاق رأسه   وذلك لعمر الله من أقبح الخطب

[5] **في الريحانة: ((تغامر)).**

عقول ذوي [1] الألباب، وتغرق **كسرى** في العباب [2]، وتهدي وهي الشمطاء، نشاط الشباب. وقد أسرج **ابن سُريح** [3] وألجم، وأفصح القريض [4] بعد ما جَمْجَم، وأعرب النأي الأعجم، وقع مُعيدا [5] بالقضيب، وشرعت وشرعت في حساب العقد بنان الكف الخضيب، وكأن الأنامل فوق مثالب العود ومثانيه، وعند إغراء الثقيل بثانيه، وإجابة صدى الغناء بين مغانيه. المراود تشرع في الوشي أو العناكب تسرع في المشي، فما المخبر [6] بنيل الرَّغائب، أو قدوم الحبيب الغائب، لا بل إشارة البشير، بكم المشير على العشير، بأجلب للسرور من زايره [7] المُتَلَقَّى بالبرور، وأدعى للحبور من سفير المبهج السفور [8]. السفور [8]. فلم نر مثله من كتيبة كتاب تجنب الجرد، تمرح

---

[1] نفسه: ((أولي)).
[2] نفسه: ((القباب)).
[3] في الصبح: ((ابن سريج)).
[4] في الريحانة: ((للقريض))، وفي الصبح: ((الغريض))؛ بالضاد المعجمة الفوقية. والغريض: هو المغني الشهير في صدر الإسام؛ أبو زيد عبد الملك.
[5] في الصبح: ((ووقع مَعْبد))، وفي الريحانة: ((ووقع معبدا)).
[6] في الريحانة: ((وما المخبر))، وفي الصبح: ((وما الخبر)).
[7] نفسه: ((زائره الملتقى)).
[8] في الصبح، والريحانة: ((للسفور)).

تمرح في الأرسان، وتتشوف مجالي ظهورها إلى عرائس الفرسان، وتهز معاطف الارتياح، من صهيلها الصراح بالنغمات الحسان. إذا أوجست [1] الصريخ نازعت [2] إثناء [3] إثناء [3] الأعنَّة، وكاثرت بأسنة آذانها مشرعة الأسنة، فإن فإن ادعى الظليم إثكالها [4] فهو ظالم، أو نازعها [5] الظبي الظبي هواديها وأكفالها فهو هاذ [6] أو حالم. وإن سئل **الأصمعي** [7] عن عيوب الغرر والأوضاح، قال مشيرا إلى إلى وجوهها الصباح، "جلدة بين العين والأنف سالم" من كل عبل الشوى، مسابق للنجم إذا ما هَوَى سامى التليل، عريض ما تحت الشليل، ممسوحة [8] أعطافه بمنديل النسيم النسيم البليل، من أحمر كالمدام، تجلى على الندام عقب الفدام، أتحف لونه بالورد، في زمن البرد، وحُيِّي [9] أفق

---

[1] في الصبح: ((وجدت)).
[2] في الريحانة: ((بارحت)).
[3] في التعريف: ((أفتاء)).
[4] في الصبح: ((أشكالها)).
[5] في الريحانة: ((نازع)).
[6] نفسه: ((هادٍ)).
[7] سقطت هذه الكلمة في صبح الأعشى.
[8] في الريحانة: ((ممشوقة)).
[9] في الريحانة: ((وحيًّا)).

أفق محياه بكوكب السعد، وتشوف الواصفون إلى عد محاسنه، فأعيت على [1] العد. بحر يساجل البحر، عند المد، وريح تباري الريح عند الشد، بالذراع الأشد، حكم له مُدَبِّرُ فلك [2] الكفل باعتدال فصل القد، وميزه قدره الميز يوم الاستباق، بقصب السباق، عند اعتبار الجد [3]، وولد مختط غرته أشكال الجمال، على الكمال، بين البياض والحمرة، ونقاء الخد، وحفظ رواية الخلق الوجيه عن جده الوجيه، ولا تنكر الرواية على الحافظ **ابن الجد**، وأشقر أبيٌّ [4] الخلق والوجه الطلق أن يحقر كأنما صيغ من من العسجد، وطرف بالدر، وأنعل بالزبرجد. ووسم في الحديث، بسمة اليمن والبركة، واختص بفلج الخصام عند اشتجار [5] المعركة وانفرد بمضاعف السهام، المنكسرة على على الهام، في الفرائض المشتركة، واتصفت [6] فلك كفله كفله بحركتي الإرادة، والطبع من أصناف الحركة. أصغى

---

[1] في الريحانة: ((عن)).
[2] نفسه: ((الفلك باعتدال)).
[3] في الصبح: ((الحد)).
[4] في الريحانة: ((ذهبيّ)).
[5] نفسه: ((استنجاز)).
[6] في الريحانة: واتصل))، وفي الصبح: ((واتصف)).

إلى السماء بأذن الملهم، وأُغْرِيَ [1] لسان الصَّهيل [2] عند التباس معاني المهمز [3]، والتسهيل ببيان المبهم، وفتنت العيون، من ذهب جسمه، ولجين نجمه بحب الدُّنَيْر [4] والدِّرهم، فإن انقض فرجم، أو ريح لما [5] هجم، وإن اعترض فشفق لاح به للنجم نجم. وأصفر قيد الأوابد الحرة، وأمسك المحاسن، وأطلق الغرة، وسئل من أنت في قواد الكتائب، وأولي الأخبار العجائب، فقال: أنا **المهلب بن أبي صفرة**، نرجس هذه الألوان، في رياض الأكوان، تحيا به محيا [6] الحرب العوان. أغار بنخوة الصائل الصائل على معصفرات الأصائل، فارتداها، وعمد إلى خيوط شعاع الشمس، عند جانحة الأمس، فألحم [7] منها حلته وأسداها، واستعدت عليه ملك [8] المحاسن فما أعداها، فهو أصيل تمسك بذيل الليل عرفه وذيله،

---

[1] **في الصبح: ((وأعرب)).**
[2] **في الريحانة: ((الصميل)).**
[3] **في الصبح: ((الهمز)).**
[4] **في التعريف، والصبح: ((الدِّينار)).**
[5] **في الصبح: ((لها)).**
[6] **نفسه: ((وجوه)).**
[7] **في الريحانة: ((فألجم)).**
[8] **نفسه: ((تلك)).**

وكوكب يطلعه من القتام ليله، فيحسده فرقد الأفق وسهيله، وأشهب تغشى [1] من لونه مَفاضه [2] وتسربل منه لأْمَةٌ [3] فضفاضة، قد احتفل زينه، لما رقم بالنبال لجينه، فهو الأشمط الذي حقه لا يغمط، والدارع [4] المسارع والأعزل الذَّارع [5]، وراقي الهضاب الفارع، ومكتوب الكتيبة البارع، وأكرم به من مرتاض سالك، ومجتهد على غايات السابقين الأولين [6] متهالك. وأشهب يروي من الخليفة، ذي الشِّيَم المنيفة، عن مالك. وحُباريّ كلما سابق وبارى، أستعار جناح الحُبارى، فإذا أعلمت هذه [7] الحسبة، قيل من هنا جاءت النسبة طرد النمر لما عظم أمره وأمر، فنسخ وجوده بعدمه، وابتزه الفروة، ملطَّخة [8] بدمه، وكأن مضاعف الورد، نثر عليه من طبقه، أو الفلك، لما ذهب الحلك، مزح فيه بياض صبحه

---

[1] في الريحانة: ((سني)).
[2] في الصبح: ((مضاضة)).
[3] أي: درع
[4] هكذا في الإسكوريال، والتعريف؛ وفي الصبح: ((الذراع)).
[5] في الصبح: ((الدَّارع)).
[6] ساقطة في الإسكوريال، والريحانة.
[7] أضيفت من الصبح.
[8] في الصبح: ((ثم لطَّخه)).

بحمرة شفقه، وقرطاسي حقه لا يجهل، متى ما ترقى [1] العين فيه تسهل [2]، إن نزع عنه جله، فهو نجم كله، انفرد انفرد بمادة الألوان، قبل أن تَشُوبها [3] يد الأكوان، وتمزجها وتمزجها أقلام المَلَوَان [4]، يتقدم منه الكتيبة [5] لواء ناصع، ناصع، أو أبيض مماصع. لبس وقار المشيب [6]، في ريعان ريعان العمر القشيب، وأنصتت الآذان من صهيله المطيل المطيب، لما ارتدى بالبياض إلى نغمة الخطيب وإن تعتب منه للتأخير المتعتب [7]، قلنا الواو لا ترتب، ما بين فحل وحرة، وبَهْرَمانة [8] ودرة، ويا لله من ابتسام غرة، ووضوح يمن في طرة، وبهجة للعين وقرة. وإن ولع الناس بامتداح القديم، وخصوا الحديث بفري الأديم، وأوجب المتعصب، وإن أبى المنصب مزية [9] التقديم، وطمح إلى

[1] في الإسكوريال : ((ترقى))؛ وصوبت من النفح، والتعريف.
[2] في الصبح: ((تشهل)).
[3] في الريحانة: ((تثريها الأكوان وتمزقها أقلام المَلَوان، تتقدم منه...)).
[4] أي: الليل، والنهار.
[5] في الريحانة: ((الكتيبة المقفلة لواء ناصع)).
[6] نفسه: ((الشيب)).
[7] نفسه: ((المقتّب)).
[8] أي: العصفر.
[9] في الصبح، والتعريف: ((مرتبة)).

رتبة المخدوم طرف الخديم، وقورن المثري بالعديم ، وبخس في سوق الكسد [1] الكيل، ودجا الليل وظهر في فلك الإنصاف الميل، لما تذوكرت الخيل، فجيء بالوجيه والخطار، والزّائد [2] وذي الخمار [3]، وداحس والسكب، والسكب، والأبجر [4] وزاد الركب، والجموح واليحموم، والكميت ومكتوم، والأحوج والحلوان [5]، ولاحق والغضبان، وعفزر [6] والزعفران، والمحبر واللعاب، والأغر والأغر والغراب، وشعلة [7] والعقاب، والفياض واليعبوب، والمذهب واليعسوب، والصَّموت [8] والقطيب، والقطيب، وهديب والصبيب، وأهلوب وهداج، والحرون وخرَّاج [9]، وعلوى[10] والجناح، والأحوى ومُجاج [1]،

---

[1] في الإسكوريال، والصبح: ((الحسد))؛ والتصويب من التعريف.
[2] في الريحانة، والصبح: ((الذّائد)).
[3] أي: اللثام.
[4] حصان عنترة بن شداد يسمى ((الأبجر)). وكتب في الريحانة: ((والأبحر))؛ وهو تحريف؛ لأن الأسماء المذكورة هنا هي للجياد العربية الشهيرة.
[5] في الصبح، والتعريف: ((وحلوان)).
[6] في الريحانة: ((وعفروز))، وفي الصبح: ((وعفور)). والصحيح: هي ((عفرز))؛ إذ اشتهر هذا الاسم في التعريف بالخيول العربية.
[7] في الريحانة: ((وشقلة)).
[8] في لصبح، والريحانة: ((والصحون)). واسم ((الصموت)) أصوب.
[9] في الريحانة: ((والحرَّاج)).
[10] نفسه: ((وجلوى)).

والعصا والنعامة، والبلقاء والحمامة، وسكاب والجرادة، وخوصاء [2] والعرادة، فكم [3] بين الشاهد والغائب، والفروض والرغائب، وفرق ما بين الأثر والعيان، غني عن البيان، وشتان ما بين الصريح والمشتبه، ولله در القائل في مثلها: "خذ ما تراه ودع شيئا سمعت به". والناسخ يختلف به الحكم، وشر الدواب عند التفضيل بين هذه الدَّواب، الصُّمُّ البُكْم [4]، إلاّ ما ركبه نبي. أو كان له يوم الافتخار برهان خبيّ [5] ومفضل ما سمع على ما رأى غبيّ، فلو أنصفت محاسنها التي وصفت، لأقضمت حب القلوب علفا، وأوردت ماء الشبيبة [6] نطفا، واتخذت لها من عذر الخدود الملاح عذر موشية، وعللت بصفير ألحان القيان كل عشية، انعلت [7] بالأهلة، وغطيت بالرياض بدل الأجلة. إلى الرقيق، الخليق بالحسن الحقيق،

---

[1] في الريحانة: ((ومحاح)).
[2] نفسه: ((وخبوصا)).
[3] نفسه: ((وكم)).
[4] نفسه: ((والبكم)).
[5] في التعريف: ((خفى))، وفي الريحانة: ((مرعيّ)).
[6] في الصبح: ((الشنينة)).
[7] في الريحانة: ((وأهلّت)).

تسوقـه إلـى مثـوى الرعايـة روقـة الفتيـان راعتـه، ويُهْـدي [1] عقيقهـا مـن سَبَجِـه [2] أشكـالا تشهـد للمخترع سبحانه، بأحكام ومخترعاته، وقفت ناظر الاستحسان لا يريـم، لما بهره [3] منظرها الكريـم، وتخامل [4] الظليم، وتضاءل الرّيـم. وأُخْرِس [5] مُفَـوَّه [6] اللسـان، وهـو [بملكة بملكة التبيان] [7] الحفيظ العليم. وناب لسان الحال عن لسان لسان المقال، عند الاعتقال، فقال يخاطب المقام، الذي أطلعت أزهارها غمائم جوده، واقتضت اختيارها بركة وجوده، لو علمنا أيها الملك الأصيل، الذي كرم منه الإجمال، والتفصيل، أن الثناء يوازيها لكلنا لك بكيلك، أو الشكر يعادلها ويجازيها [8]، لتعرضنا بالوَشَل [9] إلى نيل نيل نيلك، أو قلنا هي [10] التي أشار إليها مستصرخ سلفك

[1] في الريحانة: ((وتهدي)).
[2] نفسه: ((سبحه)).
[3] نفسه: ((بهرها)).
[4] نفسه: ((وتحامل)).
[5] نفسه: ((وأخرص)).
[6] في الصبح: ((مقوله)).
[7] في التعريف، والصبح: ((بملكات البيان)).
[8] في الصبح: ((أو يجازيها)).
[9] الوشل: كلّ كثير؛ من الماء والدمع.
[10] يقصد: مدينة بلنسية.

المستنصر بقوله: ((أدرك بخيلك)) [1] حين شَرِقَ بدَمْعه [2] بدَمْعه [2] الشّرق، وانهزم الجمع، واستولى الفَرَق، واتسع فيه، والحكم لله، الخرق، ورأى أن مقام التوحيد بالمظاهرة على التثليث، وحزبه الخبيث، هو الأولى والأحق. والآن قد أغنى الله بتلك النية، عن إنجاد [3] الطوال الرَّدِينِيَّة، وبالدعاء من تلك المثابة الدينية، إلى رب البنية، عن الأمداد السنية، والأجواد تخوض بحر الماء إلى بحر المنية، وعن الجرد العربية في مقاود الليوث الأبية. فجدَّد [4] برسم برسم هذه الهدية، مراسم العهود الودية، والذمم الموحدية لتكون علامة على الأصل، ومُكذِّية لدعوى الوقف والفصل، وإشعارا بالألفة التي لا تزال ألفها [بحول الله] [5] الله] [5] ألف الوصل، ولامها حراما على النصل. وحضر

---

[1] حدث ذلك عندما هاجم النصارى مدينة بلنسية حاضرة شرق الأندلس؛ فاستنجد أميرها أبو جميل زيان بن مردنيش بأبي زكريا بن عبد الواحد الحفصي سنة 635هـ/1238م. وأرسل إليه ابن الأبار القضاعي فأنشده قصيدته الشهيرة؛ ومطلعها:

أدرك بخيلك خيل الله أندلسا * إن السبيل إلى منجاتها درسا

[2] في الصبح: ((بدفعه)).

[3] في الريحانة: ((واتخاذ)).

[4] في الصبح: ((وجدّد)).

[5] هذه العبارة ساقطة في الصبح، والتعريف.

بين يدينا رسولكم فلان، فقرر من فضلكم، ما لا ينكره من عرف علو مقداركم، وأصالة داركم، وفلك إبداركم، وقطب مداركم، وأجبناه [1] عنه بجهد ما كنا لنقنع من جناه المهتصر، بالمقتضب المختصر، ولا لنقابل [2] طول طوله بالقصر، لولا طروء الحصر. وقد كان بين الأسلاف رحمة الله عليهم ورضوانه [3]، وُدٌّ أبرمت من أجل الله معاقده، ووثرت للخلوص الجلي النصوص، مضاجعه القارة ومراقده، وتعاهد بالجميل، توجع لفقده [فيما سلف] [4] فاقده أبى الله ألا يكون لكم الفضل في تجديده، والعطف بتوكيده. ونحن الآن لا ندري أي مكارمكم نذكر [5] أو أي فواضلكم نشرح أو نشكر، أمفاتحتكم التي هي في الحقيقة عندنا [6] فتح، أم هديتكم وفي وصفها للأقلام سبح، ولعدو الإسلام بحكمتها [7]

---

[1] في الريحانة: ((وأجبنا)).
[2] في الصبح: ((نقابل)).
[3] في الريحانة: ((الأسلاف، رضوان الله عليهم، ودٌّ...)).
[4] هذه العبارة الواردة بين حاصرتين سقطت في الصبح، والتعريف.
[5] في الريحانة: ((تُذْكر، أو أيّ فواضلكم تُشْرح أو تُشْكر)).
[6] في الصبح، والريحانة: ((هي عندنا في الحقيقة)).
[7] نفسهما: ((بحكمة حكمتها)).

كبح. إنما نكل الشكر لمن يوفي جزاء الأعمال البرة، ولا يبخس مقال الذرة، ولا أدنى من مثقال الذرة، ذي الرحمة الثرة، والألطاف المتصلة المستمرة لا إله إلا هو. وإن تشوفتم إلى الأحوال الراهنة، وأسباب الكفر [1] الواهيــة [بقدرة الله] [2] الواهنة، فنحن نطرفكم بطرفها، ونطلعكم على سبيل الإجمال بطَرَفها، وهو أننا لما أعادنا [3] الله من التمحيص، إلى مثابة التخصيص، من بعد المرام العويص، كحلنا بتوفيق الله بصر البصيرة، ووقفنا على سبيله مسعي الحياة القصيرة، ورأينا كما نقل إلينا، وكرَّر على من قبلنا وعلينا، أن الدنيا، وإن غر الغرور، وأنام على سرر الغفلة السرور، فلم ينفع الخطور على أجداث الأحباب والمرور، جسر يعبر، ومتاع لا يغبط من حبي به، ولا يُجبر [4] إنما هو خبر به يخبر [وأن الحسرة الحسرة بمقدار [5] ما على تركه تجبر] [6] وأن الأعمار أحلام،

---

[1] في الريحانة: ((الكفر الواهنة؛ فنحن...)).
[2] ساقطة في الإسكوريال.
[3] في الصبح: ((أعاد)).
[4] في الصبح: ((ولا يحبر))؛ بالحاء المهملة.
[5] نفسه: ((بمقدارها)).
[6] هذه العبارة واردة في الصبح، والتعريف؛ وساقطة في الإسكوريال.

أحلام، وأن الناس نيام، وربما رحل الراحل عن الخان، وقد جلله بالأذى والدخان أو ترك به طِيبا، وثناء يقوم بعده للآتي خطيبا، فجعلنا العدل في الأمور ملاكا، والتفقد للثغور مسواكا، وضجيج [1] المهاد، حديث الجهاد، وأحكامه مناط الاجتهاد، وقوله: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ﴾[2]؛ دليل [3] الاستشهاد، وبادرنا [4] رَمَق [5] الحصون المضاعة، وجنح وجنح التقية دامس، [وعورتها [6] لا ترد يد لامس] [7]، لامس] [7]، وساكنها بائس والأعصم في شَعَفاتها [8] من من العصمة آيس [9]، فَزَيَّنا[10] ببيض الشرفات ثناياها، وأفعمنا بالعذب الفرات ركاياها، وغشينا بالصفيح

---

[1] في الريحانة، والصبح: ((وضجيع))؛ بالعين المهملة.
[2] الآية كاملة هكذا: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ). سورة الصف؛ الآية: 10.
[3] في الصبح، والتعريف: ((من حجج)).
[4] في الإسكوريال، والصبح: ((من))؛ وصححت من التعريف.
[5] في الصبح: ((من)).
[6] في الريحانة: ((وعوراته)).
[7] هذه العبارة الواردة بين حاصرتين ساقطة في الصبح.
[8] في الريحانة: ((شعباتها)).
[9] في الصبح: ((يائس)).
[10] في الريحانة: ((فرتبنا)).

المضاعف أبوابها، واحتسبنا عند موفي الأجور ثوابها، وبيضنا بناصع الكلس أثوابها، فهي اليوم توهم حِسَّ[1] العيان، أنها قطع من بيض العنان[2]، تكاد تناول قرص البدر بالبنان، متكفلة للمؤمن، من فزع[3] الدنيا والآخرة والآخرة بالأمان، وأقرضنا الله قرضا[4]، وأوسعنا مدونة الجيش عرضا، وفرضنا أنصافه مع الأهلة فرضا، واستندنا من التوكل على الله الغني الحميد إلى ظل لواء، ونبذنا إلى **الطاغية** عهده على سواء، وقلنا: ربّ[5] أنت العزيز، العزيز، وكل جبّار لعزك ذليل، وحزبك هو الكثير، وما سواه فقليل، أنت الكافي، ووعدك الوعد الوافي فأفض علينا مدارع الصابرين، واكتبنا من الفائزين، بحظوظ رضاك، الظافرين، ﴿وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ

[1] في الريحانة: ((حسن)).
[2] في الاسكوريال: ((القيان)). وصححت من التعريف، والصبح.
[3] في الريحانة: ((قرع)).
[4] استمد هذه العبارة بتصرف من قوله تعالى في مواضع كثيرة من كتابه كتابه العزيز؛ مثل: الآية: 245 من سورة البقرة، الآية: 12 من سورة المائدة، والآيتان: 11 - 18 من سورة الحديد، والآية: 17 من سورة التغابن، والآية: 20 من سورة المزمل.
[5] في الريحانة، والصبح: ((ربنا)).

﴿الكافرين﴾[1]. فتحركنا أولى الحركات، وفاتحة مصحف البركات، في خف من الحشود، واقتصار على من [2] بحضرتنا من العساكر المظفرة والجنود إلى **حصن آشر** [3] البازي [4] المطل [وركاب العدو] [5] الضال المضل، ومهدي ومهدي نفثات الصل، على امتناعه وارتفاعه، وسموّ [6] يفاعه، وما بذل العدو فيه من استعداده، وتوفير أسلحته وأزواده، وانتخاب أنجاده. فصلينا [7] بنفسنا ناره، وزاحمنا وزاحمنا عليه الشهداء نصابر أواره، ونلقي بالجوارح العزيزة سهامه المسمومة، وجلامِدَه [8] الململمة وأحجاره، حتى فرعنا بحول [9] من لا حول ولا قوة إلاّ به، أبراجه المنيعة وأسواره، وكففنا عن البلاد والعباد أضراره، بعد أن

---

[1] الآية كاملة هكذا: ﴿وَلَمّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْراً وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى القَوْمِ الكَافِرِينَ﴾. سورة البقرة؛ الآية: 250.
[2] في الصبح: ((ما)).
[3] سبق التعريف به. وفي الصبح: ((آش))؛ هو تحريف.
[4] في الريحانة: ((السامي)).
[5] هذه العبارة ساقطة في الإسكوريال.
[6] في الريحانة: ((وسمر)).
[7] نفسه: ((فطبنا عليه بنفسنا)).
[8] نفسه: ((وجلاسده الملونة)).
[9] نفسه: ((بحول الله، من...)).

استضفنا إليه **حصن السهلة** [1] جاره، ورحلنا عنه بعد أن شحناه رابطة وحامية، وأزوادا [2] نامية، وعملنا في بيدنا في في رم ما ثلم القتال، وبقر من بطون مسابقة [3] الرجال واقتدينا بنبينا صلوات الله وسلامه عليه في الخندق، لما حمى ذلك المجال، ووقع الارتجاز المنقول خبره والارتجال [4]، وما كان ليقر الإسلام مع تركه القرار، وقد وقد كتب الجوار، وتداعى الدعرة، وتعاوى الشرار. وقد [5] كنا أغزينا الجهة الغربية من المسلمين بمدينة [6] **بُرغة** [7] التي سدت بين القاعدتين **رندة ومالقة** [8] الطريق، الطريق، وألبست ذل الفراق ذلك الفريق، ومنعتهما أن تسيغا [9] الريق، فلا سبيل إلى الإلمام لطيف المنام إلا في

---

[1] يسمى هذا الحصن أيضاً شنتمرية الشرق؛ **Santa Maria de Albarracin**؛ ويقع بين بلنسية وسرقسطة.

[2] في الريحانة: ((وأوسعناه أزواداً)).

[3] في الصبح: ((مسالحة)).

[4] في الريحانة: ((والارتحال))؛ بالحاء المهملة.

[5] في الصبح: ((وكنا أغزينا)).

[6] في الريحانة: ((مدينة)).

[7] تسمى بالإسبانية **Burgo**؛ وتقع بين مالقة ورندة.

[8] في الصبح: ((مالقة ورندة)).

[9] في الريحانة، والصبح: ((أن يسيغا)).

الأحلام، ولا رسالة إلا في أجنحة هدي [1] الحمام، فيسر فيسر الله فتحها، وعجل منحها، بعد حرب أنبتت فيها النحور وتزينت الحور، وتبع هذه الأم بنات شهيرة، وبقع للزرع والضرع خيرة، فشفي الثغر من بوسه، وتهلل وجه الإسلام بتلك الناحية بعد عبوسه. ثم أعملنا الحركة إلى **مدينة الجزيرة** [2]، على بعد المدا [وتغلغلها في] [3] بلاد العدا، واقتحام هول الفلا [4] وغول الرَّدى، مدينة تبنتها [5] تبنتها [5] **حمص**، فأوسعت الدار، وأغلت الشوار، وراعت الاستكثار، وبسطت الاعتمار، رجح إلينا قصدها على البعد، والطريق الجعد، ما أشقت [6] به المسلمين، من من استئصال طائفة من أسراهم، مروا بها آمنين، وبطائرها [7] المشئوم متيمنين، قد أنهكم الاعتقال، والقيود والقيود الثقال، وأضرعهم الإسار، وجللهم الانكسار.

---

[1] في التعريف: ((هدل)).
[2] في الريحانة: ((أطريرة)).
[3] في الصبح: ((وتعلّقها على بلاد...)).
[4] في الريحانة: ((البلا)).
[5] في الإسكوريال، والصبح: ((بنتها)). وصوبت من التعريف.
[6] في الصبح، والريحانة: ((أسفت)).
[7] في الريحانة: ((بظاهرها)).

فجدلوهم في مصرع واحد، وتركوهم عبرة للرائي والمشاهد، وأهدوا بوقيعتهم إلى الإسلام، ثكل الواجد، وتِرَة [1] الماجد، فكبسناها كبسا، وفجأناها [2]، بإلهام من لا يضل ولا ينسى، فصبحتها الخيل، ثم تلاحق الرَّجْل لَّما [3] لَّما [3] جَنَّ اللَّيْل [4]، وحاق بها الويل، فأبيح منها الذِّمَار [5] الذِّمَار [5] وأخذها الدمار، ومحقت من مصانعها البيض [6] البيض [6] الأهلة، وخسفت الأقمار، وشفيت من دماء أهليها [7]، الضلوع الحرار [8]، وسلطت على هياكلها النار، النار، واستولى على الآلاف [9] العديدة من سبيها الإسار، الإسار، وانتهى إلى **إشبيلية** الثكلى المغار، فجلل وجوه من بها من كبار **النصرانية** الصغار، واستولت الأيدي على ما لا يسعه الوصف ولا تقله الأوقار، وعدنا والأرض

---

[1] في الريحانة: ((وثرَّة)).
[2] في الإسكوريال: ((وفجناها))؛ والتصويب من الصبح.
[3] في الصبح، والريحانة: ((كما)).
[4] في الريحانة: ((السيل)).
[5] الذمار: كل متا يجب حفظه وحمايته من: عرض، وقِيَم وحُرُم.
[6] أي السيوف.
[7] في الصبح، والريحانة: ((أهلها)).
[8] في الريحانة: ((الجرار))؛ بالجيم المعجمة التحتية.
[9] نفسه: ((الآلات)).

تموج سبيا، لم تترك[1] **بعِفِّرين** شبلاً، ولا بَوْجرة ظبيا، والعقائل حسرى، والعيون يبهرها [2] الصنع الأسرى، وصبح السرى قد حمد، من بعد بعد [3] المسرى، فـ﴿**سُبْحَانَ الذِي أَسْرَى**﴾[4]، ولسان الحمية ينادي في تلك الكنائس المخزية [5] والنوادي، يا لثارات الأسرى. ولم يكن يكن إلاّ أن نُفِّلَت [6] الأنفال، ووسمت بالأوضاخ [7] الأغفال، وتميزت الهوادي والأكفال، وكان إلى غزو **مدينة جيان** الاحتفال، قدنا إليها الجرد تلاعب الظلال نشاطا، والأبطال تقتحم الأخطار رضى بما عند الله اغتباطا، والمهندة الدَّلِق [8] تسبق إلى الرقاب استلالا واختراطا، والرَّدِينِيَّة السمر تسترط حيَّاتها [9] النفوس

---

[1] في الصبح: ((نترك)).
[2] في الصبح: ((تبهرها)).
[3] ساقطة في الإسكوريال.
[4] استمدت من قوله تعالى: (سُبْحَانَ الذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ المَسْجِدِ الحَرَامِ إِلَى المَسْجِدِ الأَقْصَا الذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ). سورة الإسراء؛ الآية: 1.
[5] في الصبح، والريحانة: ((المخربة)).
[6] في الريحانة: ((نقلت)).
[7] في الصبح، والإسكوريال: ((بالإرضاخ)). وصححت من الريحانة، والتعريف. والتعريف.
[8] في الصبح: ((الرُّزْق)).
[9] في الصبح: ((حياة)).

استراطا. [واستكثرنا من عدد القتال احتياطا] [1]، وأزحنا[2] وأزحنا[2] العلل عمن أراد جهادا، منجيا غباره من دخان [3] دخان [3] جهنم ورباطا، وناديـنا الجهاد الجهاد، يا [أمة الجهاد راية] [4] **النبي** الهاد ((الجنة الجنة تحت ظلال السيوف)) [5] الحداد، فهزّ النداء إلى الله تعالى، كل عامر عامر وغامر، وائتمر الجمّ من دعوة الحق إلى أمر آمر، وأتى الناس من الفجوج العميقة رجالاً، ﴿**وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ**﴾[6]، وكاثرت الرَّايات [7] أزهار البطاح لونا وعدا، وسدت وسدت الحشود مسالك الطرق [8] العريضة سدا، ومد بحرها الزاخر مدا، فلا يجد لها الناظر ولا المناظر حدا. وهذه المدينة هي الأم الولود، والجنة التي في النار

---

[1] ما بين حاصرتين ساقط في الصبح.
[2] في الريحانة: ((وأرحنا)).
[3] في الريحانة: ((نار)).
[4] ما ورد هنا بين حاصرتين ساقط في الإسكوريال.
[5] حديث لرسول الله صلى الله عليه وسلم؛ قال فيه: ((واعلموا أنّ الجنة الجنة تحت ظلال السيوف)). فتح الباري بشرح صحيح البخاري. وورد أيضاً بصيغ وروايات أخرى.
[6] مستمدة من قوله تعالى: (وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ). سورة الحج؛ الآية: 27.
[7] في الريحانة: ((الرياض)).
[8] في الصبح: ((الطريق)).

لسكانها من الكفّار الخلود، وكرسي الملك، ومجنبته الوسطى، من ذلك السلك[1]، باءت بالمزايا العديدة، ونجحت وعند الوزان بغيرها من أمَّات البلاد[2] رجحت، رجحت، غاب الأسود، وجحر الحيات السود، ومنصب التماثيل الهائلة، ومعقل النواقيس الصائلة. وأدنينا إليها المراحل [وعينا لبحار][3] المحلات المستقلات منها منها الساحل. ولّما أكْثَبْنا[4] جوارها، وكدنا نلمح[5] نارها، نارها، تحركنا ووشاح الأفق المرقوم بزهر النجوم، قد دار دائره، والليل من خوف الصباح، على سرحه[6] المستباح، المستباح، قد شابت غدائره، والنسر يرفرف باليمن طائره، والسِّماك الرامح[7] يثأر بعزّ[8] الإسلام ثائره، والنعائم راعدة فرائض الجسد من خوف الأسد، والقوس يرسل

[1] نفسه: ((الممالك)).
[2] في الصبح: ((البلدان)).
[3] في التعريف، والصبح: ((وعينا لتجَّار)).
[4] في الريحانة: ((اكتسبنا)).
[5] نفسه: ((نلتمح)).
[6] في التعريف: ((سطحه)).
[7] في الريحانة: ((الرمَّاح)).
[8] في الصبح: ((ثغر)).

سهم السعادة، بوتر العادة إلى أهداف [1] النِّعَم المعادة، والجوزاء عابرة نهر المجرة، والزهرة تغار من الشعرى العبور بالضرة، وعطارد يسدي في حبل [2] الحروب على البلد المحروب ويلحم، ويناظر على أشكالها الهندسية [3] فيفحم، والأحمر يبهر، والعلم الأبيض يفري وينهر، والمشتري في فضل الجهاد ويعيذ، ويزاحم في الحلقات [4] الحلقات [4] على ما للسعادة من الصفات ويزيد، وزحل عن الطالع منزحل، وعن العاشر مرتحل، وفي زلق السقوط وحل، والبدر يطارح حجر المنجنيق، كيف يهوي إلى النيق، ومطلع الشمس يرقب، وجدار الأفق يكاد بالعيون عنها ينقب . ولما [5] فشا سر الصباح واهتز أعطاف أعطاف الرايات لتحيات مبشرات الرياح، أطللنا [6] عليها إطلالا الأسود على الفرائس، والفحول على العرائس،

---

[1] في الريحانـة: ((أهـداب)).
[2] في الصبـح، والإسكوريـال: ((جيـل)).
[3] في الريحانـة: ((الهندميَّـة)).
[4] في الصبـح: ((الخلفـات)).
[5] يعتبـر هـذا النـص الآتي من روائـع ابـن الخطيـب؛ الـتي وصـف فيهـا إحـدى المعـارك القتاليـة بأسلـوب رفيـع ودقيـق.
[6] في الريحانـة: ((أطلنـا)).

فنظرنا منظرا يروع بأسا ومنعة، ويروق وضعا وصنعة، تلفعت معاقله الشم للسحاب ببرود ووردت من غدير [1] المزن في برود، وأسرعت لاقتطاف [2] أزهار النجوم، والذراع بين النطاق معاصم رود، وبلدا [3] يعيي الماسح والذارع [4]، وينتظم المحاني والأجارع. فقلنا الهم نفله أيدي أيدي عبادك [5]، وأرنا فيه آية من آيات جهادك، فنزلنا بساحتها العريضة المتون، نزول الغيث الهتون، وتيمنا من فحصها الأفيح بسورة التين والزيتون، متبرية [6] من أمان الرحمن للبلد المفتون، وأعجلنا الناس بحمية نفوسهم النفيسة، وسجية شجاعتهم البئيسة، عن أن نُبَوِّيءَ [7] للقتال المقاعد، وندني بإسماع شهير النفير منهم الأباعد. وقبل أن يلتقي الخديم بالمخدوم، ويركع المنجنيق ركعتي القدوم، فدافعوا [8] من أصحر إليهم من الفرسان، وسبق

[1] في الريحانـة: ((عُذْر)).
[2] في الصبـح: ((لاختطـاف)).
[3] في الريحانـة: ((وبلـدٌ)).
[4] نفسـه: ((والـدَّارع، ينتظـم المجـاني والأجـارح)).
[5] نفسـه: ((عبـادك وبـردك)).
[6] في الصبـح: ((متربـة)).
[7] في الإسكوريـال: ((نبـوه))؛ وصححت مـن التعريـف، والصبـح.
[8] في الصبـح: ((فدفعـوا)).

وسبق إلى حومة الميدان، حتى أحجروهم في البلد، وسلبوهم لباس الجلد، في موقف يذهل الوالد عن الولد [1]، صابت [2] السهام فيه غماما، وطارت كأسراب الحمام تهدي حماما، وأضحت القنا قصدا، بعد أن كانت شهابا رصدا. وماج بحر القتام بأمواج النصول، وأخذ الأرض الرجفان لزلزال الصباح [3] الموصول. فلا ترى إلا شهيدا تظلل مصرعه الحور، وصريعا تقذف به إلى الساحل أمواج [4] تلك البحور، ونواشب تبأى بها الوجوه الوجوه الوجيهة عند الله والنحور، فالمقضب فوده يُخْضَب [5]، والأسمر غصنه سيثمر [6]، والمغفر حماه يخفر، يخفر، وظهور القسيّ تُقْصَم [7]، وعصم الجند [8] الكوافر

---

[1] تأثر بقوله تعالى في وصف الساعة: (يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلّ مُرْضِعَةٍ عَمّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنّ عَذَابَ اللّهِ شَدِيدٌ). سورة الحج؛ الآية: 2.

[2] في الصبح: ((صارت)).

[3] نفسه: ((الصِّياح)).

[4] ساقطة في الإسكوريال، والتعريف.

[5] في الصبح: ((يخضب))؛ بالضاد المعجمة.

[6] في الصبح، والريحانة: ((يستثمر)).

[7] في الريحانة: ((تُقْصَم)).

[8] في الإسكوريال: ((الجنن))؛ والتصحيح من الصبح، والتعريف.

الكوافر تفصم. وورق [1] اليلب في المنقلب يسقط، والبتر[2] تكتب[3]، والسمر تنقط، فاقتحم الربض الأعظم لحينه، وأظهر الله لعيون المبصرين والمستبصرين عزة دينه، وتبرأ الشيطان من خدينه [4] وبَهَت [5] الكفار وخذلوا وبكل وبكل مَرْصَدٍ [6] جدلوا، ثم دخل البلد بعده غلابا، وجلل وجلل قتلا واستلابا، فلا تسل إلا الظبا والأسل، عن قيام ساعته، وهول يومها وشناعته، وتخريب المبايت والمباني، وغنى الأيدي من خزائن تلك المغاني، ونقل الوجود الأول إلى الوجود الثاني، وتخارق السيف فجاء [7] فجاء [7] بغير المعتاد، ونهلت القنا الرَّدِينِيَّة من الدماء، حتى حتى كادت تورق كالأغصان المغترسة والأوتاد، وهامت أفلاك القسي وسحت، وأرنت [8] حتى بحت، ونفدت

---

[1] في الريحانة: ((ودرق)).
[2] في التعريف: ((البيض)).
[3] في الريحانة: ((يكتب)).
[4] أي: صاحبه.
[5] في الصبح: ((ونُهبَ)).
[6] في الريحانة: ((وكل مصرع)).
[7] نفسه: ((فجار)).
[8] في الريحانة: ((وأربت)).

مواردها [1] فشحت بما ألحت، وسدت المسالك جثث القتلى فمنعت العابر، واستأصل الله من عدوه الشأفة وقطع الدابر، وأزلف الشهيد، وأحسب الصابر، وسبقت رسل الفتح الذي لم يسمع بمثله في الزمن الغابر، تنقل البشرى من أفواه المحابر، إلى آذان المنابر. أقمنا بها أياما نعقر الأشجار، ونستأصل بالتخريب الوجار [2]، ولسان الانتقام من عبدة الأصنام، ينادي يا لثارات **الإسكندرية** تشفيا من الفجار، ورعيا لحق الجار. وقفلنا وأجنحة الرايات برياح العنانات [3] خافقة، وأوفاق التوفيق، الناشئة الناشئة من خطوط الطريق موافقة، وأسواق العز بالله نافقة، وحملاء الرفق مصاحبة، والحمد لله، مرافقة، وقد ضاقت ذروع الجبال عن أعناق الصب السِّبال [4]، ورفعت ورفعت على الأكفال ردفاء كرائم الأنفال، وقلقلت من النواقيس أجرام الجبال بالهندام والاحتيال، وهلك [5]

---

[1] في الصبح، والريحانة: ((موادَّها)).
[2] الوجار: جحر يسكنه الضبع وغيره من الوحوش.
[3] في التعريف، والصبح، والريحانة: ((العنايات)).
[4] في الريحانة: ((الصب السيال)).
[5] في الريحانة: ((وهلكت بهلاك)).

بمهلك هذه الأم، بنات كن يرتضعن ثديها الحوافل، ويستوثرن حجرها الكافل، شمل التخريب أسوارها، وعجلت النار بواها [1].

ثم تحركنا بعدها حركة الفتح، وأرسلنا دِلاَء الأدلاَّء [2] قبل المَتْح [3]، فبشرت بالمنح. وقصدنا **لمدينة** [4] **أُبَّدَة**، وهي ثانية الجناحين، وكبرى الأختين، ومساهمة **جيان** في حين الحين، مدينة أخذت عرض [5] الفضاء الأخرق، وتمشت في [6] أرباضها تمشي الكتابة الجامحة في المُهْرَق [7]، المشتملة المشتملة على المتاجر والمكاسب، والوضع المناسب، والفلح [8] المعيي رَيْعًه [9] عمل الحاسب، وكوارة [10] الدير [11] اللاّسِب، [المتعددة اليعاسب] [12] فأناخ العفاء

---

[1] نفسه: ((بوادرها)).
[2] في الصبح: ((الإدلال)).
[3] في الريحانة، والصبح: ((المَنْح)).
[4] نفسهما: ((مدينة))؛ بدون لام.
[5] في الريحانة: ((عريض)).
[6] في الصبح، والريحانة: ((فيه)).
[7] أي: الصحيفة.
[8] في الصبح: ((الفلج)).
[9] في الريحانة: ((عدّه على الحاسب)).
[10] في الإسكوريال، والريحانة: ((وكورة)). والكوارة: ما يتخذ للنَّحل كعش من القضبان.
[11] في الصبح: ((الدَّبْر)).
[12] هذه العبارة ساقطة في الصبح.

بربوعها العامرة، ودارت كؤوس عقار الحتوف ببنان السيوف على متديريها المعاقرة، وصبحتها طلائع الفاقرة، وأغنيت ببطون أسوارها، عوج المعاول[1] الباقرة، ودخلت مدينها عنوة السيف، في أسرع من خطرة الطيف، ولا تسل [2] عن الكيف. فلم يبلغ العفاء من مدينة حافلة، وعقيلة في حلل المحاسن رافلة، ما بلغ من هذه البائسة، التي سجدت لآلهة النيران أبراجها، وتضاءل بالرغام معراجها، وضفت على أعطافها ملابس الخذلان وأقفر من كنائسها كناس الغزلان. ثم تأهبنا لغزو أم القرى الكافرة، وخزائن المزائن [3] الوافرة، وربة الشهرة السافرة، [والأنباء [والأنباء المسافرة] [4] **قرطبة**، ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ﴾[5]، ذات ذات الأرجاء الحالية الكاسية، والأطواد الراسخة الراسية، والمباني المباهية، والزهراء الزاهية [6]، والمحاسن غير

[1] في الإسكوريال: ((المعاون)).
[2] في الصبح: ((ولا تسأل)).
[3] في الريحانة: ((المدائن)).
[4] هذه العبارة ساقطة في الإسكوريال.
[5] هذا اقتباس للآية: 10؛ من سورة القارعة.
[6] في الريحانة: ((المزاهية)).

المتناهية، حيث هالة بدر السماء، قد استدارت من السور المشيد البناء دارا [1]، ونهر المجرة من نهرها الفياض، المسلول حسامه من غمود [2] الغياض قد لصق بها جارا، وفلك الدولاب المعتدل الانقلاب، قد استقام مدارا، ورجع الحنين اشتياقا إلى الحبيب الأول، وادكارا، حيث الطود كالتاج، يزدان بلجين العذب المجاج فيزري بتاج **كسرى ودارا**، حيث قسي الجسور المديرة [3]، كأنها عوج المَطِيِّ الغريرة، تعبر النهر قطارا، حيث آثار **العامري** المجاهد، تعبق بين تلك المعاهد شذا معطارا، حيث كرائم السَّحاب [4] تزور [5] عرائس الرياض الحبايب فتحمل لها لها من الدر نثارا، حيث شمول الشَّمال [6] تدار على الأدواح، بالغدو والرواح، فترى الغصون سكارى، وما هي بسكارى [7]، حيث أيدي الافتتاح تفتض من شقائق

---

[1] هذه الكلمة ساقطة في الصبح.
[2] في الريحانة: ((غُمُد الفيَّاض)).
[3] في الريحانة: ((المديدة)).
[4] في الصبح، والريحانة: ((السحائب)).
[5] في الريحانة: ((تزوره)).
[6] نفسه: ((الشمائل تدور)).
[7] اقتبس هذا القول من الآية: 2، من سورة الحج. أثبتت قبل هذا.

البطاح أبكارا، حيث ثُغُور الأقاح [1] الباسم، تقبلها بالسحر زوار النواسم، فتخفق قلوب النجوم [2]، الغيارى حيث المصلى العتيق قد رحب مجالا، وطال منارا، وأزرى ببلاط **الوليد** احتقارا، حيث الظهور المثارة بسلاح الفلاح، تجب عن مثل أسنمة المهارى، والبطون كأنها لتدميث الغمائم بطون العذارى، والأدواح العالية تخترق أعلامها الهادية بالجداول الخيارى [3]. فما شئت من جو صقيل [4] صقيل [4] ومعرس للحُسْن [5] ومقيل، ومالك للعقل وعقيل، وخمائل كم فيها للبلابل من قال وقيل، وخفيف يجاوب بثقيل، وسنابل تحكي من فوق سوقها، وقضب بسوقها الهمزات فوق الألفات، والعصافير البديعة الصفات، فوق القضب المؤتلفات، تميل لهبوب [6] الصَّبا والجنوب، مالئة [7] الجيوب بدرر الحبوب، وبطاح لا تعرف

[1] في الريحانـة: ((ثغور الأقـاصي البَواسِم تُقلِّبُهـا...)).
[2] في الإسكوريـال: ((النجـم)).
[3] في الريحانـة: ((الحيـارا))، وفي الصبـح: ((الخبـارا)).
[4] في التعريـف: ((بقبـل)).
[5] في الريحانـة: ((للخنـس)).
[6] في الصبـح: ((بهبـوب)).
[7] نفسـه: ((مائلـة)).

تعرف عين المحل، فتطلبه بالذخل، ولا تصرف [1] في خدمة بيض قباب الأزهار، عند افتتاح السوسن والبهار، غير العبدان من سودان النحل [2]، وبحر الفلاحة الذي لا يدرك ساحله، ولا يبلغ الطيَّة [3] البعيدة راحله، إلى الوادي، وسمر النوادي، وقرار دموع الغوادي المتجاسر على تخطيه، عند تمطيه، الجسر العادي، والوطن الذي ليس من **عمرو** ولا **زيد**، والفرا الذي في جوفه كل صيد [4] أقل كرسيه خلافة الإسلام، وأغار [5] **بالرصافة** والجسر **دار السلام** [6]، وما عسى أن تطنب في وصفه ألسنة الأقلام، أو تعبر به عن ذلك الكمال، فنون الكلام. فأعملنا إليها السرى والسير، وقدنا إليها الخيل وقد عقد

---

[1] **في الريحانة: ((ولا يصرف)).**
[2] **في الصبح: ((النخل)).**
[3] **في الريحانة: ((القبة)).**
[4] **في الريحانة: ((الصَّيد)). وهنا إحالة إلى المثل السائر ((كل الصيد في جوف الفرا)). وقد سبقت الإشارة إليه.**
[5] **في الصبح: ((أعار))؛ بالعين المهملة.**
[6] **إشارة إلى قصة، وقول علي بن الجهم للمتوكل العباسي:**
عيون المها بين الرصافة والجسر * جلبن الهوى من حيث أدري ولا أدري
خليلي ما أحلى الهوى * وأمره أعرفنني بالحلو منه وبالمرّ

الله في نواصيها الخير[1]. ولما وقفنا بظاهرها المبهت المعجب، واصطففنا بخارجها المنبت المنجب، والقلوب تلتمس الإعانة من منعم مجزل، وتستنزل مدد [2] الملائكة من منجد منزل، والركائب واقفة من خلفنا بمعزل، تتناشد في معاهد الإسلام:

---

[1] إشارة إلى حديث لرسول الله صلى الله عليه وسلم؛ قال فيه: ((الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة)). البخاري في المناقب.
[2] ساقطة في الإسكوريال، والريحانة.

((قِفـــا نَبــكِ مـــن ذكـــرَى حبيـــب ومَنْـــزِلِ))[1].

بـرز مـن حاميتهـا المحامية، ووقـود النـار الحامية، وبقيـة السيف الوافرة على الحصاد النامية، قطع الغمائم الهامية، وأمواج البحور الطامية واستجنت بظلال أبطال المجال، أعداد الرجال الناشبة والرامية، وتصدى للنزال، من صناديدها الصهب السيال[2]، أمثال الهضاب الراسية، يجنُّها[3] جُنَنُ السوابغ الكاسية، وقواميسها المُغادية[4] للصلبان يوم بؤسها بنفوسها المواسية وخنازيرها التي عدتها عن قبول حجج الله ورسوله، ستور الظلم الغاشية، وصخور القلوب القاسية، فكان[5] بين الفريقين أمام جسرها الذي فرق البحر، وحلي بلجينه ولآلي زينه منها النحر، حرب لم تنسج الأزمان على منوالها، ولا

[1] هذا صدر بيت ومطلع معلقة امرئ القيس. جاء عجزه هكذا: ((بسِقْطِ اللِّوى بين الدَّخول وحَوْمَلِ)).
[2] في الصبح: ((السّبال)).
[3] نفسه: ((تجنُّها)).
[4] في الصبح، والريحانة: ((المفادية)).
[5] في الريحانة: ((وكان)).

أتت الأيام[1] الحبالى بمثل أجنة أهوالها، من قاساها بالفجار أفك وفجر، أو مثلها بجفر[2] الهباءَة خرف هجر، ومن شبهها بحرب داحس والغبراء، فما عرف الخبر، فليسل من عرَّف[3] وخبر. ومن نظرها بيوم شعب جبله، فهو ذو بله، أو عادلها ببطن عاقل، فهو[4] غير عاقل أو احتج بيوم ذي قار، فهو إلى المعرفة ذو افتقار. أو ناضل بيوم الكديد، فسهمه غير السديد. إنما كان مقاما غير معتاد، ومرعى نفوس لم يَفِ بوصفه لسان مرتاد، وزلزال جبال أوتاد، ومتلف مذخور لسلطان الشيطان وعتاد، أعلم فيه البطل الباسل، وتورَّد[5] الأبيض الباتر، الباتر، وتأود الأسمر العاسل، ودوم الجلمد المتكاسل، وانبعث[6] من حدب الحنية إلى هدف الرمية الناشر الناسل، ورويت لمرسلات السهام المراسل، ثم أفضى أمر

[1] في الريحانة: ((الليالي)).
[2] نفسه: ((بحفر))؛ بالحاء المهملة.
[3] في الريحانة، والصبح: ((جرَّب)).
[4] في الصبح: ((فغير)).
[5] في الريحانة: ((تردَّد)).
[6] نفسه: ((وابتعث)).

الرماح إلى التشاجر والارتباك، ونَشِبَت [1] الأسنَّة في الدروع نَشَب [2] السمك في الشباك، ثم اختلط المرعى بالهمل، وعزل الرَّديني عن العمل، وعادت السيوف من فوق المفارق تيجانا، بعد أن شقت غدر السوابغ خلجانا، واتحدت جداول الدروع فصارت بحرا، وكان التعانق، فلا ترى إلا نحرا يلازم نحرا، عناق وداع، وموقف شمل ذي انصداع، وإجابة مناد إلى فراق الأبد وداع. واستكشفت مآلَ [3] الصبر الأنفس الشفافة، وهبت بريح النصر الطلائع المبشرة الهفافة، ثم أمد السَّيْل ذلك العباب، وصقل الاستبصار الألباب، واستخلص العزم صفوة اللباب، وقال لسان النصر [4]: ﴿ ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ ﴾[5] فأصبحت طوائف الكفار، حصائد مناجل الشفار، فمغافرهم [6] قد رضيت حرماتها بالإخفار [1]، ورؤوسهم

---

[1] في الريحانة: (وتشبثت)).

[2] نفسه: ((تشبث)).

[3] نفسه: ((منال)).

[4] نفسه: ((الصبر)).

[5] الآية كاملة هكذا: (قَالَ رَجُلاَنِ مِنَ الذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ البَابَ فَإذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإنّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللّهِ فَتَوَكّلُوا إنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ). سورة المائدة؛ الآية: 23.

[6] في الصبح: ((فمفارقهم)).

ورؤوسهم محطوطة في غير مقام[2] الاستغفار، وعلت الرايات من فوق تلك الأبراج المستطرفة والأسوار[3]، ورفرف على المدينة جناح البوار[4]، لولا الانتهاء إلى الحد والمقدار، والوقوف عند اختفاء سر الأقدار[5]. ثم عبرنا نهرها، وشَدَدْنا[6] بيدي[7] الله قهرها، وضيقنا حصرها [وأدرنا بلآليء القباب البيض خصرها][8]، وأقمنا بها أياما تحوم عقبان البنود على فريستها حِياماً، وندمى[9] الأدواح[10] ببوارها، ونسلط[11] النِّيران[12] على أقطارها، فلولا عائق[13] المطر، لحصلنا من فتح ذلك الوطن على الوطر. فرأينا أن نروضها بالاجتثاث والانتساف، ونوالي

---

[1] في الصبح: ((بالإعقار)).
[2] نفسه: ((معالم)).
[3] نفسه: ((الأسوار))؛ بدون واو.
[4] أي: الهلاك
[5] في الإسكوريال، والصبح: ((المقدار)).
[6] في الريحانة: ((وسددنا))؛ بالسين المهملة.
[7] في الصبح، والريحانة: ((بأيدي)).
[8] ما بين حاصرتين ساقط في الصبح.
[9] في الصبح: ((وترمي)).
[10] نفسه: ((الأرواح)) .
[11] نفسه: ((وتسلط)).
[12] في الريحانة: ((النار)).
[13] نفسه: ((عوائق)).

على زروعها، وربوعها كرات رياح الاعتساف، حتى يتهيأ للإسلام لوك طعمتها، ويتهنأ بفضل الله، إرث نعمتها. ثم كانت عن موقفها الإفاضة [1] بعد نحر النُّحور، النُّحور، وقذف جمار الدمار، على العدو المدحور [2]، وتدافعت خلفنا [السِّيقات المتسقات] [3] تدافع أمواج البحور البحور وبعد أن ألحنا على جناتها المصحرة، وكرومها المستبحرة[4] إلحاح الغريم، وعوضناها المنظر الكريه [من المنظر الكريم] [5]: وطاف عليها طائف من ربِّك [6] فأصبحت كالصَّريم [7]، وأغرينا حلاق النار بحمم الجحيم [8]، وراكمنا [9] في أجواف أجوائها غمائم الدخان، الدخان، تذكر طيبة البان بيوم الغميم، وأرسلنا

---

[1] في الصبح، والريحانة: ((الإفاضة من بعد نحر النحور))
[2] في الريحانة: ((المذعور)).
[3] في الصبح: ((السابقات المستقلات)).
[4] نفسه: ((المشتجرة)).
[5] هذه العبارة ساقطة في الإسكوريال.
[6] في الصبح: ((من ربّنا))، وفي الريحانة: ((ربّها)).
[7] الآيتان هكذا: (فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ * فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ). سورة القلم؛ الآيتان: 19 - 20.
[8] في الصبح: ((الحجم)).
[9] في الريحانة: ((وراكنّا)).

ريــاح الغــارات، لا [1] تـذر مـن شـيء أتـت عليه، إلا جعلته كالرميـم، واستقبلنا الـوادي يهـول مدا، ويـروع [2] سيفـه الصّقيـل حدّاً [3]، فيسره الله مـن بعـد الإعـواز، وانطلقـت علـى الفرضـة، بتلك الفرصـة [4]، أيـدي الانتهـاز، الانتهـاز، وسألنـا مـن ساءلـه **أسـد بـن الفـرات**[5] فأفتـى برجحـان الجـواز، فعـم الاكتسـاح ولاستبـاح جميـع الأحـواز، فأديـل المصـون، وانتهبـت القـرى، وهدمـت الحصـون واجتثـت الأصـول، وحطمـت الغصـون، ولـم نرفـع عنهـا إلى يـوم [6] غـارة، تصافحهـا بالبـؤس، وتطلـع عليهـا غررهـا الضاحكـة باليـوم العبـوس، فهـي الآن مجـرى السوابـق ومجـر العـوالي، علـى التـوالي، والحسـرات تتجـدد فـي أطلالهـا البـوالي، وكـأن بهـا قـد عرصـت، وإلـى الدعـوة المحمديـة قـد أسرعـت، بقـدرة مـن أنـزل القـرآن عـلى الجبـال،

---

[1] في الريحانـة: ((فمـا)).
[2] نفسـه: ((يـردع)).
[3] نفسـه: ((خـذاً))؛ بالخـاء المعجمـة.
[4] في الريحانـة، والصبـح: ((العرضـة)).
[5] هو القاضي أسد بن الفرات بن بشر بن أسد المرّي. سبقت ترجمته في الإحاطة.
[6] في الريحانـة، والصبـح: ((اليـوم))؛ بالألـف والـلام.

فخشعت [1] من خشية الله وتصَدَّعت [2]، وعزَّة [3] من أذعنت الجبابرة لعزه ، وخنعت. وعدنا والبنود لا يعرف اللفَّ [4] نشرها، والوجوه المجاهدة لا يخالط التَّقَطُّب [5] بشرها، والأيدي بالعروة الوثقى معتلقة، والألسن بشكر نِعَمِ الله منطلقة، والسيوف في مضاجع الغمود قلقة، وسرابيل الدُّروع خلقة والجياد من ردها إلى المرابط [6] والأواري [7] ردَّ العواري حنقة، وبعبرات الغيظ المكظوم مختنقة، تنظر إلينا نظر العاتب، وتعود من ميادين المراح والاختيال تحت حلل السلاح عود الصبيان إلى المكاتب، والطبل بلسان العز هادر، والعزم إلى منادي العود الحميد مبادر، ووجود نوع الرماح من بعد ذلك الكفاح نادر، والقاسم [8] ترتب بين يديه من السبي النوادر، ووارد

---

[1] في الصبح: ((لخشعت)).
[2] إحالة إلى قوله تعالى: (وَلَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا القُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعاً مُتَصَدِّعاً مِنْ خَشْيَةِ اللّهِ وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنّاسِ لَعَلّهُمْ يَتَفَكّرُونَ). سورة الحشر الآية: 21.
[3] في الريحانة: ((لعزَّة)).
[4] نفسه: ((الملف)).
[5] في الصبح: ((التَّقْطيب)).
[6] ساقطة في الإسكوريال.
[7] في الريحانة: ((الأواري))؛ بدون واو.
[8] في الريحانة: ((والمقاسم)).

مناهل [1] الأجور غير المحلا ولا المهجور [2] غير صادر، ومناظر الفضل الآتي عقب [3] أُخَيِّه المُتأتي [4] على المطلوب المُواتي [5] مصادر، والله على تيسير الصعاب وتخويل المنن الرغاب قادر، لا إله إلا هو، فما أجمل لنا صنعه الخَفِيِّ، وأكرم بنا لطفه الحَفِيِّ، اللهم لا نحصي ثناء [6] عليك، ولا نلجأ منك إلا إليك، ولا نلتمس خير خير الدنيا والآخرة، إلا لديك، فأعد علينا وعوائد نصرك، يا مبدي يا معيد، وأعنا من وسائل شكرك على ما ينثال [7] به المزيد، يا حيّ يا قيُّوم [8]، يا ﴿فَعَّالٌ

---

[1] في الصبح: ((منهل)).
[2] في الإسكوريال: ((المهور)).
[3] في الصبح: ((عقبه)).
[4] في الريحانة: ((الشاني عن المطلوب))، وفي الصبح: ((الثاني)).
[5] في الريحانة: ((الآتي)).
[6] نفسه: ((منّاً)).
[7] في الريحانة، والصبح: ((ننال)).
[8] إشارة إلى قوله تعالى: (اللّهُ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاء وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَلاَ يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ). سورة البقرة؛ الآية: 255.

﴿فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ ﴾[1]. وقارنت رسالتكم الميمونة لدينا حذق [2] فتح، بَعُد [3] صيته مشرئب ليته، وفخر من فوق فوق النجوم العواتم [4] مبيته، عجبنا من تأتي أمله الشارد، وقلنا البركة في قدوم الوارد، وهو أن ملك **النصارى** [5] لاطفنا بجملة من الحصون، كانت من مملكة [6] مملكة [6] الإسلام قد غصبت، والتماثيل فيها ببيوت الله قد قد نصبت، أدالها الله بمحاولتنا الطيب من الخبيث، والتوحيد من التثليث، وعاد إليها الإسلام عودة الأب الغائب، إلى البنات الحبائب، يسأل عن شئونها ويمسح دموع الرقة عن جفونها، وهي **للروم** خطة خسف، قل من ارتكبوها فيما نعلم [7] من العهود، ونادرة من نوادر الوجود، وإلى الله علينا وعليكم عوارف الجود، وجعلنا

---

[1] سورة البروج: الآية: 16. ثم: قوله سبحانه وتعالى: (خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السّمَاوَاتِ وَالأَرْضُ إلاّ مَا شَاءَ رَبّكَ إنّ رَبّكَ فَعّالٌ لِمَا يُرِيدُ). سورة هود؛ الآية: 107.
[2] في الصبح: ((حَدَق)).
[3] في الريحانة، والصبح: ((بَعيد)).
[4] نفسهما: ((العوائم)).
[5] في الريحانة: ((الروم)).
[6] في الإسكوريال، والريحانة: ((ملكة)).
[7] في الريحانة: ((يعلم)).

في محاريب الشكر من الركع السجود. عرفناكم بمجملات أمور تحتها تفسير، ويمن من الله وتيسير، إذ استيفاء الجزئيات عسير، لنسركم بما منح الله دينكم، ونتوج بعز الملة الحنيفية جبينكم، ونخطب بعده دعاءكم وتأمينكم، فإن دعاء المؤمن لأخيه بظهر الغيب سلاح ماض، وكفيل بالمواهب [1] المسئولة من المنعم الوهَّاب [2] متقاض [3]، وأنتم أولى من ساهم في برّ، وعامل الله بخلوص سرّ، وأين يذهب الفضل عن بيتكم وهو صفة [4] حيكم، وتراث ميتكم، ولكم مزية القدم، ورسوخ القدم، والخلافة مقرها إيوانكم، وأصحاب **الإمام مالك**، رضي الله عنه، مستقرها **قيروانكم** [5] وهجير المنابر ذكر إمامكم، إمامكم، والتوحيد أعلام أعلامكم، والوقائع الشهيرة في الكفر، منسوبة إلى أيامكم، والصحابة الكرام فتحة

---

[1] في الريحانة: ((للمواهب)).
[2] نفسه: ((الواهب)).
[3] في الإسكوريال: ((للمواهب))، وفي الريحانة: ((مستفاض))، وفي الصبح: ((ميفاض)).
[4] في الريحانة: (صفات)).
[5] يقصد بها مدينة القيروان التي اشتهرت بعلمائها أتباع مذهب مالك بن أنس.

أوطانكم، وسلالة الفاروق عليه السلام، وشايج [1] سلطانكم، ونحن نستكثر من بركة خطابكم، ووصلة جنابكم، ولولا الأعذار لوالينا بالمتزيدات تعريف أبوابكم، والله عز وجل يتولى عنا، من شكركم المحتوم، ما قصَّر [2] فيه المكتوب منه عن المكتوم، ويبقيكم لإقامة الرسوم، ويحل محبتكم من القلوب محل الأرواح من الجسوم، وهو سبحانه يصل سعدكم، ويحرس مجدكم، ويوالي نعمه عندكم. والسلام الكريم الطيب [الزاكي [3] المبارك] [4] البر، العميم، يخصكم كثيرا أثيرا، ما أطلع الصُّبح [5] وجها منيرا، بعد أن أرسل النسيم سفيرا، [وكان الوميض الباسل] [6] لأكواس الغمائم، على أزهار الكمائم مديرا، مديرا، ورحمة الله تعالى وبركاته [7].

***

---

[1] في الريحانة: ((وشيجة)).
[2] في الصبح، والريحانة: ((ما قصر المكتوب منه))، بحذف كلمة ((فيه)).
[3] في الريحانة: ((الزَّكي)).
[4] سقطت هذه العبارة في الصبح، والإسكوريال.
[5] في الريحانة: ((الصباح)).
[6] هذه العبارة ساقطة في الإسكوريال.
[7] في الريحانة: ((وبركاته؛ إن شاء الله تعالى))

وصدر عني في مخاطبة الشيخ الخطيب أبي عبد الله بن مرزوق جوابا عن كتابه [1]

ولمـــا أن نـــأت عنكـــم ديـــاري[2]
وحـــال البعـــد بينكـــم وبيـــــن
بعثـــت لكـــم ســـوادا في بياض
لأنظركم بـــشيء مثـــل عيـــــن

بِمَ أفاتحك يا سيدي، وأجل عددي [كيف أهدى] [3] أهدى] [3] سلاما فلا أحذر ملاما، أو أنتخب لك كلاما، فلا أجد لتبعة التقصير في حقك الكبير إيلاما. إن قلت تحية كسرى في الثناء وتبع. فكلمة في مربع العجمة تربع، ولها المصيف فيه والمربع، والجميم والمنبع، فتروى متى شاءت وتشبع، وإن قلت إذا العارض خطر، ومهما [4] همى أو قطر، سلام الله يا مَطَر [5]، فهو في الشريعة

---

[1] هذان البيتان من البحر الوافر
[2] في النفح: ((مِنْكُمْ دِيارٌ)).
[3] هذه العبارة ساقطة في الإسكوريال.
[4] ساقطة في الإسكوريال.
[5] تأثر بقول الأحوص بن عبد الله بن محمد:
سلام الله يا مطر عليها * وليس عليك يا مطر السلام

بطر، ومركبه [1] خطر، ولا يرعى به وطن. ولا يقضى وطر؛ وإنما العرق الأوشج، ولا يستوي البان والبنفسج، والعوسج والعَرْفَج [2]:

سـلام وتسليـم وروح ورحمـة
عليك وممدود من الظل سجسـج

وما كان فضلكم [3] ليمنعني الكفران أن أشكره، ولا لينسيني الشيطان أن أذكره، فأتخذ في البحر سببا [4]، أو أسلك غير الوفاء مذهبا، تأبى ذلك، والمنة لله تعالى طباع، لها في مجال الرعى باع، وتحقيق وإشباع، وسوايم من الإنصاف لها مرعى [5] في رياض الاعتراف، فلا يطرقها ارتياع، ولا تخيفها سباع. وكيف نجحد تلك

---

[1] في النفح ((وركبة)).

[2] هذا البيت من البحر الطويل؛ وهو لابن الرومي؛ حين رثى يحيى بن عمر العلوي؛ جاء في مطلعها:

أمامك فانظر أي نهجيك تنهج * طريقان شتى مستقيم وأعوج

[3] في النفح: ((فضلك)).

[4] إحالة إلى قوله تعالى: **(قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ آوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنْسَانِيهِ إِلاّ الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَباً)**. سورة الكهف؛ الآية: 63.

[5] في النفح: ((الإنصاف، ترعى)).

الحقوق، وهي شمس ظهيرة، وأذان عقيرة جهيرة، فوق مئذنة شهيرة. أدت الأكتاد لها ديون تستغرق الذمم، وتسترق حتى الرمم، فإن قضيت في الحياة فهي الخطة التي نرتضيها، ولا نقنع من عامل الدهر المساعد، إلاّ بأن [1] ينفذ مراسمها ويمضيها، وإن قطع الأجل، فالغني الحميد من خزائنه التي لا تبيد، يقضيها ويرضي من يقضيها. وحيا الله أيها العلم السامي الجلال، زمنا بمعرفتك المبرة على الآمال أبرّ [2] واتحف، وإن أساء بفراقك وأجحف، وأعرى بعدما ألحف، وأظفر باليتيمة المذخورة للشدائد والمزاين [3]، ثم أوحش منها أصونة هذه الخزائن، فآب حنين الأمل بِخُفَّيْه [4]، وأصبح **المغرب** غريبا يقلب كفيه، ونستغفر الله من هذه الغفلات، ونستهيه دليلا في مثل هذه الفلوات، وأي ذنب في الفراق للزمن أو لغراب الدمن، أو للرواحل المدلجة ما بين **الشام** إلى اليمن، وما منها إلا عبد مقهور، وفي رمة القدر مبهور، عقد والحمد

---

[1] في النفح: ((أن)).
[2] نفسه: ((بَرَّ)).
[3] أي شئون الزينة.
[4] إحالة إلى المثل القائل: ((رجع بخفي حنين)). وقد سبق ذكر هذا المثل.

لله مشهور، وحجة لها على النفس اللوامة ظهور. جعلنا الله ممن ذكر المسبب في الأسباب، وتذكر: ﴿ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُولُوا الأَلْبَابِ ﴾[1]؛ قبل غلق الرهن وسد الباب، وبالجملة فالفراق ذاتي ووعده مأتي، فإن لم يَحن [2] فكأن قد، ما أقرب اليوم من الغد، والمرء في الوجود غريب، وكل آت قريب، وما من مقام إلاّ لزيال من غير احتيال، والأعمار مراحل، والأيام [3] أميال [4].

نصيبــك في حياتــك من حبيــب

نصيبــك في منامــك من خيــال

[1] وردت هكذا في سورتين: الأولى في قوله تعالى: (يُؤْتِي الحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً وَمَا يَذّكّرُ إلاّ أُولُو الأَلْبَابِ). سورة البقرة؛ الآية: 269. وفي الثانية قوله سبحانه: (هُوَ الذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أمُّ الكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمّا الذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إلاّ اللّهُ وَالرّاسِخُونَ فِي العِلْمِ يَقُولُونَ آمَنّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبّنَا وَمَا يَذّكّرُ إلاّ أولُوا الأَلْبَابِ). سورة آل عمران؛ الاية: 7. وجاءت في سور وآيات عديدة بصيغ أخرى.

[2] في النفح: ((يكن)).

[3] ساقطة في الإسكوريال.

[4] هذا البيت للمتنبي؛ وهو من البحر الوافر.

جعل الله الأدب مع الحق شأننا، وأبعد عنا الفَرَق [1] الذي شاننا وإني لأسر لسيدي، بأن رعى الله صالح سلفه، وتداركه في التلافي في تلفه، وخلص سعادته من كلفه، وأحله من الأمن في كنفه، وعلى قدرها تصاب العلياء، وأشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأولياء، هذا والخير والشرّ في هذه الدار المؤسسة على الأكدار، ظلان مضمحلان فإذا [2] ارتفع ما ضر أو ما نفع، وفارق المكان، فكأنه ما كان، وما كلمات الملوك البعيدة عن الشكوك، إلى أن يشاء ملك الملوك [3]:

خــذ من زمانــك ما تيســر
واتــرك بجهــدك ما تعســر
ولــرب مجمــــل حالــــة
تــرضى به ما لــم يفســر

---

[1] في النفح: ((الفراق)).
[2] نفسه: ((فقد)).
[3] هذه الأبيات لابن الخطيب.

والدهـــــر ليـــس بدائـــــم
لا بــد أن سيســوء إن ســـر
واكتـــم حديثـــك جاهـــــدا
شمـــت المحدث أو تحســـر
والنـــــاس آنيـــة الـــزجـــا
ج إذا عثـــرت بـــه تكســـر
لا تعـــدم التقـــوى فمـــــن
عدم التقى في الناس أعســـر
وإذ امـــرؤ خســـــر الإلـــ
ـــه فليس خلق منه أخســـر

وإن لله في رعيك لسرا، ولطفا مستمرا مستقرا [1]، إذا ألقاك [2]، [بسر الروع][3] إلى الساحل، وأخذ [4] بيدك من ورطة الواحل، وحرك منك عزيمة الراحل، إلى المَلِكِ

---

[1] ساقطـة في الإسكوريـال.
[2] في النفـح: ((ألقـاك اليَـمُّ إلى السّاحل)). وهـذه إحالـة إلى قولـه تعـالى: (أنِ اقْذِفِيـهِ فِي التّابُـوتِ فَاقْذِفِيـهِ فِي اليَـمّ فَلْيُلْقِـهِ اليَـمّ بالسّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوّ لّي وَعَدُوّ لَـهُ وَأَلْقَيْـتُ عَلَيْـكَ مَحَبّـةً مِـنّي وَلِتُصْنَـعَ عَلَى عَيْـنِي). سورة طه؛ الآية: 39.
[3] ساقطـة في النفـح.
[4] في النفـح: ((فأخـذ)).

الحُلاَحِل [1]، [فإذا لك] [2] من إبراهيمك سميا، وعرفك بعد الولي وسميا، ونقلك من إلى عناية، وهو الذي يقول وقوله الحق: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ﴾[3]؛ الآية. وقد وصل كتاب سيدي يحمد والحمد لله [4] العواقب، ويصف المرقي التي حلها والمراقب، وينشر المفاخر الحفصية والمناقب، ويذكر ما هيأه الله لديها من إقبال، ورخاء بال، وخصِّيصَى [5] اشتمال ونشور [6] آمال، وأنه اغتبط وارتبط، وارتبط، وألقى العصا بعد ما خبط. ومثل تلك الخلافة العلية من تزن الذوات، المخصوصة من الله بشريف [7] الأدوات، بميزان تمييزها، وتفرق بين شبه المعادن وإبريزها، وشبه الشيء مثل معروف [8]. ولقد أخطأ من قال الناس

---

[1] أي العظيم.
[2] في النفح: ((فأدالك)).
[3] الآية كاملة هكذا: (مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ). سورة البقرة؛ الآية: 106.
[4] في النفح: ((ولله الحمد)).
[5] نفسه: ((وخصِّيص)).
[6] نفسه: ((ونشوة)).
[7] نفسه: ((بتشريف)).
[8] جاء في هذا المثل في بيت للمتنبي؛ قال فيه:
وشبه الشيء منجذب إليه * وأشبهنا بدنيانا الطعام

ظروف، إنما هم شجرات مَرْبع [1] في بقعة ماحلة، وإبل مائة لا تجد فيها راحلة [2]، وما هو إلا اتفاق، ونجح للملك وإخفاق [3]، وقلما كذب إجماع وإصفاق، والجليس الصالح لرب السياسة [4] أمل مطلوب، وحظ إليه إليه مجلوب. وإن سئل أطرف، وعمر الوقت ببضاعة أشرف، وسرق الطباع، ومدد في الحسنات الباع، وسلى في الخطوب، وأضحك في اليوم القطوب، وهدى إلى أقوم الطرق، وأعان على نوائب الحق، وزرع له المودة في قلوب الخلق، زاد الله سيدي لديها قربا أثيرا، وجعل فيه للجميع خيرا كثيرا، بفضله وكرمه. ولعلمي بأنه أبقاه الله يقبل نصحي، ولا يرتاب في صدق صبحي، أغبطه بمثواه، وأنشده ما حضر من البديهة في مسارة هداه ونجواه [5]:

---

[1] في الإسكوريال: ((ربع)).
[2] أي: الناقة القوية المناسبة للرحلة والأحمال.
[3] في النفح: ((وإحقاق)).
[4] نفسه: ((سياسة))؛ بدون الألف واللام.
[5] البحر الكامل.

بمقـــام إبراهيم عُــذْ واصرف له
فكرا تــؤرق عن بواعث تعتـــري[1]
فجـــواره حـــرم وأنت حمامـــة
ورقاء والأغصـــان عود المنبـــر
فلقد أمنـــت من الزمـــان وريبـــه
وهو المـــروع للمسيء وللبـــري

وإن تشوف سيدي للحال [2]، فلعمر وليه، لو كان المطلوب دنيا، لوجب وقوع الاجتزاء، ولاغتبط بما تحصل في هذه الجزور، المبيعة في حانوت الزور، من السهام الوافرة الأجزاء، فالسلطان رعاه الله، يوجب ما فوق مزية التعليم، والولد هداهم الله، قد أخذوا بخط قل [3] أن ينالوه بغير هذا الإقليم، والخاصة والعامة، تعامل بحسب ما بلته من نصح سليم، وترك لما بالأيدي وتسليم، وتدبير عاد على عدوهم [4] بالعذاب الأليم، إلا

[1] في النفح: ((تنبرى)).
[2] ساقطة في النفح.
[3] في الإسكوريال: ((قبل))؛ وصححت من النفح.
[4] في النفح: ((عدوّها)).

من أبدى السلامة، وهو من أبطان الحسد بحال السليم، ولا ينكر ذلك في الحديث ولا في القديم. لكن [1] النفس منصرفة عن هذا الغرض، ونافضة [2] يدها من العرض، قد فوتت الحاصل ووصلت في الله القاطع، وقطعت الواصل، [وصدقت لما نصح الفود الناصل] [3] وتأهبت للقاء الحمام الواصل، وقلت [4]:

أنظر خضاب الشباب قد نصـــلا
وزائـــر الأنـــس بعـــده انفصـــلا
ومطلـــبي والـــذي كلفـــت بـــه
حاولـــت تحصيلـــه فما حصـــلا
لا أمـــل مسعـــف ولا عمــــل
نحـــن في ذا الموت[5] قد وصـــلا

---

[1] في النفح: ((ولكن)).
[2] نفسه: ((نافضة))؛ بدون واو.
[3] هذه العبارة ساقطة في الإسكوريال.
[4] بحر المنسرح.
[5] في النفح: ((ونحن في ذا والموت...)).

والوقت إلى الإمداد منكم بالدعاء في الأصائل والأسحار إلى مقيل شديد الافتقار [1]، والله عز وجل يصل لسيدي رعي جوانبه، ويتولى تيسير آماله، من فضله العميم، ومآربه، وأقرأ عليه من التحيات، المحملة من فوق رحال [2]، الأريجيات أزكاها، ما أوجع البرق الغمائم فأبكاها وحسد الروض جمال النجوم الزواهر، فقاسها بميسم [3] الأزاهر وحكاها، واضطبن [4] هرم الليل، عند الميل، عصا الجوزاء وتوكاها، ورحمة الله تعالى وبركاته...

***

[1] في النفح: ((إلى مُقيل العِثار شديد الافتقار)).
[2] ساقطة في الإسكوريال.
[3] في النفح: ((بمباسم الأزهار))..
[4] نفسه: ((واضطير)).

وخاطبت الفقيه الرئيس أبا زيد بن خلدون

لما ارتحل من بحر **المرية**، واستقر **ببسكرة** عند الرئيس بها **أبي العباس بن مزنى** صحبة رسالة خطّبها [1] أخوه **أبو زكريا**، وقد تقلد كتابة الإنشاء لصاحب **تلمسان**، ووصل الكَتْب [2] عنه من إنشائه [3]:

بنفسي وما نفسي علي بهينة
فينزلني عنها المكاس بأثمان

حبيب نأى عني وصمَّ لأنني[4]
وراش سهام البين عمدا فأصماني[5]

وقد كان هم الشيب لا كان كافيا
فقد أدَّني[6] لما ترحَّل همَّان

---

[1] في الريحانة: ((خطّها)).
[2] في النفح: ((الكتاب)).
[3] البحر الطويل.
[4] هكذا أيضاً في الريحانة؛ بينما كتب في النفح: ((وصَمَّمَ لا يَني)).
[5] في الريحانة: ((وأهماني)).
[6] في التعريف، والنفح: ((آدني))، وفي الريحانة: ((عادني)).

شرعت له من دمع عيني مـــوردا
فكـــدَّرَ[1] شربي بالفراق وأظمـــاني
وأرعيته من حسن عهدي حَميمَـــه[2]
فأجـــدب آمالي وأوحش أزمـــاني
حلفت على ما عنده لي من رضى
قياسا بما عنـــدي فأحنث إيمـــاني
وإني على ما نالني منه من قـــلًى
لأشتـــاق من لقيـــاه نغبة ظمـــآن
سألت جنوني فيه تقريب عرشـــه
فقست بجن الشـــوق جن سليمـــان
إذا ما دعى داع من القوم باسمـــه[3]
وثبت وما اسْتَثْبَـــتُّ[4] شيمة هيمـــان
وتالله[5] ما أصغيـــت فيـــه لعـــاذل
تحاميته حتى ارعوى وتحامـــاني

[1] في الريحانـة: ((وكـدَّر)).
[2] في النفـح: ((جميمـه))؛ بالجيـم المعجمـة.
[3] في الريحانـة: ((باسـمي)).
[4] نفسـه: ((استتبـت)).
[5] في الإسكوريـال: ((ووالله)).

ولا استشعرت نفسي برحمة عابد[1]
تظلل يوما مثلـــه عبـــد رحمـــن
ولا شعـــرت من قبلـــه بتشـــوق
تخلـــل منهـــا بين روح وجثمـــان

أما الشَّوق فحدِّث عنه ولا حرج، وأما الصَّبر فاسأل [2] به أية درج، بعد أن تجاوز المدى [3] والمنعرج، لكن الشدَّة تعشق الفرج، والمؤمن ينشق من روح الله الأرج، وإنى بالصَّبر على أبر الدّبر، لا بل الضرب الهبْر [4]، ومطاولة اليوم والشهر، تحت حكم القهر، وهل للعين أن تسلو سلو المقصر عن إنسانها المبصر، أو تذهل ذهول الزائد عن سرها الرَّائي [5] والمشاهد، وفي الجسد بضعة يصلح [6] إذا صلحت، فكيف حاله إذا رحلت عنه ونزحت، وإذا كان الفراق هو الحمام الأول، فعلام المعول.

---

[1] في الريحانة: ((عائد)).
[2] في النفح: (فسل)).
[3] في الريحانة، والتعريف، والنفح: ((اللوى)).
[4] أي القطع.
[5] في الريحانة: ((للراني)).
[6] نفسه: ((تصلح)).

أعيت مراوضة الفراق على الرَّاق، وكادت لوعة الاشتياق أن تفضي إلى السِّباق [1]:

تركتمــوني بعــد تشييعكــم
أوســع أمر الصبــر عصيانــا
أقــرع ســني ندمــا تــارة
واستميــــح الدمــع أحيانــــا

وربما تعللت بغشيان المعاهد الخالية، وجددت رسوم الأسى بمباكرة الرسوم البالية، أسأل نون النَّوَى [2]، عن أهليه، وميم الموقد المهجور عن مصطليه، وثاء الأثافي المثلثة عن منازل الموحدين، وأحار بين تلك الأطلال حيرة الملحدين، لقد ضللت إذا وما أنا من المهتدين. كلفت لعمر الله، بسال عن جفوني المورقة، ونائم عن همومي المتجمعة [3] المتفرقة، ظعن عن ملال [4] لا متبرما مني بشرٍّ

[1] في التعريف، والريحانة، والنفح: ((السياق)). وهذان البيتان من البحر السريع.
[2] في الريحانة: ((النـاي عن أهلـه)).
[3] في الإسكوريال، والريحانة: ((المجتمعة)).
[4] في الريحانة: ((سِلال)).

خلال، وكدر الوصل بعد صفائه، وضرج النصل بعد عهد وفائه [1]:

أقل اشتيـــاقا أيهـــا القلب ربمـــا[2]

رأيتك تصفي الود من ليس جازيا

فها أنا أبكي عليه بدم أساله، [وأنهل فيه أسى له [3]، وأعلل بذكراه قلبا صدعه] [4] وأودعه من الوجد ما أودعه، لما خدعه، ثم قلاه وودعه، وأنشق رياه أنف ارتياح قد جدعه، واستعديه [5] على ظلم ابتدعه [6]:

خليلي هل أبصرتما أو سمعتمـــا[7]

قتيـــلا بكى من حب قاتله قبـــلي

---

[1] هذا البيت للمتنبي؛ مدح به كافور بعد تركه لبلاط سيف الدولة. وهو من البحر الطويل.

[2] في التعريف: ((إنمـا)).

[3] في التعريف: ((وأندب في ربع الفراق أسى ل، وأشكو إليه حال قلب صدعه)).

[4] وردت هذه العبارة في التعريف هكذا: ((وأندب في ربع الفراق آسى لـه، وأشكو إليه حال قلب صدعه)).

[5] في النفح: ((استعدى بـه)).

[6] هذا البيت لجميل بن معمر (جميل بثينة)). وهو من البحر الطويل.

[7] ورد الشطر الأول في التعريف هكذا: ((خليليّ فيما عشتما هل أبصرتما)).

فلولا عسى الرجاء ولعله، لا بل شفاعة المحل الذي حله [لمزجت الحنين بالعتب] [1]، وبثت كتائبه [2] كمناء في شعاب الكتب، تهز من الإلفات رماحا خُزْر [3] الأسنة، وتوثر [4] من النونات أمثالا لقسي المُرِنَّة [5]، وتقود [من من مجموع الطِّرس والنَّفس] [6] بلْقا تردي [7] في الأعنة. الأعنة. ولكنه أوى [8] إلى الحرم الأمين، وتفيأ ظلال الجوار المؤمن من معرة الغِوار [9]، عن الشمال واليمين، حرم الخلال [10] المزنية، والظلال اليزنية، والهمم السنية، والشيم التي لا ترضى بالدون ولا بالدنية، حيث الرفد الممنوح، والطير الميامن يزجر لها السنوح، والمثوى

---

[1] جاءت هذه العبارة في التعريف هكذا: ((لنشرت ألوية العتب)).
[2] في الريحانة: ((كتابه)).
[3] في النفح: ((حذر)).
[4] هكذا أيضاً في الريحانة؛ بينما كتب في التعريف، والنفح: ((وتوتِّر)).
[5] أي: ذات الرنين.
[6] هكذا أيضاً في الريحانة، والتعريف؛ بينما كتب في النفح: ((من بياض الطرس وسواد النقس))؛ أي: سواد المداد.
[7] تردي: ضرب من المشي. وما زالت هذه الكلمة تطلق في الجزائر على على من يمشي بقصور في رجله.
[8] في الريحانة: ((أدَّى)).
[9] هكذا أيضاً في الريحانة بالغين المعجمة؛ بينما كتب في النفح: ((العِوار))؛ بالعين المهملة.
[10] في التعريف: ((الحلال))؛ بالحاء المهملة.

الذي إليه، مهما تقارع الكرام على الضيفان، حول جوابي الجفان الميل [1] والجنوح [2]:

نسب كأن عليه من شمس الضحى
نورا ومن فلق الصباح عمودا

ومن حل بتلك المثابة، فقد اطمأن جنبه، وتغمد بالعفو ذنبه. ولله در القائل [3]:

فو حقه لقد انتدب لوصفه
بالبخل لولا أن حمصا داره
بلد متى أذكره تهتج لوعتي
وإذا قدحت الزند طار شراره

اللهم غَفْراً [لاَ كُفْراً] [4] وأين قرارة النخيل من مثوى مثوى الأقلف البخيل، ومكذبة المخيل، وأين ثانية هجر من متبوإ من ألْحَدَ وفَجَر؟ [5]

---

[1] ساقطة في الإسكوريال.
[2] في الريحانة: ((الجفان الجنوح))؛ والبيت الموالي لأبي تمام؛ وهو من البحر الكامل.
[3] في النفح: ((القائل حيث يقول)). والبيتان التاليان من البحر الكامل.
[4] ساقطة في الإسكوريال، والريحانة، والتعريف؛ وواردة في النفح.
[5] البحر المتدارك.

مــن أنكــر غيثــا منشــــؤه

في الأرض فليــس بمخلفهــا[1]

فبنـــان بـــني مـــزني مـــزن

تتهــل بلطـــف مُصَرِّفهــــا

مـــزن مـــذ حـــل ببسكـــــرة

يومـــا نطقــت بمُصَحَّفِهــا[2]

شكـــرت حـــتى بعبارتهـــــا

وبمعناهـــــا وبأحرفهـــــا

ضحكت بأبي العباس من الـــ

ـــأيـــام ثنايـــــا زخرفهـــــا

وتتكـــرت الدنيـــــا حـــتى

عرفـــت منـــه بمعرفهـــــا

بل نقول يا محل الولد: ﴿لَآ أُقْسِمُ بِهَـٰذَا ٱلْبَلَدِ * وَأَنتَ حِلٌّۢ بِهَـٰذَا ٱلْبَلَدِ﴾[3]؛ لقد حل بينك عرى الجلد، وخلد الشوق بعدك يا **ابن خلدون** في الصميم من الخلد.

---

[1] **هكذا في الريحانة، والنفح؛ أما في التعريف؛ فكتب: ((ينوء بمخلفها)).**
[2] **أي عند تصحيف كلمة بسكرة؛ تضحى: ((بشكره)) أو ((تشكره))**
[3] **سورة البلد؛ الآيتان: 1 - 2.**

فحيا الله زمنا شفيت برُقَى[1] قُرْبِكَ زَمَانَتُهُ، واجتليت في صدف مجدك جُمَانَتُه[2]، [ويا من لشوق لم تقض من طول][3] خلتك لبانته، وأهلا بروض أظلت أشتات معارفك بانته، فحمائمه بعدك تَنْدُب[4]، فيساعدها الجندب، ونوامسه ترق فتتغاشى[5]، وعشياته تتخافت وتتلاشى، [مزنه باك][6] وأدواحه[7] [في ارتباك، وحمائمه][8] في مأتم ذي اشتباك، كأن لم تكن قمر[9] هالات قبابه، ولم يكن[10] أنسك شارع بابه، إلى صفوة الظرف ولبابه، ولم يسبح إنسان عينك في ماء شبابه، فلهفي عليك من درة اختلستها يد النوى، ومطل بردها الدهر ولوى، ونعق الغراب ببينها في ربوع الجوى[11]

---

[1] في التعريف: ((بقربك)).
[2] نفسه: ((جمانته، وقضيت في مرعى خلتك لبانته))؛ أي حاجته.
[3] في التعريف: ((وقضيت في مرعى)).
[4] في الريحانة: ((لا تندب)).
[5] نفسه: ((فتتعاشى))؛ بالعين المهملة.
[6] هذه العبارة واردة في الإسكوريال، والريحانة؛ وساقطة في التعريف.
[7] في الريحانة، والنفح: ((ودوحه)).
[8] ساقطة في الإسكوريال، والنفح؛ وواردة في التعريف والريحانة.
[9] في الريحانة: ((قمرها)).
[10] في النفح: ((يك)).
[11] في التعريف، والإسكوريال: ((الهدى))، وفي الريحان: ((الهوى)).

ونطق بالزجرة [1] فما نطق عن الهوى [2]. وبأي شيء يُعْتاض [3] منك أيتها الرياض، بعد أن طما نهرك الفياض، الفياض، وفهقت الحياض. ولا كان الشانىء المشنوء [4]، والجَربُ [5] المهنوء، من قطع ليل أغار على الصبح فاحتمل، وشارك في الذم الناقة والجمل، واستأثر جنحه ببدر النادي لما كمل. نشر الشراع فراع، وأعمل [6] الإسراع، كأنما هو تمساح النيل، ضايق الأحباب في البرهة، واختطف لهم من الشط نزهة العين وعين النزهة. ولَجَّجَ [7] بها والعيون تنظر، والغمر عن [8] الأتباع يحظر، يحظر، فلم يقدر إلا على الأسف، والتماح [9] الأثر المُنْتَسف[10]، والرجوع بملء العيبة من الخيبة، و وِقْــرُ[11]

[1] في النفح: ((بالزخرف)).
[2] إحالة إلى قوله تعالى: (وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الهَوَى). سورة النجم؛ الآية: 3.
[3] في النفح: ((نعتاض)).
[4] في الريحانة: ((المثنوء)).
[5] نفسه: ((والجرف)).
[6] في التعريف: ((وواصل)).
[7] في الريحانة: ((ونجج)).
[8] في النفح، والريحانة: ((على)).
[9] ساقطة في الإسكوريال، والنفح؛ وواردة في التعريف.
[10] في النفح: ((المنشف)).
[11] أي: وحمل.

الجَسْـــرة مـــن الحَسْـــرة، إنَّمـــا[1] نشكـــو [2] إلى الله البث والحزن، ونستمطر من عَبَرَاتنا [3] المُزْن، وبسيف الرجاء نصول، إذا أُشْرِعَت [4] لليأس أَسِنَّةٌ [5] ونُصول [6]:
ونُصول [6]:

ما أقدر الله أن يدني على شحط
من داره الحزن ممن داره صولُ[7]

فإن كان كَلْمُ [8] الفراق رغيبا [9]، لما نويت مغيبا، وجللت الوقت الهني تشغيبا، فلعل الملتقى يكون قريبا، وحديثه يروي صحيحا غريبا. إيه [شقة النفس] [10] كيف حال تلك الشمائل المزهرة الخمائل، والشِّيَم[11] الهامية

---

[1] في النفح: ((وإنما))؛ بإضافة الواو.
[2] في الريحانة: ((أشكو)).
[3] في النفح: ((عبارتنا)).
[4] في الريحان، والنعريف، والنفح: ((شُرعَتْ)).
[5] واردة في التعريف، وساقطة في الإسكوريال.
[6] في الريحانة، والنفح: ((لليأس النصول)). والبيت الموالي لحندج المري؛ وهو من البحر البسيط.
[7] صول: مدينة في بلاد الخزر.
[8] في الريحانة: ((كظم)).
[9] أي: واسعاً.
[10] في التعريف: ((أيه سيدي))، وفي النفح: ((إيه ثقة النفس)).
[11] الشِّيَم: الأرض الصلبة التي لم يسبق الحفر فيها.

الديم، هل يمر ببالها من راعت بالبعد باله؟ وأخمدت بعاصف البين ذباله [1]، أو ترثي لشئون شأنها سكب لا يفتر، وشوق يبت حبال [2] الصبر ويبتر، وضنى تقصر عن عن حلله الفاقعة صنعاء وتستر، والأمر أعظم والله يستر. وما الذي يضيرك، صينَ من لفح السموم نضيرك، بعد أن أضرمت وأشعلت وأوقدت وجعلت، وفعلت فعلتك التي فعلت، أن تترفق بذماء، أو تَرُدَّ بِنُغْبَة [3] ماء أرْماقَ ظِماء، ظِماء، وتتعاهد المعاهد بتحية يشم عليها شذا أنفاسك، أو تنظر إلينا على البعد بمقلة حوراء من بياض قرطاسك، وسواد أنفاسك [4]، فربما قنعت الأنفس المحبة بخيال زور، وتعللت بنوال منزور. ورضيت لما لم تَصِدِ العَنْقاءَ بزَرْزُور [5].

يا من ترَحَّلَ والرِّياح[6] لأجله
يشْتاقُ[1] إن هبت شذا رياها

[1] الذبالة: فتيلة السراج.
[2] في النفح: ((جلال)).
[3] أي: جرعة ماء.
[4] في النفح: ((من سواد أنفاسك وبياض قرطاسك)).
[5] البحر الكامل.
[6] في الريحانة، والنفح: ((والنسيم)).

[1] هكذا أيضاً في الريحانة؛ بينما كتب في النفح: ((تشتاق)).

تحيي النفــوس إذا بعثــت تحيــة
فإذا عزمت إقــرأ ((وَمَنْ أَحْيَاهَا))[1]

ولئن أحييت بها فيما سلف نفوسا تفيدك، والله إلى الخير يهديك، فنحن نقول معشر مُوَدِّيك[2]، ثنِّ ولا تجعلها بيضة الدِّيك[3]، وعذرا فإني لم أجترئ[4] على خطابك بالفِقَر الفقير، وأدْلَلْت لدى حجراتك برفع العقيرة، عن[5] نشاط بعثت[6] مرسومه[7]، ولا اغتباط بالأدب تغري بسياسته[8] سوسه، وانبساط أوحى إلي على الفترة

---

[1] إشارة إلى قوله تعالى: (وَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيراً مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ). سورة المائدة؛ الآية: 32.

[2] هكذا في الريحانة، والتعريف. وفي النفح: ((مريديك)).

[3] يقصد: لا تجعلها تحدث مرة واحدة؛ كبيضة الديك. طبقاً لما ورد فيما يروى؛ أن الدِّيك يبيض بيضة واحدة في العمر؛
وعليه؛ يضرب المثل ببيضة الدّيك؛ عندما لا يتكرر الأمر؛ ويحدث مرة واحدة؛ لا ثانة لها. وفي هذا يقول بشار بن برد:
قد زُرْتِنا مرّة في الدّهر * ثنِّي ولا تجعليها بيضة الدّيك

[4] في النفح: ((أجْتَر)).

[5] نفسه: ((لا عن)).

[6] في الريحانة: ((بُعِثَ)).

[7] في التعريف، والريحانة، والنفح: ((مَرْمُوسَه)).

[8] في الإسكوريال: ((بباسته)).

ناموسه، وإنما هو اتفاق جرته نفثة المصدور، وهناء الجرب المجدور [وخارق لا مخارق]، [1] فثمّ قياس فارق، أو لحن غنى به بعد البعد [2] مخارق [3]. والذي [4] [هيأ هذا القدر] [5] القدر] [5] وسببه وسَوَّغ [6] منه المكروه وحببه، ما اقتضاه الصنو يحيى مدّ الله حياته، وحرس من الحوادث ذاته من خطاب ارتشف به لهذه القريحة بلالتها، بعد أن رضي علالتها، ورشح إلى الصهر الحضرمي سُلالتها، فلم يسع إلاّ إسعافه بما أعافه، فأمليت مجيبا، ما لا يعد في يوم الرِّهان [7] نجيبا، وأسمعت وجيبا، لما ساجلت بهذه الترَّهات سحرا عجيبا، حتى إذا ألف القلم العريان سبحه، وجمح برذون [8] الغزارة [9] فلم أطق كبحه، لم أفق من من غمرة غلوه، وموقف متلوه، إلاّ وقد تحيَّز لفئتك[10]،

---

[1] في التعريف: ((وأن تعلَّلَ به مخارق)).
[2] في النفح: ((الممات)).
[3] نفسه: ((مفارق)).
[4] في الريحانة، والنفح: ((والذي سبَّبه)).
[5] أضيفت هذه العبارة من التعريف.
[6] في التعريف: ((وسَهَّلَ)).
[7] في الريحانة: ((يوم من الزمان)).
[8] أي دابة الحمل الثقيل.
[9] هكذا أيضاً في الريحانة؛ وفي النفح: ((الغرارة)).
[10] في التعريف، والريحانة، والنفح: ((إلى فئتك)).

مُغْتَراً بل مُعْتَراً [1]، واستقبلها ضاحكا مفترا، وهش لها برا، وإن كان لونه [2] من الوجل [3] مصفرا. وليس بأول من من هجر، في التماس الوصل ممن هجر، أو بعث التمر إلى هجر، وأي نسب بيني اليوم وبين زخرف الكلام، وإجالة جياد الأقلام، في محاورة الأعلام، بعد أن حال الجريض، دون القريض [4]، وشغل المريض عن التعريض، التعريض، واستولى [5] الكسل، ونسلت [6] الشعرات البيض، كأنها الأسل، تروع برقط [7] الحيات، سرب الحياة، وتطرق بذوات [8] الغرر، والشِّيات [9] عند البيات. البيات. والشيب الموت العاجل، وإذا ابيض زرع صبحته

---

[1] في الريحانة: ((مفتراً بل مغتراً)).
[2] في الإسكوريال: ((كونه)).
[3] في التعريف: ((الخجل)).
[4] في الريحانة: ((جال الجريض ودون القريض)). والجريض: الغُصَّة. (الريق يُغَصُّ به)؛ عندما يبلع الإنسان ريقه هماً وكمداً. ويضرب به المثل فيقال: ((حال الجريض دون القريض))؛ وذلك للأمر المقدور عليه أخيراً؛ بعد أن أضحى لا جدوى منه.
[5] في التعريف: ((وغلب حتى الكسل)).
[6] هكذا أيضاً في التعريف؛ وفي الإسكوريال، والريحانة، والنفح: ((ونصلت))؛ بالصَّاد المهملة.
[7] في النفح: ((بمرط)).
[8] في الريحانة: ((ندوات)).
[9] أي: الخيل.

المناجل، والمعتبر الآجل. وإذا اشتغل الشيخ بغير معاده، حكم في الظاهر بإبعاده، وأسره في ملكة عاده فأغضي أبقاك الله واسمح، لمن قصر عن المطمح بالعين الكليلة فالمح، واغتنم لباس ثوب الثواب، واشف بعض الجوى بالجواب، تولاك الله فيما استضفت وملكت ولا بعدت ولا هلكت، وكان لك آية سلكت، ووسمك من السعادة بأوضح السمات، وأتاح لقاءك من قبل الممات. والسلام الكريم يعتمد جلال [1] ولدي، وساكن خلدي، بل أخي، أخي، وإن اتَّقَيْت [2] عتبه وسيدي، ورحمة الله وبركاته. [من محبه المشتاق إليه **محمد بن عبد الله بن الخطيب**. وفي الرابع عشر من شهر ربيع الثاني، من عام سبعين وسبعمائة] [3].

---

[1] **في الريحانة: ((خلال))، وفي التعريف: ((حلال)).**

[2] **في النفح: ((وإن عتبته)).**

[3] **الموافق لـ 1368م. وما ورد بين حاصرتين ساقط في الإسكوريال.**

وخاطبت الفقيه أبا زكريا بن خلدون

لما ولي الكتابة عن السلطان **أبي حمو موسى بن زيان** [1]، واقترن بذلك نَصْرٌ وَصُنْعٌ غَبَطتُه به، وقصدت بذلك تنفيقه وإنهاصَه لديه: نخص الحبيب، الذي هو في الاستظهار به أخ، وفي الشفقة عليه ولد، والولي الذي ما بعد قرب مثله أمل، ولا على بعده جلد، والفاضل الذي لا يخالف في فضله ساكن ولا بلد، أبقاه الله، وفاز فوزه، وعصمته لها من توفيق الله سبحانه [2] عمد، ومورد سعادته، المسوغ لعادته، [لا غور ولا ثمد] [3] ومدى إمداده من خزائن إلهام الله وسداده، ليس له أمد، وحمى فرح قلبه، بمواهب من ربه [أن [4] يطرقه كمد] [5] تحية محلة من صميم قلبه بمحله، المنشئ رواق الشفقة، مرفوعا بعمد المحبة والمِقَة [6]، فوق ظعنه وحله، مؤثره

---

[1] كتب في النفح: أن ابن زيان هذا هو سلطان تلمسان.
[2] أضيفت من النفح.
[3] في الإسكوريال، والريحانة: ((لعادته غمر لا ثمد)).
[4] في الريحانة: ((لا)).
[5] في الإسكوريال: ((لا يطوره كمد)).
[6] أي المحبة.

ومجله، المعتني بدق أمره وجِلّه، **ابن الخطيب**[1]. من الحضرة الجهادية **غرناطة**، صان الله حُلالها[2]، ووقى هجير هجر الغيوم ظلالها، وعمر بأسود الله أغيالها، كما أغرى بمن[3] كفر بالله صيالها[4]. ولا زائد إلاّ منن من الله تصوب، وقوة يسترد بها المغصوب، ويخفض[5] الصليب المنصوب، والحمد له الذي بحمده ينال المطلوب، وبذكره تطمئن القلوب. ومودتكم المودة التي غذتها ثدي الخلوص بلبانها، وأحلتها حلائل المحافظة بين أعينها وأجفانها، ومهدت موات إخواتها[6] الكبرى أساس بنيانها، واستحقت ميراثها مع استصحاب حال الحياة إن شاء الله، واتصال أزمانها، واقتضاء عهود الأيام بيمنها وأمانها. ولله درّ القائل[7]:

---

[1] في الريحانة: ((وجِلّه فلان)).
[2] في النفح، والريحانة: ((خلالها))؛ بالخاء المعجمة الفوقية.
[3] في الريحانة: ((مَنْ)).
[4] نفسه: ((حيالها)).
[5] في الريحانة: ((وتُخْفِض)).
[6] نفسه: ((إخوتها)).
[7] هذا البيت لأبي الأسود الدؤلي. وهو من البحر الطويل.

فـــإن لم يكنهـــا أو تكنـــه فإنـــه
أخـــوها غذتـــه أمـــه[1] بلبانهـــا

وصل الله ذلك من أجله وفي ذاته، وجعله وسيلة إلى مرضاته وقربة تنفع عند اعتبار ما روعي من سنن الجبار ومفترضاته. وقد وصل كتابكم الذي فاتح بالريحان والروح، وحل من مرسوم الحياة [2] محل البسملة من اللوح، وإذن لنوافح الثناء بالبوح [3]، يشهد عدله بأن البيان يا **آل خلدون**، سكن من مثواكم دار خلود، وقدح زندا غير صلود، واستأثر من محابركم السيالة، وقضب أقلامكم [4] الميادة الميالة، بأب منجب وأم ولود، يقفو [5] يقفو [5] شانيه غير المشنو، وفصيله غير الأجرب، ولا المهنو المهنو من الخطاب السلطاني، سفينة منوح [6]، إن لم نقل سفينة نوح، ما شئت من آمال أزواج، وزمر من الفضل

[1] في الإسكوريال: ((أمها)). والتصحيح من النفح.
[2] في النفح: ((الولاء))، وفي الريحانة: ((الحيا)).
[3] في الريحانة: ((السَّفا بالفُوح)).
[4] نفسه: ((رماحكم)).
[5] نفسه: ((يقضو)).
[6] نفسه: ((ستوح)). والمَنُوح: هي العطايا.

وأفواج [1]، وأمواج كرم تطفو فوق أمواج، وفنون بشائر، وأهطاع [2] قبائل وعشائر، وضرب للمسرات أعيا السّامر [3]. فلله هو [4] من قلم راعي نسب القنا [5]، فوصل فوصل الرحم، وأنجد الوشيج الملتحم [6]، وساق بعصاه من البيان الذود المزدحم. وأخاف من شذ عن الطاعة مع الاستطاعة، فقال: ﴿لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ﴾[7]؛ ولو لم يوجب الحق برقه ورعده، ووعيده ووعده، لأجوبه بمنِّه [8] وسعده. فلقد ظهرت مخائل نجحه، نجحه، علاوة على نصحه، ووضحت محاسن صبحه، في وحشة الموقف الصعب وقبحه، وصل الله له عوائد منحه، وجعله إقليدا كلما استقبل باب أمل وكله الله

---

[1] **في الريحانة: ((أفواج))؛ بدون واو.**

[2] **أي: إسراع.**

[3] **في النفح: ((الشائر)).**

[4] **أضيفت من النفح.**

[5] **في الريحانة: ((الغنى)).**

[6] **في النفح: ((والملتحم))؛ بالواو.**

[7] **الآية كاملة هكذا: (قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ المَاءِ قَالَ لاَ عَاصِمَ اليَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللّهِ إِلاَّ مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا المَوْجُ فَكَانَ مِنَ المُغْرَقِينَ). سورة هود؛ الآية 43.**

[8] **هكذا أيضاً في الريحانة. وكتب في النفح: ((يمنه)).**

بفتحه. أما ما قرره ولاؤكم من حب زكا عن[1] حبه القلب حبه، وأنبته النبات الحسن ربه، وساعده من الغمام سكبه، ومن النسيم اللدن مهبه، فرسم ثبت عند المولى[2] المولى[2] نظيره، من[3] غير معارض يضيره، وربما أربى بتذييل مزيد، وشهادة ثابت ويزيد[4]. ولم لا يكون ذلك، ذلك، وللقلب على القلب شاهد، وكونها أجنادا مجندة، لا يحتاج تقريره إلى ماهد[5]، أو جهد جاهد. ومودة الأخوة الأخوة سبيلها لاحب، ودليلها للدعوى[6] الصادقة مصاحب، إلى ما سبق من فضل ولقاء ومصاقبة[7] سقاء، سقاء، واعتقاد لا يراع سربه بذيب انتقاد[8]، واجتلاء شهاب وقاد، لا يحوج إلى إيقاد. إنما عاق من مواصلة ذلك نوى شط منها الشطن، وتشذيب لم يتعين معه

---

[1] في النفح: ((على)).
[2] هكذا أيضاً في الريحانة؛ بينما كتب في النفح: ((الوليّ)).
[3] في النفح: ((ومن))؛ بالواو..
[4] ثابت: هو ثابت البناني. أما يزيد: فهو يزيد بن الأسود. وقد ذكرهما جميل بن معمر في شعره؛ فقال:
إذا قلت مابي يا بثينة قاتلي   من الحب قالت ثابت ويزيد
[5] في الريحانة: ((شاهد)).
[6] في النفح: ((للدعوة)).
[7] نفسه: ((ونظافة)).
[8] في الريحانة: ((الانتقاد))،

الوطن. فلما تَعَيَّن [1]، وكاد صبح [2] الحق أن يتبين، عاد الوميض ديجورا، والثَّمَاد [3] بحرا مسجورا، إلى أن أعلق الله منكم اليد بالسبب الوثيق، وأحلكم بمنجى نيق [4]، لا لا يخاف من منجنيق، وجعل يراعاكم لسعادة **موسى** [5]، معجزة تأتي على الخبر بالعيان [6]، فتخر لثعبانه سحرة البيان [7].

أيحـــيى سقى حيث لحت الحيـــا[8]
فنعـــم الشعـــاب ونعـــم الركـــون[9]
وحيـــا يراعـــك مـــن آيـــــة
فقد حـــرك القـــوم بعد السكـــون

---

[1] في الريحانـة: ((تعيّن تعيّن)).
[2] في النفـح، والريحانـة: ((وكـاد الصبـح أن...)).
[3] في الإسكوريـال: ((والمـراد)). وفي الريحانـة: ((والمـواد)).
[4] في الريحانـة: ((نبـق))، وفي النفـح: ((منـجى نيـق)). ومنـجى اسـم مكـان ينـجى إليـه؛ ونيـق أعلـى موضـع في الجبـل.
[5] هـو أبـو حمـو مـوسى سلطـان تلمسـان.
[6] في الريحانـة: ((لقيـان)).
[7] البحـر المتقـارب.
[8] في الريحانـة: ((الحـت الجنـا)).
[9] نفسـه: ((الوكـول)).

دعوت لخدمة مـــوسى عصـــاه
فجـــاءت تلقـــف مـــا يأفكـــون
فأذعن من يدعي السحرر غمـــا
وأسلـــم مـــن أجلهـــا المشركـــون
وساعـــدك السعـــد[1] فيمـــا أردت
فكـــان كمـــا ينبـــغي أن يكـــون

فأنتم [2] أولى الأصدقاء بصلة السبب، ورعي الوسائل والقرب، أبقاكم الله وأيدي الغبطة بكم عالية [3]، عالية [3]، وأحوال تلك [4] الجهات [بدرركم المهمات] [5] المهمات] [5] حالية، وديم المسرات من [أنعامكم المدرات] [6] المدرات] [6] على معهود المبرات المتوالية. وأما ما تشوفتم إليه من حال وليكم، فأمل متقلص الظل، وارتقاب لهجوم جيش الأجل المطل، ومقام على مساورة الصل،

---

1 في الريحانـة: ((الشعور)).
2 نفسـه: ((وأنتـم)).
3 نفسـه: ((ماليـة)).
4 في النفـح: ((تلكـم)).
5 حرفت في الإسكوريـال؛ فكتبـت: ((بدندكـم المهـات)).
6 في الإسكوريـال، والريحانـة: ((أنفاسكـم المبـرات)).

وعمل يكذب الدعوى، وطمأنينة تنتظر الغارة الشعواء. ويد بالمذخور تفتح، وأخرى تجهد وتمنح، ومرض يزور فيثقل، وضعف عن الواجب يُعْقَل [1]. إلا أن اللطائف تستروح، والقلب من باب الرجاء لا يبرح. وربما ظفر اليائس [2]، ولم يضطرد [3] المقايس [4]، تداركنا الله بعفوه، بعفوه، وأوردنا من منهل الرضا والقبول على صفوه، وأذن لهذا الخرق في رفوه. وأما ما طلبتم من انتساخ ديوان، وإعمال بنان في الاتحاف ببيان، فتلك عهود لدي مهجورة، ومعاهد [5] لا متعهدة ولا مزورة، شغل عن ذلك ذلك خوض [6] يعلو لَجَبُه، وحرصٌ يقضى [7] من لغط المانح عجبه، وهول جهاد تساوى جماديه ورجبه، ولولا [8] التماس أجر، وتعلل بربح تجر، لقلت

---

[1] أي يُمنع.
[2] في النفح، والريحانة: ((البائس)).
[3] نفسهما: ((ولم تطَّرد)).
[4] في الريحانة: ((المقابس)).
[5] نفسه: ((ومعاهدة)).
[6] في النفح: ((حوض))؛ بالحاء المهملة.
[7] في الريحانة: ((يفضى)).
[8] في النفح، والريحانة: ((فلولا)).

أهـــلا بـــذات النَّحْيَيْـــن [1]. فلهـــن [2] شَكَت، وبذلت المصون بسبب ما أمسكت، فلقد ضحكت في الباطن ضعف ما بكت، ونستغفر الله من سوء انتحال، وإيثار المزاح بكل حال. وما الذي ينتظر مثلي ممن عرف المآخذ والمتارك، وجرب لما بلى المبارك، وخبر مساءة الدنيا الفارك. هذا أيها الحبيب ما وسعه الوقت الضيق، وقد ذهب الشَّباب الرَّيِّق [3]. فليسمح [4] فيه معهود كمالك، جعل الله مطاوعة آمالك، مطاوعة يمينك لشمالك، ووطأ لك موطأ العز، بباب كل مالك، وقرن النجح بأعمالك [وحفظك في نفسك وأهلك ومالك] [5]. والسلام من فلان.

***

[1] ذات النحيين: امرأة من بني تميم سميت بذلك؛ لأنها كانت في الجاهلية تبيع سمناً في نحاء ((أزقاق)) من الجلد. فوقف عندها خوات بن جبير الأنصاري؛ ولما رأى خلوّ المكان؛ طلب منها أن تفتح زقاً (نحياً))؛؛ لكي يعاين السّمن؛ ففتحته؛ فقال لها امسكيه؛ ثم فتح نحيا ثانياً وطلب منها إمساكه لكي يعاين آخر؛ فلمّا شغل يديها الإثنين بالنَّحْيَيْن ((الزّقين)). ساورها وهرب؛ فلم تتمكن من دفعه؛ بسبب انشغالها في قبض النّحْيَيْن. لذا قيل في المثل: ((أشغلُ من ذات النَّحْيَيْن)). ويضرب هذا المثل لمن كثرت عوائقه.

[2] كتبها د. طويل: ((فلئن)).

[3] أي: مطلع الشباب.

[4] في النفح: ((فليسمع)).

[5] ما بين حاصرتين ساقط في الإسكوريال.

وكتبت إلى الأولاد وهم بالمنكب صحبة السلطان، رضي الله عنه [1]

يا ساكـــني مرفـــا الشـــواني
شـــوقي مـــن بعدكـــم شـــواني
ولاهـــج[2] الشـــوق قـــد هـــواني
من بعدكـــم فاقتـــضى[3] هـــواني
كأنـــــه مالكـــــــا عنـــاني
أنمـــوذج مـــن أبـــي عنـــــان
لقـــد كفـــــاني لقـــد كفــــاني
بـــاقي ذمـــا ذاهـــب[4] كفـــاني
منـــوا على الخـــوف بالأمـــاني[5]
فأنتـــــم جملـــــة الأمــــــاني

[1] مخلـع البسيـط.
[2] في الريحانـة: ((ولاعـج)).
[3] نفسـه: ((واقتـضى)).
[4] نفسـه: ((ناهبـاً)).
[5] نفسـه: ((... علـى الشـوق بالأمـاني)).

إلى أيِّ كاهن أتنافر، وفي أي ملعب أتجاول وأتظافر، وبين يدي أي حاكم أتظالم فلا أتغافر، مع هذا الجبل، الذي هو في الشكل [1] جمل، حفّ به من الثَّعب [2] همل، سنامه التامك أجرد، وذنبه الشَّابل [3] كأنه جمل يطرد، وعنقه إلى مورد البحر يتعرج ويتعرد، وكأنما البنية بأعلاه، خدر فاتنة، أو برق غمامة هاتنة أستأثر غير ما مرة بأنسي، وصارت عينه الحمية مغرب شمسي، حتى كأن هذا الشكل من خدر وبعير، وإن كان مجاز مستعير، يتضمن [4] شكوى البين، ويفرق بين المُحبَّيْن:

ما فرق الأحباب بعد الله إلا الإبل
والناس يلمون[5] غراب البين لما جهل
وما على ظهر غراب البين تُتْضى[6] الرحل
ولا إذا صاح غراب في الديار ارتحل

[1] في الريحانة: الحقيقة.
[2] نفسه: ((الدُّور)).
[3] نفسه: ((وذنبه قد سال كأنه مطر)).
[4] نفسه: ((ليضمن)).
[5] نفسه: ((يُلْحون)).
[6] نفسه: ((تُقْضَى)).

وما غـــاب البيـــن إلا ناقـــة أو جمـــــل

فأقسم لولا أن الله ذكر الإبل في الكتاب الذي أنزل، وأعظم الغاية [1] بها وأجزل، لَسَلَلْتُ عليه سلاح الدعاء، وأغريت بهجره نفوس الرعاء. وقلت أراني الله إكسارك من بعير فوق سعير، ولا سمحت لك عقبة إلاّ ندر [2]، والسَّعير [3] بُرّ ولا شعير [4]:

دعــوت عليــك لما عيل صبـــري
وقلـــبي قائـــل يـــا رب لا ..لا

نستغفر الله، وأي ذنب لذي ذنب شائل، وليث مائل بإزاء لج هائل، يتعاوره [5] الوعد والوعيد، فلا يبدي يبدي ولا يعيد، وتمر الجهة [6] والعيد، فلا يستدبر [7] ولا

---

[1] في الريحانـة: ((العنايـة)).
[2] نفسـه: ((الأنـدر)).
[3] نفسـه: ((والشعيـر بتبـن ولا شعيـر)).
[4] البحـر الوافـر.
[5] في الريحانـة: ((يتعـاوده)).
[6] نفسـه: ((الجمعـة)).
[7] نفسـه: ((يستزيـد)).

ولا يتعيَّد [1]، إنما الذنب لدهر يرى المجتمع فيغار، ويشن منه على الشمل المَغار [2]، ونفوس على هذا الغرض تسانده [3] وتعينه، ليبطش ساعده، وتقاربه فيما يريد فلا تباعده [4]:

ولقـد علمـت فلا تكـن متجنيـا
إن الفـراق هـو الحمـام الأول
حسـب الأحبـة أن يفرق بينهـم
صرف الزمـان[5] فما لنا نستعجـل

لكن المُحِبَّ جَنِيب [6]؛ ولغرض المحبوب سليب [7]:

ويحسـن قبح الفعـل إن جاء منكـم
كما طـاب عرف العود وهو دخـات

وقد قنعت برسالة تبلغ الأنة، وتدخل بعد ذلك الصراط الجنة، وتُغَيِّر [8] لسانها عن شوقي من دون عقله،

---

[1] نفسه: ((يستعيد)).
[2] في الريحانة: ((العار)).
[3] نفسه: ((تساعده)).
[4] البحر الكامل.
[5] في الريحانة: ((ربُّ المنون)).
[6] نفسه: ((حبيب)).
[7] نفسه: ((منيب)). والبيت من البحر الطويل.
[8] نفسه: ((ويُعَبِّر)).

عقله، وتنظر عني [1]، من بياض طرسها، وسواد نفسها بمقله، وإن [2] كان الجواب، فهو الأجر والثواب، ولم أر مثل [3] شوقي، من نار تخمد بطرس يلقى على أوارها، فيأمن عادية جوارها. لكنها نار الخليل، ربما تمسكت من المعجزة بأثر، وعثرت على آثاره مع من عثر. جمع الله الشمل بكم ما انتشر، وأنسى بالعين الأثر، وحرس على الكل من مسوق وسائق [4]، وموحش ورائق، سر القلوب، ومناخ الجوى المجلوب، ومثار الأمل المطلوب، ولا زالت العصمة تنسدل فوق مثواه قبابها، والسعود تحمل [5] في أمره العلي منانها [6]، فالمحبوب إليه حبيب وإن وإن أساء، وأوحش الصباح والمساء [7]:

---

[1] نفسه: ((عَينَيْ)).
[2] في الريحانة: ((فإن)).
[3] نفسه: ((قبل)).
[4] نفسه: ((من مشوق وشائق)).
[5] نفسه: ((يحمد)).
[6] نفسه: ((مثابها)).
[7] البحر البسيط.

إن كـــان ما ســـاءني مما يسركـــم

فعذبـــوا فقد استعذبـــت تعـــذيبي

والسلام عليكم من حن مشوق، وتأود لليراع في رياض الرقاع قضيب[1] ممشوق، ورحمة الله وبركاته.

وأجاب عن ذلك الفقيه **أبو عبد الله بن زمرك**، كاتب الدولة، والولدان **عبد الله وعلي**، بما يستحسن في غرض الرسالة وأبياتها؛ فراجعت الثلاثة بما نصه [2]:

أكـــرم بهـــا مـــن بنـــاء بـــان[3]

أرســـخ في الفخـــر[4] من أبـــان

أجبنـــا[5] لديهـــا الرضـــا جنـــان[6]

مـــن المعـــاني جنـــا جنـــاني

---

[1] في الريحانـة: ((قصب)).
[2] مخلـع البسيـط
[3] في الريحانـة: ((بنـا بنـان)).
[4] نفسـه: ((الفصـل)).
[5] نفسـه: ((أجنـا)).
[6] نفسـه: ((حنـان))؛ بالحـاء المهملـة.

أو جـــــنى[1] للأكـــــــف دانٍ[2]
مـــا للمبـــارِّ[3] بـــه يـــــــدان
أقســـم بالذكـــــر والمثـــــان
ما لـــك فيمـــا سمعـــت ثـــان
مدامـــــــــة بـــــــــرَّة[4] الأوان
تشـــــطُّ[5] للقـــــول كـــــل وان[6]
تقـــول أوضاعهـــا للَّغـــو أن[7]
بالعلـــم عـــن زينـــة الغـــوان
يـــا رب بـــارك لمـــن بـــان[8]
في الفكـــر والقلـــب والبنـــان

---

[1] في الريحانـة: ((أيَّ جَبي)).
[2] نفسـه: ((وأن)).
[3] نفسـه: ((للمبـاري)).
[4] نفسـه: ((بـزَّة))؛ بالـزاي المعجمـة.
[5] نفسـه: ((تنشـط)).
[6] نفسـه: ((دان)).
[7] نفسـه: ((الغـواني)).
[8] نفسـه: ((بنـان)).

هكذا هكذا؛ وبعين الحسود القذا، تُسْتَشار [1] الدُّرر الكامنة، وتهاج القرائح النائمة، في حجر الغفلة الآمنة، وتقضى [2] الديون من الطباع الضامنة [3]:

أعيذها بالخمس من ولائد
قد قلدت بنخب القلائد
أعيذها بالخمس من حبائب
يغذين بالمراضع الأطايب
أعيذها بالخمس من وجوه
يصونها الله من المكروه

ويا ماتِح [4] قلب القلوب أرْوَيْت [5]، وصدق ما نويت، البير بيرك، ذو [6] حَفَرْت وذو طَوَيْت: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ﴾[7]؛ ولو علمنا السرائر، لأعددنا لهذا

---

[1] في الريحانة: ((تتناثر)).
[2] نفسه: ((وتُقْضى)).
[3] بحر الرجز.
[4] في الريحانة: ((يا مانح)).
[5] نفسه: ((أوريت)).
[6] نفسه: ((وذو)).
[7] الآية كاملة هكذا: (فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنّ اللّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنّ اللّهَ رَمَى وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلاَءً حَسَناً إِنّ اللّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ). سورة الأنفال؛ الآية: 17.

المكيل الغرائر، ولو تحققنا إجابة السؤال، والنسيج على هذا المنوال، لفسحنا الظروف لهذا النوال. ساجلنا الغيوث فشححنا، وبارزنا الليوث فافتضحنا، وصلينا والحمد لله على السلامة بما قدحنا؛ لا بل التمسنا نغْبه [1]، فاقطعنا [2] تنُّوراً، واقتبسنا جذوة فأقبسنا نوراً: ﴿ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُوراً ﴾[3].

ملـــك الثـــلاث الآنســـات عنـــاني
وحللـــن مـــن قلـــبي بكـــل مكـــان
هـــذي الهلال وتلك بنت المشتـــري
حسنا وهذي أخـــت غصن البـــان[4]

---

[1] في الريحانة: ((نقبة))؛ بالقاف المعجمة الفوقية.
[2] نفسه: ((وأقطعنا)).
[3] الآية كاملة هكذا: (كُلاً نُمِدّ هَؤُلاَءِ وَهَؤُلاَءِ مِنْ عَطَاءِ رَبّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبّكَ مَحْظُوراً). سورة الإسراء؛ الآية: 20.
[4] هذان البيتان من البحر الكامل؛ وهما مطلع قصيدة نسبت إلى الخليفة العباسي هارون الرشيد؛ قالها في جواري ثلاث؛ كلف بهنّ. وقد عرضها الخليفة الأموي المستعين بالله (الذي تولى الخلافة بالأندلس سنة 403هـ)؛ فقال: عجباً يهاب الليث حدّ سناني * وأهاب لحظ فواتر الأجفاني

متى كان أفق **المنكب**، مطلعا لهذا الكوكب، وأجمة ذلك [1] الساحل الماحل، مرتبعا لهذا الذمر الحلاحل [2]، ومورد الجَمَل البادي [3] العُرِّ، مغاصا [4] لمثل هذا الدر، إلاّ أن يكون كنز هذا المرام، المستدعي للكلف [5] والغرام، من مستودعات تلك الأهواء والأهرام، دفنه [6] الملك الغصاب، بعد أن قدست الأنصاب، وأخفى [7] الأثر فلا يصاب، أو تكون الأنوار هنالك تتجسم، والحظوظ تعين وتقسم، والحقائق تحد وترسم، أو تتوالد بتلك المغارات، يوسانيا ورُوسم. أنا ما ظننت بأن تثور من أجم الأقلام أسود، وتعبث بالسويدوات من نتائج اليراع والدواة لحاظ سود. من قال في الإنسان عالما صغيرا، فقد ظلمه، كيف والله بالقلم علمه، ورفع في العوالم علمه، لقد درت حلمات تلك الأقلام [8] من رسل غزير، وما كان فحل

---

[1] في الريحانة: (تلك)).
[2] نفسه: ((الماحل، من معاهد الدُّمر الحلاحل)).
[3] نفسه: ((الجمل البادية الغُرِّ)).
[4] نفسه: ((مقاصاً)).
[5] نفسه: ((الكلف)).
[6] نفسه: ((دِمْنة الملك الغَضّاب)).
[7] نفسه: ((وأقفى)).
[8] نفسه: الآحلام)).

تلك الأقلام بزير، ولا سلطان تلك الطباع المديدة الباع ليستظهر بوزير. إنما هي مشاكي كمال [1] أوقدها الله وأسرجها، وملكات في القوة رجحها [2] مرجح القوة فأبرزها، إلى العقل وأخرجها. وأحر بها أن تحط بذرى [3] بذرى [3] المدارك الإلهية رحالها، وتترك إلى الواجب الحق الحق محالها. فتتجاوز أوحالها، مستنيرة بما أوحي لها. إيه بنية، أقسم برب البنية، وقاسم الحظوة السنية، لقد فزت من نجابتكم، عند التماح إجابتكم بالأمنية، فما أبالي بعدها بالمنية. وقاه الله عين الكمال من كمال، صان سروجه من إهمال [4]، واكتنفه بالمزيد من غير [5] يمين وشمال، كما سوغ الفقير مثلي إلى فقرها زكاة جمال [6] لا زكاة جِمال. ولعمري وما عمري علي بهين، ولا الحلف في مقطع الحق بمتعين، لقد أحقب منها إلا ثلاث كتائب، قادها النصر جنايب، ألفاتها العصي، ونوناتها القسي،

[1] في الريحانة: ((أعمال)).
[2] نفسه: ((رجمها)).
[3] نفسه: ((بذور)).
[4] نفسه: ((من السّمال)).
[5] نفسه: ((عزّ)).
[6] نفسه: ((حجال)).

وغاياتها المرام القصي [1]، ورقومها الحلق [2]، وجيادها قد فشا فيها البلق، بحيث لا استظهار للشيخ إلا بشعب سدر، ولا افتراس إلا لَمَرَقة [3] قدر، ودريد هذا الفن يحمل في خدر [4]:

سلـــت عـــلي سيوفهـــا أجفانـــه
فلقيتهـــن من المشيـــب[5] بمغفـــر

فلولا تقدم العهد بالسلم، لخيف من كلمها وقوع الكلم. أما إحداهن ذات القتام[6]، والدلج بالإعتام، المستمد سواده الأعظم من مسك الختام، فعلَّلَت [7] فريضة فريضة نظامها بالزيادة، وعلت يدها بمنشور السيادة، ورسم شنشنتها المعروفة لأخزم[8]، وجادها من الطبع

[1] في الريحانة: ((العصي)).
[2] نفسه: ((الخُلق))؛ بالخاء المعجمة الفوقية.
[3] نفسه: ((إلاّ لمن قد قدر)).
[4] البحر الكامل.
[5] في الريحانة: ((المنيب)).
[6] نفسه: ((القيام)).
[7] نفسه: ((فعالت فريضتها بالزيادة)).
[8] في الريحانة: ((أخزم)).

السماك والمرزم، وضفر أشجاعها [1] المضفرة لـزوم ما لا يلـزم [2]:

خـــدم اليـــراع بهـــا فدبَّجَهـــا[3]
وسألت مجتهـــدا عن الغـــرض[4]

فعلمـــت أن الصلـــح مقصـــده
لتزول بعض عـــداوة الربـــض

وما أختها التالية، ولدتها الحافلة الحالية [5]، فنؤوم مكسال، ريقها برود سلسال، ومن دونها موارد ونُسال [6]، وذئب عسال، وإن علِّلَت [7] بنقص في النظم، النظم، وقد أخذت من البدائع بالكظم، وامتكته [8] المعاني المعاني امتكاك العظم. وأما الثالثة فكاعب حسنها بالعقول

[1] نفسه: ((أسجاعها)).
[2] البحر الكامل.
[3] في الريحانة: ((فدلَّجَها)).
[4] نفسه: ((الفرض)).
[5] نفسه: ((الحانية)).
[6] نفسه: ((وكسال)).
[7] نفسه: ((وإن عالت بنقض)).
[8] نفسه: ((وامتكَّت المعالي)).

متلاعب، بنت لبون، لا لهمة [1] حرب زبون، حياها الله وبياها، فما أعطر رياها [2]:

تشـــم أرواح[3] نجـــد من ثيابهـــم
عند القـــدوم لقرب العهد بالـــدار

ولو قصرت لتغمد تقصيرها، وكثر بالحق نصيرها، فكيف وقد أجادت [4]، وصابت غمامتها وجادت. وقد شكرت على الجملة والتفصيل، وعرفت منة البذل وجهد الفصيل، وطالعت مسائل البيان والتحصيل، وقابلت مفضض الضحى بمذهب الأصيل، وأثرت يدي وكانت إلى تلك الفقر فقيرة، ونبهت في عيني الدنيا، وكانت حقيرة، ورجحت [5] أن لا تعدم هذه الأسواق مديرا، ولا تفقد هذه الآفاق روضة وغديرا، وسألت لجملتكم المحوطة للشمل، الملحوظة بعين الستر والحمل [6]. عزا أثيرا، وخيراً

---

[1] في الريحانة: ((لا بنت)).
[2] البحر البسيط.
[3] في الريحانة: ((أنفاس)).
[4] نفسه: ((أجابت)).
[5] نفسه: ((ورجوت)).
[6] نفسه: ((الجميل)).

وخيراً كثيراً وأمناً تحمدون منه فراشاً وثيراً [1]. وعذرا أيها الأحباب، والصفو اللباب، عن كدح سن وكبرة، وفل استرجاع وعبرة، استرقته ولج الشغب [2] ذو النظام، والخلق فراش يكبون مني على حطام، ورسل **الفرنج** قد غشى المنازل منثالها، ونبحتها [3] بالعشي أمثالها، والمراجعات تشكو اللَّبْث [4] والجباة تستشعر المكيدة والخَبْث [5]:

ولو كـــان همـــا واحـــدا لبكيتـــه

ولكنـــــه هـــــم وثـــان وثالـــث

والله عز وجل يمتع بأنسكم من عدم الاستمتاع بسواه، وقصر [6] عليه متشعب هواه ، ويُبقي بركة المولى الذي هو قطب مدار هذه الأقمار، والأهلة لا بل مركز فلك الملة، وسجل حقوقها المستقلة، والسلام عليكم ما

---

[1] في الإسكوريـال: ((أثيـراً))؛ فصوبهـا عنـان.
[2] في الريحانـة: ((الشغب طـامٌ ذو التطـام)).
[3] نفسـه: ((ونتَّجتهـا)).
[4] تفسـه: ((البـثّ)).
[5] نفسـه: ((الحَيْـف)). والبيـت التـالي مـن البحـر الطويـل.
[6] نفسـه: ((وتُصِـرُّ)).

حنت النيـ إلـى الفصال، وتعللت أنفس المحبين بذكران سنة[1] الوصال، وكرّت البكر على الآصال، ورحمة الله وبركاته.

***

وكتبت إلى بعض الفضلاء، وقد بلغني مرضه أيام كان اللحاق بالمغرب

وردت علي من فئتي التي إليها في معرك الدهر أتحيز، وبفضل فضلها في الأقدار المشتركة أتميز سحاءة سرت وساءت، وبلغت من القصدين ما شاءت، أطلع بها صنيعة وده من شكواه على كل عابث في السويداء، موجب اقتحام البيداء، مضرم نار الشفقة في فؤاد، لم يبق من صبره إلا القليل، ولا من إفصاح لسانه إلا الأنين والأليل، ونوى مدت لغير ضرورة يرضاها الخليل، فلا تسل عن ضنين تطرقت اليد إلى رأس ماله، أو عابد موزع متقبل أعماله، وأمل ضويق في فذلكة آماله، لكني

[1] في الريحانة: ((بذكر أزمنة الوصال...)).

رجحت دليل المفهوم على دليل المنطوق وعارضت القواعد الموحشة بالفروق، ورأيت الخط يبهر والحمد لله ويروق، واللفظ الحسن ومض في حبره للمعنى الأصيل بروق، فقلت ارتفع الوصب، ورد من الصحة المغتصب، وكلة الحس والحركة هو العصب. وإذا أشرق سراج الإدراك، حمل على سلامة سليطه، والروح خليط البدن، والمرء بخليطه، وعلى ذلك فبليد احتياطي لا يقنعه إلا الشرح، فيه يسكن الظمأ البرح. وعذرا عن التكليف، فهو محل الاستقصاء والاستفسار، والإطناب والإكثار. وزند القلق في مثلها أورى، والشفيق بسوء الظن مغرى. والسلام.

***

وخاطبت بعضهم

كتبت إلى سيدي، والخجل قد صبغ وجه يراعي، وعقم ميلاد إنشائي واختراعي، لمكارمه التي أعيت منة ذراعي، وعجر في خوض بحرها سفيني وشراعي فلو كان فضله فنا محصورا، لكنت على الشكر معانا منصورا، أو على غرض مقصورا، لزارت أسدا هصورا، ولم يكن فكري عن عقال البيان حصورا، لكنه نجد تألق بكل ثنية، ومكارم رمت عن كل حنية، ومجد سبق إلى كل أمنية، وأياد ببلوغ غايات الكمال معنية. فحسبي الإلقاء باليد لغلبة تلك الأيادي وإسلام قيادي إلى ذلك المجد السيادي، وإعفاء يراعي ومدادي، فإذا كانت الغاية لا تدرك، فالأولى أن يلقى الكدّ ويترك، ولا يعرج على الادعاء، ويصرف القول من باب الخبر إلى باب الدعاء. وقد وصل كتاب سيدي مختصر الحجم، جامعا بين النجم والنجم، قريب عهد من يمينه بمجاورة المطر السجم، فقلت اللهم كلف سيدي وأجزه، ومدّ يده بالضرّ فاخزه. ولله درّ المثل، أشبه امرؤ بعض بره كمال واختصار، وريحان أنوف وإثمد

أبصار. أعلق بالرعي الذي لا يقر بعد الدار من شيمته، ولا يقدح اختلاف العروض والأقطار في ديمته. إنما نفسه الكريمة والله يقيها، وإلى معارج السعادة يرقيها، قانون يلحق أدنى الفضائل بأقصاها، وكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلاّ أحصاها، وإني وإن عجزت عما خصني من عمومها، وأحسني من جموعها، لمخلد ذكر يبقى وتذهب اللها، ويعلى مباني المجد، تجاوز ذوابها السها، ويذيع بمخايل الملك فما دونها، ممادح يهوى المسك أن يكونها، ويقطف له الروض المجود غصونها، وتكحل به الحور العين عيونها، وتؤدي منه الأيام المتهربة ديونها. وإن تشوَّف سيدي، بعد حمده وشكره، واستنفاد الوسع في إطالة حمده، وإطابة ذكره، إلى الحال، ففلان حفظه الله يشرح منها المجمل، ويبين من عواملها الملغى والمعمل. وإما اعتناء سيدي بالولد المكفن بحرمته، فليس ببدع في بعد صيته، وعلو همته على من تمسك بأذمته، وفضله أكبر من أن يقيد بقصة، وبدر كماله أجل من أن يعد بوسط أو حصة. والله تعالى يحفظ منه في الولاء ولي القبلة، وولي

المكارم بالكسب والجبلة، ويجعل جيش ثنائه لا يؤتى من القلة، بفضله وكرمه، والسلام الكريم عليه، ورحمة الله وبركاته. وكتب في كذا.

ومن تشوف إلى الإكثار من هذا الفن؛ فعليه بكتابنا المسمى بـ((**ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب**)).

***

رسالة السياسة

[قال **ابن الخطيب**] [1]: ولنختم هذا الغرض ببعض ما صدر عني في السياسة [وكان إملاؤها في ليلة واحدة] [2].

حدث [3] من امتاز باعتبار الأخبار، وحاز درجة الاشتهار، بنقل حوادث الليل والنهار، وولج بين الكمائم والأزهار، وتلطف لخجل الورد من تبسم البهار [4].

قال: سهر **الرشيد** ليلة [5]، وقد مال في هَجْر النبيذ ميلة [6]، وجهد ندماؤه في جلب راحته، وإلمام النوم بساحته، فشحت عهادهم [7]، ولم يغن اجتهادهم فقال: اذهبوا إلى طرق سماها ورسمها، وأمهات قسمها، فمن عثرتم عليه من طارق ليل، أو غثاء سيل، أو ساحب ذيل، فبلغوه، والأمنة سوغوه، واستدعوه، ولا تدعوه.

---

[1] هذه العبارة لعنان.
[2] واردة في الريحانة.
[3] في الريحانة، والنفح: ((حديث)).
[4] في النفح: ((النهار)).
[5] نفسه: ((ليله)).
[6] نفسه: ((ميله)).
[7] أي مطرهم السمي. وفي الريحانة: ((عهودهم)).

فطاروا عجالا، وتفرقوا ركبانا ورجالا، فلم يكن إلا ارتداد طرف، أو فواق حَرْف [1]، وأتوا بالغنيمة التي اكتسحوها، والبضاعة التي ربحوها، يتوسطهم الأشعث الأغبر، واللج [2] الذي لا يعبر؛ شيخ طويل القامة، ظاهر الاستقامة سبلته مشمطة، وعلى أنفه من القُبْح [3] مَطَّة، وعليه ثوب مرقوع، لطير الخرق [4] عليه وقوع، يُهَيْنِم بذكرٍ مسموع، وينبي عن وقت مجموع. فلما مثل سلم، وما نبس [5] بعدها ولا تكلم. فأشار إليه [6] فقعد، بعد أن انشمر وابتعد، وجلس فما استرق، النظر ولا اختلس، إنما حركة فكره، معقودة بزمام ذكره، ولحظات اعتباره، في تفاصيل أخباره. فابتدره **الرشيد** سائلا، وانحرف إليه مائلا، وقال: ممن الرجل، فقال فارسي الأصل، أعجمي الجنس، عربي الفصل. قال: بلدك، وأهلك وولدك. قال: أما الولد، فولد الديوان، وأما البلد، فمدينة الإيوان.

---

[1] **الفواق: ما بيت الحلبتين من الوقت. والحرف: الناقة الضامر.**
[2] **في الإسكوريال: ((اللجج)).**
[3] **في النفح: ((القبع))؛ بالعين المهملة: أي الصياح.**
[4] **نفسه: ((الحرق))؛ بالحاء المهملة.**
[5] **في الريحانة: ((تنفس)).**
[6] **في النفح: ((فأشار إليه الملك فقعد)).**

قال: النحلة وما أعملت إليه الرحلة، قال: [أما الرحلة فالاعتبار، وأما النحلة فالأمور الكبار][1]. قال: فنك، الذي اشتمل عليه دنك، فقال: الحكمة فني الذي جعلته أثيرا، وأضجعت منه فراشا وثيرا، وسبحان الذي يقول: ﴿وَمَنْ يُؤْتَ الحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً﴾[2]. وما سوى ذلك فتبيعٌ[3] ولي فيه مصطاف وتربيع[4]. قال: فتعاضد جذل **الرشيد** وتوفر، وكأنما غشي وجهه قطعة من ﴿الصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ﴾[5]، قال: ما رأيت كالليلة أجمع لأمل شارد، وأنعم بمؤانسة وارد. يا هذا إني سائلك، ولن تخيب بعد وسائلك، فاخبرني بما[6] عندك في هذا الأمر الذي بلينا بحمل أعبائه، ومنينا بمراوضة آبائه[7]. فقال هذا الأمر الأمر قلادة ثقيلة، ومن خطة العجز مستقيلة، ومفتقرة[8]

[1] **جاءت في الريحانة هكذا: ((أما النحلة الأمر الكبار وأما الرحلة فالاعتبار)).**
[2] **الآية كاملة هكذا: (يُؤْتِي الحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً وَمَا يَذَّكَّرُ إلاّ أُولُوا الأَلْبَابِ). سورة البقرة؛ الآية: 269.**
[3] **في الريحانة، والنفح: ((ومرتبع - فتبع)).**
[4] **نفسهما: ((ومُرْتَبِع)).**
[5] **الآية هكذا: (وَالصَّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ). سورة المدَّثر؛ الآية: 34.**
[6] **في النفح: ((ما)).**
[7] **هكذا أيضاً في الريحانة؛ وفي النفح: ((ومراوضة إبائه)).**

ومفتقرة [1] لسعة الذرع، وربط السياسة المدنية بالشرع، يُفْسدها الحلم [2] في غير محله، [ويكون ذريعة إلى حله] [3] حله] [3] ويصلحها [4] مقابلة الشكل بشكله [5]:

ومـــن لـــم يكـــن سبعـــا آكـــلا
تـــداعـــت سبـــاع إلـــى أكلـــه

فقال الملك أجملت ففصل، وبريت فنصل، [وكلت فأوصل] [6] وانثر الحب لمن يحوصل، وأقسم السياسة فنونا، فنونا، واجعل لكل لقب قانونا، وابدأ بالرعيّة، وشروطها المرعية، فقال: رعيتك ودائع الله [7] قبلك، ومرآة العدل الذي عليه جبلك، ولا تصل إلى ضبطهم [إلاّ بإعانته] [8] التي وهب لك. وأفضل ما استدعيت به عونك [9] فيهم،

---

[1] في الريحانة: ((مفترقة)).
[2] في النفح: ((يفسده الحكم)).
[3] هذه العبارة ساقطة في الريحانة.
[4] في النفح: ((ويصلحه)).
[5] البحر المتقارب.
[6] ساقطة في الإسكوريال؛ وواردة في الريحانة، والنفح.
[7] في النفح: ((الله تعالى)).
[8] العبارة الواردة بين حاصرتين ساقطة في الريحانة. وواردة في الإسكوريال؛ وكتبت في النفح هكذا: ((إلا بإعانة الله تعالى)).
[9] في النفح: ((عونه)).

وكفايته التي تكفيهم، تقويم نفسك عند قصد تقويمهم، ورضاك بالسهر لتنويمهم، [وحراسة كهلهم ورضيعهم، والترفع عن تضييعهم] [1]، وأخذ كل طبقة بما عليها، وما وما لها، أخذا يحوط ما لها، ويحفظ عليها كمالها، ويقصر عن غير الواجب آمالها، حتى تستشعر عليُّها [2] رأفتك وحنانك، وتعرف أوساطها في [النصب امتنانك] [3] امتنانك] [3] وتحذر سفلتها سنانك، وحظر على كل طبقة منها، أن تتعدى طورها، أو تخالف دورها، أو تجاوز بأمر طاعتك فورها. وسد فيها سبل الذريعة، واقصر جميعها على [4] خدمة الملك بموجب الشريعة، وامنع أغنياءها [5] من أغنياءها [5] من البطر [6] والبطالة، والنظر في شبهات الدين الدين بالتمشدق والإطالة، وليقل فيما شجر بين السّلف [7] السّلف [7] كلامها وترفض [8] ما ينبز به أعلامها، فإن ذلك

---

[1] ما بين حاصرتين وارد في الإسكوريال، والنفح؛ وساقط في الريحانة.
[2] في النفح: ((عَلّيَتها)).
[3] في الإسكوريال: ((النصف امتهانك)). والتصويب من الريحانة والنفح.
[4] في النفح: ((عن)).
[5] في الريحانة: ((أعيانها)).
[6] هذه الكلمة ساقطة في الريحانة.
[7] في الريحانة، والنفح: ((الناس)).
[8] في النفح: ((ويرفض ما ننبز)).

ذلك يسقط الحقوق، ويرتب العقوق. وامنعهم من فحش الحرص والشره، وتعاهدهم بالمواعظ التي تجلو البصائر من الموه [1]، واحملهم من الاجتهاد في العمارة على أحسن المذاهب وانههم عن التحاسد على المواهب، ورضهم على الإنفاق بقدر الحال، والتعزي عن الفائت، فرده من المحال. وحذِّر [2] البخل على [3] أهل اليسار، والسخاء على أولي الإعسار. وخذهم من الشريعة بالواضح الظاهر، وامنعهم من تأويلها منع القاهر. ولا تطلق لهم التجمع على من أنكروا أمره في نواديه، وكفّ عنهم أكف تعديهم. ولا تبح لهم تغيير ما كرهوه بأيديهم. ولتكن غايتهم فيما توجهت إليه إبايتهم، ونكصت عن الموافقة عليه رايتهم، إنهاؤه [4] إلى من وكلته بمصالحهم من ثقاتك، المحافظين على أوقاتك. وقدم منهم من أمنت عليهم مكره، وحمدت على الإنصاف شكره، ومن كثر

---

[1] في النفح: ((المَرَه)).
[2] في الريحانة: ((حظر))، وفي النفح: ((وحدّد)).
[3] في النفح: ((عن)).
[4] نفسه: ((إنهاءه)).

حياؤه منع التأنيب، وقابل الهفوة باستقالة [1] المنيب ومن لا يتخطى عندك [2] محله الذي حله، فربما عمد إلى المبرم فحله. وحسن النية لهم بجهد الاستطاعة، واغتفر المكاره في جنب حسن الطاعة. وإن ثار جرادهم[3] واختلف في طاعتك مرادهم، فتحصن لثورتهم، وأثبت لفورتهم [فإذا سألوا وسلوا، وتفرقوا وانسلوا، فاحتقر كثرتهم، ولا تقل عثرتهم][4] واجعلهم لما بين أيديهم وما خلفهم نكالا، ولا تترك لهم على حلمك اتكالا.

ثم قال: والوزير الصالح أفضل عددك، وأوصل مددك [فهو الذي] [5] يصونك عن الابتذال، ومباشرة الأنذال، ويثب لك على الفرصة، وينوب في تجرع الغصة، واستجلاء القصة، ويستحضر ما نسيته من أمورك، ويغلب فيه الرأي بموافقه مأمورك، ولا يسعه ما تمكنك المسامحة فيه، حتى يستوفيه. واحذر مصادمة تياره،

---

[1] في الريحانة، والنفح: ((باستنابة)).
[2] في النفح: ((عن)).
[3] في الريحانة، والنفح: ((جوادهم)).
[4] العبارة الواردة بين حاصرتين ساقطة في الإسكوريال.
[5] في الإسكوريال: ((فعند الري)).

والتجوز في اختياره، وقدم استخارة الله في إيثاره وارسل عيون الملاحظة في [1] آثاره، وليكن معروف [2] الإخلاص لدلوتك، معقود الرضا والغضب برضاك وصولتك، زاهدا عما في يديك، مؤثراً كلّ [3] ما يزلف لديك، بعيد الهمة، راعيا للأذمة [4]، كامل الآلة، محيطا بالإيالة، رحب [5] الصَّدر، رفيع القدر، معروف البيت، نبيه الحي والميت، مؤثرا للعدل والإصلاح، دَرِباً [6] بحمل بحمل السلاح، ذا خبرة بدخل المملكة وخرجها، وظهرها وسرجها، صحيح العقد، متحرزا من النقد، جادا عند لهوك، متيقظا في حال سهوك، يلين عند غضبك، ويصل الإسهاب [7] بمُقتَضِبك [8] قلقا من شكره دونك وحمده، ناسبا لك الأصالة [9] بعمده. وإن أعيا عليك

---

[1] في النفح: ((على)).
[2] نفسه: ((معروفاً بالإخلاص)).
[3] نفسه: ((لكلّ)).
[4] أي للعهود.
[5] في النفح: ((رحيب)).
[6] نفسه: ((دَرِياً)).
[7] في الريحانة: ((الأسباب)).
[8] أي بموجزك.
[9] في الريحانة، والنفح: ((الإصابة)).

وجود أكثر هذه الخلال، وسبق إلى نقيضها[1] شيء من الاختلال، فاطلب منه سكون النفس وهدوئها [2]، وأن لا لا يرى منك رتبة إلاّ رأى قدره دونها. وتقوى الله تفضل شرف الانتساب، وهي للفضائل فذلكة الحساب. وساو في حفظ غيبه بين قربه ونأيه، واجعل حظه من نعمتك موازيا لحظك من حسن رأيه واجتنب منهم من يرى في نفسه إلى الملك سبيلا، أو يقود من عيصه للاستظهار عليك قبيلا، أو من كاثر مالك ماله، أو من تقدم لعدوك [3] استعماله، أو من سمت لسواك آماله، أو من يعظم [4] عليه إعراض وجهك، ويهمه نادرة [5] نهجك [6]، نهجك [6]، أو من يدخل غير أحبابك، أو من ينافس أحدا أحدا ببابك.

---

[1] في النفح: ((نقضها)).
[2] في النفح: ((وهدونها)).
[3] في الريحانة: ((لعدوانك)).
[4] نفسه: ((يعرض)).
[5] في النفح، والريحانة: ((نادر)).
[6] في الإسكوريال، والنفح: ((نجهك)).

(**وأما الجند**) فاصرف التقويم[1] منهم للمقاتلة والمكايدة المخاتلة[2]، واستوفي عليهم شرائط الخدمة، وخذهم بالثبات للصدمة، ووفّ ما أوجبت لهم من الجراية والنعمة، وتعاهدهم عند الغناء بالعلف[3] والطعمة، ولا تكرم منهم إلاّ من أكرمه غناؤه، وطاب في الذبّ عن ملَّتِك[4] ثناؤه، ودُلَّ[5] عليهم النبهاء من خيارهم، واجتهد واجتهد في صرفهم عن الافتنان بأهلهم[6] وديارهم، ولا توطئهم في الدّعة مهادا، وقدمهم على حفظك[7] وبعوثك وبعوثك متى[8] أردت جهادا. ولا تُلِن[9] لهم في الإغماض الإغماض عن حسن طاعتك قيادا وعودهم حسن المواساة بأنفسهم اعتيادا، ولا تسمح لأحد منهم في إغفال شيء من سلاح استظهاره، أو عدة اشتهاره، وليكن ما فضل

---

[1] في النفح: ((التقديم)).
[2] نفسه: ((والمخاتلة)).
[3] في النفح: ((بالعلفة)).
[4] نفسه: ((ظنك)).
[5] نفسه: ((وَوَلِّ)).
[6] نفسه: ((بأهليهم)).
[7] في الريحانة، والنفح: ((حصصك)).
[8] في الإسكوريال، والنفح: ((مهمى)).
[9] في النفح: ((ولا تُلَيِّن)).

عن[1] شبعهم وريهم مصروفا إلى سلاحهم، وزيهم، والتزيد في مراكبهم وغلمانهم من غير اعتبار لأثمانهم. وامنعهم من المستغلات[2] والمتاجر، وما يكسب منه غير المشاجر، وليكن من الغزو[3] اكتسابهم، وعلى المغانم حسابهم، كالجوارح التي تفسد باعتيادها، أن تطعم من غير اصطيادها، واعلم أنها لا تبذل نفوسها من عالم الإنسان، إلاّ لمن يملك قلوبها بالإحسان، وفضل اللسان، ويملك حركاتها بالتقويم، ورتبها بالميزان القويم[4]، ومن تثق بإشفاقها[5] على أولادها، وتشتري[6] رضا الله بصبرها[7] على طاعته وجلادها. فإذا استشعرت لها هذه الخلال، تقدمتك إلى مواقف التلف مطيعة دواعي الكلف، واثقة منك بحسن الخلف. واستبق إلى تمييزهم استباقا، وطبقهم طباقا، أعلاها من تأملت منه في المحاربة

---

[1] نفسه: ((من)).
[2] في الإسكوريال، والنفح: ((المشغلات))؛ وصححت من الريحانة.
[3] في الريحانة، والإسكوريال: ((الغرار))؛ وصوبت من النفح.
[4] ساقطة في الريحانة.
[5] في الإسكوريال، والنفح: ((إشفاقه)).
[6] في النفح: ((ويشتري)).
[7] في النفح: ((بصبره)).

عنك إحظارا [1]، وأبعدهم في مرضاتك مطارا [2]، واضبطهم لما تحت يدك [3] من رجالك حزما ووقارا، واستهانة بالعظائم واحتقارا، وأحسنهم لمن تقلده أمرك من الرعية جوارا، إذا أجدت اختيارا، وأشدهم على مماطلة من مارسه من الخوارج عليك اصطبارا. ومن بَلا [4] في الذبّ عنك [5] إحلاء وإمرارا، ولحقه الضر في معارك [6] معارك [6] الدفاع عنك مرارا. وبعده من كانت محبته لك أكثر [7] من نجدته، وموقع رأيه أصدق [8] من موقع صَعْدَته [9]. وبعده [10] من حسن انقياده لأمرائك وإحماده [11] لآرائك، ومن جعل نفسه من الأمر حيث جعلته [12]، وكان صبره على ما عراه أكثر من اعتداده[1]

---

[1] نفسه: ((إخطاراً)).
[2] أي أسرعهم لمرضاتك.
[3] في النفح: ((يده)).
[4] أي جرب.
[5] في النفح: ((في الذي عَنَّ لك إحلاء...)).
[6] نفسه: ((معارض)).
[7] في الريحانة، والنفح: ((أزيد)).
[8] نفسهما: ((أنفع)).
[9] أي: قناته (رمحه) المستوية.
[10] في النفح: ((بعدهما)).
[11] في الريحانة: ((واعتماده)).
[12] في النفح: ((جعله)).

بما فعله. [واحذر منهم من كان عند نفسه أكبر من موقعه في الانتفاع، ولم يستح[2] من التزيد بأضعاف ما بذله من الدفاع، وشكى البخس][3] فيما تعذر عليه من فوائدك، وقاس بين عوائد [4] عدوك وعوائدك، وتوعد بانتقاله عنك وارتحاله، وأظهر الكراهية لحاله.

(**وأما العمال**) فإنهم يبينون [5] عن مذهبك، وحالهم في الغالب شديدة الشبه بك ، فعرفهم في أمانتك السعادة، وألزمهم في رعيتك العادة، وأنزلهم من كرامتك بحسب منازلهم في الاتصاف بالعدل والإنصاف، وأحلهم من الحفاية، بنسبة مراتبهم من الأمانة والكفاية، وقفهم عند تقليد الأرجاء مواقف الخوف والرجاء، وقرر في نفوسهم أن أعظم ما به إليك تقربوا، وفيه تدربوا، وفي سبيله أعجموا وأعربوا، إقامة حق، ودحض باطل [6]، حتى لا يشكو غريم مطل ماطل، وهو آثر لديك

---

[1] في الريحانة: ((صبره)).
[2] في النفح: ((يستحي)).
[3] ما بين حاصرتين ممحو في الإسكوريال؛ ونقل من الريحانة، والنفح..
[4] هذه الكلمة ساقطة في الإسكوريال. والعوائد: هي الأمور النافعة.
[5] في النفح، والريحانة: ((يُنبئون)).
[6] أي: إبطاله.

من كل رباب [1] هاطل. وكفهم من الرزق الموافق عن [2] التصدي لدني المرافق. واصطنع منهم من تيسرت كلفته، وقويت للرعايا ألفته، ومن زاد على تأميله صبره، وأربى على خَبَرُه خُبْرُه، وكانت رغبته في حسن الذكر، تشِفُّ [3] على غيرها من بنات الفكر. واجتنب منهم من غلب [4] عليه التخرق [5] في الإنفاق، وعدم الإشفاق، والتنافس في الاكتساب، وسهل عليه سوء الحساب، وكانت ذريعته المصانعة بالنفاية، دون التقصي [6] والكفاية ومن كان منشؤه منشؤه خاملا، ولأعباء الدناءة حاملا، وابغ [7] من يكون الاعتذار في أعماله، أوضح من الاعتذار في أقواله، ولا يَفْتِننَّك من [8] قلدته اجتلاب الحظ المُطْمِع [9]،] والتنفق

---

[1] أي كل سحاب أبيض.
[2] في الريحانة: ((عند)).
[3] في النفح: ((تشفُّ على بنات...)).
[4] نفسه: ((يغلب)).
[5] هكذا في الإسكوريال، والنفح؛ ومكانها بياض في الريحانة.
[6] هكذا في الريحانة، والنفح؛ ومكانها بياض في الإسكوريال.
[7] هكذا في النفح؛ ومكانها بياض في الإسكوريال. وفي الريحانة: ((وانع)). ((وانع)).
[8] في النفح: ((ممن)).
[9] نفسه: ((المقنع)).

بالسعي المسمع][1] ومخالفة السنن المرعية، [وإتباعه رضاك رضاك بسخط الرعية][2] فإنه قد غشك من حيث بلّك ورشك، وجعل من يمينك في شمالك، حاضر مالك. ولا تضمن عامل ما عمله، وحل بينه فيه وبين أمله، فإنك تميت رسومك بمحياه، وتخرجه من خدمتك فيه إلا أن تملكه إياه. ولا تجمع له في[3] الأعمال، فيسقط استظهارك استظهارك ببلد، على بلد، والاحتجاج[4] على والد بولد، واحرص على أن تكون في الولاية غريبا، ومتنقله[5] منك قريبا، ورهينة لا يزال معها مريبا، ولا تقبل مصالحته على شيء اختانه[6]، ولو برغيبة فتانة، فتقبل المصانعة في أمانتك، وتكون مشاركا[7] في خيانتك، خيانتك، ولا [تطل مدة][8] العمل، وتعاهد كشف الأمور الأمور ممن يرعى الهمل، ويبلغ الأمل.

---

[1] في الإسكوريال هكذا: ((التذ بالله عن المسمع)).
[2] ساقطة في الريحانة.
[3] في النفح: ((بين)).
[4] في الإسكوريال: ((احتجاج)).
[5] نفسه: ((وبشغله)).
[6] في الإسكوريال: ((تعمل)).
[7] في النفح: ((مشاركاً له في...)).
[8] في الإسكوريال: ((اختاله)).

(**وأما الولد**) فأحسن آدابهم، واجعل الخير دأبهم [1]، وخف عليهم من إشفاقك، وحنانك، أكثر من غلظة جنانك، واكتم عنهم ميلك، وأفض عليهم جودك ونيلك، ولا تستغرق بالكلف بهم يومك ولا ليلك، وأثبهم على حسن الجواب، [وسبق إليهم] [2] خوف الجزاء [3] على رجاء الثواب، وعلمهم الصبر على الضرائر، والمهلة عند استخفاف الجرائر، [وخذ لهم] [4] بحسن السرائر، وحبِّبْ إليهم مراس الأمور [5] الصعبة المراس، وحَصِّن [6] الاصطناع والاغتراس [7]، والاستكثار والاستكثار من أولي المراتب والعلوم ، والسياسات [8] والحلوم، والمقام المعلوم، وكره إليهم مجالسة الملهين ومصاحبة الساهين [9]، وجاهد أهواءهم عن عقولهم،

---

[1] أي عادتهم.
[2] في الإسكوريال: ((وسولهم)). وفي النفح: ((لهم)).
[3] مكانها بياض في الإسكوريال.
[4] في النفح، والريحانة: ((وخذهم)).
[5] أي ممارسة الأمور.
[6] في النفح: ((وحسن)).
[7] نفسه: ((والاحتراس)).
[8] في الريحانة: ((والسياسة)).
[9] مكانها بياض في الإسكوريال.

واحذر [1] الكذب على مقولهم، ورشحهم إذا أنست منهم منهم رشدا أو هديا، وأرضعهم من المؤازرة [2]، والمشاورة والمشاورة ثديا، لتمرنهم على الاعتياد، وتحملهم على الازدياد، ورضهم رياضة الجياد، واحذر عليهم الشهوات فهي داؤهم، وأعداؤك في الحقيقة وأعداؤهم. وتدارك الخلق الذميمة كلما نجمت، [واقذعها إذا هجمت] [3]، قبل قبل أن يظهر تضعيفها، ويقوى ضعيفها، فإن أعجزتك في صغرهم [4] الحيل، عظم الميل [5]:

إن الغصـــون لإذا قومتها اعتدلـــت
ولن تليـــن إذا قـــومتهـــا الخشـــب

وإذا قدروا على التدبير، وتشوفوا للمحل الكبير، فلا [6] توطنهم في مكانك [جهد إمكانك] [7]، وفرقهم

---

[1] في النفح: ((وحذّر)).
[2] ساقطة في الإسكوريال.
[3] في الريحانة: ((واقرعها كلّما هجمت)).
[4] في النفح: ((الصِّغر)).
[5] البحر البسيط.
[6] في النفح: ((إي:اك أن)).
[7] هذه العبارة ساقطة في الريحانة.

وفرقهم [في بلدانك][1] تفريق عبدانك. واستعملهم في بعوث جهادك، والنيابة عنك في سبيل اجتهادك، فإن حضرتك تشغلهم بالتحاسد، والتباري والتفاسد. وانظر إليهم بأعين الثقات، فإن عين الثقة، تبصر ما لا تبصر عين المحبة والمقة[2].

(وأما الخدم) فإنهم[3] بمنزلة الجوارح التي تفرق بها وتجمع، وتبصر وتسمع، فرضهم بالصدق والأمانة، وصنهم صون الجفانة[4]، وخذهم بحسن الانقياد، على ما ما آثرته، والتقليل مما استكثرته. واحذر منهم من قويت شهواته، وضاقت عن هواه لهواته، فإن الشهوات تنازعك في استرقاقه، وتشاركك في استحقاقه. وخيرهم من ستر ذلك عليك[5] بلطف[6] الحيلة[7]، وآداب للفساد مخيلة[8]. مخيلة[8]. وأشرب قلوبهم أن الحق في كل ما حاولته

---

[1] حرفت في الإسكوريال؛ فكتبت: ((بجلدانك)).
[2] في الريحانة: ((المبقة)).
[3] في المخطوطين: ((فهم)).
[4] في النفح: ((الجمانة)).
[5] في الريحانة: ((عنك))، وفي النفح: ((عنه)).
[6] في الإسكوريال: ((بحسن)).
[7] في الريحانة: ((حيلة)).
[8] في النفح: ((محيلة))؛ بالحاء المهملة.

واستنزلته، وأن الباطل في كل ما جانبته واعتزلته، وأن من تصفح منهم أمورك فقد أذنب، وباين الأدب وتجنب وأعط من أكددته، وأضقت منهم ملكه وشددته، روحة يشتغل فيها بما يغنيه[1]، على حسب[2] صعوبة[3] ما يعانيه، تغبطهم فيها بمسارحهم، وتجم كليلة جوارحهم. ولتكن عطاياك فيهم بالمقدار الذي لا يبطـر أعلامهـم، ولا يؤسـف[4] [الأصاغر فيفسد][5] أحلامهم، ولا ترم ترم محسنهم بالغاية من إحسانك، واترك لمزيدهم فضلة من رفدك ولسانك. وحذر عليهم مخالفتك ولو في صلاحك بحد سلاحك. وامنعهم من التشاوب والتشاجر، ولا تحمد لهم شيم التقاطع والتهاجر، واستخلص منهم لسرّك[6] ما قلت من الإفشاء ذنوبه، وكان أصبرهم[7] على على ما ينوبه ولودائعك من كانت رغبته في وظيفة

[1] في النفح: ((يعنيه))؛ بالعين المهملة.
[2] ساقطة في الإسكوريال.
[3] ساقطة في الريحانة.
[4] في الإسكوريال: ((يؤنب)).
[5] ساقطة في الإسكوريال.
[6] في الإسكوريال: ((لحديثك)).
[7] في النفح: ((أصبر)).

لسانك، أكثر من رغبته في إحسانك، وضبطه لمَّا تَقلَّده [1] من وديعتك، أحب إليه من حسن صنيعتك، وللسفارة عنك من حلا الصدق في فمه، وآثاره ولو بإخطار دمه، واستوفى لك وعليك فهم ما تحمله، وعني بلفظه حتى لا يهمله، [ولمن تودعه أعداء] [2] دولتك، من كان مقصور الأمل، قليل القول صادق العمل، ومن كانت قسوته زائدة على رحمته، وعظمه في مرضاتك آثر من شحمته، ورأيه في الحذر سديد، وتحرزه من الحيل شديد. ولخدمتك في ليلك ونهارك من لانت طباعه، وامتد في حسن السجية باعه، وآمن كيده وغدره، وسلم من الحقد صدره، ورأى المطامع فما طمع، واستثقل إعادة ما سمع، وكان بَرِياً من الملال، والبشر عليه أغلب الخلال، ولا تؤنسهم منك بقبيح فعل ولا قول، ولا تؤسهم من طَوْل [3]. ومكن في نفوسهم أن أقوى شفعائهم، وأقرب إلى الإجابة من دعائهم، إصابة الغرض فيما به وكلوا،

---

[1] نفسه: ((تقلَّد)).
[2] مكانها بياض في الإسكوريال.
[3] أي من فضل ونعمة.

وعليه شكلوا، فإنك لا تعدم بهم انتفاعا، ولا يعدمون لديك ارتفاعا.

(وأما الحرم)؛ فهم [1] مغارس الوُلْد، ورياحين [2] الخُلْد، وراحة القلب الذي أجهدته الأفكار، والنفس التي تقسمها الإحماد إلى المساعي والإنكار [3]، فاطلب منهن من غلب عليهن من حسن الشيم، المترفعة عن القيم، مالا يسوءك في خلدك، أن يكون في ولدك، واحذر أن تجعل لفكر بشر دون بصر [4] إليهن سبيلا، وانصب دون ذلك عذابا وبيلا [5]، وارعهن من النساء العجز من فاقت [6] في الديانة والأمانة سبيله [7]، وقويت غيرته ونبله، وخذهن بسلامة النيات، والشيم السنيات، وحسن الاسترسال، والخلق السلسال. وحَظَّر [8] عليهن التغامز

---

[1] صوبت في النفح؛ فكتبت: ((منهنَّ)).
[2] حرفت في الإسكوريال؛ فكتبت: ((وريا من)).
[3] في النفح: ((والإفكار)).
[4] في الإسكوريال: ((نظره)).
[5] أي شديدا.
[6] في الإسكوريال، والريحانة: ((كانت)). والنفح: ((بانت)).
[7] في النفح: ((سبله)).
[8] في الريحانة: والنفح: ((وحذرَّ)).

والتغاير، والتنافس والتخاير، وآسٍ بينهن[1] بينهن في الأغراض، والتصامم عن الأعراض، والمحاباة بالإعراض. وأقلل من مخالطتهن[2]، فهو أبقى لهمتك، وأسبل لحرمتك، ولتكن عشرتك لهن عند الكلال والملال، وضيق الاحتمال، بكثرة الأعمال، وعند الغضب والنوم، والفراغ من نصب اليوم، واجعل مبيتك بينهن تنم بركاتك، وتستتر حركاتك، وأفضل من ولدت منهن إلى مسكن[3] يختبر فيه استقلالها، ويُعْتَبر[4] بالتفرد خلالها، ولا تطلق لحرمة شفاعة ولا ولا تدبيرا، ولا تنط بها[5] من الأمر صغيرا ولا كبيرا، واحذر أن يظهر على خدمهن في خروجهن عن القصور وبروزهن من أجمة الأسد الهصور[6] زِيٌّ مفارع[7]، ولا ولا طيب للأنوف مسارع، واخصص بذلك من طعن[8]

---

[1] أي سوٍّ بينهن.
[2] في المخطوطين: ((مخالاتهن))؛ والتصحيح من النفح.
[3] في الريحانة: ((منزل)).
[4] في النفح: ((وتُعتبر)).
[5] في الإسكوريال: ((بهم))؛ وهو خطأ.
[6] أي الشَّديد الوثبة.
[7] في النفح: ((بارع))، وفي الريحانة: ((فارع)).
[8] في الإسكوريال: ((صغر)).

في السّن، ويئس [1] من الإنس والجن، ومن توفر النزوع إلى الخيرات قبله، وقصر عن جمال الصورة وَوُسم [2] بالبَلَه.

ثم لما بلغ إلى هذا الحد، حمي وطيس استجفاره [3]، استجفاره [3]، وختم حزبه باستغفاره، [ثم صمت مليا] [4]، مليا] [4]، واستعاد كلاما أوليا. ثم قال: واعلم يا أمير المؤمنين، سدّد الله سهمك لأغراض خلافته، وعصمك من الزمان وآفته، أنك في مجلس الفصل، ومباشرة الفرع من ملكك والأصل، في طائفة من عز الله، تذب عنك حماتها، وتدافع عن حوزتك كماتها، فاحذر أن يعدل بك غضبك، عن عدل تزري منه ببضاعة، أو يهجم بك رضاك على إضاعة. ولتكن قدرتك وقفا على الاتصاف بالعدل والإنصاف، واحكم بالسوية، واجنح بتدبيرك إلى حسن الرّوية. وخف أن تقعد بك أناتك عن حزم تعين، أو تستفزك العجلة في أمر لم يتبين، وأطع الجحة ما توجهت

---

[1] نفسه: ((وليس)).
[2] في النفح: ((ورسم)).
[3] في المخطوطين: ((اسحنفارة))؛ وصوبت من النفح.
[4] هذه العبارة ساقطة في الريحانة.

عليك [1]، ولا تحتفل بها إذا كانت إليك [2]، فانقيادك إليه أحسن من ظفرك، والحق أجدى من نفرك. ولا تردن النصيحة في وجه، ولا تقابل عليها بنجه، فتمنعها إذا استدعيتها، وتحجب عنك إذا استوعيتها، ولا تستدعها من غير أهلها، فيشغبك أولو الأغراض بجهلها. واحرص [3] على أن لا ينقضي مجلس جلسته، أو زمن اختلسته، إلاّ وقد أحرزت فضيلة زائدة، أو وثقت منه في معادك بفائدة، ولا يزهدنك في المال كثرته، فتقل في نفسك أثرته. وقس الشاهد بالغائب واذكر وقوع ما لا يحتسب من النّوائب، فالمال المصون أمنع [4] الحصون. ومن قل ماله قصرت آماله، وتهاون بيمينه شماله، والملك إذا فقد خزينته، أنحى [5] على أهل الجدة التي تزينه، وعاد [6] على على رعيته بالإجحاف، وعلى جبايته بالإلحاف، وساء معتاد عيشه، وصغر في عيون جيشه، ومنوا عليه بنصره،

---

[1] في النفح: ((إليك)).
[2] نفسه: ((عليك)).
[3] في الريحانة: ((واعمل)).
[4] في الريحانة: ((أعظم)).
[5] في النفح: ((أخنى)).
[6] هذه الكلمة ساقطة في الريحانة.

وأنفوا من الإقصار على قصره. وفي المال قوة سماوية، تصرف الناس لصاحبه، وتربط آمال أهل السلاح به. والمال نعمة الله تعالى، فلا تجعله ذريعة إلى خلافه، فتجمع بالشهوات بين إتلافك وإتلافه. واستأنس بحسن جوارها، واصرف في حقوق الله بعض أطوارها، فإن فضل المال على الأجل فَأَجَلّ، ولم يضر ما تلف [1] منه بين يدي الله عز وجل، وما ينفق في سبيل الشريعة، وسد الذريعة، مأمول خلفه، وما سواه فمُسْتَيْقِنٌ [2] تلفه. واستخلص لحضور [3] نواديك الغاصة، ومجالسك العامة والخاصة، من يليق بولوج عتبها، والعروج [4] لرتبها. أما العامية [5] فمن عظم عند الناس قدره، وانشرح بالعلم صدره، أو ظهر يساره، وكان لله إخباته وانكساره، ومن كان للفتيا منتصبا، وبتاج المشورة معتصبا. وأما الخاصية [6] الخاصية [6] فمن رقت طباعه، وامتد فيما يليق بتلك

[1] في الإسكوريال: ((خاب))، وفي النفح: ((خلف)).
[2] في النفح: ((فمُتَّعين)).
[3] ساقطة في النفحَ.
[4] أي الصعود.
[5] في الإسكوريال: ((العامة)).
[6] في الإسكوريال: ((الخاصة)).

المجالس باعه، ومن تبحر في سير الحكماء، وأخلاق الكرماء، ومن له فضل سافر وطبع [1] للدنية منافر، ولديه من كل ما تستتر به الملوك عن العوام حظ وافر، وصف ألبابهم بمحصول خيرك، وسكن قلوبهم بيمن طيرك، وأغنهم ما قدرت عن غيرك. واعلم بأن مواقع العلماء من ملكك، مواقع المشاعل المتألقة، والمصابيح المتعلقة، وعلى قدر تعاهدها [2] تبذل من الضياء، وتجلو بنورها صور الأشياء، وفرِّغْها [3] لتحبير ما يزين مدتك، ويحسن من بعد البلى جدتك. وبعناية الأواخر، ذكرت [4] الأوائل [5]، الأوائل [5]، وإذا محيت [6] المفاخر خربت الدول. واعلم أن أن بقاء الذكر مشروط بعمارة البلدان، وتخليد الآثار الباقية [7] في القاصي منها والدان. فاحرص على ما يوضح يوضح في الدهر سبلك، ويحوز [8] المزية لك على من

[1] حرفت في الإسكوريال؛ فكتبت: ((رفيع)).
[2] في الريحانة: ((تعهدك)).
[3] مكانها بياض في الإسكوريال. وفي النفح: ((فرغها))؛ بالغين المعجمة.
[4] في الريحانة: ((عنيت)).
[5] في النفح، والريحانة: ((الأوَل)).
[6] مكانها بياض في الإسكوريال.
[7] ساقطة في الإسكوريال.
[8] في الريحانة، والنفح: ((ويحرز)).

قبلك، وإن خير الملوك من ينطق بالحجة، وهو قادر على القهر، ويبذل الإنصاف في السر والجهر. مع التمكن من المال والظهر. ويسار الرعية جمال للملك وشرف، وفاقتهم من ذلك طرف، فغلّب أيْنَق [1] الحالين بمحلك، وأولاهما بضعنك [2] وحِلِّك. واعلم أن كرامة الجور [3] دائرة، وكرامة العدل مكاثرة [4]، والغلبة بالخير سيادة وبالشر هوادة[5]. وأعلم أن حسن القيام بالشريعة، يحسم عنك نكاية الخوارج، ويسمو بك إلى المعارج، فإنها تقصد أنواع الخدع، وتوري بتغيير البدع. و أطلق على عدوك أيدي الأقوياء من الأكفاء، وألسنة اللفيف من الضعفاء، واستشعر عند نكثة شعار الوفاء، ولتكن ثقتك بالله أكثر من [ثقتك بقوة تجدها] [6]، وكتيبة تنجدها، فإن فإن الإخلاص يمنحك قوى لا تكتسب، ويهديك [7] مع

[1] في النفح: ((أليق))، وفي الريحانة: ((ألين)).
[2] أي بارتحالك.
[3] في الريحانة: ((الخوف)).
[4] في النفح: ((متكاثرة)).
[5] في الإسكوريال: ((زيادة)).
[6] مكانها في المخطوطين: ((ثقة)).
[7] في النفح والريحانة: ((ويمهد لك)).

الأوقات نصرا لا يحتسب. والتمس سِلْمَ [1] من سالمك، بنفس [2] ما في يدك. وفضل حاصل [3] يومك على منظر غدك، فإن أبى وضحت محجتك، وقامت عليه للناس [4] حجتك، فلنفوس على الباغين [5] ميل، ولها من جانبه نيل، واستمد [6] كل يوم سيرة من يناويك. واجتهد أن لا يباريك [7] في خير ولا يساويك، واكذب بالخير ما يُشَنِّعه [8] يُشَنِّعه [8] من مساويك، ولا تقبل من الإطراء إلاّ ما كان فيك، فضل عن إطالته، وجد يزري ببطالته [9]. ولا تلق المذنب بالحميتك وسبك، واذكر عند حميّة [10] الغضب ذنوبك إلى ربك. ولا تنس أن ذنب [11] المذنب أجلسك مجلس الفصل، وجعل من [12] قبضتك رياش النصل.

---

[1] في الريحانة: ((مسالمة)). وفي النفح: ((والتمس أبدا سَلْمَ)).
[2] في النفح: ((بنفيس)).
[3] في الإسكوريال: ((فاضل)).
[4] في النفح: ((للناس بذلك حجتك)).
[5] في الريحانة: ((الباغي)).
[6] هكذا في الإسكوريال؛ وساقطة في الريحانة. وفي النفح: ((استهد في كلّ..)).
[7] في الريحانة، والنفح: ((يوازيك)).
[8] في النفح: ((يشيعه)).
[9] في الريحانة، والنفح: ((على بطالة)).
[10] نفسهما: ((حركة)).
[11] بياض في الإسكوريال. وفي النفح: ((ربَّ)).
[12] في الريحانة، والنفح: ((في)).

وتشاغل في هدنة الأيام بالاستعداد، واعلم أن التراخي منذر بالاشتداد. ولا تهمل عرض ديوانك، واختبار أعوانك، وتحصين معاقلك وقلاعك، وعم إيالتك بحسن اضطلاعك. ولا تشغل زمن الهدنة بلذاتك، فتجني في الشدة على ذاتك. ولا تطلق في دولتك ألسنة الكهانة والإرجاف، ومطاردة الآمال العجاف [1]، فإنه يبعث سوء سوء القول، ويفتح باب الغول [2]. وحذر على المدرسين والمعلمين [3]، والعلماء والمتكلمين، حمل الأحداث [4] على الشكوك الخالجة، والزلاّت [5] الوالجة، فإنه فإنه يفسد طباعهم، ويغري سباعهم، ويمد في مخالفة الملة باعهم، وسدّ سبل [6] الشفاعات، فإنها تفسد عليك حسن حسن الاختيار، ونفوس الخيار. وابذل في الأسرى [7] من من حسن ملكتك ما يرضي [8] من ملكك رقابها، وقلدك

---

[1] أي الهزيلة.
[2] في النفح: ((العول))؛ بالعين المهملة.
[3] نفسه: ((والمتعلمين)).
[4] في الإسكوريال: ((الأمداد))؛ وصححت من النفح، والريحانة.
[5] في النفح ((والمزلات)). وفي الإسكوريال: ((المزيات)).
[6] في النفح: ((سبيل)).
[7] في الإسكوريال: ((الأسمى))؛ وهو تحريف.
[8] نفسه: ((يونس)).

وقلدك ثوابها وعقابها، وتلق بدء نهارك بذكر الله في ترفعك وابتذالك، واختم اليوم بمثل ذلك. واعلم أنك مع كثرة حجابك، وكثافة حجابك، بمنزلة الظاهر للعيون، المطالب بالديون، لشدة البحث عن أمورك، وتعرف السر الخفي بين آمرك ومأمورك، فاعمل في سرك ما لا تستقبح أن يكون ظاهرا، ولا تأنف أن تكون به مجاهرا، واحكم بريك في الله ونحتك، وخف من فوقك يخفك [1] من تحتك. واعلم أن عدوك من أتباعك من تناسيت حسن قرضه أو زادت مؤونته على نصيبه منك وفرضه. فاصمت للحجج [2]، وتوق اللّجج، واسترب بالأمل، ولا يحملنك يحملنك انتظام الأمور على الاستهانة بالعمل. ولا تحقرن صغير الفساد، فيأخذ في الاستئساد. واحبس الألسنة عن التَّحالي [3] باغتيابك، والتشبث بأذيال ثيابك، فإن سوء الطاعة يتنقل من الأعين الباصرة، [إلى الألسن القاصرة] [4]، ثم إلى الأيدي المتناصرة. ولا تثق بنفسك في

---

[1] في النفح: ((يخَفْ)).
[2] في النفح: ((الحجج)).
[3] نفسه: ((التخالي))؛ بالخاء المعجمة الفوقية.
[4] ساقطة في الريحانة.

في قتال عدو ناواك [1]، حتى تظفر بعدو غضبك وهواك. وليكن خوفك من سوء تدبيرك، أكثر من عدوك الساعي في تَتْبيرك [2]. وإذا استنزلت ناجما [3]، أو أمنت ثائرا هاجما، فلا تقلده البلد الذي فيه نجم، وهمى عارضه [4] فيه وانسجم، يعظم عليك القدح [5] في اختيارك، والغضّ [6] من إيثارك، واحترز من كيده في حوزك[7] ومأمك، فإنك أكبر همه، وليس بأكبر همك، وجمل المملكة بتأمين الفلوات، وتسهيل الأقوات، وتجويد [8] ما يتعامل به من الصرف في البياعات [9] وإجراء العوائد مع الأيام والساعات، ولا تبخس عيار قيم البضاعات، ولتكن يدك عن أموال الناس محجورة، وفي احترامها إلا على الثلاثة مأجورة: مال من عدا طَوْرُه وطور [10] أهله،

[1] خففت الهمزة. وأصل الكلمة: ((ناوأك)).
[2] أي الساعي في هلاكك.
[3] أي ثائرا.
[4] أي سحابه.
[5] في الإسكوريال: ((القوم)).
[6] أي الانتقاص.
[7] في النفح: ((حورك))، وفي الإسكوريال: ((فوزك)).
[8] في النفح: ((وتحديد)).
[9] محيت عدة كلمات من أواخر الأسطر في اللوحة 498 من الإسكوريال.
[10] في النفح: ((طور))؛ بدون واو.

وتجاوز [1] في الملابس والزينة، وفضول المدينة، يروم معارضتك بحمله [2]، ومن باطن أعداك، وأمن اعتداك، ومن أساء جوار رعيتك بإخساره، وبذل الإذاية فيهم بيمينه ويساره. وأضرّ ما منيت به التعادي بين عبدانك، أو في بلد من بلدانك، فسد فيه الباب، وانقلهم بوساطة أولي، الألباب، إلى حالة الأحباب، ولا تطوق الأعلام أطواق المنون، بهواجس الظنون، فهو أمر لا يقف عند حد، ولا ينتهي إلى عد. واجعل ولدك في احتراسك، [وصِدْق مراسك] [3] حتى لا يطمع في افتراسك. ثم لما رأى رأى الليل قد كاد ينتصف، وعموده يريد أن ينقصف، ومجال الوصايا أكثر مما يصف، قال: يا أمير المؤمنين، بحر السياسة زاخر، وعمر التَّمتّع [4] بناديك العزيز مستاخر، فإن أذنت في فن من فنون الأنس يجذب بالمقاد، إلى راحة الرقاد، ويعتق النفس بقدرة ذي الجلال، من ملكة

---

[1] في الريحانة، والنفح: ((وتخارق)).
[2] في النفح: ((بجهله)).
[3] ما ورد بين حاصرتين ساقط في النفح.
[4] في النفح: ((المُتَمتع)).

الكلال [1]. فقال: أما والله [2] قد استحسنا ما سردت، فشأنك وما أردت؛ فاستدعى عوداً، فأصلحه حتى أحْمَده [3] وأبعد في اختياره أمده. ثم حرّك فمه [4]، وأطال الحسن ثَمَّه، ثم تغنى بصوت يستدعي الإنصات، ويصدع الحصاة [5]، ويستفز الحليم عن وقاره، ويستوقف الطير، ورزق بنيه في منقاره، وقال [6]:

---

[1] أي التعب والإعياء.
[2] أضيفت من النفح.
[3] في النفح: ((حمده)).
[4] وفي الإسكوريال، والريحانة: ((يمَّه)). وفي النفح: ((بمَّه))،
[5] المقصود هنا القلب.
[6] البحر الخفيف.

صـــاح ما أعطـــر القبول بنمـــه
أتراهـــا أطالـــت البـــث[1] ثَمَّـــهْ
هي دار الهوى منى النفس فيهـــا
أبـــد الدهـــر والأمـــاني جَمَّـــهْ
إن يكـــن ما تـــأرج الجو منهـــا
واستفـــاد الشـــذى وإلا فَمِمَّـــهْ
مـــن بطـــرفي[2] بنظـــرة ولأنـــفي
في رباهـــا وفي ثراها بشمـــهْ
ذكـــر العهـــد فانتفضـــت كأني
طرقتـــني من المـــلائك لمـــهْ
وطـــن قد نضيـــت فيـــه شبابـــا[3]
لم تدنـــس منه البـــرود مذمـــهْ
بنت عنه والنفس من أجـــل مـــن[4]
خلفتـــه فـــي جلالـــه[5] مغتَّمـــه

---

[1] في النفـح: ((اللَّبْـثَ))؛ أي الإقامـة.
[2] نفسـه: ((لطـرفي)).
[3] في الريحانـة: ((شبـابي)).
[4] في النفـح: ((...مـن أجـل مـن قـد)).
[5] نفسـه: ((خلفتـه خلالـه...)).

كان حلما فويح من أمـــل الدهـــ
ـــر وأعماهه جهلـــه وأصمـــه
تَأَمُّلُ العيش بعد أن أخلق[1] الجســـ
ـــم وبنيانـــه عسيـــر المرمـــه
وغـــدت وفـــرة الشبيبة بالشيـــ
ـــب على رغم أنفهـــا معتمـــه
فقـــد فـــاز مالـــكٌ[2] جعـــل اللـــ
ـــه إلى الله قصـــده ومأمـــه
من يبـــت من غرور دنيا بهـــم
يلـــدغ القلب أكثـــر اللـــه همـــه

ثم أحال اللحن إلى لون التنويم، فأخذ كل في النعاس والتهويم، وأطال الجس[3] في الثقيل، عاكفا عكوف الضاحي في المقيل، [فخاط عيون القوم[4] بخيوط

---

[1] في النفح: ((خلق)).
[2] نفسه: ((سالك)).
[3] في الإسكوريال: ((الجمس)).
[4] ساقطة في الإسكوريال.

النوم، وعمر بهم المراقد، كأنما أدار عليهم الفراقد[1]] ثم انصرف، فما علم به أحد ولا عرف. ولما أفاق **الرشيد** جد في طلبه، فلم يعلم بمنقلبه، فأسف للفراق، وأمر بتخليد حكمه في بطون الأوراق. فهي إلى اليوم تروى [2] وتنقل، وتجلى القلوب بها وتصقل. والحمد لله رب العالمين.

***

---

[1] في الإسكوريال: ((المراقد)). وما ورد بين حاصرتين ساقط في الريحانة؛ وجاء مكانه: ((فخاط العيون)).
[2] في النفح: ((تُتْلَى)).

هذا ما حضرني [1] من المنثور، والمنظوم، وحظه عندي [في الإفادة] [2] حظ ضعيف، وغرضه كما شاء الله [3] سخيف، لكن الله [4] بعباده لطيف، [سبحانه لا إله إلا هو].

مولدي

في الخامس والعشرين لرجب عام ثلاثة عشر وسبعمائة[5]، وكم[6] بالحي ممن ذكرته، ألحق بالميت، وبالقبر قد استبدل من البيت، ولا حول ولا قوة إلاّ بالله العلي العظيم.

***

---

[1] في النفح: ((حضر)).
[2] نفسه: ((من الإجادة)).
[3] نفسه: ((الله تعالى)).
[4] نفسه: ((الله سبحانه)).
[5] الموافق لـ 1313م.
[6] في الإسكوريال: ((وكان))؛ وصوبها عنان.

قلت [1] هنا انتهى هذا التأليف المسمى ((**بالإحاطة في تاريخ غرناطة**)) بالاختصار، وتحصل منه ما أردناه من هذا المقدار، ووهبناه للناظر فيه هبة ليست بهبة اعتصار، بل هي لتحصيله ذات انتصار، ولما لم يمكنه أن يعرف بمحنته ووفاته، رأيت أنّا بعده أن أُعَرِّف بذلك في مُخْتَصَري هذا على مَهْيَعه، وعادته، فأقول [2]:

---

[1] **هذا القول كما يبدو للناسخ.**

[2] **علق عنان هنا فقال: ((من الواضح أن ذلك من كلام مختصر "الإحاطة" وناسخها أبي جعفر البقني)).**

محنته وفاته

رأيت تعليقا بخط بعض العدول المعاصرين، [1] الأذكياء المحاضرين، الأدباء المجيدين، الظرفاء المقيدين؛ وهو صاحبنا **أبو عبد الله**............ [2] **الواد آشي** حفظه الله، طرفة زمان، وحفظة أوان، وهو ما نصه من تاريخ **ابن خلدون**.. قال:

الخبر عن مقتل ابن الخطيب[3]

ولما [4] استولى **السلطان أبو العباس** على **البلد الجديد**، دار ملكه فاتح ست وسبعين[5]، واستقل بسلطانه، والوزير **محمد بن عثمان** مستبد عليه، **وسليمان**

---

[1] يبدو أن هذه الفقرة كتبها ناسخ الكتاب.

[2] قال عنان: ((بياض بالإسكوريال. وهو أبو عبد الله محمد بن الحداد الشهير بالوادي آشي؛ من أواخر أدباء غرناطة. كان ممن نزح إلى تلمسان مع رهط من العلماء الذين أيقنوا باقتراب وقوع النكبة وسقوط غرناطة في أيدي النصارى)).

[3] نقل عنان هذا من كتاب العبر.

[4] في العبر: ((لما))؛ بدون واو.

[5] أي 776هـ/1370م. وكتب في العبر: ((فاتح سنة ست وسبعين)).

ابن داود من **أعراب** [كبيرا] [1] **بني عسكر** رديف له. وقد كان الشرط وقع بينه وبين السلطان **ابن الأحمر**، عندما بويع **بطنجة**، على نكبة **ابن الخطيب** وإسلامه إليه، لما نمي عنه أنه كان يغري السلطان **عبد العزيز** بملك **الأندلس**. فلما زحف السلطان **أبو العباس** من **طنجة**، ولقي [2] الوزير **أبا بكر بن غازي** بساحة **البلد الجديد**، فهزمه السلطان، ولاذ منه بالحصار، آوى معه **ابن الخطيب** إلى **البلد الجديد** خوفا على نفسه، فلما [3] استولى السلطان على البلد [4]، أقام أياما، ثم أغراه **سليمان بن داود** بالقبض عليه، فقبضوا عليه، وأودعوه بالسجن [5]، وطيروا بالخبر إلى السلطان **ابن الأحمر**، وكان **سليمان بن داود** شديد العداوة **لابن الخطيب**، لما [6] كان **سليمان** [7] قد قد تابع [8] السلطان **ابن الأحمر** على مشيخة الغزاة

---

[1] **هذه الكلمة ليست واردة في العبر. وهي في غير محلها.**
[2] **في العبر: ((لقيه)).**
[3] **نفسه: ((ولما)).**
[4] **نفسه: ((البلد الجديد)).**
[5] **في العبر: ((السجن))؛ بدون الباء.**
[6] **نفسه: ((بما)).**
[7] **نفسه: ((سليمان بن داود)).**
[8] **نفسه: ((بايعه)).**

بالأندلس، متى أعاده الله إلى ملكه. فلما استقر له سلطانه، أجاز إليه **سليمان** سفيرا، عن **عمر بن عبد الله**، ومقتضيا عهده من السلطان. فصدّه **ابن الخطيب** عن ذلك، بأن تلك الرياسة، [إنما هي] [1] لأعياص الملك من **آل عبد الحق**، لأنهم يعسوب **زناتة**؛ فرجع آيسا [2]، وحقد وحقد ذلك **لابن الخطيب**. ثم جاور **الأندلس** بمحل إمارته من **جبل الفتح**، فكانت تقع بينه وبين **ابن الخطيب**، مكاتبات ينفس [3] كل [4] منهما لصاحبه، بما يحفظه؛ لما كمن في صدورهما. وحين بلغ الخبر بالقبض على **ابن الخطيب** إلى السلطان [5]، بعث كاتبه، ووزيره بعد **ابن الخطيب**، وهو **عبد الله بن زمرك**، فقدم على السلطان **أبي العباس**، وأحضر **ابن الخطيب بالمشْوَر** [6] في مجلس الخاصة وأهل الشورى، وعرض عليه بعض كلمات

---

[1] ((إنما هي)) ليس واردة في العبر.
[2] في العبر: ((فرجع سليمان يائساً)).
[3] نفسه: ((يتنفس)).
[4] نفسه: ((كل واحد منهما بصاحبه)).
[5] في العبر: ((إلى السلطان ابن الأحمر)).
[6] حرفت في العبر؛ فكتبت: ((بالشورى))؛ والصحيح هو المشور؛ وهو الاسم الذي يطلق على القصر الملكي أو البلاط في المغرب الأقصى والمغرب الأوسط.

وقعت له في كتابه [1]، فعظم عليه النُّكر [2] فيها، فوبخ ونكّل، وامتحن بالعذاب بمشهد ذلك الملإ [3]. ثم تلَّ إلى محسبه، واشتوَروا في قتله بمقتضى تلك المقالات المسجلة عليه، وأفتى بعض الفقهاء فيه، ودسّ **سليمان بن داود** إليه لبعض الأوغاد من حاشيته بقتله، فطرقوا السجن ليلا، ومعهم زعانفة جاءوا في لفيف الخدم مع سفراء السلطان **ابن الأحمر**، وقتلوه خنقا في محبسه، وأخرجوا شلوه من الغد، فدفن في مقبرة [4] باب المحروق. ثم أصبح أصبح من الغد على شأفة قبره طريحا، وقد جمعت له أعواد، وأضرمت عليه ناراً، فاحترق شعره، واسود بشره، وأعيد [5] إلى حفرته. وكان في ذلك انتهاء محنته. وعجب الناس من هذه السَّفاهة [6] التي جاء بها **سليمان** واعتدوها من هنّاته، وعظم النّكير فيها عليه، وعلى

---

[1] **في العبر: ((في كابته)).**
[2] **نفسه: ((النكير)).**
[3] **نفسه: ((الملإ من الناس)).**
[4] **نفسه: ((فدفن بمقبرة...)).**
[5] **نفسه: ((فأعيد)).**
[6] **نفسه: ((الشنعاء)).**

قومه، وأهل دولته. والله فعّال [1] لما يريد. وكان عفى الله عنه، أيام امتحانه بالسجن، يتوقع مصيبة الموت، فيتجيش [2] هواتفه بالشعر [3] يبكي نفسه. ومما قال في ذلك [4]:

بعدنـــا وإن جاورتنـــا البيـــوت
وجئنا بوعـــض[5] ونحـــن صمـــوت
وأنفاسنـــــا سكنـــــت دفعـــــة
كهجـــــر الصـــلاة تـــلاه القنـــوت
وكنـــا عظامـــا فصرنا عظامـــا
وكنـــا نقـــوت فهـــا نحـــن قـــوت
وكنـــا شمـــوس سمـــاء العـــلا
غَرُبْـــن فناحـــت[6] عليها البيـــــوت[7]
فكم جدَّلَـــت[8] ذا الحسام الظبـــا
وذو البخـــت كـــم جدلتـــه البخوت

---

[1] نفسه: ((الفعال)).
[2] في العبر: ((فتجيش)).
[3] نفسه: ((لشعر)).
[4] بحر المتقارب.
[5] في العبر: ((لِوَعْدٍ)).
[6] نفسه: ((فباحت)).
[7] نفسه: ((...علينا السموت)).
[8] في أزهار الرياض: ((خذلت)).

وكـــم سيــق للقبـــر في خرقـــة

فــتى ملئـــت مـــن كســـاه التخوت

فقل للعـــدا ذهـــب ابن الخطيـــب

وفـــات ومـــن[1] ذا الـــذي لا يفـــوت

فمـــن[2] كان يفـــرح منكـــم لـــه[3]

فقل يفرح اليـــوم مـــن لا يمـــوت

***

---

[1] في العبـر: ((فمـن)).
[2] نفسـه: ((ومـن)).
[3] نفسـه: ((منهُمُ لـه)).

انتهى من السفر الأخير منه، حيث عرف بنفسه وبشيوخه، رحمة الله على الجميع.

قلت: وهنا انتهى ما قصدناه، وتم بحول الله ما أردناه واستوفيناه، واستلحمناه وذلك **بغرناطة** أقالها الله وصانها، وعمر بالعلماء الأعلام، وصالحي الإسلام، عمرانها وبتاريخ أوائل شهر ربيع الآخر من عام خمسة وتسعين وثمانمائة [1]. والحمد لله. وسلام على عباده الذين اصطفى.

***

الحمد لله.. من كتاب **نفاضة الجراب لابن الخطيب** المذكور رحمه الله، الذي ألفه **بالعدوة** بعد صرفه عن **الأندلس**، واستقراره **بالعدوة** بآخرة من عمره، وقرب وفاته [2] ولذلك سماه ((**نفاضة الجراب**)). قال في أثنائه ما

---

[1] **الموافق لـ 1489م.**

[2] **لم يؤلف ابن الخطيب ((نفاضة الجراب) في آخر عمره؛ بل ألف قسمه الأول بين سنتي 761هـ و 763هـ؛ حينما سقطت دولة الغني بالله الأولى؛ فلجأ مع ابن الخطيب إلى المغرب؛ في عهد السلطان المريني أبي سالم**

نصه: وإلى هذا العهد صدر عني من النظم والنثر بحال القلعة، ومكان الغمرة، وسائل إخوانية، ومقطوعات أدبية، نُثبتها إحماضا وراحة، لتعيد مطالع هذا جماما، أو تهدي إليه أنسا. والحمد لله على البأساء والنعماء [1]:

جزتــني غرناطــة بعــد مــا
جلــوت محاسنهـــــا بالجــــلا
ولـــم تبــق جاهــا ولا حرمــة
ولــم تبــق مــالا ولا منــــزلا
كأني انفــردت بقتــل الحسيــن
وجــردت سيــفي فــي كربــلا
ولم أجــن ذنبــا ســوى أنــني
صعــدت بأمداحهــا فــي المــلا

إبراهيم بن أبي الحسن؛ حيث استقر ابن الخطيب في مدينة سلا. بينما ألف قسمه الثاني بين سنتي 763هـ و 764هـ؛ عند عودته إلى الأندلس؛ خلال دولة الغني بالله الثانية. أما الكتاب الذي ألفه ابن الخطيب في أواخر أيامه؛ فهو ((إعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلام))؛ وذلك بعد وفاة السلطان المريني عبد العزيز سنة 774هـ.

[1] البحر المتقارب.

وأني صنعــت فيهــا الغريــب

فصـــرت الغريب أجــول الفــلا

يمينـــا لقــد أنكــرت ما جــرى

نفــوس الــورى وأبتــه العــــلا

وما خصـــني زمـــني بالعقــوق

فكــم مــن[1] فاضـــــل مبتــــلا

أإن ظهــــرت نعمـــة الإلـــه

عــلي فألبســـت منهــا حــــلا

أإن قـــربتني الملـــوك الكـــرام

يقلـــــــد آخرهـــــــا الأولا

وأن مكنتـــني مـــن أمرهـــا

فشمت السيوف وصنـــت الطــلا

وقابلـــت بالشكـــر منها الصنيـــع

وحـــاشى لمثـــلي أن يغفــــلا

فأقســـم باللـــه لـــولا أنوفـــا

لجـــردت مـــن مقـــولي منصـــلا

---

[1] أضاف د. طويل كلمة ((خصّ))؛ فأضحت: ((فكم خصّ من...)).

يقد الدروع ويخلي الدموع
ويلقي على من عدا الله ركلا
فيترك في الناس أمثاله
تجد على رغم أنف البلا
ولا خلق أجهل ممن يظن
بمقدار مثلي أن يجهلا
ما[1] ركبت الدجا إذ سما
يقلد للجم نصرا كلا
وكان لساني سيفا صقيلا
وكانت يراعي قنا ذبلا
ولكن ليته[2] بصبر جميل
قضماء الذي لم يزل مجملا
وحاسبت نفسي فيم أمر
فألفيته البعض فيما خلا

[1] أضاف د. طويل ((الواو))؛ فغدت: (وما)).
[2] جعلها د. طويل: ((لِيَأْت)).

وأسكنــت نـــاري لمــا دعــا

وأسكنــت يــأسي لمــا غــــلا

ســــلام عليهــا وإن أخفــرت

ذمــامي ووجــزت بالقــــــلا

وألبستها الأمن ستــرا حصيفــا

وإن هتكـــــت ستــري المسبــلا

ومثــلي يبــقى عــلى عهــده

إذا أعــرض الخــــل أو أقبـــــلا

***

[هذا وقد وردت القصيدة الآتية بعد القصيدة الأولى في النصف الأعلى من اللوحة الختامية لمخطوط الإسكوريال (لوحة 501) دون تقديم ولا تعريف. وهي آخر ما ورد في المخطوط]. [1]:

مـــن حاكـــم بي عـــلى الفـــراق

حكـــم زيـــاد عـــلى العـــراق

---

[1] يبدو أن هذا كلام الناسخ؛ وقد علق عنان عليه فقال: ((راجعنا السفر الثالث والأخير من كتاب ((نفاضة الجراب)) وهو المحفوظ بمكتبة الرباط العامة برقم 256 ك، فلم نجد أثراً لهاتين القصيدتين اللتين هما بلا ريب من نظم ابن الخطيب، حسبما ورد في الفقرة التي يقول الناسخ أنه نقلهما من ((نفاضة الجراب)). والواقع أن ابن الخطيب قد ذكر في خاتمة هذا السفر الثالث من كتاب ((النفاضة))، أنه يقف عند هذا الحد إلى أن تتم الرحلة الحجازية التي كان ينوي القيام بها منذ أعوام طويلة، وعندئذ يضيف إلى ((نفاضة الجراب)) قسماً جديداً يتحدث فيه عن مشاهداته. ولكن القدر لم يسعفه بتحقيق هذه الأمنية. ونعتقد أن هذا الشعر قد نظم على الأغلب في وقت متأخر، حينما لجأ ابن الخطيب إلى المغرب للمرة الثانية، فاراً من وطنه، ومغاضبا لسلطانه، ومحتميا إلى كنف السلطان عبد العزيز المريني. وحين تفاقمت الحوادث بعد وفاة هذا السلطان، وشعر ابن الخطيب بدنو آخرته. وهذا ما تدل به إشارات ودلائل كثيرة، مما ورد في هذا النظم، من عتب على ما لقيه ابن الخطيب من نكران الصنيعة والعقوق بالرغم من مما أداه لوطنه من جلائل الخدمات، وما يقاسيه من آلام البين والبعاد، وتفرق الشمل، وهو يلتجئ في النهاية إلى رحمة الله، التي لا يجد معولاً سواها)). والقصيدة الموالية من مخلع البسيط.

بيـــدي[1] وقـــد ختمـــت يــــداه
بالجـــور فـــي أنفـــس رقاق
وعاجـــل النظـــــم بانتثـــــار
وصيـــر الشمـــل لافتـــــراق
فمـــن أكـــف عـــلى خـــــدود
ومـــن دمـــوع عـــلى تـــراق
وأي حـــــــــال إلـــى دوام
وما ســـوى اللـــه غيـــر بـــاق
يـــا سائـــق الركـــب إن نفـــسي
من لوعـــة البيـــن في سيـــاق
رفقـــا عـــلى مهجـــتي فـــإني
قـــد بلغـــــت روحي التـــراق
ويـــا رســـول النسيـــم بلـــــغ
بحيـــــرة الـــحي مـــــا ألاق

[1] جعلها د. طويل: ((يبدي)).

وسِــقْ إلــى سمـــــعي[1] حديثـــا
من أرضهم طيــب المســاق
جرعـــني البيــن كـــأس حـــزن
بعدهـــم مــــرة المــــذاق
فـــلا أنـــس[2] ســـــوى ادكـــاري
ولا جليــــس[3] اشتيـــــاق
ففي غـــدوي بهـــا اصطحـــابي
وفـــي رواحي بهـــا اغتبـــاق
يا شقـــة القلـــب ليـــت شعـــري
هل يَصِحُّ شَمْــلٌ[4] في اتســاق
أو يقلـــع الدهـــر مـــن عتـــاب
أو يطلق الشـــوق من وثـــاق
طـــال عـــلي الظـــلام لمــــا
ضــــن محيـــاك بالتـــــلاق

[1] جعلها د. طويل: ((سَمْعهم)).
[2] جعلها د. طويل: ((أنيساً)).
[3] جعلها د. طويل: ((جليساً)).
[4] جعلها د. طويل: ((هل صح شكلك...)).

فيكـــذب الليـــل فـــي ارتحـــال
ويمطـــــل الفجـــر بانشقـــاق
ضايقـــني الدهـــر فيـــك حـــتى
في موقـــف البيـــن والفـــراق
فلـــم يكـــن فيـــه مـــن ســـلام
ولا كـــلام ولا اعتنـــــــاق
قد عجز النطـــق عن شجـــوني
قـــد بلـــغ المـــــاء للنطـــاق
اقسمـــــــت حقـــا بخيـــر هـــــاد
ســـرى إلـــى اللـــه بالبـــراق
لو خيـــرت في الوجـــود نفسي
ما اخترت بهـــا[1] سوى التـــلاق
إن بطـــش الدهـــر بي وأبـــدى
سجيـــة الغـــــدر والنفـــــاق
فكـــم هـــلال رأيـــت بـــــدرا
أفلـــت مـــن ظلمـــة المحـــاق

---

[1] **جعلها د. طويل: ((منها)).**

يا مــن على فضلـــه اعتمـــادي

يـــا مـــن بأسبابـــه اعتـــلاق

إن لم تجد منـــك لي برحـــمى

ما لي في الخلـــق من خـــلاق

***

B

أهم المصادر والمراجع المعتمدة في تحقيق كتاب الإحاطة ومراجعته

ـ القـرآن الكريـم.

ـ إتحـاف أهـل الزمـان بأخبـار ملـوك تونـس وعهـد الأمـان؛ لاحمـد ابـن أبي الضيـاف. تونـس.
ـ أخبـار مجموعـة في فتـح الأندلـس وذكـر أمرائهـا رحمهـم اللـه والحـروب الواقعـة بهـا بينهـم؛ لمؤلـف مجهـول؛ مدريـد: 1867.
ـ أزهـار الريـاض في أخبـار عيـاض؛ للمقـري؛ تحقيـق مصطـفى السقـا وآخريـن. مصـر.
ـ الاستقصـاء لأخبـار المغـرب الأقـصى؛ لأحمـد الناصـري السـلاوي.؛ تحقيـق جعفـر الناصـري، ومحمـد الناصـري. الـدار البيضـاء؛ المغـرب.
ـ الاشتقـاق؛ لأبي بكـر محمـد بـن الحسـن بـن دريـد. مصـر.
ـ الأعـلام؛ لخيـر الديـن الزركـلي. مصـر
ـ إعمـال الأعـلام في مـن بويـع قبـل الاحتـلام مـن ملـوك الإسـلام ومـا يتعلـق بذلـك مـن الكـلام (بأجزائـه الثلاثـة)؛ الأول يخـص دول المشـرق الإسـلامي؛ وهـو مخطـوط بالمكتبـة الوطنيـة بالجزائـر تحـت رقـم: 1617. والثـاني نشـر بعنايـة بروفنسـان تحـت اسـم تاريـخ إسبانيـا الإسلاميـة، والثالـث حققـه أحمـد

مختــار العبــادي ومحمــد إبراهيــم الكتــاني تحــت عنــوان: تاريـــخ المغــرب العــربي في العصــر الوسيــط.
ــ البستــان في ذكــر الأوليــاء والعلمــاء بتلمســان؛ لمحمــد المليتــني (ابــن مريــم التلمســاني). تحقيــق محمــد ابــن أبي شنــب. الجزائــر.
ــ بغيــة الــرواد في ذكــر الملــوك مــن بــني عبــد الــواد؛ ليحــيى ابــن خلــدون؛ ج: 1؛ تحقيــق د. عبد الحميــد حاجيــات ــ ج: 2؛ تحقيــق بوزيــاني الــدراجي. الجزائــر
ــ بغيــة الملتمــس في تاريــخ رجــال أهــل الأندلــس؛ لأحمــد بــن عميــرة الضــبي. مدريــد: 1884. بغــداد.
ــ البيــان المغــرب في أخبــار الأندلــس والمغــرب؛ لابــن عــذاري المراكــشي؛ تحقيــق بروفنســال وكــولان. بيــروت لبنــان.
ــ تاريــخ علمــاء الأندلــس؛ لابــن الفــرضي. مصــر: 1966.
ــ تاريــخ قضــاة الأندلــس؛ لعــلي النبــاهي؛ (وهــو كتــاب المراقبــة العليــا فيمــن يستحــق القضــاء والفتيــا). بيــروت لبنــان.
ــ تاريــخ المــن بالإمامــة عــلى المستضعفيــن بــأن جعلهــم اللــه أئمــة وجعلهــم الوارثيــن؛ لعبــد الملــك ابــن صاحــب الصــلاة؛ تحقيــق عبــد الهــادي التــازي. بيــروت لبنــان.
ــ التعريــف بابــن خلــدون ورحلتــه غربــا وشرقــاً؛ تحقيــق؛ محمــد ابــن تاويــت الطنــجي. القاهــرة مصــر.
ــ التكملــة لكتــاب الصلــة؛ لمحمــد ابــن الأبــار. مصــر: 1955 ــ 1956.
ــ التمثيــل والمحاضــرة؛ للثعالــبي؛ تحقيــق عبــد الفتــاح محمــد الحلــو. القاهــرة مصــر.

ـ جـذوة المقتبـس في ذكـر ولاة الأندلـس؛ لمحمـد الأزدي الحميـدي. مصـر: 1966.
ـ جمهـرة أنسـاب العـرب؛ لعـلي ابـن حـزم؛ تحقيـق عبـد السـلام محمـد هـارون، مصـر
ـ الحلـل السندسيـة في الأخبـار التونسيـة؛ لمحمـد بـن محمـد الأندلـسي (الوزيـر السـراج)، تونـس.
ـ الحلـة السيـراء؛ لمحمـد ابـن الأبـار. تحقيـق دوزي، وتحقيـق حسيـن مؤنـس. مصـر
ـ درة الحجـال في أسمـاء الرجـال؛ لأحمـد المكنـاسي (ابـن القـاضي).؛ تحقيـق محمـد الأحمـدي أبـو النـور. تونـس ـ القاهـرة.
ـ الديبـاج المذهـب في معرفـة أعيـان علمـاء المذهـب؛ لأبـن فرحـون؛ تحقيـق محمـد الأحمـدي. القاهـر.
ـ ديـوان ابـن خاتمـة. دمشـق: 1972.
ـ ديـوان أبي الطيـب المتنـبي. بعناية البرقـوقي، مصـر.
ـ ديـوان الصبابـة؛ لأحمـد بـن يحـيى التلمسـاني (ابـن حجلـة). مصـر.
ـ الذخيـرة السنيـة في تاريـخ الدولـة المرينيـة؛ لمجهـول؛ تحقيـق الشيـخ محمـد بـن أبي شنبـب؛. الجزائـر 1920.
ـ الذخيـرة في محاسـن أهـل الجزيـرة؛ لابـن بسـام؛ تحقيـق إحسـأن عبـاس. بيـروت لبنـان.
ـ الذيـل والتكملـة لكتـابي الموصـول والصلـة؛ لابـن عبـد الملـك المراكـشي (الأقسـام من: 1 ـ 2، والسفـران: الرابـع والخامـس. بيـروت: 1965.

ـ رقـم الحلـل في نظـم الـدول؛ للسـان الديـن ابـن الخطيـب.
ـ روضـة التعريـف بالحـب الشريـف؛ للسـان الديـن ابـن الخطيـب؛ تحقيـق عبـد القـادر أحمـد عطـا، وحققـه ايضـاً محمـد الكتـاني.
ـ روضـة النسريـن في دولـة بـني مريـن؛ لإسماعيـل ابـن الأحمـر؛ تحقيـق الغـوثي بوعـلي وجـورج مـارسي.
ـ ريحانـة الكتـاب ونزهـة المنتـاب؛ للسـان الديـن ابـن الخطيـب. تحقيـق محمـد عبـد اللـه عنـان؛ القاهـرة.
ـ الصلـة؛ لخلـف ابـن بشكـوال.
ـ صلـة الصلـة؛ لأحمـد بـن الزبيـر.
ـ العبـر وديـوان المبتـدأ والخبـر في أيـام العـرب والعجـم والبربـر ومـن عاصرهـم مـن ذوي السلطـان الأكبـر؛ لعبـد الرحمـن ابـن خلـدون.
ـ عنـوان الدرايـة فيمـن عـرف مـن العلمـاء في المائـة السابعـة ببجايـة؛ لأحمـد الغبريـني؛ تحقيـق عـادل نويهـض.
ـ فجـر الأندلـس؛ لحسيـن مؤنـس. جـدة: 1985.
ـ فصـل المقـال في شـرح كتـاب الأمثـال؛ لأبي عبيـد البكـري؛ تحقيـق إحسـان عبـاس وعبـد المجيـد عابديـن.
ـ فـوات الوفيـات والذيـل عليهـا؛ لمحمـد بـن شاكـر الكتـبي؛ تحقيـق إحسـان عبـاس؛ بيـروت.
ـ قلائـد العقيـان؛ للفتـح بـن خاقـان. مصـر 1284هـ.
ـ كتـاب الوفيـات؛ لأحمـد ابـن قنفـذ القسنطيـني؛ تحقيـق عـادل نويهـض.
ـ الكتيبـة الكامنـة فيمـن لقيتـه بالأندلـس مـن شعـراء المائـة الثامنـة؛ للسـان الديـن ابـن الخطيـب.

ــ كناسة الدكان بعد انتقال السكان؛ للسان الدين ابن الخطيب.
ــ لسان العرب. بيروت.
ــ اللمحة البدرية في الدولة النصرية؛ للسان الدين ابن الخطيب.
ــ مجلة معهد المخطوطات العربية؛ مج: 2؛ القاهرة.
ــ مجمع الأمثال؛ لأحمد النيسبوري.
ــ المعجب في تلخيص أخبار المغرب؛ لعبد الواحد المراكشي؛ بعناية محمد سعيد العريان ومحمد العربي العلمي. القاهرة
ــ معجم البلدان؛ لياقوت الحموي. بيروت.
ــ معجم قبائل العرب القديمة والحديثة؛ لعمر رضا كحالة؛ بيروت.
ــ معجم المطبوعات العربية والمعربة؛ جمعه ورتبه يوسف إليان سركيس؛ القاهرة.
ــ المغرب في حلى المغرب؛ لعبد الملك بن سعيد الأندلسي وآخرين؛ تحقيق شوقي ضيف. القاهرة
ــ المقتبس من أنباء أهل الأندلس؛ لابن حيان القرطبي. قسم حققه محمود علي مكي، وقسم حققه عبد الرحمن حجي. بيروت
ــ مقدمة ابن خلدون؛ تحقيق على عبد الواحد وافي. القاهرة
ــ نثير فرائد الجمان في نظم فحول الزمان؛ لإسماعيل ابن الأحمر؛ تحقيق رضوان الداية. بيروت.
ــ نزهة المشتاق في اختراق الآفاق؛ للإدريسي. (قسم إفريقية وجزيرة الأندلس)؛ تحقيق اسماعيل العربي، الجزائر.

ـ نفاضـــة الجـــراب في علالـــة الاغتـــراب؛ للسيـــان الديـــن ابـــن الخطيـــب (الجـــزء الثـــاني)؛ تحقيـــق أحمـــد مختـــار العبـــادي؛ القاهـــرة.
ـ نفـــح الطيـــب مـــن غصـــن الأندلـــس الرطيـــب؛ للمقـــري؛ تحقيـــن إحســـان عبـــاس. بيـــروت.
ـ وفيـــات الأعيـــان وأنبـــاء أبنـــاء الزمـــان؛ لأحمـــد بـــن محمـــد ابـــن أبي بكـــر ابـــن خلكـــان؛ تحقيـــق إحســـان عبـــاس؛ بيـــروت.

فهرس الموضوعات والتراجم

(القسم الخامس)